نظامي الگنجوي

شاعر الفضيلة

عصره وبيئته وشعره

تأليف

دكتور عبد النعيم محمد حسنين
مدرس بكلية الآداب . جامعة ابراهيم

الطبعة الأولى

١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م

الناشر مكتبة الخانجي
ص. ب ١٣٧٥ مصر

نظامي الكنجوي

شاعر الفضيلة
عصره وبيئته وشعره

تأليف
دكتور عبد النعيم محمد حسنين
مدرس بكلية الآداب . جامعة ابراهيم

الطبعة الأولى

١٣٧٣هـ — ١٩٥٤م

الناشر مكتبة الخانجي
ص.ب ١٣٧٥ مصر

بسم الله الرحمن الرحيم هست كليد در گنج حكيم

نظامى الـگنجوى

(البيت الأول من مخزن الأسرار)

إهــداء ....

إلى روح والدى العزيز ....

إليك .. يامن غرست فى نفسى حب العلم والخلق الفاضل .

إليك .. يامن علمتنى أن العلم لا قيمة له بدون الأخلاق ، وأن طلبه يجب أن يكون من المهد إلى اللحد ، وأن المرء لايزال عالماً حتى يظن أنه قد علم ، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل .

إليك .. يامن لقنتنى أن الكرامة هى أثمن شىء فى الوجود ، وأن الحيــاة يجب أن تقوم على المبادىء السليمة ، والمثل الرفيعة ، لا على الأغراض والأهواء .. فيكون أساسها الخلق الفاضل النظيف ، والجد والاستقامة وإنكار الذات ، والإخــلاص ويقظة الضمير ، والمحبة والتعاون .

إليك .. يامن جعلتنى أومن بأن الزبد يذهب جفــاء ، وأما ماينفع النــاس فيمكث فى الأرض .. وبأن دولة الباطل ساعة ، ودولة الحق إلى أن تقوم الساعة .

إلى روحك ياوالدى .. أقدم هــذا الكتاب فإنه الثمرة الأولى لغرسك ..

وإنى لأدعو الله أن يطيب ثراك ، ويجعل الجنــة مأواك . كما أرجو أن يجد القارىء فيه متعة وفائدة .. وأن يجد فيه ابنى «أسامة» مايحببه فى البحث ، ويرغبه فى طلب العلم ، ويدعوه إلى التمسك بالخلق والاعتزاز بالكرامة ، ويجعــله يستعذب مايجده فى سبيل ذلك من العناء والمشقات .

وإن روحك الطاهرة لتهتف بنا أن نسير فى الطريق الذى رسمته لنا ، فنحمل مشعل العلم والأخلاق ، ونؤدى للوطن المحبوب أجل الخدمات .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

ابنك

عبد المنعم محمد حسنين

فهرس الموضوعات

تقـــــــديم

بقلم أستاذى الدكتور إبراهيم أمين الشواربى

رئيس قسم اللغات الشرقية بكلية الآداب بجامعة إبراهيم

من حق المهتمين بالدراسات الشرقيـة أن يبتهجوا وأن يستبشروا ، إذا ظفرت دراساتهم بين الفينة والفينة ببحث قيم ، يقدمه إليهم باحثٌ جادٌّ ، يسلك طريق البحث العلمى الصحيح ، مزوَّداً من عزمه وإخلاصه بما يذلل الصعاب ، ويمهد العقبات .

ومن حقهم أيضاً أن يتفاءلوا وأن يطمئنوا إذا علموا أن الدراسات الشرقية بمصر ، لم تسلخ من عمرها فى الجامعات المصرية إلا قرابة ربع قرن من الزمان ، ولـكنها استطاعت رغم قصر العهد بها ، وقلة العناية بأمرها أن تبرز بين سائر الدراسات الأدبية والعلمية التى صاحبت نهضتنـا الحديثة ، وأن تخرج لنا جيلاً جديداً من المتخصصين فى لغات الشرق وآدابه ، يشاركون الآن جماعة « المستشرقين » من أهل الغرب فى مجهودهم الطويل الذى بذلوه منذ قرون فى هذه الدراسات . فإذا هم يدركون ركبهم ويزاملون قافلتهم ، ويساهمون فى هذا التراث الشرقى بنصيب مهما قلّ أو صغر ، فإنه كفيل بأن ينفى عن الشرق وصمة الـكسل الذهنى ، عند ما تهامس عليه المتهامسون فقالوا : إنه غريب فى دياره ، تستخفى ثقافاته على بنيه ، وتستغلق حضاراته على أهله وذويه ..!!

ومع ذلك كله ، فمن الحق أن نقرر أن « الدراسـات الشرقية » فى مصر

ما زالت فى حاجة إلى مزيد من الاهتمام والتشجيع ، حتى تتمكن من أن تؤدى رسالتهـا على أكمل وجه فى هذا البلد الذى يعد من غير شك واسطة العقد بين سائر البلاد الشرقية ، وفيه تتركز آمال الشرق وأمانيه . وفى رأيى أنه لن يتأتى لها ذلك إلا إذا قرن التشجيع النظرى بالتشجيع العملى بحيث يتمكن أصحـاب هذه الدراسات من الانتقال بهـا من المرحلة النظرية البحتة ، إلى مرحلة ثانية يستهدفون فيها أغراضاً عملية أخرى ، تجعل شأن هذه الدراسات شأنها فى سائر بلاد الغرب ، حيث ينتفعون بهـا علماً وعملا ، وحيث لا تستوفى فائدة العلم إلا إذا اقترن بالعمل . ومن حسن الحظ أننا سائرون إلى هذه النهاية ، سواء تمهلنا أم تعجلنا ، لأن العزم قد انعقد واليقين قد تأكد .

ولا أدل على انعقاد العزم وتأكيد اليقين ، من أن إقبال الشباب على هذه الدراسات قد زاد فى السنوات الأخيرة زيادة ملحوظة ، تتمثل فى طائفة مختارة من المتطلعين إلى الشرق ، المشغوفين بثقافاته ، المؤمنين بحضاراته ، الذين إذا قيل لهم « الشرق شرق والغرب غرب » لم يجدوا فى هذا القول غضاضة أو ضيراً لأن الشرق أصبح عقيدة ثابتة فى أنفسهم ، تجعـله لديهم مطلع النور ، ومنبع الحضارات ، ومجمع الخير الذى يدعو إلى كل زهو وإعجاب .

وإنى أقدم إلى هؤلاء وإلى كل معتز بالشرق مريداً قديمـاً وزميلا كريماً هو الدكتور عبد النعيم حسنين .

استكمل الدكتور عبد النعيم دراساته الفارسية فى مصر وإيران ، وكان مثالاً للشباب الجامعى الطموح ، الذى يقتحم اللجة ويتلف المهجة ، دون أن ينتظر أجراً أو يستنفد صبراً ، فاستطاع برأيه وجلده أن يخرج لنا بحثه عن الشـاعر الفارسى « نظامى » فإذا هو طرفة أدبية رائعة تنضم إلى المـكتبة العربية ، لتضيف إليها درة من درر الأدب الفارسى المجهول .

وإنى لأذكر أنى قرأت « نظامى » طويلاً ، وقرأته مراراً ، استعـداداً

لمناقشة « عبد النعيم » فى أول رسالة للدكتوراه تمنحها جامعة إبراهيم ، فكنت كلما أطلتُ قراءة الرسالة ، أكبرتُ الجهد الذى بذله فيها صاحبها وحمدتُ له مقدار المعاناة التى صمد لها . وإذا كنت قد خالفته فى بعض مناحى البحث ، فإنى لا أستطيع أن أنكر أننى فيما وافقته عليه أو خالفته فيه ، قد فزتُ بمتعة عقلية كبيرة ، مهدها لى ما فى البحث من شغف بإطالة النظر والتفكير ، وجلد على التعمق والاستقصاء .

وإذا كنت أرجو بعد ذلك من الدكتور عبد النعيم شيئاً ، فإنما أرجو أن يمكننا قريباً من أن نقرأ « مثنويات » نظامى مترجمة إلى العربية ، حتى يصبح فضله علينا مضاعفاً ، وحتى يصبح حمدنا له مكرراً ومضاعفاً أيضاً .

٢٧ ربيع الثاني سنة ١٣٧٣
٣ يناير سنة ١٩٥٤

إبراهيم أمين الشواربى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

فى القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجريين ، كان يعيش ـ فى كنجه بإقليم آذر بيجان ـ شاعرٌ وجّهته أحداث عصره ، وعوامل بيئته إلى إيثار العزلة عن الولاة والحكام ، رغم إرسال مدائحه إليهم وتقديم منظوماته لهم ، كما جعلته يدعو إلى الفضيلة ، ويتغنّى بالخلق القويم ، ويشكو من الظلم ، وينادى باتباع العدل والوفاء ؛ ذلك الشاعر هو نظامى الكنجوى ، الذى أرجح أنه ولد فى عام ٥٣٩ هـ ، وتوفى فى عام ٦٠٨ هـ .

وقد صاغ نظامى مبادئ دعوته فى خمس منظومات وديوان شعر ، وكانت منظوماته مجالاً لتقليد كثير من شعراء الفارسية والتركية على السواء .

ولكنه ـ مع هذا ـ لم يظفر بحظ وافر من الدراسة والتحقيق ، خصوصاً إذا ماقيس بغيره من شعراء الفارسية ، كالفردوسى والخيّام وسعدى وحافظ ، الذين ذاع صيتهم فى الشرق والغرب ، وظفروا بنصيب كبير من العناية والبحث .

ولعل الاهتمام بدراسة نظامى لم تبدأ فى أوروبا والشرق إلا منذ قرن ونصف قرن تقريباً ، ومع ذلك فقد لاحظ المحدثون أنفسهم أن الشاعر لم يستوف نصيبه من التحقيق ، وهذه طائفة من أقوال الباحثين تبين ما قرّروه :

يقول باخر Bacher عند حديثه عن كبار شعراء الفارسية ، كالفردوسى وسعدى وجامى : « إن نظامى بالنسبة إليهم يعتبر غير معروف فى أوروبا لأن آثاره المطبوعة فى الهند لم تصل إلينا بحيث يستفاد منها »(١) .

ويقول براون Browne ـ بعد أن يقرّر أن امتياز نظامى معترف به ، بين

---

(١) W. Bacher : Nizamis Leben und Werke und der Zweite Theil des Nizamischen Alexanderbuches, P. III.

كُتّاب التذاكر و بين الشعراء أنفسهم ـ : « وقصارى القول ، أنه يمكن أن يوصف بأنه مزيج من النبوغ الممتاز والأخلاق الفاضلة ، إلى درجة لا يعدلها شاعر فارسى ، كانت حياته موضوعاً لدراسة نقدية دقيقة »[١] .

ويقول نيكلسون Nicholson : « إن الباحثين الأوروبيين كانوا مقلّين فى كتاباتهم عن نظامى منذ عام ١٨٧١ م حينما ظهرت مقاله باخر ، فلم يحدث أى تقدم لإنشاء دراسة نقدية لنص الخمسة رغم الحاجة إليها ، لكل من يبحث فى النصوص الشرقية ، وتكاد ترجمة كلارك « لإسكندرنامه برى » تكون العمل الوحيد ذا الأهمية . وإن إهمال شاعر مشهور موهوب كنظامى يمكن أن يفسر بالعلل التى تلتمس للدراسات الفارسية بصفة عامة »[٢] .

ويقول نفيسى : « هناك أشياء كثيرة لم تقل فيما يتعلق بنظامى ، ورغم أننى كتبت سلسلة مقالات حول هذا الگنجوى الساحر ، فإنى أصبحت لا أعجب بها . وإذا أردت أن أنشرها ـ فى الوقت الحاضر ـ فإن أشياء كثيرة يمكن أن أضيفها إليها »[٣] .

ويقول برتلس Berthels نقلا عن جورج يعقوب[٤] : « إن نظامى ـ كشاعر ـ ربما كان أعظم من الفردوسى ، رغم أنه لم يجد مثل نولدكه[٥]

---

(١) Browne : A Literary History of Persia vol. II,P. 462

(٢) مقالة نيكلسون التى كتبها تعليقاً على ترجمة ويلسون لهفت پيكر إلى الإنجليزية وهى فى :

Bulletin of the School of Oriental Studies, London Institution, London, 1924, P. 600.

(٣) مقالة سعيد نفيسى التى كتبها عن : « نظامى فى أوروبا » فى مجلة مهر شهريور ماه شماره ٤ ص ٣٢٥ — ٣٢٩ .

(٤) ينقل برتلس هذا القول عن مقدمة ترجمة جورج يعقوب لاسكندرنامه لنظامى .

(٥) قام نولدكه ببحث الفردوسى وله كتاب قيم عن الفردوسى والشاهنامه .

وشاك[١] »[٢] .

وهذه الأقوال جميعها ، تقرر أن نظامى لم يجد من يقوم ببحثه بحثاً علمياً مفصلاً دقيقا ، يكشف عن شخصيته كشفاً صحيحاً .

وقد دفعنى هذا إلى تناول موضوع نظامى بالبحث لعلى أستطيع أن أكشف عن بعض جوانبه الغامضة .

وأرى لزاما علىّ — وفاء بالأمانة العلمية — أن أعرض ، فى شىء من الاختصار ماتم من أبحاث تتعلق بنظامى[٣] ، فلعل هذا الكتاب يضيف حلقة جديدة إلى سلسلة تلك الأبحاث .

أخذ اسم نظامى يسمع منذ عام ١٧٨٦ م ، حينما نشر كتاب تحت عنوان « المجموعة الأسيوية » Asiatic Miscellany اشتمل على منتخبات من الأدب الفارسى ، وعلى عشرين قصة من « مخزن الأسرار » لنظامى . وقد طبعت هذه القصص مرة أخرى — فى عام ١٨٠٢ م — فى مدينة ليبزيج ، مع ترجمة لاتينية لها ، ونشرت تحت عنوان : « نظامى الشاعر الوصاف القصاص » : Nizami Poetae Narrationes et Fabulae

وفى عام ١٨١٢م ، نشر بدر الدين على ومير حسين على كتاباً بالفارسية — فى مدينة كلكته — تحت عنوان « منتخب الشروح لإسكندرنامه » اشتمل على نص إسكندرنامه نظامى مع الشروح التى كتبت حوله .

وكان انتشار هذه الكتب سبباً فى ذيوع اسم نظامى بين المستشرقين

(١) كان شاك من الذين بحثوا فى الشاهنامه وقد قام بترجمة بعض أجزائها .

(٢) مقالة برتلس التى كتبها عن نظامى وقد نشرت فى كتاب « عدة مقالات عن نظامى » باللغة الروسية ، ص ٣٨ .

(٣) عرض سعيد نفيسى فى مقالته « نظامى فى أوروبا » التى سبقت الإشارة إليها ماتم من أبحاث تتعلق بنظامى حتى عام ١٩٣٥م ، وسأعتمد على ما كتبه ثم أضيف ماجدّ من أبحاث بعد هذا التاريخ حتى وقتنا هذا .

الأوروبيين ، ولم تمض مدة طويلة حتى أصبح نظامى ، مثل سعدى والفردوسى وحافظ والخيّام ، له مكانة عالية بينهم ، بل إنه صار خامسهم ، وما زالت هذه المكانة له حتى الآن .(١)

وفى عامى ١٨٢٦ و ١٨٢٨ م ، نشر المستشرق الروسى فرانسوا إردمان F. Erdmann — فى مدينة غازان — منتخباً من « إسكندرنامه نظامى » اشتمل على قصة حرب الإسكندر مع الروس ، وذلك تحت عنوان: De Expeditione Russorum

ثم نشر المستشرق الروسى الشاب لويس سبتزناجل — فى عام ١٨٢٨م — كتاباً — فى مدينة بطرسبرج — أخذه عن « إسكندرنامه نظامى » وسماه : « حملة الإسكندر ضد الروس » وهو يقع فى مجلدين(٢) .

كما ترجم قصة حرب الإسكندر ضد الروس إلى الفرنسية ، وأعدّ النص والترجمة للنشر فى نفس السنة ، ولكن سرعة وفاته حالت دون ذلك ، فتكفل بهذه المهمة المستشرق الروسى شارموا Charmoya وكان يتقن الفارسية ، فقام بإلقاء نظرة على الترجمة ، ثم كتب لها مقدمة قيمة ، ونشر النص والترجمة .

وهكذا نلاحظ أن نظامى لم يكن معروفا فى أوروبا إلا عن طريق « إسكندرنامه » و « مخزن الأسرار » .

وفى عام ١٨٣٦م ترجم المستشرق الإنجليزى اتكينسون Atkinson « ليلى ومجنون لنظامى » شعراً إنجليزياً ، ونُشِرَتْ هذه الترجمة فى لندن ، كما أعيد طبعها فى عامى ١٨٩٤ و ١٩٠٥م؛ وبهذا عرف الأوروبيون أن نظامى قد نظم شيئا آخر غير « إسكندرنامه » و « مخزن الأسرار » ، ولو أن العناية بهاتين المنظومتين لم

---

(١) مقالة نفيسى عن نظامى فى أوروبا : مجلة مهر شهريور ماه شماره ٤ ، ص ٣٢٥ .

(٢) L. Spitsnagel : Expedition de L'Alexandre le grand Contre les Russes, extrait d'Alexandreide ou Eskender-Name de Nizamy.

تنقطع ؛ فقد نشر المستشرق الإنجليزى ناثان بلند N. Bland ـ فى عام ١٨٤٤م ـ « مخزن الأسرار » فى لندن ، ثم نشر « خردنامهٔ إسكندرى » بعد ذلك فى كلكته .

كما نشر المستشرق الألمانى شبرنجر[١] ومحمد شوشترى ـ فى عام ١٨٥٢ م ـ « خردنامه » تحت عنوان « إسكندرنامهٔ بحرى » .

وإذا استعرضنا ما تم حتى ذلك التاريخ نجده ـ رغم قيمته ـ لا يعدو أن يكون نشراً أو ترجمةً لمنظومة أو جزء من منظومة ، أما شخصية نظامى كشاعر ، فلم تُبذَلْ محاولة جدية لكشفها و إظهار مكانتها بين شعراء الفارسية .

وكان أول من حاول ذلك المستشرق الألمانى ولهلم باخر فقد نشر ، فى عام ١٨٧١م ، كتاباً عن نظامى ـ فى جو تنبرج ـ تحت عنوان : « حياة نظامى وآثاره »[٢] . تحدث فى القسم الأول منه عن حياة الشاعر وآثاره ، بصفة عامة ، ودرس فى القسم الثانى الجزء الثانى من منظومة « إسكندرنامه » بصفة خاصة .

والحقيقة أن باخر قد بذل جهداً مشكوراً فى محاولة كشف بعض النواحى التى ظلت غامضة فى حياة الشاعر ، فلم يُكْتَبْ عنها ـ فى كتب التذاكر والتاريخ ـ شيء ذو غناء .

وقد اتبع باخر منهجاً سليماً ، إذ اعتمد على أدق المصادر فى دراسة الشاعر ، ألا وهو شعر الشاعر نفسه ، ولكن التوفيق لم يحالفه فى فهم بعض أشعار نظامى مما ساقه إلى إخطاء جوهرية كثيرة ، أشار ريو[٣] Rieu إلى بعضها ، وسأشير إليها فى موضعها من الكتاب .

---

(١) كان شبرنجر Sprenger مقيما فى الهند .

(٢) W. Bacher : Nizamis Leben uud Werke.

(٣) Rieu : Catalogue of Persian Manuscripts inthe British Museum vol. II P. 564.

واعل لباخر بعض العذر ، فقد قال ـ بعد أن سرد الأقوال المختلفة التى قيلت حول تاريخى ولادة الشاعر ووفاته ، وتردّى الأوروبيين فى أخطاء كثيرة ـ : « والذى جعل الأوروبيين يتردّون فى هذه الأخطاء إنمـا هو اعتمادهم على كتب التذاكر دون أن يدرسوا أشعار الشاعر دراسة مباشرة ، واكتفاؤهم بالمصدر غير الدقيق ، تذكرة دولتشاه »[1] .

وإذا تركنا باخر نجد أن محاولات نشر بعض منظومات الشاعر قد واصلت سيرها ؛ فنشر كلارك Clarke ـ فى عام ١٨٨١م ـ «إقبالنامهٔ سكندرى» تحت عنوان : « اسكندرنامهٔ برى » ، وذلك فى مدينة كلـكته .

كما نشر المستشرق الهولندى هوتسما Houtsma ـ فى عام ١٩٢١م ـ كتاباً ـ فى ليدن ـ تحت عنوان : « خلاصة خمسهٔ نظامى » هو عبارة عن منتخبات من منظومات الشاعر .

وفى عام ١٩٢٤ م ، ترجم المستشرق الإنجليزى ويلسن Wilson منظومة « هفت پيكر » إلى الإنجليزية ، وقد نُشِرَتْ الترجمة فى لندن .

من هذا العرض السريع ، يبدو أن منظومات الشاعر ـ باستثناء « خسرو وشيرين» ـ قد نشرت نصاً أو ترجمة ، واستطاع الناس أن يأخذوا فـكرة ما عن شاعر كنجه .

وفى السنوات الأخيرة ، ظهر اتجاه ـ فى تشيكوسلوفاكيا ـ إلى التعرف على آثار الشاعر ، فبذلت جمعية المستشرقين التشيكوسلوفاكيين ـ التى مقرها مدينة براغ ـ مجهودات قيمة ، وكان مما نشرته كتاب : « فرهاد وشيرين » لهربرت دودا H. Duda ، وذلك فى عام ١٩٣٤ م .

وقد قارن الناشر بين النسخ المعروفة من «فرهاد وشيرين» التى نظمها الشعراء

---

(١) Bacher : Nizamis Leben und Werke,P. 4.

المختلفون ، وشرح كثيراً من المسائل الموجودة فيما نظمه أمير خسرو الدهلوى ، وعماد فقيه ، وسلطان حسين بايقرا ، وهاتفى ، ووحشى ، وهلالى ، وشعلهٔ تبريزى ، وغيرهم ؛ مما أكسب عمله شيئا كبيرا من الأهمية .

ثم نشر المستشرقان ريتر الألمانى وريپكا التشيكوسلوفاكى منظومة : «هفت پيكر» فى استانبول ، وقد اعتمدا على خمس عشرة نسخة خطية موجودة فى مكتبات : باريس ، وأكسفورد ، وبرلين ، واستانبول ، وبراغ ، وفيينا ، وقارنا بينها وبين «خمسهٔ نظامى» المطبوعة فى بمباى فى عام ١٢٦٥ ه . فخرج النص فى صورة دقيقة محققة .

أما فى إيران ؛ فقد قام وحيد دستگردى ، فى عام ١٩٣٤م ، بمجهود مشكور فى نشر منظومات الشاعر الخمس ، فنشر كل منظومة على حدة ، وقد استغرق ذلك خمس سنوات ؛ أى إلى عام ١٩٣٩ م ؛ كما نشر ماعثر عليه من ديوان نظامى فى كتاب مستقل ، تحت عنوان : «گنجينهٔ گنجوى» ، وقدم له بمقدمة عن حياة الشاعر ومنظوماته .

ويعتبر النص الذى نشره دستگردى لمنظومات الشاعر من أصح النصوص التى نشرت ، فقد تكبد فى نشره مشقات لايستهان بها . ولا يؤخذ عليه إلا أنه لم يعرف بالنسخ الخطية التى اعتمد عليه ، ولم يصف ولو نسخة واحدة منها ، رغم أنه كان يكرر — فى مقدمة كل منظومة — أنه قارن بين ثلاثين نسخة خطية قديمة ، يرجع تاريخ كتابتها إلى مابين القرنين السابع والحادى عشر الهجريين .

كما أنه ارتكب بعض الأخطاء التاريخية ، مما جعله يضع عناوين غير صحيحة ، كان يمكنه تلافيهـا لو رجع إلى كتب التاريخ . فقد أخطأ فى آخر منظومة «خسرو وشيرين»(١) مثلا ؛ فأثبت أن الأتابك جهان پهلوان مات مقتولاً ،

(١) نظامى : خسرو وشيرين ص ٤٤٩ .

وأن السلطان طغرل السلجوقى دعا نظامى إليه ، ورتّب على هذا الأساس العناوين الأخيرة من المنظومة . وقد أقرّ هو بهذا الخطأ فى مقدمة « كنجينه كنجوى » فكتب تحت عنوان « رفع خطأ » مانصه : « وقد أخطأنا فى آخر « خسرو وشيرين » ـ بسبب اشتباه أبيات، ووجود بعض الأبيات الملحقة ـ فظننا أن الأتابك جهان بهلوان قد قُتِلَ ، وأن طغرل دعا نظامى إليه لاقزل أرسلان » ثم قال ـ بعد سرد الأبيات ـ : « وقد نبّه الأستاذ الفاضل أمير خيزى تبريزى وغيره ـ فى ذلك الوقت ـ إلى الخطأ ؛ وتبين ـ بعد الرجوع إلى كتب التاريخ ـ أن ما كتبناه خطأ ؛ سببه ـ قطعاً ـ التساهل فى الرجوع إلى كتب التاريخ ، ومفاسد قلة التأمل أكثر من أن تحصى[(١)] » . أما مقدمة دستكردى لما عثر عليه من ديوان نظامى ، فيبدو منها تعصبه الشديد لنظامى ، مما جعل أحكامه غير دقيقة ، ولا يفسد العلم شىء بقدر مايفسده التعصب . وهذا يجعلنا ننظر إلى عمله بشىء من الحيطة والحذر .

وإذا تركنا دستكردى ، نجد محاولات أخرى بذلت للتعريف بنظامى وشعره ، فقد كتب ريپكا Rypka ـ فى عام ١٩٣٥م ـ مقالاً عن ديوان نظامى ، ونَشَرَ بعض غزلياته .

كما قام المستشرقون الروس ـ بعد ذلك ـ بدراسة الشاعر فنشر برتلس Berthels ـ فى عام ١٩٤٠ م ـ كتاباً تحت عنوان : « نظامى شاعر آذربيجان العظيم » . وقد نُشِر ـ فى نفس العام ـ كتابٌ يشتمل على عدة مقالات عن الشاعر ، كتبها مستشرقون مختلفون من الروس .

ويعتبر كتاب برتلس الخطوة الثانية بعد باخر ؛ غير أن برتلس يصرح فى المقدمة بأنه يكتب لغير المتخصصين[(٢)] ، ويكرر هذا فى مواضع كثيرة ، مما جعل

(١) وحيد دستگردى : مقدمة كنجينه كنجوى ، ص ف .

(٢) برتلس : مقدمة كتاب « نظامى شاعر أذربيجان العظيم » باللغة الروسية ، ص ٦ و ٧ .

كتابته إنشائية أكثر منها علمية .

ثم إن الروح المسيطرة على برتلس وغيره من المستشرقين الروس، تجعلنا نقبل ما كتبوه بشيء كبير من الحيطة ، فقد حاولوا إظهار نظامى فى صوره الماركسى، أى فى صورة داع من دعاة الشيوعية فى القرن الثانى عشر الميلادى ، وأثبتوا أن مبادئه هى نفس المبادىء التى يدعو إليها زعماؤهم فى العصر الحاضر ، مصرّحين بأسمائهم (١) .

وأغلب الظن عندى أن كتاباتهم تخدم أغراضاً سياسية ، ويكفى أن نلمح ذلك من عنوان كتاب برتلس « نظامى شاعر آذر بيجان العظيم » واختياره لكلمة آذر بيجان بالذات فى الموضوع (٢) . والعصبية السياسية مفسدة للعلم أيما إفساد.

ويمكن أن نضيف إلى هذا أن كنجه ألحقت بالممتلكات الروسية منذ عام ١٨٠٤م ، الأمر الذى قد يدعو إلى شيء من التعصب لشاعر تلك المدينة؛ ومهما يكن من شيء ، فإنه لايمكننا أن نقبل كل مايكتبه المستشرقون الروس عن الشاعر.

بقى أن نذكر المحاولة التى قام بها داراب فى عام ١٩٤٥ م فقد ترجم منظومة « مخزن الأسرار » إلى الإنجليزية ، ونشرها فى لندن ، مع مقدمة له ، عن حياة الشاعر وعصره ، وذلك تحت عنوان : « مخزن الأسرار لنظامى الكنجوى مترجم لأول مرة عن الفارسية ، مع مقدمة عن حياة الشاعر وعصره (٣) » .

وقد حاول داراب أن يحقق سنى ولادة الشاعر ، ووفاته ، وإتمام منظوماته ويعطى فكرة ماعن عصره ، ولكن أحكامه كان يعوزها الدليل، فكثيراً ماكان

---

(١) برتلس : نظامى شاعر آذربيجان ، ص ١٢١ .

(٢) كانت كتابات الروس فى ذلك الوقت تغذى فكرة استقلال آذربيجان ، وانفصالها عن إيران التى تحققت لمدة وجيزة فيما بعد .

(٣) G. H. Darab : Makhzanol Asrar of Nizami of Ganjeh Tanslated for the fitst time from the persian with an Introductory Essay of the Life and Times of Nizami .

يفرض شيئاً فرضاً دون دليل مقنع ، كما لاحظ مينورسكى ، فى المقالة التى كتبها تعليقاً على صنيع داراب[١] .

هذا عرض سريع لأهم ماتم من محاولات لدراسة نظامى ، ولعلنا نلاحظ أنه — رغم قيمتها ومعاونتها فى تيسير مهمة الباحث — لاتعدو أن يكون أغلبها نشراً أو ترجمة ، أما الأبحاث المتعلقة بشخصية الشاعر ، ودراسة آثاره دراسة نقدية مقارنة ، فقد كانت مختصرة ، فضلاً عن الأخطاء والاعتبارات ، التى تجعلنا نحتاط كثيراً ، قبل الأخذ بشىء منها .

وقد حاولت — فى هذا الكتاب — أن أدرس شخصية الشاعر وآثاره دراسة نقدية مقارنة ، وأن أوضح بعض النواحى التى ظلت غامضة فى حياة الشاعر ، ثم أكشف عن مكانته فى تاريخ الأدب الفارسى ، حتى يكون مكملاً للمحاولات التى بذلت من قبل .

كما حاولت — بقدر المستطاع — ألا أتعصب للشاعر أو عليه ، وأن أعتمد — فى حكمى عليه — على الأدلة المقنعة ، فبنيت دراستى على هذا الأساس .

وقد وجدت أن أهم مصدر لدراسة الشاعر هو شعر الشاعر نفسه ، فحاولت أن أبحث فيه عن كل مايتعلق بالشاعر وحياته الخاصة والعامة ، لأن المصادر المختلفة بينها من التفاوت والاختلاف مايجعل الباحث لايطمئن إلى الاعتماد عليها .

كما وجدت أن معرفة التاريخ السياسى والاجتماعى لازمة لفهم الشعر . لأن الشعر صورة للحياة الاجتماعية يتأثر بها كما يؤثر فيها؛والتاريخ — كما يقول فيلمان — وسيلة لفهمه وتفسيره ، وتعليل مزاياه[٢] .

فالشعر ، والأدب بصفة عامة ، يعبر تعبيراً صادقاً عن حياة الأمة الاجتماعية والسياسية ، ويعتبر مصدراً مهذباً من مصادرها التاريخية لأنه يلم بروح الحوادث

---

(١) Belletin of the School of Oriental and African Studies vol. XII, part. 2. PP. 441-445

(٢) أحمد الشايب : أصول النقد الأدبى ص ٨٣ .

والأحوال المتعاقبة فيصورها ثم يتأثر بها فيجاريها أو يعارضها ، ويظهر ذلك فى آثاره بأسلوب سلبي أو إيجابى[١] .

كما استعنت ، إلى جانب هذا ، بالبيئة الخاصة التى نشأ فيها الشاعر، من جغرافية وعائلية واقتصادية وعلمية ، فدرستها لأنها من العوامل التى أحدثت أثراً فى الشاعر بدا واضحاً فى شعره ؛ وهكذا عنيت بدراسة البيئتين العامة والخاصة وحاولت الاستعانة بما فيهما من عوامل موجهة فى دراسة الشاعر وفهم شعره .

وقد قسّمت بحثى إلى كتابين :

تحدثت فى الكلام الأول ، عن عصر الشاعر أو بيئته العامة ، ثم درست بيئته الخاصة،وحاولت أن أستشف مافى البيئتين من موجهات ، ثم عرّفت بالشاعر على ضوء هذه الموجهات .

ودرست فى الكتاب الثانى ، منظومات الشاعر الخمس دراسة نقدية مقارنة ، ثم تحدثت عن ديوانه ، واستعنت بذلك فى دراسة فنه الشعرى ، ثم ختمت بالحكم على الشاعر على ضوء هذه الدراسة .

وقد اطّلعت على كل ما كُتِب عن الشاعر ، حتى كتابة ، هذا البحث ، كما قرأت ماوجدته متصلاً بالشاعر من قريب أو بعيد ، ويفيد فى دراستى له ، فاستتبع هذا أن أطلع على مخطوطات قيمة كثيرة[٢] ، عثرت عليها فى مكتبات إيران العامة والخاصة ، وفى دار الكتب المصرية ، وأن أقرأ كتباً بلغات مختلفة ؛ فقرأت ما كتب بالفارسية والعربية والتركية ، كما اطلعت على ما كتب بالإنجليزية والألمانية والروسية والإيطالية ، بقدر المستطاع .

---

(١) أحمد الشايب : أصول النقد الأدبى ص ٨٣ ، نقلا عن أصول النقد الأدبى (الفصل الأول) لونشتر .

(٢) ذكرت أسماء هذه المخطوطات مع تعريف بهـا فى آخر البحث ، فى الثبت الذى أوردته بأسماء المراجع ، فضلا عن ذكرها فى الحواشى .

وقد استعنت – بطبيعة الحال – بمن يتقنون اللغات التى لا أعرفها ، أولا أجيدها ، فى ترجمة ما كتب بتلك اللغات .

ولعل الفضل فى ذلك يرجع إلى فرصة وجودى عامين فى إيران، و إلى جامعة طهران ، التى أضافتنا فى خلال هذه المدة ، كما أضافت غيرنا من طلاب البحث من الدول الأخرى ، فكنت تجد فى نادى الجامعة الإنجليزى والفرنسى والألمانى والبلجيكى والتشيكوسلوفاكى ، والتركى والهندى والپاكستانى وغيرهم ، وكان هذا وحده هو الذى أوجد الفرصة المواتية ، التى هيّأت لنا الاطلاع ، دون مشقة ، على كل مايكتب بلغة من اللغات ، شرقية كانت أم غربية .

فإلى جامعة طهران و إلى أساتذتها الأجلاء ، أتوجه بالشكر ، وأخص بالذكر منهم الأستاذ سعيد نفيسى ، الذى كان مشرفاً على هذا البحث ، فى أثناء إقامتى فى إيران، ولن أنسى –ماحييت– ماقدمه هذا العالم الجليل لى من خدمات، فقد أمدنى بكثير من المراجع النادرة باللغات المختلفة ، كما وضع تحت يدى بعض المخطوطات القيمةالتى يحتفظ بها فى مكتبته الخاصة ، ولم يضنّ على حتى بمخطوطة «اسكندرنامه النثرية » التى لاتوجد إلا عنده ، فإليه مزيد شكرى وامتنانى واعترافى بالجميل .

كما أشعر بالشكر والامتنان للمستشرق التشيكوسلوفاكى الأستاذ الدكتور بروتسكى الذى قابلته فى طهران ، فكان يجود بجزء كبير من وقته – طوال المدة التى قضينها– فى ترجمة كثير من الكتب والنصوص التى تفيدنى فى البحث ، فساعدنى بذلك على الاطلاع على المراجع الروسية والألمانية والإيطالية .

ولا يفوتنى أن أشكر الأساتذة عابدى الپاكستانى والب آرسلان التركى وأو بان الفرنسى ، على ماقام به الأول من شرح جزء من أشعار نظامى، والآخران من ترجمة بعض النصوص التركية والفرنسية .

كما أشكر الأستاذ صادق نشأت ، الأستاذ بجامعة طهران ، على مساعدته القيمة فى شرح وترجمة بعض أشعار نظامى الغامضة .

فإذا ماتركت طهران إلى القاهرة ، أجدنى مديناً بالشكر لأستاذى الدكتور إبراهيم أمين الشواربى ، رئيس قسم اللغات الشرقية ، بكلية الآداب بجامعة إبراهيم ؛ فقد تولى الإشراف على البحث بعد عودتى من إيران ، وكان له منذ البداية فضل اختيار موضوع نظامى ، ليكون موضوعاً لبحثى للحصول على درجة الدكتوراه ، وقد ظللت على اتصال به منذ بدأت البحث إلى أن انتهيت منه ، فأمدنى بكثير من التوجيهات النافعة التى استفدت منها كثيراً ، فله مزيد من شكرى وامتنانى ، واعترافى بفضله .

وإنى لأرجو أن يحقق هذا البحث الغاية التى وضع من أجلها ، وأن يكون أساساً صالحاً لمن يريد أن يتناول نظامى بالبحث ، فى المستقبل ، إن شاء الله ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ؟

المؤلف

القاهرة : ٥ من ذى القعدة ١٣٧٢ هـ
الموافق ١٦ من يوليه ١٩٥٣ م

الكتاب الأول

١ — عصر نظامي

٢ — بيئته

٣ — التعريف به

الباب الأول
عصر نظامى

تمهيد :

كان عصر نظامى يموج بمعسكرات متباينة ، حاول كل منها أن يمثل دوراً خاصاً على مسرح الحياة السياسية فى ذلك الوقت ، ففى شرق إيران ، كان سنجر ، آخر سلاطين السلاجقة العظام ، لايزال قوياً مرهوب الجانب ، يبسط سلطانه على كثير من بقاع العالم الإسلامى فى ذلك الوقت .

وفى غرب إيران ، كانت دولة سلاجقة العراق تسيطر على العراق وكردستان وآذر بيجان ، كما كانت دويلة أتابكة آذر بيجان قوية ، حاولت أن تتحكم فى سير الأمور فى دولة سلاجقة العراق ، هذا إلى جانب حكام شروان وحكام مراغه الذين كانوا يتمتعون باستقلال ذاتى تقريباً .

وفى بغداد ، كانت للدولة العباسية سيطرة روحية على العالم السنى ، بينما كانت قوتها المادية ضعيفة منهارة .

وطبيعى أن مثل هذا الوضع يستتبع احتكاكاً بين تلك المعسكرات ، فليس عجيباً أن نرى عصر نظامى يغلى بالأحداث المختلفة ، والحروب المتصلة التى كانت لا تنقطع إلا لتَشُبَّ مرة أخرى ، كما نراه يتّسم بروح الغدر التى سيطرت حتى على أفراد الأسرة الواحدة ، فكانوا يحاربون بعضهم بعضاً ، ويدبرون المكائد لبعضهم البعض .

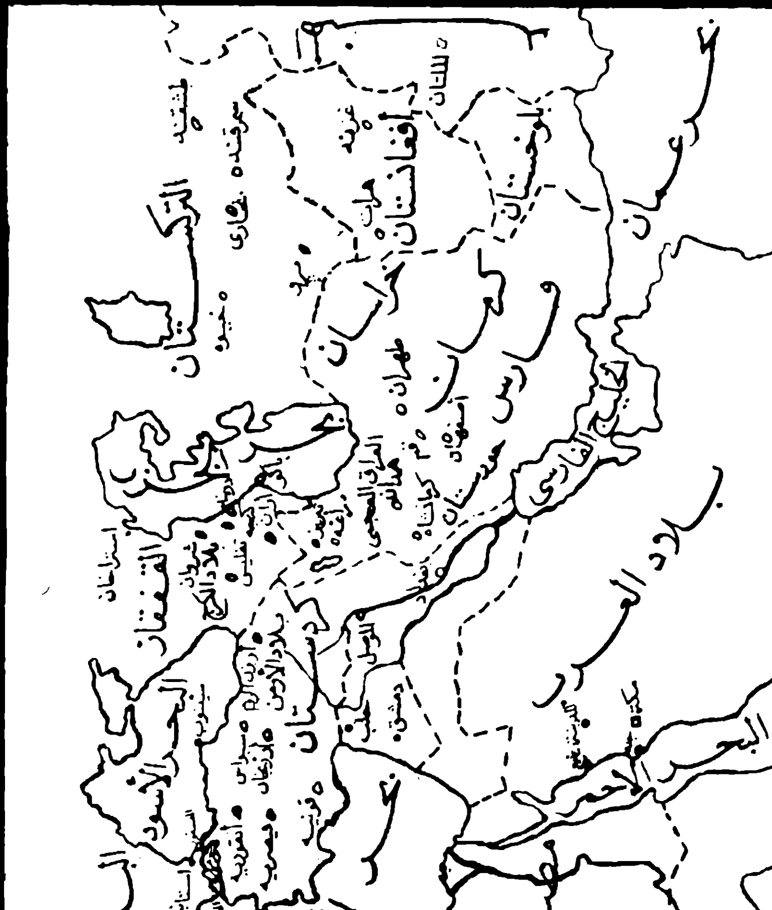
وقد أدت هذه الأحوال المضطربة ، إلى تقلبات فى الأوضاع السياسية ، وسقوط دول ودويلات ، وحلول أخرى محلها ، مما جعل عصر نظامى يشهد كثيراً

من الدول الحاكمة فى أجزاء مختلفة من العالم الإسلامى ، كما شهد انهيار دولة السلاجقة العظام ، والدولة الغزنوية ، وقيام وسقوط الدولة الخوارزمية ، ودويلة أتابكه آذر بيجان ، ونشاط الإسماعيليين : ونذر هجوم المغول وما تبع ذلك من التغيرات السياسية والاجتماعية .

وكان للناحية الدينية - فى ذلك الوقت - أثرٌ فى تكييف الحوادث ، وتوجيه دفة السير ، فإن الاختلافات المذهبية قد أوجدت كثيراً من المنازعات ، كان بعضها باللسان ، و بعضها الآخر بالسنان ، كما أوجدت انعدام الثقة والطمأنينة فى قلوب الناس ، ورواج التصوف ، وارتفاع قدر علماء الصوفية .

ونظامى - كغيره من أبناء عصره - قد تأثر بما كان فى ذلك العصر من تيارات مختلفة ؛ فأثرت فى نشأته وتعليمه ومذهبه فى الحياة ، وانعكست أشعتها المختلفة ، وأضواؤها المتنوعة فى نفسه ، فخرجت صور منها فى شعره .

وسأعرض فى الفصول التالية أهم الأحداث السياسية التى وقعت فى القرن السادس الهجرى ، وفى النصف الثانى منه بوجه خاص . وسأقصر حديثى على ما كان منها فى إيران ، والأقاليم المجاورة لها ، التى اتصل الشاعر بحكامها، ثم أختم بالحديث عن النواحى الاجتماعية والفنية والدينية ، وأثر هذه العوامل متعاونة فى توجيه حياة الناس وتكييفها .



الشرق الأوسط

الفصل الأول

دولة السلاجقة

كانت دولة السلاجقة فى القرن السادس الهجرى ، تبدو فى أفرع منتشرة فى أجزاء مختلفة من العالم الإسلامى ، يهمنا ما كان منها فى إيران وآسيا الصغرى ، لاتصال الشاعر بحكام هذين الإقليمين وتقديم منظوماته لهم . وهذا يجعلنى أقصر حديثى على السلاجقة العظام ، وسلاجقة العراق ، وسلاجقة آسيا الصغرى .

١ — السلاجقة العظام :

كانت دولة السلاجقة ممزقة الأوصال ـ حينما ولد نظامى فى عام ٥٣٩هـ ـ فلم تكن أجزاء الدولة تخضع لنفوذ سلطان واحد ، كما كانت الحال فى عهد طغرل الأول وألب آرسلان وملكشاه ، الذين سموا بالسلاجقة العظام ، لأن الحروب اشتدت بين أفراد البيت السلجوقى ، بعد موت ملكشاه ، واختفاء وزيره نظام الملك من فوق المسرح السياسى ، حتى إن ابن العبرى ليصفهم بقوله : « فكأنما سُلَّ طين السلاطين من جفن الجفاء ، وجُبِلَت جبلتهم على الإغفال والإغفاء ، فالرحم عندهم مقطوعة ، والعزة فى خدمتهم بالذل مشفوعة ، والاغترار بهم غرر ، وصفوهم كدر ، يقْسِمون ويحنثون ، و يُبْرِمون وينكثون »[1] .

غير أن سنجر، حاكم خراسان ، قد استطاع بعد موت أخيه محمد فى عام ٥١١هـ ، أن يخلفه على عرش السلطنة ، وأن يخضع أغلب أجزاء الدولة السلجوقية تحت أمره ، فأعاد بذلك عهد السلاجقة العظام ، واعتبر آخرهم .

وكان سنجر سلطاناً قوياً ، فقد كان يدعى له من لماوور ، وغزنه ، وسمرقند ، إلى خراسان ، وطبرستان ، وكرمان ، وسجستان ، وإصفهان ، وهمدان ، والرى ،

---

(١) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٤٣ .

وآذر بيجان ، وأرمينيه ، وأرانيه ، و بغداد ، والعراقين ، والموصل ، وديار بكر ، وديار ر بيعه ، والشام ، والحرمين ، وتُضْرَبُ له السِّكة فى هذه الأقاليم و بلادها ، وتطأ بساطَه ملوكُها ، ودام ملكه كذلك إلى سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، حينما كسره الخطائى كسرة عظيمة(١) .

ومنذ ذلك الوقت أخذت قوة سنجر فى الضعف ، فقد تحالف عامله اتسز مع القبائل القراخطائية ، وحثها على الهجوم على حدود سيده(٢) ، وهزم سنجر شر هزيمة ، بينما أعلن أتسز استقلاله فى خوارزم ، وأسس الدولة الخوارزمية التى دالت على يديها دولة سلاجقة العراق .

واستمرت قوة سنجر فى الضعف حتى عام ٥٤٨ هـ ، حينما شبت نيران الحرب بينه و بين قبائل الغز التركية ، وقد قضت هذه الحرب على البقية الباقية من قوته ، بل إنه وقع أسيراً فى أيدى تلك القبائل ، و بقى كذلك ثلاث سنوات احتال بعدها للهرب(٣) ، ولكنه لم يلبث أن مات كمداً لما رأى ما حلّ بدياره من دمار(٤) ؛ فإن الغُزّ قد خرّبوا مرو ونيشابور وكرمان مرتكبين شناعات لاحصر لها ، وقيل : إنهم أمعنوا فى القتل ، حتى إن القتلى لم يظهروا من كثرة الدماء المسفوكة(٥) .

و بموت سنجر انقرضت دولة السلاجقة العظام نهائياً ، وكان معسكرهم — فى

(١) صدر الدين الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٢٩٢ — ٢٩٣ .

(٢) الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٢٩٥ ؛ البندارى مختصر تواريخ آل سلجوق ، ص ٢٨٠-٢٨١ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ص١٦٨-١٨٤ ؛ الكرمانى : عقدالعلى،ص٧؛ البناكتى : روضة أولى الألباب «القسم الرابع» ؛ إصفهانى: شاهد صادق،ص٥٣٦ ؛ قوين : استيلاء الغز على امبراطورية السلاجقة العظام ، ص ٥٦٣ — ٦١١ .

(٤) أمير خواند : روضة الصفا «الجزء الرابع» .

(٥) حافظ أبرو : زبدة التواريخ ص ١٢١ ا .

أثناء طفولة نظامى- يموج بالاضطرابات والمنازعات ، التى لم ينقطع حدوثها طوال القرن السادس الهجرى .

٢ — سلاجقة العراق :

وإذا انتقلنا إلى معسكر سلاجقة العراق، نجدهم يسيطرون على غربىّ إيران وشماليِّها الغربى ، فيبسطون نفوذهم على العراق وكردستان وآذربيجان .

وكان السلطان مسعود ، أعظم سلاطينهم فى النصف الأول من القرن السادس الهجرى ، يشبه عمه سنجر من حيث سعة النفوذ وقوة البطش . فقد آلت إليه سلطنة جميع بقاع العراق وكردستان وآذربيجان ، فى عام ٥٢٩ هـ [١] ، ولكن معسكره كان كغيره من المعسكرات ، مملوءا بالمنازعات التى ثارت بينه وبين إخوته ، وبينه وبين الدويلات الأخرى ، فامتاز عصره بكثرة الحروب التى انتصر فى جميعها [٢] .

وقد بدأ حروبه بقتال الخليفة العباسى المسترشد بالله ، ثم حارب ابنه الراشد بالله ، وانتصر فى الحربين وانتهى الأمر بقتلهما ، وإسناد الخلافة إلى المقتفى لأمر الله كما سيأتى ، وبذلك أصبحت لمسعود الكلمة العليا .

على أن الحروب لم تلبث أن نشبت بينه وبين والى فارس ، الذى رفع علم الثورة ضده ، فأرسل مسعود إليه أخاه سلجوقشاه يصحبه قراسنقر ، والى آذربيجان، فانتصرا عليه ثم رجعا إلى همدان ، حيث توفى قراسنقر ، فأسند أمر آذربيجان إلى إيلدكز [٣] الذى أسس دويلة الأتابكة .

وسار مسعود بعد ذلك إلى الريّ لتأديب واليها عباس ، فأسرع هذا الوالى إلى استقباله ، وأظهر الطاعة والانقياد ، فعفا مسعود عنه ، غير أنه عاد فعصى

(١) أمير يحيى قزوينى : لب التواريخ (الفصل السابع) ؛ ابن الوردى : تاريخه ص ٣٩ .

(٢) خواند أمير : حبيب السير ، ص ١٠٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٤ وما بعدها .

مرة أخرى ، وتحالف مع سليمانشاه أخي مسعود ، ومع عبد الرحمن وبوزابه من الأمراء ، وصمموا على عزل مسعود ، فسار من بغداد لحاربتهم ، ولكن الثلوج عاقت تقدمه ، فاضطر إلى الرجوع من حيث أتى ، ثم عاود السير فى الربيع ، وكانوا فى أعلم من توابع همدان ، فلما اقترب منهم وَلّوا هاربين ، بينما أسرع سليمانشاه لتقديم فروض الطاعة لأخيه السلطان ، الذى سجنه مستمعاً لنصيحة أمرائه [١] .

ثم التمس الباقون العفو فمُنِحُوه ، غير أن مسعود أحسّ فيهم روح الغدر فأمر بقتل عبد الرحمن وعباس ، ثم حارب بوازبه الذى جمع جيشاً فى إصفهان ، انضم إليه خاص بك وايلدكز ، وكان النصر حليف السلطان فانتهى الأمر بقتل بوزابه [٢] .

و بذلك خلا الجو لمسعود ، فلم يجرُؤ أحد على الوقوف فى وجهه ، وظل قوياً مرهوب الجانب إلى أن توفى فى عام ٥٤٧ هـ ؛ فضعفت بموته دولة سلاجقة العراق ، وأصبحت ألعوبة فى يد الأمراء ورؤساء الجيش وأتابكه آذربيجان [٣] .

وخلف ملكشاه عمه مسعود ، فترك تدبير مهام الدولة ، وانصرف إلى اللهو والشراب ، فخلعه الأمراء ، وسجنوه فى قلعة بهمدان ، وأجلسوا أخاه « محمد » مكانه ، ولو أن ملكشاه تمكّن من الهرب إلى خوزستان [٤] .

ولم يَخْلُ عهد محمد من الحروب ، فقد حارب الخليفة العباسى المقتفى لأمر الله

---

(١) العراضة فى الحكاية السلجوقية ، ص١٢٢ — ١٢٧ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التواريخ ، ج١١ ص٦٨ ؛ أمير خواند : روضة الصفا ، الجزء الرابع .

(٢) البندارى : مختصر تواريخ آل سلجوق ،ص ٢١٧ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ص ٦٨.

(٣) الكرمانى : عقد العلى ، ص ٧ .

(٤) البندارى : مختصر تواريخ آل سلجوق ، ص ٢٢٨ ؛ خواندامير : حبيب السير ، ص١٠٨ .

وحاصر بغداد ، ولو أنه لم يوفق فى فتحها ، كما قتل خاص بك فى عام ٥٤٨ هـ ، عقب توليه السلطنة ، فتوجس الأمراء ــ وعلى رأسهم ايلدكز ــ خيفة منه ، وانتهزوا فرصة حربه مع الخليفة ليثوروا ضده ويحاولوا عزله ، الأمر الذى اضطرّ «محمد» إلى رفع الحصار عن بغداد والسير لمحاربتهم، وقد تمكن من الانتصار عليهم، وبذلك استتب له الأمر حتى توفى فى عام ٥٥٤ هـ [1] ، فتولى ملكشاه أمر السلطنة مرة أخرى ولكنه توفى بعد بضعة أشهر ، فولى الأمراء عمه سليمانشاه عرش السلطنة ، وذلك فى عام ٥٥٥ هـ ؛ غير أن سليمانشاه لم يكن بالشخص الذى يستطيع تصريف مهام الدولة بحكمة وتدبر ؛ فقد شغل وقته باللهو والمجون ، مما جعل الأمراء يفكرون فى تولية غيره .

وانتهى الأمر بإرسالهم إلى ايلدكز ، لتولية ابن زوجته آرسلان بن طغرل ، فسار ايلدكز إلى همدان حيث قبض على سليمانشاه وسجنه ، وآل أمر السلطنة إلى آرسلان الذى يبدأ عهده فى عام ٥٥٥ هـ . وطبيعى أن يصبح ايلدكز مُهَيْمِنًا على جميع مرافق الدولة ، يتصرف فى كل الأمور برأيه ، أما آرسلان فقد كان رمزاً يملك ولا يحكم[2] .

ولكن ايلدكز استطاع بكفاءته وحسن تدبيره ، ومساعدة ابنيه ، محمد جهان پهلوان وقزل آرسلان ، أن يرد كيد الأعداء وينتصر عليهم[3] .

وقد كثرت الحروب وتعددت ميادينها ، إذ اتحد والى الرى اينانج مع والى أصفهان قيماز ، وثارا ضد آرسلان ، وطالبا بعزله ، ولكن السلطان تمكن ــ بمساعدة ايلدكز ــ من الانتصار عليهما .

---

(٤) البندارى : مختصر تواريخ آل سلجوق ، ص ٢٢٨ ؛ خواندامير : حبيب السير ص ١٠٨ .

(١) حمد الله مستوفى قزوينى : تاريخ گزيده ص ٤٧٠ ؛ أمير خواند : روضة الصفا (الجزء الرابع) .

(٢) محمد بن ابراهيم : تاريخ سلجوقيان كرمان ص ٥١ ؛ كرمانى : تاريخ أفضل ص ٤٣ .

وفى نفس الوقت هاجم ملك الأبخاز آذربيجان ، فخف آرسلان للقائه ودارت بينهما معركة طاحنة ، بالقرب من قلعة كاك ، انتهت بانتصار آرسلان وظفره بغنائم كثيرة .

ثم توجه بعد ذلك لقتال الاسماعيليين ، الذين حصنوا أنفسهم فى نواحى قزوين وأصبحوا مصدر فزع للأهالى الآمنين ، يُشيعون الرعب بينهم و ينهبون أموالهم ، وقد انتصر عليهم ، وحطّم حصنهم « چهار صوفه[(١)] »

وفى عام ٥٥٩هـ ، حارب اينانج والى الرى المهزوم ، الذى كان يُغيرُ على العراق بجيش أمده به تكش آرسلان الخوارزمى ، وقد تمكن السلطان من الانتصار على اينانج وقتله[(٢)]، ثم أسند أمر الرى إلى جهان پهلوان بن ايلدكز ، الذى تزوج من بنت اينانج ، وأنجب منها قتلوغ اينانج ، الذى ساهم فى إسقاط دولة سلاجقة العراق[(٣)] .

وتوفى ايلدكز فى عام ٥٦٨ هـ ، فاحتلّ ابنه جهان پهلوان مكانه ، وأصبحت له الكلمة العليا فى الدولة ، بينما انزوى السلطان آرسلان حتى توفى فى عام ٥٧١ هـ[(٤)] . وقيل إن أخاه جهان پهلوان قد سمه ليتخلص منه ، و يولى ابنه طغرل[(٥)] .

وقد خلف طغرل أباه آرسلان ، وكان طفلاً فى السابعة من عمره[(٦)]، فأسند زمام الأمور إلى عميه ، جهان پهلوان وقزل آرسلان ، اللذين تمكنا بفضل شجاعتهما من صد خطر عدوين فى وقت واحد، أحدهما ملك الأبخاز ، الذى هاجم آذربيجان

(١) أمير خواند : روضة الصفا (الجزء الرابع) ، خواندامير : حبيب السير ص ١١٠—١١١ .

(٢) محمد بن إبراهيم : تاريخ سلجوقيان كرمان ص ٥١ .

(٣) أمير خواند : روضة الصفا (الجزء الرابع) .

(٤) الراوندى : راحة الصدور، ص٣٠١ ؛ ابن الأثير : الكامل، ج١١ ص ٥٥ .

(٥) البندارى : مختصر تواريخ آل سلجوق ، ص ٣٠١ .

(٦) الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٧١ .

مرة أخرى ، والآخر محمد بن طغرل بن محمد بن ملكشاه ، الذى أغار على العراق(١) .

وظلّ جهان پهلوان يسيطر على الدولة ، و يصرف مهامّها ، حتى توفى فى عام ٥٨٢ هـ ، فأخذ أخوه قزل آرسلان مكانه ، غير أن المنازعات لم تلبث أن ثارت بينه و بين ابن أخيه السلطان طغرل ، وتدخل الخليفة العباسى الناصر لدين الله ، لنصرة قزل آرسلان ، فَهُزِمَ طغرل وسُجِنَ(٢) . ولم يتمكن من الهرب إلا بعد قتل عمه ، فى عام ٥٨٨ هـ .

وتزوج طغرل من الخاتون ، زوجة عمه جهان پهلوان ، وأم قتلوغ اينانج ، وقيل إنها كانت تدبر هى وابنها وسيلة لقتله ، وعلم طغرل بذلك فسمَّها ، فثار النزاع بينه و بين قتلوغ اينانج ، الذى استعان بتكش الخوارزمى ، وقامت حربٌ بين الطرفين انتهت بقتل طغرل ، على يد ابن عمه فى عام ٥٩٠ هـ .(٣) فانهارت بقتله دولة سلاجقة العراق .

وقد كان طغرل من ممدوحى نظامى ، وكان شاباً مشهورًا بالشجاعة وحب الأدب ، كما كان ينظم الشعر ، وقد مدحه نظامى فى منظومته « خسرو وشيرين » فقال : « السلطان الشاب ملك حسن الحظ ، فليكن — دائمًا — صاحب عرش وتاج ؛ إنه زينة العرش وفاتح مُلك الدنيا . هو طغرل السلطان العادل ملاذ الرعية ، ملك الملوك ، وسيد العالم ، وهو صاحب العرش ، وربُّ الدولة و بحر الجود »(٤)

---

(١) أمير خواند : روضة الصفا (الجزء الرابع) .

(٢) حمد الله مستوفى قزوينى : تاريخ گزيده ، ص ٤٧٥ .

(٣) البندارى : مختصر تواريخ آل سلجوق ص ٣٠٢ ؛ الحسينى: أخبار الدولة السلجوقية ص ١٧٢ — ١٧٦ .

(٤) هذه ترجمة قول نظامى فى خسرو وشرين ص ١٥ :

چو سلطان جوان شاه جوانبخت   كه برخوردار باد أزتاج وأزتخت =

ومهما يكن من شيء فإن معسكر سلاجقة العراق كان زاخراً بالمنازعات والحروب ، التي تلاحقت بصورة أثَّرت فى حياة الناس ، فجعلتها قلقة مضطربة .

٣ — سلاجقة آسيا الصغرى ومن والاهم :

وإذا انتقلنا إلى آسيا الصغرى ، نجد فرعاً من فروع السلاجقة العظام ، يُسَمَّى سلاجقة آسيا الصغرى . وكان يحكم من هؤلاء والسلاجقة — فى الفترة التى نتحدث عنها — شخصٌ يُدْعَى قلج آرسلان استطاع أن يهزم ملك الروم ، ويجلس على عرش القيصرية فى قونية ، ثم بدا له أن الناس قد ملُّوا حكم السلطان مسعود فى العراق ، فتوجَّه على رأس جيش كبير لمحاربته ، غير أن جاولى — أعظم قواد مسعود — اتصل بأمراء قلج آرسلان ومنَّاهم وهدَّدهم حتى كرهوه فأغرقوه فى عام ٥٣٩ هـ [١] .

وقد استطاع حفيده عز الدين قلج آرسلان الذى ولى الحكم فى عام ٥٥٨ هـ أن يُوسِّع حدود ملكه ، فاستولى على أملاك الدانشمندية لضعفهم ثم قسَّم ملكه بين أولاده العشرة ، فأصبح كل منهم والياً على جزء من أجزاء المملكة [٢] .

ويُحَدِّثنا التاريخ أن عزَّ الدين هذا صادف جفوة من أبنائه ، وكان يتردَّد عليهم فلا يقبلونه ، حتى استقرَّ به المطاف عند ابنه الأصغر غياث الدين كيخسرو الذى أكرم وِفادته ، وساعده على تثبيت قواعد ملكه فى قونية ، فعهد إليه بولاية العهد من بعده ، رغم أنه كان أصغر أبنائه سنا . [٣]

= سرير أفروز إقليم معانى ولايت گير ملك زندگانى
پناه ملك شاهنشاه طغرل خداوند جهان سلطان عادل
ملك طغرل كه داراى وجوداست سپهر دولت ودرياى جوداست

(١) حمد الله مستوفى قزوينى : تاريخ گزيده ، ص ٤٨١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٨٢ ؛ خواندامير : حبيب السير ، ص ١١٥ .

(٣) حمد الله : تاريخ گزيده ، ص ٤٨٢ .

ومات عز الدين فى عام ٥٧٨هـ[١] ، فخلفه ابنه غياث الدين كيخسرو ، ولكن أخاه ركن الدين سليمان ثار فى وجهه ، يعاونه إخوته الآخرون ، فسار على رأس جيش كبير حاصر به قونية ، وانتهى الأمر بالصلح على أن يلى ركن الدين العرش ، ويؤمن أخاه الذى لم يلبث أن هرب خوفاً وتوهماً .[٢]

وقد قوى أمر ركن الدين بعد ذلك ، لأن دولة سلاجقة العراق انهارت فى ٥٩٠ هـ ، وَمُنِحَ — من دار الخلافة — لقب القاهر ، واستولى على أرزن الروم[٣] . وهو يهمنا لأنه كان صهر فخر الدين بهرامشاه ، حاكم أرزنجان فى عهده وعهد أخيه غياث الدين كيخسرو ، وقد اصطحبه معه فى حروبه ضد الغزو الأبخاز ، فى عام ٥٩٩ هـ[٤] . وبهرامشاه هذا ، هو الوالى الذى قدّم نظامى له ، منظومته الأولى ، « مخزن الأسرار » .

وكان بهرامشاه من نسل منكوچك غازى ، أحد أمراء الب آرسلان ، الذى عينه حاكماً على أرزنجان ، فى عام ٤٦٤هـ ، ويبدو أنه كان عادلاً ، وأن شأن إمارة أرزنجان قد ارتفع فى عهده ، حتى أصبح أهلا لمصاهرة سلاطين آسيا الصغرى . كما اشتهر بالكرم الذى عمّ سكان إمارته[٥] .

---

(١) هذا ماذكره حمدالله فى تاريخ گزيده ، ص ٤٨٢ ، ولكنه قال بعد وصف الحروب التى وقعت بين كيخسرو وركن الدين سليمان ، وهى التى وقعت فى نفس السنة التى توفى فيها والدهما : «وفى ذلك الوقت انتهى حكم السلاجقة فى العراق وتولاه الخوارزمشاه» وقد انتهى حكم سلاجقة العراق فى عام ٥٩٠ هـ كما مرّ ، وهذا يدل على أن وفاة قلج آرسلان كانت فى السنوات القريبة من عام ٥٩٠ هـ ، ولعلها كانت فى عام ٥٨٨هـ كما ورد فى ابن الأثير : الكامل ج١٢ ص ٦٥ ؛ وابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٣٨٣ ؛ وابن البيبى: مختصر سلجوقنامه ، ص٧ .

(٢) حمد الله : تاريخ گزيده ، ص٤٨٣ ، ابن البيبى: مختصر سلجوقنامه ص٣-٧ .

(٣) حمد الله : تاريخ گزيده ، ص ٤٨٣ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، حاشية ص ٢١٧ .

(٥) أمين رازى : هفت إقليم (الإقليم الرابع) .

ولعل هذا هو الذى جعل نظامى يقدِّم له منظومته الأولى ، وقد رُوِى أن بهرامشاه كافأه على عمله بسخاء [١] .

وتحديد سنى حكم بهرامشاه قد يساعدنا فى ضبط تاريخ إتمام «مخزن الأسرار» ؛ غير أن المراجع اختلفت فيما بينها اختلافاً كبيراً فى تحديدها ، ووضع العلامات المُميزة لها .

وقد ذكر زمباور أن فترة حكم بهرامشاه تقع بين ٥٥٠ـ٦١٥ﻫ [٢] ، بينما حدد ابن الأثير تاريخ وفاته فقط على أنه ٦٢٢ ﻫ [٣] ، وحصر « تَرْبِيَتْ » سنى حكمه بين ٥٥٠ ـ ٦٢٥ ﻫ [٤] .

وأرجح أنه كان حاكماً على أرزنجان فى الفترة التى تقع بين ٥٢٠ ـ ٦١٧ ﻫ ، لأن التاريخ يحفظ لنا قطعتين من النقود الفضية ضُرِبتا فى مدينة أرزنجان التى كانت مقراً لحكمه ، كُتِبَ على الأولى : « العبد الضعيف المحتاج إلى رحمة الله تعالى بهرامشاه بن داود نصير أمير المؤمنين أرزنجان ٥٧٠ ﻫ » .

وكُتِب على الثانية : « العبد الضعيف المحتاج إلى رحمة الله تعالى بهرامشاه ابن داود . ضُرِب بمدينة أرزنجان ٦١٧ ﻫ [٥] .

---

(١) ابن البيبى : مختصر سلجوقنامه ، ص ٢١ — ٢٢ .

(٢) E. de Zambaur : Manuel de Genealogie et de chronologie pour L,histoire de L,islam Tome Primiere. P. 145,

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢٧٩ ؛ وقد نقل ريو فى فهرسته ج ٢ ص٥٣٥ عن جهان آرا ورقه ١١١ ، وهفت إقليم ورقه ١٣٩ نفس التاريخ الذى ذكره ابن الأثير .

(٤) تربيت : مقالته عن « مثنوى ومثنوى گويان » مجلة مهر شماره ٨ سال پنجم دى ماه ١٢١٦ ، ص ٧٥٩ .

(٥) تربيت : مقالته السابق ذكرها ، وقد نقل ما كتب على قطعق النقود عن فهرست المسكوكات الإسلامية لأحمد ضيا . وقرر أن القطعتين محفوظتان بالمتحف الجمهورى باستانبول .

وواضح أن القطعتين تثبتان أن بهرامشاه قد حكم منذ عام ٥٧٠ هـ على الأقل ، وأنه ظل يحكم حتى عام ٦١٧ هـ .

ومن الجائز أن يكون بهرامشاه قد حكم حتى وفاته فى عام ٦٢٢ هـ كما ذكر ابن الأثير الذى كان معاصراً له .

وقد مدح نظامى هذا الوالى ، وأطنب فى مدحه ، و بناه على أساس دينى ، ليكسبه قوة ، فجعله بتوجيه من قلبه على طريقة المتصوفة . و بدأه بقوله : «رأى القلب ـ من ذلك المصدر الذى يوجد فى الهمة ـ مُعْطِى الدرجات الذى هو ولىّ النعمة »[١] .

ثم ذكر اسمه ونسبه فقال : « الملك فخر الدين الذى تاجه الفلك ، وخاتمه كخاتم سليمان ، والذى صح انتسابه إلى داود ، فأصبح شرفه كشرف سليمان»[٢]

وأخذ يُطنب فى مدحه فى قوله . « إنه مفخرة الملوك بقوته ، مشهور فى الدهر بعلمه ، ملك العـالم جميعه ، فهو ملك الأرمن ، وهو ملك الروم ، وهو زينة العرش ، ومسند الخلافة ، وفاتح الروم والأبخاز ، وهو أعلم أهل الدنيا وأعدلهم ، وأكرم أبناء الجود وأكثرم إحساناً ، وهو قوى جاوز صوت طبوله عنان السماء ، وغلبت قوته قوى الطبيعة »[٣] .

---

(١) ديد أز آن مايه كه در همتست پايه دهى كه ولى نعمتست
(نظامى : مخزن الأسرار ص٣٢)

(٢) شـاه فلك تاج سليمان نـگين مفخـــر آفاق ملك فخر دين
نسبت داودى أوكرده چُست بر شرفش نام سـليمان دُرســت
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) مفخـــر شـاهان بتـوانا ترى نامـــور دهـــر بدانا ترى
خاص كن ملك جهان بر عموم هم ملك أرمن وهم شـــاه روم
سلطنت أورنـگ وخلافت سرير روم ستـــاننده وأبخـــاز گير
عالم وعادل تر أهـل وجـود محسن ومكرم ترى أبناى جود=

ثم طلب من الوالى أن يعطيه لأنه أهل للكرم فقال : « اجعل السخاء تابعاً لك ، وأشعل شمع الكلام بمدحك ، وأرسل خلعة الرفعة ، وعطر القبول إلى نظامى ؛ وإن الشعر مهما نظم كثيراً جميلاً ، فإنه ـ حينما يصل إلى مائدتك ـ يصير نحيلاً ، لقد انعدمت اللآلئ والجواهر من البحر والكنز ، فقدم أنت اللآلئ من الفم والجواهر من اليد »[١]

وقرن الشاعر وصفه بالكرم بوصفه بشدة البطش ، فالوالى يهب من يمدحه من أمثال نظامى ، ويقضى على مَنْ يعاديه ؛ نلاحظ ذلك فى قوله : « ممنوحٌ ومحترقٌ فى طريقك : ممنوحٌ أنا ، ومحترقٌ عدوك ، إن فتحك مرفوع الرأس كالعلم ، وإن خصمك مكسور الرأس كالقلم »[٢] .

ثم تحدث عن بلاط الملك ، على أنه مقصد لشعراء المديح ، وأنه هو أفضلهم جميعاً فقال : « ولو أن شعراء المديح قد ولُّوا وجوههم شطر هذا البلاط ، إلا أنهم يقفون جميعاً خاشعين أمام نظامى ، فهو شخص آخر ، أما الآخرون فمن يكونون ؟!.. فأنا قد ظفرت بهذه المنزلة عليهم ، وسبقتهم بمرحلة »[٣] .

= كوس فلك راجرش بشكند شيشهٔ مه رانفسش بشكند
(نظامى . مخزن الأسرار ص ٣٣)

(١) كوش سخارا أدب آموزكن شمع سخن رانفس أفروزكن
خلعت كردون بغلامى فرست بوى قبول بنظامى فرست
كرچه سخن فربه وجان پرورست چونكه بخوان تورسد لاغراست
بى كهر ولعل شداين بحر وكان كوهرش أزكف ده ولعل أزدهان
(المرجع السابق ص ٣٦)

(٢) ساخته وسوخته در راه تو ساخته من ، سوخته بدخواه تو
فتح تو سرچون علم افراخته خصم تو سرچون قلم انداخته
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) كرچه بدين دركه پايندكان روى نهادند ستايندكان=

و بيّن أنه كـكل شعراء المديح له هدف من وراء مدحه ، فهو يريد أن يرتفع شأنه ، و يصير مقرباً ، فقال : « سوف أتمتع - بهمتي - بالمنزلة العالية ، فأرتفع بفضلك ، و بفضل تبعيتي لك ؛ إنني أتابع غبار قدمك ، حتى أصل إلى الرفعة ؛ و إذا لم توصلني أنت فـكيف أصل ؟!... »(٣)

وهكذا أضفى نظامى مدائحه على بهرامشاه بكرم وسخاء ، مما يرجح أن هذا الوالى كان يكرم الشعراء ، و يشجعهم على النظم .

ومهما يكن من شيء ، فإن معسكر ولاة آسيا الصغرى لم يكن أقل اضطراباً من غيره من المعسكرات . فقد لاحظنا أن حكامه - و إن سما شأن بعضهم - كانوا يتحاربون فيما بينهم ، و يحاربون من جاورهم .

وندع السلاجقة لنلقى نظره على معسكرات أتباعهم من حكام آذر بيجان .

= پيش نظامى بحسـاب ايستنـد أو دگراست اين ديگران كيستند؟
منكه دراين منزلشان مانده ام مرحـلهٔ پيش ترك رانده ام
(نظامى : مخزن الأسرار ص ٣٦)

(٣) أوج بلنـد درو ميـبرم باشـد كزهمت خـود برخـورم
تامـگر أزروشـنى راى تو سرنهم آنجـا كه بُوَد پاى تو
گرد تو گيرم تابـگردون رسم تارسـانى تو مراچـون رسم
(المرجع السابق : ص ٣٨)

الفصل الثاني

حكام أذربيجان

كانت آذر بيجان ـ في القرن السادس الهجري ـ مقسمة بين دويلات كثيرة ، مثّلت كل منها دوراً يختلف باختلاف موقعها الجغرافي ، وقوة رجالها . فأرّان قد استقلت تحت حكم دويلة الأتابكة التي أسسها ايلدكز في عام ٥٣١ هـ ، وظلت تحكم حتى عام ٦٢٢ هـ .

والجزء الجنوبي من آذر بيجان ، كان تحت حكم دويلة آقسنقر الأحمديلي التي كانت عاصمتها مراغة .

هذا عدا دويلة حكام شروان التي بقيت مستقلة في هذا القرن أيضاً .

وقد حاول نظامي ـ لكونه من كنجه ـ أن يتصل بحكام هذه الدويلات ، لقربهم منه ، وقد اقتصرت أغلب اتصالاته على هؤلاء الحكام ، فقدّم لهم أغلب منظوماته ، مما يجعل الإلمام بمعسكراتهم ضرورياً لمن يدرس هذا الشاعر .

١ — أتابكة أذربيجان :

ونبدأ بالأتابكه ، فنجد زعيمهم ايلدكز قد أصبح قوة لهـا خطرها في الدولة السلجوقية ؛ رغم أنه لم يكن أكثر من تابع من أتباع هذه الدولة ، ولكن شأنه ارتفع في عهد السلطان مسعود ، حتى زَوَّجَهُ أرملة أخيه طغرل ، ثم أسند إليه ولاية أرّان فاستقل بشئونها[١] . وأسّس دويلة الأتابكة في عام ٥٣١ هـ .

ويرى سيكس أن أهمية هذه الدويلة لم تتعد أن تكون محلية[٢] . ولـكن

(١) ابن الوردي : تاريخه ، ص ٨١ رشيد الدين فضل الله :جامع التواريخ ، ص ٣٧٠ .

(٢) Sir Percy Sykes : History of Persia ,vol. II. P. 55.

واقع الحوادث يدلّ على أن حكامها قد وصل نفوذهم إلى درجة التدخل فى شئون سلاجقة العراق ، والسيطرة عليهم ، وتوجيههم وفق إرادتهم ، خصوصاً فى الفترة التى تقع مابين ٥٥٥ ـ ٥٨٧ هـ ، كما مرّ . لأن الأتابكة كانوا يُعْتَبَرُون ضباط السلاجقة ، الذين كانوا يتحكمون فى الخليفة العباسى ، ويلزمونه بذكر أسمائهم فى الخطبة .

وقد استغل الأتابكة ضعف السلاجقة فى تلك الفترة ، فتدخلوا فى مهامّ الدولة ، ووصل نفوذهم إلى درجة عزل بعض السلاطين أو قتلهم .

ولعلنا لاحظنا ـ فيما سبق ـ كيف تمكّن ايلدكز من تولية ابن زوجته ، آرسلان بن طغرل ، بعد عزل سليمان شاه وسجنه ، فى عام ٥٥٥ هـ . وكيف أنه أصبح ، منذ ذلك التاريخ ، الحاكم الفعلى على العراق وكردستان وآذربيجان ، فلم يكن لآرسلان إلا الاسم ؛ تُقْرَأُ باسمه الخطبة ، وتُضْرَبُ باسمه السكة .

كما لاحظنا أن نفوذ ايلدكز ظلّ قوياً ، طوال مدة حياته ، إلى أن توفى فى عام ٥٦٨هـ ، وأن ابنه شمس الدين محمد جهان پهلوان قد خلفه فى النفوذ ، بل قيل إنه سمّ أخاه آرسلان ليُجْلِس ابنه الطفل طغرل .

وبلغت قوة جهان پهلوان درجة جعلت الحكام الآخرين يرهبون جانبه ، ويُرسلون السفراء إلى بلاطه[١] .

ولعل هذا هو الذى جعل نظامى يمدحه بقوله : « الملك الأعظم ، الأتابك العادل ، الذى أخمد صوت الظلم فى العالم ، أبو جعفر محمد ، الذى سيصبح ـ مثل محمود[٢] ـ فاتحاً لخراسان ، وإن لقبه شمس الدين والدنيا ، لدليلٌ على أنه شمس خاصة وعامة »[٣] .

---

(١) صدر الدين الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٧٢ .

(٢) لعل الشاعر يقصد السلطان محمود الغزنوى ، فقد كان مضرب المثل فى الشجاعة وبسطة السلطان .

(٣) ملك أعظم أتابك داور دور كه افكند أزجهان آواز جور=

وتوفى جهان پهلوان فى عام ٥٨٢ ﻫ ، فخلفه أخوه قزل آرسلان ، ورحل إلى همدان مقر السلطنة ، لتسيير دفة الأمور[١] . ولكن الفتن لم تلبث أن شبت فى أنحاء السلطنة ، فقامت المنازعات بينه و بين ابن أخيه السلطان طغرل ، واستنجد هو بالخليفة العباسى ، الناصر لدين الله ، فأمده بجيش وصل إلى العاصمة قبل وصوله هو ، فاضطُرّ إلى القتال وحده ، مما أدّى إلى هزيمته ، فى عام ٥٨٣ ﻫ ، فرجع مدحوراً[٢] .

ثم جهّز الخليفة جيشاً آخر وصل إلى همدان فى عام ٥٨٤ ﻫ ، واستولى عليها بينما هرب طغرل . ودخل قزل آرسلان العاصمة ، ثمّ استطاع القبض على السلطان وسجنه فى قلعة بآذر بيجان[٣] .

وهكذا خلا الجو لقزل آرسلان ، الذى أراد أن يجلس سنجر بن سليمانشاه ، على عرش السلطنة ، لولا أن وصلته رسالة من الخليفة تُظهِر رضاءه على أن يلى هو عرش السلطنة ، فأعلن نفسه سلطاناً فى عام ٥٨٧ ﻫ ، ولكنه لم يلبث أن وُجِد مقتولاً بعد وقت قصير[٤] .

= أبو جعفر محمد كز سر جـود خراسان كير خواهد شدچو محمود
دليل آنكه آفتاب خاص وعام است كه شمس الدين والدنيا ش نام است
(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ١٨)

(١) أمير خواند : روضة الصفا (الجزء الرابع) .

(٢) صدر الدين الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٧٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٧٨ — ١٨١ ؛ ابن الوردى : تاريخه ، ص ١٠٠ .

(٤) اختلف فيمن قتل قزل آرسلان ، فالحسينى يقرر أنه تزوج من الخاتون ، زوجة أخيه ، جهان پهلوان ، التى لم تلبث أن كرهته لسوء أخلاقه وانصرافه عنها ، فدبرت مع ابنها قتلوغ اينانج بن البهلوان وسيلة لقتله . والبناكتى ، فى القسم الرابع من تاريخه ، يتهم الاسماعيليين بقتله ، ويفهم من كلام ابن الوردى ، فى تاريخه ، ص ١٠٤ ، وابن الأثير ، فى الكامل ج ١١ ، ص ٣٤٦ . أنه قتل بسبب اضطهاده للشافعية ، وقتله =

وهكذا نجد أن قوة أتابكة آذر بيجان قد بلغت حداً جعلهم جديرين بتولّى عرش السلطنة .

وقد ظفر قزل آرسلان هذا بنصيب وافر من مدح نظامى ، حينما قدّم له منظومته الثانية « خسرو وشيرين » ، فأشار إلى عظمته وسعة نفوذه إشارات لم تَخْلُ من المبالغة ، على طريقة الشعراء — غالباً — فى المديح ، فقال : « كن رقيقاً يانسيم الصباح ، وتفضَّل — فى الفرصة التى تختارها — فقبل الأرض بين يدى الملك ، الذى عرشه فوق الثريا ، والذى هو واهب الحياة ، وشمس الأقاليم السبعة ، والذى اعتزّ به الدين والدولة . هو الملك قزل ، ملاك المشرق وملجأ المغرب ؛ تاجه فوق القمر ، وهو كالشمس ، وإن يكن مقرُّه فى المغرب ، إلاَّ أن سلطانه قد جاوز المشرق ، وهو يستطيع ، فى سهولة ، أن يأخذ الخراج من الصين والجزية من الروم »(١) .

وقد دعا قزل آرسلان الشاعر إليه بعد ذلك ، فرحل إليه ، واستأذن فى الدخول عليه ، ووصف حضرته عن قرب ، فصوَّرَها فى قوله : « كان الملك جالساً كالشمس المشرقة ، على عرش كعرش جمشيد ، بتاج كتاج كيقباد ، وكان محفله صورة من محافل الجنة ... وكان المكان مملوءا بأوانى الشراب الممتلئة ، كما كانت أصوات

= كثيراً من مشايخهم فقد ثار فى ذلك الوقت نزاع بين الشافعية والحنفية فى أصفهان وقيل إن قزل آرسلان اضطهد الشافعية . أما أميرخواند فيقرر ، فى الجزء الرابع من روضة الصفا ، أن أمراء بغداد هم الذين قتلوا قزل آرسلان حقداً وحسداً .

(١) سبك باش أى نسيم صبحگاهى ‌ ‌ تفضل كن بدين فرصت كه خواهى
زمين‌را بوسه ده دربزم شـاهى ‌ ‌ كه دارد بر ثريا بارگاهى
جهان بخش آفتاب هفت كشور ‌ ‌ كه دين ودولت أز أوشد مظفر
شه مشرق كه مغرب را پناهست ‌ ‌ قزل شه كه افسرش بالاى ماهست
چو مهرى گرچه شد مغرب وثاقش ‌ ‌ گذشته أزسر حد مشرق يتاقش
نـگينش گرنهد يك نقش برموم ‌ ‌ خراج أزچين ستاند جزيه أزروم
(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٢٥)

الناى والمزامير ، تجاوز ـ بألحانها المختلفة ـ عنان السماء[١] » .

وقد أطنب الشاعر فى مدح هذا الوالى ، وتصوير زيارته له ، التى كانت ـ فيما يبدو ـ الزيارة الوحيدة التى ذهب فيها إلى حاكم بناء على دعوة منه ، وقد خلع عليه بسخاء جعل لسانه يلهج بشكره ، والثناء عليه .

كما أشار إلى قتله فقال : « استشهد بضربة من أحد أهل السوء ، ستكون عاقبته فى الآخرة ، أوخم منها فى الدنيا[٢] » . ثم رثاه فى نهاية المنظومة[٣] .

وأخذ نفوذ الأتابكة يضعف ، بعد قزل آرسلان ، فقد خلفه أبو بكر نصرة الدين ، ابن أخيه جهان پهلوان ، غير أن النزاع ثار بينه و بين أخيه قتلوغ اينانج ، فشبت الحروب بينهما فى صورة لا تنقطع ، حتى رُوِى أنها شبت أربع مرات فى شهر واحد[٤] ، ولكنّ أبا بكر استطاع أن ينتصر فى هذه الحروب جميعها ، فانفرد بالحكم ، وتواضع فى أطماعه ، فاكتفى بأتابكيته ؛ على أنه لم يسلم من غارت الكرج ، الذين كانوا كثيرا ما يُغِيرون على بلاد الإسلام من ناحية آذربيجان .

وقد أغاروا ـ فى عام ٦٠١هـ ـ على البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ، وأمعنوا فى النهب والسلب ، وجاسوا خلال الديار ، فلم يجرؤ أحد على وقف تيارهم الجارف .[٥]

(١) نشسته شاه چون تابنده خورشيد بتاج كيقباد وتخت جمشيد
بهشتى بزمش أزبزم بهشتى زحوضگاهاى مى پركرده كشتى
خروش أرغنون ونالهٔ چنگ رسانيده بچرخ زهره آهنگ
(نظامى : خسرو وشرين ، ص ٤٥١ — ٤٥٢)

(٢) شهادت يافت أز زخم بد انديش كه پاداش آنجهان پاداش از ين بيش
(المرجع السابق ، ص ٤٥٨)

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٥٨ — ٤٥٩ .

(٤) أمير يحيى قزوينى : لب التواريخ (الجزء التاسع) ، خواند أمير : حبيب السير ، ص ١١٧ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ج ١٢ ، ص ١٣٣ .

وفى عام ٦٠٢ هـ ، اتفق علاء الدين ، حاكم مراغة ، مع مظفر الدين كوكبرى حاكم إربل ، على مهاجمة آذربيجان ، وأخذها من صاحبها أبى بكر ، لاشتغاله بالشراب ليلا ونهارا ، وتركه النظر فى أحوال المملكة وحفظ العساكر والرعايا[1] ، كما تابع الكرج غاراتهم ، فاضطُرَّ أبو بكر إلى الزواج بابنة ملك الكرج ليتقى شرهم . وقد حقَّق هدفه بهذه الطريقة ، فكَفُّوا عن الإغارة والنهب والقتل .[2] وتمكَّن أبو بكر — أيضاً — من الاستيلاء على مراغه ، فى عام ٦٠٥ هـ ، لموت صاحبها علاء الدين ، وتولية ابنه الصغير ، الذى لم يلبث أن مات بعد قليل[3]

وقد صوَّر نظامى نصرة الدين أبا بكر هذا ، فى صورة البطل القوى بعيد النظر فقال : « بطل العالم نصرة الدين ، الذى انتصر على أعدائه وكأنه الفلك ، عَدُوُّه متأخر فى تفكيره ، بينما هو بعيد النظر ، قوى البطش ، ربٌّ للسيف والعرش ، تُؤَدَّى له شعائر الملك ، ويُؤَدِّى هو شعائر الله . ركابه كركاب رستم ، وهو زينة للعرش ، ومانح للتيجان »[4]

ثم استرسل الشاعر فى وصف قوة الأتابك ، والمقارنة بين عداوته وصداقته

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ١٥٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٨٢ ، فصيح خوافى : مجمل فصيحى ، ص ٨١١ ، خواند أمير : حبيب السير ، ص ١١٧ .

(٤) جهان پهلوان نصرة الدين كه هست   بر أعداى خودچون فلك چيره دست
مخالف پس انديش وأو پيش بين   بد انديش كم واو بيشـــكين
خداوند شمشـير وتخت وكلاه   سه نوبت زن وپنج نوبت پناه
رستم ركابى روان كرده رخش   هم أورنگ پيراى وهم تاج بخش
(نظامى : شرفنامه ، ص ٥٨ — ٥٩)

فقال : «إن صداقته صافية نقية كالماء الفرات ، أما عداوته فمغرقة مثل نهر النيل»[١]، و إن ظلّه إذا سقط على الشمس كسف نورها وأخمدها ، كما يخمد الماء النار ، و إنه قد فتح كل حصن هجم عليه »[٢].

وصوّر كرمه فى قوله : «إن الناس من كثرة ماأصابهم من إحسانه ، قد سمّوه ولىّ نعمة العالم ، فهو كعيسى ، قد أحيا كثيراً من الموتى ، وأسر الناس بإحسانه وخلقه »[٣].

و يبدو أن أوصاف الشاعر أكثرها شاعرىٌّ لا يتفق مع الواقع التاريخى كثيراً ، ولعل الدافع إليها رغبته فى الظفر بالعطاء ، لأن الثابت أن الأتابك لم يكن معتدياً ، كما زعم الشاعر ، ولم يبلغ ما بلغه سابقوه من القوة والعظمة .

ومهما يكن من شىء ، فإن قوة الأتابكة ضعفت بعد موت أبى بكر ، فى عام ٦٠٧هـ[٤]. فقد خلفه أخوه أوزبك وحكم حتى عام ٦٢٢هـ ، ثم انتصر عليه جلال الدين منكبرتى ، فسقطت بذلك ، دويلة الأتابكة .

ولعلنا لاحظنا أن معسكر الأتابكة ، لم يكن — من حيث الاضطراب وكثرة

---

(١) لعل الشاعر يشير إلى قصة موسى وفرعون ، فقد كانت عداوة فرعون لموسى سبباً فى غرقه فى نهر النيل ، وقد ورد ما يتعلق بالغرق فى القرآن : سورة يونس آية ٩٠ — ٩٢ .

(٢) چو آب فرات آشكارا نواز چو سر چشمه نيل پنهان گداز
اگر سايه بر آفتاب أفكند درآن چشم آتش آب افكند
بهر دايره كوزده تركتاز زپركار خطش گره كرده باز
(نظامى : شرفنامه ، ص ٥٩ — ٦٠)

(٣) زبس نعمت وناز كزوراندهاند ولينعمت عالمش خواندهاند
چو عيسى بسى مردهرازنده كرد بخلق چنين خلق رابنده كرد
(المرجع السابق ، ص ٦٠-٦١)

(٤) أمير يحي قزوينى : لب التواريخ (الفصل التاسع) .

الحروب ـ خيراً من المعسكرات المجاورة له ، فقد كانت حياة رجاله سلسلة متصلة الحلقات من الحروب والمنازعات .

٢ — حكام مراغة :

وإذا تركنا الأتابكة إلى جيرانهم حكام مراغة ، نجدهم ينتسبون إلى دويلة كردية أسسها أحمديل بن وهسودان ، الذى يروي التاريخ أنه كان حاكماً على مراغه وما جاورها ، فى عام ٥٠٥ هـ[١] .

وقد كانت مراغة تعتبر العاصمة القديمة لآذربيجان[٢] . كما كانت ذات موقع يهيئ لها الاشتراك فى كثير من الحوادث ، التى اتخذت مكانها على مسرح الحوادث فى ذلك الوقت ، إذ كانت تقع فى جنوب آذر بيجان ، وتعتبر القنطرة التى تفصل بين السلاجقة والأتابكة ، مما جعلها مطمع أنظار بعض سلاطين السلاجقة وأمرائهم ، فكانوا يحاولون فتحها . ولكن دويلة الأكراد ظلّت قائمة فى أثناء حكم السلاجقة ، رغم تلك المحاولات .

وأبرز من حاولوا فتح مراغة ـ فى ذلك الوقت ـ خاص بك بن بلنكرى ؛ أحد أمراء السلطان مسعود ؛ فقد حاصرها ، فى عام ٥٤١هـ ، وحاول انتزاعها من حاكمها آقسنقر .[٣] ثم عاود محاصرتها فى عام ٥٤٥ هـ ، وتمكن من فتحها وتحطيم أسوارها ، ولكن الخصام انتهى بالصلح بين الطرفين ، بمقتضى اتفاقية عقدت بينهما ، فى قلعة روئين درْ .

وفى عام ٥٤٨هـ ، اتفق آقسنقر مع الأتابك ايلدكز ، ضد السلطان محمد ، لقتله خاص بك ، فثارا فى وجهه ، وأرادا عزله ، فى أثناء انشغاله بمحاصرة بغداد ، مما

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٣٦١ .

(٢) The Encyclopaedia of Islam : vol. 3. P. 261.

(٣) البندارى : مختصر تواريخ آل سلجوق ، ص ٢١٧ .

سبق ذكره — . وانتهى الأمر بالصلح فاقتسم ايلدكز وآقسنقر آذر بيجان بينهما .[1]

ولكن الحرب لم تلبث أن شبت بينهما عدة مرات . ففى عام ٥٥٤ هـ ، سيّر ايلدكز ابنه البهلوان ضد آقسنقر ، الذى استطاع أن ينتصر مستعيناً بملوك الأرمن ، ثم ساعد اينانج حاكم الرى ، ضد ايلدكز ، الذى تمكن من الانتصار وذلك فى عام ٥٥٦ هـ

ولكن العداوة بينهما كانت تتلاشى ، ليحلَّ محلها الوفاق ، إذا ما هاجمهما عدوٌ مشترك كالكرج مثلاً ، فكانا يشتركان معاً فى صده ، فقد اتحدا — فى عام ٥٥٦ هـ — فى حملة ضد الكرج[2] .

وقد اعترف الخليفه العباسى بشرعية اقسنقر ، فى عام ٥٦٣هـ ، فتوطد نفوذه ، ولكن البهلوان بن ايلدكز حاصر مراغة ، فى نفس العام ، ثمَّ لم يلبث أن ارتدَّ عنها ، بعد أن تم الصلح بين الطرفين[3] .

وفى عام ٥٦٤ هـ ، ثار قتلوغ فى مراغه ، ولكن البهلون انتصر عليه ، ثم أسند مراغه إلى علاء الدين ، وركن الدين ، أخوى اقسنقر[4] .

وقد رأينا كيف أن الأتابك أبا بكر حاصر مراغه فى عام ٦٠٢ هـ ، فاضطُرَّ علاء الدين كرب ارسلان إلى تسليمها ، ثم توفى فى عام ٦٠٤ هـ ، تاركاً ابناً صغيراً ؛ فتولاه أحد خدمه ، ولكن الطفل توفى فى عام ٦٠٥ هـ ، فضمَّ أبو بكر أملاك الأحمديلية ، باستثناء روئين دژ ، التى حصَّن خادم علاء الدين نفسه فيها ، محتفظاً بخزائن سيده .

---

(١) البندارى : مختصر تواريخ آل سلجوق ، ص ٢٤٣ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ١١ ، ص ٨٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢١٨ .

(٤) هذا ماذكره حمد الله مستوفى قزوينى فى تاريخ گزيده ، ص ٧٢ ، ولكن ابن الأثير يذكر فى الكامل ج ١١ ، ص ٢٨٠ ، أن فلك الدين بن آقسنقر هو الذى كان حاكما على مراغه حينما حاصرها البهلوان وأن الصلح تم بين الطرفين على أن تضم تبريز إلى منطقة نفوذ الأتابكة .

وهـذا يدلّ على ضعف حكام مراغة فى السنوات الأخيرة من حكمهم .
ولكن نظامى ، حينما قدم منظومته « هفت پيكر » لعلاء الدين ، فى عام ٥٦٣ هـ ، وصفه بالقوة وسعة النفوذ فقال : « إن علاء الدين عمدة المملكة ، وحاكم الأرض والزمان وناصرهما . هو الملك كرب آرسلان الفاتح ، وهو أحسن من ألب آرسلان تاجاً وعرشاً . إنه الهادى لأنه شمس هذه الأرض ، ودولته خاتمة الدول العظيمة ، وهو كرستم إلا أن حصانه الفلك ، فهو عظيم يمنح العظمة ، وقرينٌ للسماء فى الرفعة ، وللسحاب فى الكرم ، جسمه كالأسد فى قوته ، واسمه أسد[1] » .

ثم ذكر أنه من نسل آقسنقر ، فقال : « اعتز به نسل آقسنقر و بلغ أبوه وجده — بفضله — ذروة المجد[2] » .

وأخذ يُضفى عليه صفات الجلال والعظمة فى قوله : « كل ولاية لها ملك مثلك يحفظها الله من كل سوء ، حتى إنهم ليسمونك مُعزّ الأقاليم السبعة ، لما يُحِسُّونه منك ، من إسعاد . . . . فكل ولاية تتمنى أن تكون ضمن حدودك حتى تظفر بعطفك . وقد حكم منكم أربعة ملوك ، بأربعة أساليب ، وأنت خامسهم بعمر مديد[3] » .

---

(١) عمدهٔ مملكت علاء الدين — حافظ وناصر زمان وزمين
شاه كرب آرسلان كشورگير — به زالپ آرسلان بتاج وسرير
مهدى كآفتاب اين مهداست — دولتش ختم آخرين عهداست
رستمى كزفلك سوارى رخش — هم بزرگ است وهم بزرگى بخش
همسر آسمان وهم كف ابر — هم بتن شير وهم بنام هزبر
(نظامى : هفت پيكر ، ص ٢٢)

(٢) نسل آقسنقرى مؤيد ازو — أب وجد باكمال أمجد ازو
(المرجع السابق ، ص ٢٣)

(٣) هر ولايت كه چون توشه دارد — ايزد أزهر بدش نگه‌دارد
زان سعادت كه درسرت دانند — مقبل هفت كشورت خوانند=

ثم صور عدل الوالى وحبّه للعلم فقال مخاطباً له : « أنت حرم للعدل والعلم ، فَمَنْ غيرك يضع الكرم فى موضعه ؟ !... إننى أنا الذى عرفت هذه الحقيقة ، وأدركت أنك ترعى أهل العلم ، فلا تأبه لكلام المموهين ، ولا تقبل خدعهم[1] » .

وختم مديحه بالدعاء ، قائلا للوالى : « عظمتك مقررة . ولتكن أكثر علماً وعظمة ، وأطول عمراً من الجميع ، ولتبعد يد الزوال عن حدود دولتك ، وتهجرها فى جميع الأحوال[2] » .

وإن ماذكره الشاعر ، يمكن أن يفسر ، على أنه من قبيل المبالغة التى يصطنعها الشعراء ، حينما يُضْفُون على ممدوحيهم ضروب الثناء ، بحق و بغير حق ، فى سبيل الظفر بالعطاء ؛ وأغلب الظن أن ماذكره نظامى لايتفق مع الحقيقة التاريخية فى شىء ، وأن الدويلة كانت ضعيفة فى عهد علاء الدين .

ومهما يكن من شىء ؛ فقد كان معسكر حكام مراغة متصلاً بالحوادث التى وقعت فى ذلك الوقت ، وقد تدخل فى بعضها فأثر فيها ، وتأثر بها ، مما جعله يموج بالحروب والمنازعات .

= همه مرزى زمهربانى تو بتمنــاى مرزبانى تو
چارشه داشتند چار طراز پنجمين تونى بعمر دراز
(نظامى : هفت پيكر ، ص ٣١)

(١) جزتو كز ودانشت حرميست كيست كورا بجاى خود كرميست
من كه الحق شناختم بقياس كاهل فرهنگ را تو دارى پاس
نخرى زرق كيمياسازان نپذيرى فريب طنازان
(نظامى : هفت پيكر ، ص ٣٢)

(٢) بيشيت هست بيش دانى باد وزهمه بيش زندگانى باد
أزحد دولت تودست زوال دور ومهجور باد درهمه حال
(المرجع السابق : ص ٣٥)

٣ ـ حكام شروان :

أما المعسكر الثالث من معسكرات آذر بيجان ، فهو معسكر حكام شروان . وقد كانت شروان ـ بحكم موقعها الجغرافى ـ تعتبر القنطرة التى يعبر عليها الكرج فى هجماتهم على آذر بيجان ، أو الأتابكة لمحاربتهم وصد غاراتهم ، مما جعلها موضع حرب ، وجعل حملات حكامها دفاعية ، فى أغلب الأوقات[١] .

ويبدو أن حكام شروان كانوا ضعافاً ، فلم يشتركوا اشتراكاً جدياً فى توجيه سير الحوادث ، فى القرن السادس الهجرى ، وليس أدلّ على ضعفهم من أن نقودهم كانت تحمل اسم الخليفة العباسى ، كما كانت تحمل اسم السلطان السلجوقى[٢] .

ولم يتعد اتصال الخليفة العباسى بهم أن يكون اسمياً ، أما اتصال سلاطين السلاجقة فكان فعلياً . فقد فرض السلطان ملكشاه ضريبة سنوية عليهم ، كما سجن السلطان محمود حاكم شروان[٣] ، فى عام ٥١٧ هـ ، مما يرجح ضعف حكام شروان أمام السلاجقة .

وقد وصل مجد شروان إلى القمة فى عصر منوچهر الثانى ، من عام ٥٣٠ إلى ٥٤٤ هـ[٤] ، ثم أعقبه ابنه أخستان[٥] ، فى عام ٥٤٤ هـ ، وهو الذى يهمنا فى

(١) Hadi Hassan : Falaki -i- Shirwani, His times, life and works, P.2.

(٢) Ibid : P. 2.

(٣) Ibid : P. 2.

(٤) Ibid : P. 2.

(٥) اختلف فى اسم هذا الحاكم فهو يذكر فى بعض مخطوطات ديوان خاقانى المختلفة وبعض مخطوطات خمسة نظامى على أنه أَخْتَشَان ، وأَخِتْشَان ، وأَخْسْتَان ، وقد حقق هادى حسن فى كتابه فلكى الشروانى (السابق ذكره) ، ص ٢٦ و ٢٧ ، اسم هذا الوالى وضبطه على أنه أَخْسَتَان . لأن الكلمة ترد فى أشعار خاقانى على وزن فاعلن أى أَخْسَتَان . وبذلك رد قراءة براون فى كتابه : =

الفترة التى ندرسها ، لأنه الحاكم الذى قدّم نظامى له منظومته « ليلى ومجنون » .

وقد تمتع هذا الوالى بحكم طويل ، كما يظهر من النقود التى حفظت لنا ، منذ عهده ، وهى تتكون من أربع قطع مكتوب عليها ، بحسب ترتيبها الزمنى ، مايلى[1] :

١ ـ المستنجد بالله السلطان أرسلا شاه (كذا) لا إلا الله (على وجهها) الملك المعظم اخستان بن منوچهر[2] (على ظهرها) .

٢ ـ المستضىء بأمر الله ا (كذا) السلطان ا (كذا) طغريل (على وجهها) الملك المعظم اخستان بن منوچهر[3] (على ظهرها)

٣ ـ الناصر الدين الله (كذا) السلطان أعظم طغريل (كذا) (على

= A Literary History of Persia, vol. II P. 394

وقراءة دورن فى . Beitrage zur Geschichte des Kausasichen Landen und Volker, aus Morgenlandischen quellen -1- Versucheiner Geschichte der Shirwanshahe, P. 331.

وقراءه خانيقوف فى : Melanges Asiatiques, III p. 119.

وزمباور فى : Manuel de Genèalogue et de Chronologie p. 182 على أنه أَخَسْتَان .

كما لاحظ أن بروسيه فى كتابه . Histoire de la Georgie p. 397. قد ذكر الاسم على أنه اغزار ثان Aghzarthan وهو قريب فى نطقها من أَخْسَتَان

(١) نقل هادىء حسن فى كتابه فلكى الشروانى ، ص ٢٩-٣٠ ما كتب على قطع النقود عن فهرست ماركوف Markow's Catalogue

(٢) يبدو أن هذه القطعة قد ضربت فى الفترة التى تقع بين ٥٥٥و٥٦٦هـ ، فقد كتب عليها اسما المستنجد بالله العباسى وآرسلانشاه السلجوقى ، وقد ولى آرسلانشاه عرش السلطنة فى عام ٥٥٥ هـ ، بينما توفى المستنجد بالله فى عام ٥٦٦هـ .

(٣) يبدو أن هذه القطعة قد ضربت فى الفترة التى تقع بين ٥٧١ و ٥٧٥هـ ، لأن طغرل ولى العرش فى عام ٥٧١هـ ، بينما توفى المستضىء بالله فى عام ٥٧٥هـ .

وجهها) الله ، محمد رسول ، الملك المعظم اخستان بن منوجهر [١] (على ظهرها)

٤ ـ لا إله إلا الله محمد رسول الله ، الناصر الدين الله (كذا) أمير المؤمنين (على وجهها) الله ، محمد رسول ، الملك المعظم اخستان بن منوجهر شيروانشاه [٢] (على ظهرها) .

وهكذا نجد اخستان يدين بالولاء للخلافة العباسية ، ولدولة سلاجقة العراق إلى وقت سقوطها ، فى عام ٥٩٠ هـ .

وضبط تاريخ وفاة هذا الحاكم قد يساعدنا ـ إلى حد كبير ـ فى فهم وإثبات بعض الحقائق المتعلقة بنظامى ، وخاقانى ، شاعره الذى توفّر على مدحه .

والشىء الذى لاشك فيه ، هو أن اخستان كان حياً فى عام ٥٨٣ هـ ، كما يدلّ على ذلك ، النقش الذى اكتشفه خانيقوف[٣] . وهو بالفارسية ونصه ، كالتالى : « عالم ملك الإسلام شروانشاه اخستان بن منوجهر در بتاريخ (كذا) سنة ثلاث وثمانين وخمساية هجرية[٤] » .

وقد كان حياً فى عام ٥٩٠ هـ ، كما اتضح مما كُتِبَ على قطعة النقود الرابعة كما مرّ .

والملاحظ أنه لم ترد ، فى ديوان خاقانى ، أية إشارة إلى وفاة اخستان ، مما يُرَجِّح أنه تُوُفِّى بعد الشاعر . فلعل من المفيد أن نعرف تاريخ وفاة خاقانى ، لأن ذلك يساعدنا فى ضبط تاريخ وفاة ممدوحه .

---

(١) من المرجح أن هذه القطعة قد ضربت بين ٥٧٥ و ٥٩٠هـ. لأن الناصر لدين الله ولى الخلافة فى عام ٥٧٥ هـ ، بينما قتل طغرل فى عام ٥٩٠ هـ .

(٢) لم يذكر ، فى هذه القطعة ، اسم السلطان طغرل السلجوقى واكتفى بذكر اسم الخليفة الناصر لدين الله ، مما يرجح أنها ضربت بعد عام ٥٩٠ هـ ، أى بعد قتل طغرل وانقراض دولة سلاجقة العراق .

(٣) اكتشف خانيقوف هذا النقش فى قرية بزادنان فى شبه جزيرة باكو .

(٤) H. Hassan : Falaki -i- Shirwani, p. 13, from Khanikow Melanges Asiatiques, III p. 119.

ولكن تاريخ وفاة خاقانى ليس متفقاً عليه بين الباحثين ، وإن كان من المرجح ، أنه توفى بعد عام ٥٩٢ هـ ، لأن عطا ملك الجوينى قد ذكر فى تاريخه[١] أن السلطان تكش خوارزمشاه توجه ، فى عام ٥٩٢ هـ إلى العراق ، ثم سار إلى إصفهان ، وأن خاقانى قال قصيدة فى مدحه ، منها قوله : «البشرى لأن خوارزمشاه قد استولى على ملك إصفهان وملك العراقين ، كما استولى على ملك خراسان ، وقد جاوز نفوذه الأفلاك ، وسخر حد سيفه ملك سليمان[٢] » .

وقد ذكر اللودى ، أن خاقانى توفى فى عام ٥٩٥ هـ ،[٣] وهو تاريخ يمكن أن نقبله ، لأنه يتمشى مع ماسبقه ، وهو -إن صح - يرجح أن اخستان قد توفى بعد عام ٥٩٥ هـ ، كما يرجح - أيضاً - أن نظامى قد توفى بعد هذا التاريخ ، فقد ورد فى شعره رثاء للخاقانى .

وهناك نقش آخر[٤] بالعربية نصه كالآنى : « أمر بنا هذا (كذا) القلعة فى أيام الملك المعظم العادل المؤيد المظفر المنصور . . . فرُّخ الدنيا والدين . فرُّخ زاد بن منوچهر ناصر أمير المؤمنين الموقر . . . للدولة والدين . . . إسحاق ابن كاكا . . . لى أدام الله تأييده تاريخ سنة ستماية المرداد[٥] ماه » .

وهو يدل على أن فرخزاد بن منوچهر الثانى ، وأخا أخستان ، كان حاكماً فى عام ٦٠٠ هـ .

---

(١) عطا ملك الجوينى : جهان كشا ، ص ٣٨ — ٣٩ .

(٢) هذه ترجمة البيتين اللذين نقلهما الجوينى وهما قول خاقانى :

مزده كه خوارزمشاه ملك سپاهان گرفت　　ملك عراقين همچو خراسان گرفت
ماهچهٔ چتر أو قلعهٔ گردون گشود　　مورچه تيغ أوملك سليمان گرفت

(٣) أمير شير على خان لودى : مرآة الخيال ، ص ٣٠ .

(٤) اكتشف خانيقوف هذا النقش أيضاً ، فى قرية ماردكان فى شبه جزيرة باكو

(٥) H. hassan : Falaki -i- Shirwani, p. 32, from Khanikow Melanges Asiatiques, III p. 119.

وقد أشار نظامى إلى ابن أخستان على أنه كان ولياً للعهد[(١)] . وعلى هـذا لاندرى ، ما إذا كان هذا الابن قد ولى العرش ، فى الفترة ما بين ٥٩٥ ـ ٦٠٠ هـ ، أم لا ؟ ولو عرفنا هذا لأمكننا ضبط تاريخ وفاة أخستان ، الذى يرجح أنه توفى بين ٥٩٥ و ٦٠٠ هـ .

أما معلوماتنا عن العلاقات السياسية بين أخستان والأتابكة ، فهى لاتتعدى ماذكره الراوندى ، من أن السلطان مسعود قد أرسل إيلدكز مع طائفة من الجيش صوب أرّان ، فتمكن ـ فى مدة وجيزة ـ من الاستيلاء على أرّان ، وكنجه ، وشروان ، وباكو[(٢)] . ويبدو أن هذا قد حدث قبل عام ٥٤٧ هـ ، الذى توفى فيه السلطان مسعود .

وليس عندنا بعـد ذلك ، مايدلُّ على أن إيلدكز ، قد حارب أخستان أو استولى على جزء من ممتلـكاته .

ولعلنا نرى بعد هـذه النظرة السريعة ، أن حكام شروان لم يلعبوا دوراً كبيراً فى توجيه الحوادث فى القرن السادس الهجرى ، وأن الحوادث هى التى أثَّرَتْ فيهم ـ بحكم موقع شروان الجغرافى ـ وإن لم يكونوا هم قد أثروا فيها إلى حد كبير .

أما نظامى فقد ذكر أخستان ومدحه ، فصَوَّره فى صورة الملك القوى ، والبطل العظيم فقال : « إنه قائد جيش الملوك ، ومقدم السلاطين ، ملك العالم الأوحد ، صاحب العرش ، ورب البياض والسواد ، ذو الجلال والقدرة ، أى جلال

---

(١) نظامى : ليلى ومجنون ، ص ٣٨ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٥١٢ . وقد ورد ما يشبه هذا فى نص نقله هادى حسن فى كتابه فلكى الشروانى ، ص ٣٥ . عن نسخة خطية من كتاب أحسن التواريخ ، يفيد أن ايلدگز قد استولى على كل من گنجه وشروان .

الدولة والدين ، وهو أبو المظفر أعظم الملوك ، وزينة ملك الأقاليم السبعة [١] » .

ثم بيّن عراقة أصله فى قوله : « إنه من نسل بهرام ، فهو مشرق الوجه ، وهو ابن منوچهر العظيم ، وإن الملك متوارث فى هذه للطائفة منذ القدم ، فهم يتوارثون العرش كابراً عن كابر ، منذ عهد آدم [٢] » .

وطبيعى أن هـذا الـكلام من مبالغات الشعراء ، فهو لايتفق مع التاريخ الذي يثبت أن أخستان لم يكن عظيماً تلك العظمة التى صَوَّرها الشاعر .

والمهم أن هـذا المعسكر لم يكن ــ رغم ضعفه ــ هادئاً ، بل كان مسرحاً لـكثير من الحروب والمنازعات ، شأنه فى ذلك شأن غيره من المعسكرات التى ألممنا بها .

ونختم حديثنا عن الناحية السياسية ــ فى ذلك العصر ــ بعرض معسكرين كانت لهما ــ إلى جانب صبغتهما السياسية ــ صبغةٌ دينية ، وهما : المعسكر السنى ممثلاً فى العباسيين فى بغداد ، والمعسكر الشيعى ممثلاً فى الاسماعيليين فى إيران ، لنرى صلتهما بسير الحوادث .

---

(١) سرخيل سپــاه تاجداران سر جمـله جمـله شهر ياران
خاقان جهــان معــظم مطلق ملك الملــوك عالم
دارندۀ تخت پادشـاهى داراى سپيــدى وسيـاهى
صاحب جهت جلال وتمكين يعنى كه جلال دولت ودين
تاج ملـكان أبو المظفر زيبندۀ ملك هفت كشور
(نظامى : ليلى ومجنون ، ص ٣٠)

(٢) بهرام نـژاد ومشـترى چهر درّ صدف ملك منو چهر
زين طائفه تابدور أول شاهيش به نسل در مسلسل
نطفه اش كه رسيده گاه برگاه تا آدم هست شاه بر شـاه
(نفس المرجع والصفحة)

الفصل الثالث

المعسكران السنى والشيعى

١ — العباسيون فى بغداد:

إذا ألقينا نظرة على معسكر العباسيين ـ فى القرن السادس الهجرى ـ نجده ضعيف الشأن ، مختلّ الأوضاع ، فقد طغى فيه نفوذ الوزراء ، والأمراء ، وحكام الدول ، التى طفت على سطح الخلافة العباسية .

وكان نفوذ السلاجقة قوياً نافذاً ، فقد كان ظهورهم فترة متميزة فى التاريخ الإسلامى ، إذ أنه أدى إلى تلاشى هيبة الخلافة [١] ، بحيث أصبح الخليفة صورة جوفاء ، وألعوبة فى أيدى الولاة ، وصار لايملك حرية التصرف حتى فى شئونه الخاصة ، وظل وضع الخلفاء على هذا النحو من الضعف ، إلى أن زالت الدولة العباسية على يد المغول .

وكثيراً ما كان النزاع يَشُبُّ بين الخلفاء وسلاطين السلاجقة ، ويؤدى إلى قيام حروب بين الطرفين . ففى عام ٥٢٩ هـ ، شبت نيران الحرب بين المسترشد بالله العباسى ، والسلطان مسعود السلجوقى ، وانتهت بهزيمة الخليفة وأسره ، وبقائه حبيساً فى مراغة ، إلى أن هجم عليه جماعة من الاسماعيليين فقتلوه ومثلوا به [٢] .

وبويع ابنه الراشد بالخلافة ، فتوجه مسعود إلى بغداد ، حيث تجدد النزاع بين مسعود والراشد ، وسواء أكان سبب النزاع مطالبة مسعود للراشد بضريبة

(١) Lane-Poole : Mohammadan Dynasties, p. 139.

(٢) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٣٥٦ ـ ٣٥٧ ، البندارى : مختصر تواريخ آل سلجوق ، ص ١٧٤ ـ ١٧٨ ، مجمل القصص والتواريخ (مجهول المؤلف) ص ٤٥٣ ـ ٤٥٤ ، حمد الله مستوفى قزوينى : تاريخ گزيده ، ص ٤٦٥ .

كبيرة[١] ، أم رغبة الراشد فى الأخذ بثأر أبيه[٢] ، فإن الحرب قامت فعلاً بين الطرفين ، وحاصر مسعود بغداد خمسين يوماً ، بينما أمر الخليفة بحذف اسم السلطان السلجوق من الخطبة ، ولكن الدائرة دارت عليه فى النهاية ، فاضطر إلى الفرار إلى الموصل ثم هرب منها إلى مراغة ، ودخل مسعود بغداد ، وعيّن المقتفى خليفةً ، وأصبحت فى يده كل أمور الدولة . ثمّ توجه ـ بعد ذلك ـ لقتال الخليفة ، فهزمه فى مراغة ، ولكن الخليفة هرب إلى اصفهان ، حيث قتله الاسماعيليون[٣] .

وهكذا نرى كيف تدخل السلاجقة فى شئون الدولة العباسية وسيطروا على خلفائها ، وكيف سعى المسترشد والراشد إلى حتفهما ، حينما ناصبا السلطان السلجوق العداء .

وقد ظل مسعود صاحب الكلمة العليا ، إلى أن توفى ، فى عام ٥٤٧ هـ ، فانتهز الخليفة المقتفى فرصة وفاته ليتنفس الصعداء ، وحاول أن يستعيد استقلاله المسلوب ، ولكن الحرب لم تلبث أن قامت بينه و بين السلطان محمد فى عام ٥٥١ هـ ، فقد رفض المقتفى ذكر اسم محمد فى الخطبة ، فتقدم إلى بغداد وحاصرها ، ولكن أهلها استماتوا فى الدفاع عنها ، كما ثارت الاضطرابات فى آذر بيجان ، فاضطر محمد إلى رفع الحصار ـ كما مرّ ـ و بذلك زال الخطر السلجوق عن بغداد ، وانتصر الخليفة العباسى ، وكان أول من حكم مستقلاً عن سيطرة سلاطين السلاجقة منذ عهد المنتصر .[٤]

---

(١) ابن الأثير : الكامل ج ١١ ، ص ١٧ ، الجنابى : تاريخه (الباب الثامن عشر) .

(٢) صدر الدين الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ص ١٠٨ ، ابن النظام الحسينى : العراضة ، ص ١١٩–١٢١ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٢٨–٢٢٩ .

(٣) المراجع السابقة ، ونفس الصفحات المذكورة .

(٤) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٣٦٣ .

غير أن روح الغدر لم تلبث أن سيطرت على أبناء المقتفى ، فلم يكد يشرف على الموت ـ فى عام ٥٥٥ هـ ـ ويعين ابنه المستنجد خليفة له ، حتى ادعى ابنه الأصغر أبو على الخلافة ، فانقسم الناس قسمين ، وثارت الاضطرابات فى بغداد ، وحينئذ دَبَّرت والدة «أبى» على هذا مكيدة لقتل المستنجد ، ولكنه علم بما دُبِّر له فى الخفاء ، فاحتاط للأمر ، ففشلت الحيلة ، وسَجَن أبا علىّ وأمه ، وتولى الخلافة أحد عشر عاما[١] .

كما سيطرت روح الغدر على الأمراء وكبار رجال الدولة ، فقد حدثنا التاريخ أنه بعد موت المستنجد فى عام ٥٦٦ هـ ، خلفه ابنه المستضىء بالله . ولكن أمير أمرائه قطب الدين قيماز اغتصب السلطة منه ، وتصرّف فى كافة أمور الدولة ، ثم أراد ـ فى عام ٥٧٠ هـ ـ القبض على الوزير رشيد الدين العطار ، الذى لجأ إلى الخليفة ، وحينئذ أمر قيماز بنهب بيت الوزير ، بل ذهب به اعتداده بسلطته إلى السير ـ على رأس العامة ـ إلى قصر الخليفة محاولاً القبض على العطار ، وسمع الخليفة صياح العامة فأطل عليهم وصاح فيهم : « أيها الناس : لقد تجاوز قيماز حده ، فأمواله ـ الآن ـ لكم ، ودمه لنا » فلما سمع العامة كلام الخليفة هاجوا ، وتحوّلوا إلى بيت قيماز ، الذى فرّ إلى الموصل ، ليتجنب غضبهم ، ولكنه هلك فى الطريق من شدة الحرارة والعطش[٢] .

وقد توفى المستضىء بالله فى عام ٥٧٥ هـ ، فخلفه ابنه الناصر لدين الله ، غير أن الاضطرابات كثرت وانتشرت فى الممالك الإسلامية ، فكانت الحروب لا تخمد حتى تشتعل بين أفراد البيت السلجوقى ، و بين السلاجقة والأتابكة ، و بين الأتابكة والكرج ، و بين السلاجقة وملوك خوارزم ـ كما مرَّ ـ وكان الخليفة الناصر يشترك فى بعضها أحياناً ، فيؤيد خصما على خصم ، فقد رأينا كيف أيَّد

(١) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٣٦٧ — ٣٦٨ .

(٢) خواندأمير : دستور الوزراء ، ص ٩٤ - ٩٥ .

قزل آرسلان ضد السلطان السلجوقى ، ومَكَّنَه من الانتصار عليه ، وقد امتدت خلافته إلى أن شهدت سقوط الأتابكة ، وبدء هجوم المغول ، فإن النقود التى حفظت لنا عن عصره تدل على أنه كان حياً إلى عام ٦٢١ هـ (١) ، ويكاد يكون من الثابت أنه توفى فى عام ٦٢٢ هـ . (٢)

وهكذا نرى أن معسكر العباسيين السنى كان مزعزعاً مضطرباً ، لأن الخلفاء كانوا يمثّلون — فى أغلب الأحيان — دوراً ثانوياً فى توجيه الحوادث فى القرن السادس الهجرى ، ولكنهم كانوا قوة روحية ، لها أثرها فى حياة الناس ، فقد كانوا سنيين ، تلتف حولهم قلوب أهل السنة ، فى جميع أقطار العالم الإسلامى ، ويحاول الولاة أن يحصلوا على تفويض منهم بالخلافة ، فكانت شخصيتهم الروحية أقوى بكثير جداً من شخصيتهم السياسية .

وقد كان نظامى سنِّيا ، فمن الطبيعى أن يُشِيد بأهل السنة ، وأن يتعلق قلبه بالعباسيين ، وأن يكثر — فى منظوماته — من ذكر أئمة أهل السنة والإشادة بفضلهم (٣) .

٢ — الإسماعيليون فى ايران :

وإذا تركنا المعسكر السنى ، إلى المعسكر المناهض له من الناحية المذهبية ، فإننا نجده — فى ايران — ممثلاً فى الاسماعيليين الذين كانوا — فى ذلك الوقت — فى أوج قوتهم ونشاطهم ، وكانوا يلعبون دوراً خطيراً ، أثَّر فى حياة الناس تأثيراً ملحوظاً .

---

(١) Lane-Poole : Catalogue of Arabie Coins at Cairo, p. 104.

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ١٢ ، ص ٢٧٦ ، حافظ ابرو : زبدة التواريخ ، ص ٢٢٢ ب ، ابن الوردى : تاريخه ، ص ١٧٤ .

(٣) سأتحدث عن هذا بشىء من التفصيل فيما بعد ، فى أثناء الحديث عن مذهب نظامى الدينى .

وقد أخذت قوة الاسماعيليين تظهر وتزداد في عصر ملكشاه السلجوقي ، ثم تمكن زعيمهم حسن الصباح ، من الاستيلاء على قلعة الموت – في عام ٤٨٣هـ – وجعلها مقراً لطائفته ، وانضم كثير من الناس إليهم ، فقويت بذلك شوكتهم ، ولم يلبثوا أن تمكنوا من فتح كثير من قلاع خراسان ، كما فتحوا أكثر قلاع قهستان ، فأصبحوا معسكراً قوياً يُخْشَى خطره ، ويستطيع أن يوجِّه سير الحوادث ، خصوصاً في القرن السادس الهجري .

وقد وصل الاسماعيليون نسبهم بجعفر الصادق ، الامام السادس من أئمة الشيعة ، غير أنهم – فيما يبدو – تَصَرَّفُوا في العقيدة ، فزادوا ونقصوا في أحكام الإسلام ، حتى أبطلوها جميعاً [١] ، مما جعل خصومهم يسمونهم الملاحدة لما أحدثوه في أصول الدين من تحوير غيَّرها بل ألغاها [٢] .

وقد اعتبر الاسماعيليون كل من يقف في سبيل نشر مذهبهم كافراً يجب قتله ، فسفكوا – لذلك – كثيراً من الدماء ، وتَسَبَّبُوا في قتل عدد غير قليل من الخلفاء والقضاة والوزراء ، وحاولوا قتل كل من يخالفهم في الرأي ، حتى أحدثوا الرعب في قلوب الناس ، وكانوا مصدر قلق فكري لهم .

ومهما يكن من شيء ، فقد تظاهر حسن الصباح – في أول أمره – بالورع والتقوى والتمسك بمبادىء الدين ، وحاول أن يستفيد من المنازعات التي سادت بين أفراد البيت السلجوقي ، في توطيد دعائم معسكره حتى صار قوياً مرهوب الجانب ، ثم أخذ يُنَفِّذ آراءه في إباحة سفك دماء المخالفين ، والاستيلاء على أموالهم ، بعد وفاة ملكشاه ، فزاد نشاط الاسماعيلية في عهد بركيارق ، ومحمد ،

---

(١) الشبانكاري : مجمع الأنساب ، ص ٢٢٠ — ٢٢١ .

(٢) المرجع السابق ص ٢١٩ ، البيضاوي : نظام التواريخ ، ص ٨٣ ، الكريم الأقسرائي : مسامرة الأخيار ، ص ٤٧ — ٤٨ .

وسنجر ، وكان أشدّ ما يكون فى العصر الذى عاش فيه نظامى .

وقد جعل حسن الصباح ولاية عهده لوزيره بزرك أميد ، الذى خلفه بعد موته فى عام ٥١٨ هـ ، فنفّذ مبادئه ، ولم يستطع السلطان سنجر القضاء عليه ، بل إنه اضطُرّ إلى التنازل له عن بعض حقوقه فى الرى ، وطبرستان ، وقزوين ، فعَظُمت قوته ، واتسع نفوذه (١) ، وهو الذى تسبب فى قتل الخليفة العباسى المسترشد بالله .

وتُوُفِّى بزرك أميد ، فى عام ٥٣٢ هـ، فخلفه ابنه محمد ، وكان مخلصاً لِمُثُل سابقيه ، فأمر بقتل عدد كبير من الحكام والأشراف فقُتِل فى عهده الخليفة الراشد ، كما قُتِل قاضى قهستان ، وقُتِل داود بن السلطان محمود السلجوقى غيلة فى تبريز (٢) .

وقتل الاسماعيليون فى عهده « جوهر » حاكم الرى ، فخلفه عباس ، وكان أحد مماليكه ، وقيل إنه اجتهد فى قتلهم حتى أهلك عدداً كبيراً منهم ، وإنه بنى من رءوسهم مناراً أذّن عليه المؤذنون (٣) .

وكان الاسماعيليون يغتبطون بقتل الخلفاء والولاة ، حتى رُوِى أنهم احتفلوا أسبوعاً بمقتل الخليفة الراشد (٤) .

وتُوُفِّى محمد بن بزرك أميد فى عام ٥٥٥ هـ ، فخلفه ابنه الحسن الذى كان أعلى مرتبة من أبيه فى التعصب ، فأَوَّلَ أحكام الإسلام وأطلق للناس العنان ، يفعلون مايشاءون ، وصنّف كتباً كثيرة تتعلق بمذهبهم ، كانت مملوءة بالخرافات ، والألفاظ المعسولة ، وادّعى أنه كان لاينطق عن الهوى ، وإنما هو وحى يوحى إليه ،

(١) الشبانكارى : مجمع الأنساب ، ص ٢٢٥ .

(٢) البندارى : مختصر تواريخ آل سلجوق ، ص١٩٥ ، صدر الدين الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص١١٤ .

(٣) البندارى : مختصر تواريخ آل سلجوق ، ص ١٩٢ .

(٤) Darab : Makhzanol Asrar, p. 85.

فراق قوله فى أعين العامة ، واستطاع أن ينشر مبادئه بينهم ، فادعى أن التكاليف الشرعية قد رُفِعت عن الناس . فرفع عنهم الصوم ، وأباح لهم الخمور لأنها كالماء لاضرر من شربها ، كما أباح لهم الزنا ، مادام برضا طرفين يسود بينهما الحب .

وقد انتشرت هذه التعاليم فى سيستان ، وقهستان ، فقوى أمر الاسماعيليين فى عهده إلى أن توفى فى عام ٥٦١ هـ (١) ، فخلفه ابنه محمد الذى لم يكتف بتعاليم والده ، بل أسبغ على نفسه صفات الألوهية ، فكان إذا أرسل إلى ملك رسالة تحدث عن نفسه بقوله : «الخالق الرحمن القادر (٢)» . وأرسل رسله إلى كل مكان فى العالم الإسلامى لقتل الحكام والأشراف ، الذين وقفوا حجرة عثرة فى سبيل نشر المبادىء الاسماعيلية (٣) ، فقتل الكثير .

وقد ساعده على تنفيذ سياسته ضعف الدولتين العباسية والسلجوقية ، وطول مدة حكمه الذى امتد إلى عام ٦٠٧ هـ ، وقيل إن ابنه كان مخالفاً لآرائه وتعاليمه الدينية ، فدسَّ له السم ليتخلص منه (٤) .

وقد اتهم الاسماعيليون فى عهده بقتل قزل آرسلان أتابك آذر بيجان (٥) ، كما قتلوا مسعود بن على وزير خوارزمشاه ، فى عام ٥٩٦ هـ (٦) .

وهكذا نلاحظ أن نشاط هذه الطائفة قد ازدادت خطورته فى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى .

وتعتبر هذه الفترة أهمَّ فترة فى حياة نظامى ، فقد نظم فى خلالها جميع منظوماته ، واتصل بكثير من الحوادث عن قرب ، ولاشك أنهم كانوا مصدر فزع ورعب

---

(١) الشبانكارى : مجمع الأنساب ، ص ٢٢٦—٢٢٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .

(٥) حمد الله مستوفى قزوينى : تاريخ گزيده ، ص ٤٧٦ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ج ١٢ ، ص ١٠٤ ، ابن الوردى : تاريخه ج ٢ ، ص ٧٩ .

له ولغيره من السنيين ، وربما أثّر هذا الرعب فى تصرفاته ، وقد ظهر كرهه لهم حينما حذّر بهرا مشاه حاكم أرزنجان ، منهم ، فقال : «إن راية اسحق عالية بفضله ، وعدوّه ـ إن وُجِد ـ اسماعيلى »[١] .

وقد انهار معسكر الاسماعيليين على يد هولاكو المغولى ، الذى أمر بتحطيم جميع قلاعهم ـ وخصوصا ألموت وميمون دز ـ كما أمر باستئصال شأفتهم[٢] . وكان ذلك فى عام ٦٥٤ هـ ، كما ضبطه الكريم الأقسرائى ببيتين ، ترجمتهما : « لما أصبحت سنة العرب أربعا وخمسين وستمائة ـ قام خورشاه ملك الاسماعيليين ، من على عرشه ، فى فجر يوم الأحد الموافق غره ذى القعدة ، ووقف ذليلاً بين يدى هولاكو »[٣] .

ومهما يكن من شىء فإن معسكر الاسماعيليين كان يُشِيع الرعب ، ويساعد على الاضطراب .

ولعلنا أدركنا بعد استعراض مختلف المعسكرات ، التى تتصل بموضوع دراستنا أن الأحوال السياسية فى عصر نظامى كانت قلقة غير مستقرة ، تبعث على الخوف والتشتت وبلبلة الأفكار ، مما جعل حياة الناس مضطربة مهددة ؛ فأشاع فيهم النفاق ، وحبّب بعضهم فى العزلة والانزواء .

ونكتفى بهذا القدر ، فى الناحية السياسية ، لنعرض للنواحى الأخرى من اجتماعية ، وفنية ، ودينية ، ونرى مبلغ تأثرها بالأحوال السائدة فى ذلك العصر .

---

(١) هذه ترجمة قول نظامى فى مخزن الأسرار ، ص ٣٣ :

رايت اسحق أزو عاليست ضدش اگرهست سماعيليست

(٢) الشبانكارى : مجمع الأنساب ، ص ٢٢٨ — ٢٣١ .

(٣) ذكر الكريم الأقسرائى هذين البيتين فى مسامرة الأخيار ، ص٤٧-٤٨ وهما :

سال عرب چوششصد وپنجاچهارسال يكشنبه بود غرهٔ ذى قعده بامداد

خورشاه پادشاه سماعيليان زتخت برخاست پيش تخت هولاكو بايستاد

الفصل الرابع

النواحى الاجتماعية والفنية والدينية فى عصر نظامى

١ — الناحية الاجتماعية :

امتاز القرن السادس الهجرى بكثرة ماحدث فيه من التغيرات ، نتيجة لقيام بعض الدول وسقوط البعض الآخر ، وقد رأينا كيف اشتد أوار الحروب بين هذه الدول ، بلا انقطاع تقريبا . وطبيعى أن هذه الحالة كانت لها آثارها فى حياة الناس الاجتماعية ، فقد جعلتها متقلبة غير مستقرة .

كما كانت لسيطرة العنصر السلجوقى ، على إيران والعراق وما جاورها من الأقطار الإسلامية ، آثارٌ واضحة فى الحياة الاجتماعية ، فقد كان السلاجقة عنصراً جديداً ، يخالف السامانيين فى أنهم لم يألفوا حياة المدن والاستقرار من قبل[1] . وكان سلاطين السلاجقة الأولين غير مثقفين ، مما جعلهم فى احتياج إلى كثير من الموظفين ليستعملوهم فى المهام المختلفة[2] ، فبرزت بذلك طبقة الموظفين وازداد نفوذ بعض أفرادها تبعاً لأهمية مناصبهم ، أو لصلتهم بالسلطان السلجوقى .

وكانت علاقة السلاطين بالجيوش معقدة للغاية ، فقد أدت سيطرة السلاجقة إلى وفود عدة قبائل ـ من عنصرهم ـ إلى إيران وغيرها من الممالك الإسلامية ، واضطرَّ السلاطين ـ أحياناً ـ إلى إعطاء أفراد هذه القبائل مرتبات مثل الجنود . ولكنها كثيراً ما كانت مصدر فتنة وقلق ، خصوصاً فى الوقت الذى

(١) نظامى عروضى سمرقندى : چهار مقاله ، ص ٢٣ — ٢٤ ، بهار : سبك شناسى ج ٢ ص ٢٤٥—٢٤٦

(٢) برتلس : نظامى شاعر آذربيجان العظيم ، ص ١٣ .

كان السلاطين يحرمون أفرادها من مرتباتهم[1] ، فكانت القبائل تساعد على ازدياد الحالة سوءاً واضطراباً .

ومن الظواهر الاجتماعية الجديرة بالملاحظة — فى ذلك العصر — ظهور أهمية المدن ، وازدياد تلك الأهمية بمرور الزمن ، حتى صارت لبعض المدن شخصية واضحة مستقلة لها مقوماتها ومميزاتها ، كشروان ، وتبريز ، ومراغة ، كما ظهرت أهمية الثغور ، كأرزنجان وكنجه وما شابههما ، لأن هذه الثغور كانت تؤدى واجباً دينياً مقدساً ، هو صد أعداء الإسلام ، من الكرج والروم ، عن الديار الإسلامية مما أضفى عليها وعلى حكامها أهمية كبيرة ، وجعل ولاة الثغور موضع تقدير المسلمين ومدح الشعراء والكُتَّاب .

وقد تبع هذا ظهور عدة طقبات فى كل مدينة ، كالعظماء ، والأشراف ، والتجار ، والعمال ، والصناع ، والفقراء ، وقد كَثُرَت طبقة الصناع فى بعض المدن ، وكانت الصناعات تتناسب مع كل مدينة .

ويبدو أن الصوفية قد وجدوا مرتعاً خصباً بين طبقات العمال والصناع والفقراء ، فنشروا تعاليمهم بينهم ، وضموا الكثيرين منهم إلى صفوفهم[2] . وكانت إحدى فرق الصوفية ، وهى فرقة « الأخية » ، تستعمل السلاح كوسيلة لأخذ حقها ، وإصلاح المجتمع ، مما جعلها أكثر تمشياً مع نفسية سكان الثغور ، فانضم كثير منهم تحت لوائها[3] .

وطبيعى أن هذه الحالة قد جعلت طبقة الصوفية تظفر باحترام الناس والحكام ، فارتفع شأن رجالها ، وعظم تأثيرهم فى حياة الناس .

---

(١) برتلس : نظامى شاعر آذربيجان العظيم ، ص ١٤ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٥ .

(٣) سيأتى الحديث عن فرقة الأخيـة فيما بعد لأن نظامى كان فى أغلب الظن متصلا بهم .

وكان لانتشار تعاليم الصوفية أثر فى إنماء الشعور بحب الوحدة والانزواء ، بسبب حالة القلق التى سادت حياة الناس، فجعلتهم لا يطمئنون لبعضهم البعض ، فشاع الشك وعدم الاخلاص وانعدمت المُثُل الأخلاقية القويمة [١] .

وهكذا أثّرت الناحية السياسية فى حياة الناس الاجتماعية ، وكَيَّفَتْها حسب مقتضياتها .

٢ — الناحية الفنية :

وأقصد بالفن — هنا — الفنّ بمعناه الواسع ، الذى يشمل الأدب ، والنقش ، والتصوير ، والصنعة والمعمار ، وما شابه ذلك .

والملاحظ أن الفن قد راج فى ذلك العصر ، رواجاً واضحاً ؛ فقد ارتقى فن النقش ، والتصوير ، والصنعة ، والمعمار ، فى العصر السلجوقى ، لأن السلاجقة كانوا يعشقون الفنون الجميلة ويرعونها ، وقد امتد تأثيرهم ، فى هذه الناحية ، إلى عصر المغول [٢] .

وقد كان لبداوة السلاجقة أثرٌ فى رواج الفنون ، فقد شغفوا بالمبانى الفخمة، والنقوش الجميلة ، واللوحات المزخرفة، التى كانت ترضى ذوقهم وتسُدُّ حاجتهم النفسية.

ويبدو أنهم كانوا قد تعلموا — قبل فتحهم لإيران — فنّ الصنعة والمعمار من الغزنويين ، وكان سلاطين السلاجقة أنفسهم يحمون الفنون ويُشَوِّقُون عليها [٣] ، فبَقِيَتْ روائع الفن الإيرانى منذ عهد السلاجقة ، ويعتقد كثير من العلماء أن الفن الإسلامى ، قد وصل إلى أعلى درجاته فى عهدهم ، وأن الآثار الباقية ، منذ ذلك العهد ، قليلة النظير فى تاريخ الفن الإيرانى [٤] .

---

(١) سأتناول هذه المسألة بشىء من التفصيل فى أثناء الحديث عن الناحية الدينية

(٢) كريستى ويلسن : تاريخ صنايع إيران (ترجمه فريار) ، ص ١٤٢ .

(٣) M. S. Dimand ; A Handbook of Mohammadan Art, p. 173.

(٤) كريستى ويلسن : تاريخ صنايع إيران ، ص ١٤٢ .

ولم يظل الفن حياً مقروناً بالعشق والابتكار فى داخل إيران وحدها ، بل بسطت فتوح السلاجقة أصول الفن الإيرانى إلى سواحل البحر الأبيض وشمال إفريقية ، مما جعل آثار الفنون الإيرانية تُرَى فى مصر ، وسورية ، بعد ذلك بعدة قرون[١] .

وقد امتاز الفن عامة بميله إلى حب التفنن والتصنع ؛ فوضحت هذه الظاهرة فى شعر نظامى ، كما أخذ كثيراً من استعاراته من الفنون الجميلة .

أما الناحية الأدبية ؛ فقد ظهر فيها لون جديد من ألوان الأدب ، يمكن أن نسميه أدب المدينة .

فالملاحظ أن الآداب ، فى القرون التى سبقت ذلك العصر ، كانت تنقسم إلى قسمين :

١ ـ الأدب المكتوب ، أو أدب الطبقات الحاكمة .

٢ ـ الأدب الشفوى[٢] ، أو أدب الشعب .

ثم ظهر نوع جديد ، هو أدب المدينة ، أنتجته ظاهرة جديدة ، هى ظهور المدينة كبيئة مستقلة لها خصائصها ، وكان هذا النوع قوياً فى القرن السادس الهجرى .

وقد تنبه القدماء أنفسهم إلى هذه الظاهرة ، فقسّموا الآداب بحسب المدن ، فعوفى فى لباب الألباب ـ مثلاً ـ قد قسم الشعراء بحسب المدن والأقاليم . فذكر نظامى ضمن شعراء قم ، وهذا هو عين مافعله لطفعلى بيك فى آتشكده .

وقد اتخذت آداب المدن صورة واضحة مميزة فى عصر نظامى ، لأن حكام المدن اجتهدوا فى جمع الشعراء والكتاب حولهم ، حتى يظفروا بمدحهم والتّغنّى بفضائلهم .

---

(١) كريسق ويلسن : تاريخ صنايع إيران ، ص ١٤٣ .

(٢) برتلس : نظامى شاعر آذربيجان العظيم ، ص ١٦ .

ولكن آداب المدن كانت تحت تأثير آداب البلاط ، فكان شعراء المدن وكتابها يستعملون نفس الأسلوب ـ الذى يُسْتَعْمَل فى مدح السلاطين ـ فى مدح حكام المدن ، بنفس الطريقة تقريباً ، غير أن شخصية المدينة ، وما فيها من عادات وتقاليد ، كانت تظهر فى آثارهم بين الحين والحين (١) .

وأكبر الظن أن الآداب السلطانية قد بقيت ـ فى العصر السلجوقى ـ دون تغيير كبير ، بينما شاعت اللغة الفارسية فى الهند وآسيا الصغرى ، ولكن السلاجقة لم يهجروا لغتهم ، بل كانوا يستعملونها فى مجالسهم الخاصة ، ومع ذلك فقد ظلت الفارسية من علامات الطبقة الحاكمة ، وظهرت أهميتها فى بلاد كانت فيها آداب قومية كبلاد الأرمن وبلاد الكرج ، فظهرت آثارها فى تلك الآداب(٢) .

ويبدو أن شعر البلاط قد راج فى شروان رواجاً كبيراً ، فقد حرص حكام شروان على جمع الشعراء حولهم للإشادة بذكرهم ، حتى يشتهروا عن طريقهم ، وكان أبو العلاء الكنجوى يعتبر رئيس الشعراء الذين أحاطوا بمنو چهر ثم بابنه اخستان من بعده(٣) .

ولعل مما يؤسف له ، أن ديوان أبى العلاء ليس بين أيدينا ، وإنما توجد نماذج من شعره فى كتب التذاكر ، ويبدو أنه كان يتمتع بمكانة عظيمة فى ذلك البلاط .

غير أن حياة شعراء البلاط لم تكن خالية من المشكلات فقد اتُّهِمَ أبو العلاء بأنه أعطى معلومات عن البلاط لأعداء شروان ، وفقد بذلك عطف البلاط ، ولم يُجْدِ دفاعه عن نفسه شيئا ، فأخذ يتحدث عن ضياع الحقيقة وانعدام الوفاء ، فى وقت كان فيه فى الخامسة والخمسين من عمره ، وهكذا يبدو أن شعراء

---

(١) لن أسرف فى ذكر الأمثلة والشواهد مكتفياً بما ورد فى شعر نظامى مما سيرد ذكره .

(٢) برتلس : نظامى شاعر آذربيجان ، ص ١٦ — ١٧ .

(٣) أمين رازى : هفت إقليم ، ص ٥٢١ ا .

البلاط كثيراً ما كانوا يقومون بأدوار سياسية .

وقد أثَّرَت روح العصر فى إبراز ظاهرة هجاء التلاميذ لأساتذتهم ، والوشاية بهم ، فرأينا الخاقانى تلميذ أبى العلاء يهجو أستاذه ويشى به فى البلاط ، ويتهمه بأن له علاقات بالاسماعيليين ، حتى يجد لنفسه طريقاً فى البلاط . وقد آل أمر الخاقانى نفسه إلى السجن فأثَّرَ فى مجرى حياته ، بعد ذلك ، تأثيراً كبيراً .(١)

كما كان فلكى الشروانى موضع هجوم أثير الدين اخسيكتى وأديب صابر ، وانتهى أمره بالسجن أيضا ، وقد روى أنه خرج من السجن هيكلاً عظمياً فأدّى هذا إلى مرضه وسرعة وفاته (٢) .

ولعل ماحدث للخاقانى وفلكى الشروانى كان له أثره فى نفس نظامى ، فكان كثيراً مايشير إلى خطورة خدمة البلاط كما سيأتى .

وكان للأتابكة شعراء وكُتّاب ، ومن أهم شعرائهم مجير الدين البيلقانى ، غير أن شعره ضائع ، فلا نستطيع تقدير درجته الشعرية تقديراً دقيقاً ، وإن كان أمير خسرو الدهلوى يُفَضِّلُه على الخاقانى ، ويعتبره أشعر منه (٣) .

وقد كان مجير الدين يشعر بما فى حياة البلاط من كذب وزيف ونفاق ، ويعتقد أن الإنسان يجب أن يكون كالعود يعطى سكرا فى حياته ، ويُصْدِرُ نغماً حلوًا بعد وفاته .

وكانت القصيدة هى النموذج الشعرى لشعراء البلاط ويعتبر أنورى وخاقانى من أبدع شعراء هذا الفن (٤) .

(١) أمين رازى : هفت إقليم ، ص ٥١٠ ا ، ب .

(٢) المرجع السابق : ص ٥١٧ ا .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٢٥ ا ، ب ؛ ويقول محمد باقر إصفهانى فى روضات الجنات ، ص ٧٨ ، إنه كان تلميذ خاقانى ونظامى .

(٤) لا أجد ضرورة للاسراف فى ذكر الأمثلة ، لأننى أتناول الناحية الأدبية ، كوسيلة تساعد على فهم نظامى وشعره وتكفى معرفة الاتجاهات الأدبية بصفة عامة مختصرة ، ويعتبر شعر نظامى ، الذى سيرد الحديث عنه ، أوضح شاهد على روح عصره .

وشعر البلاط إن وصف بشيء، فإنما يوصف بأنه الشعر الذى تختفى فيه شخصية الشاعر إلى حد كبير، لتظهر شخصية الممدوح واضحة جلية.

أما الأدب كصناعة؛ فقد امتاز بما امتاز به الفن عامة، فى ذلك العصر، من ميل إلى التفنن، فالشاعر أو الناثر كان لا يكتفى بصب أفكاره فى قوالب جميلة من الألفاظ، بل كان يحاول أن يرسم على هذه القوالب من النقوش والزخارف ما يجعل منظرها رائعاً بديعاً، فامتلأ الأدب بالمحسنات اللفظية والتشبيهات والاستعارات والكنايات وماشابهها، وراقت هذه الأشياء فى أعين الناس فأكثر الشعراء والكتاب منها، وطغت على بعض الأشعار، فجعلت فهمها صعباً مما سأتحدث عنه، فى أثناء الحديث عن مزايا فن نظامى.

وقد تأثرت الناحية الأدبية بالناحية الدينية، فلنعرض لهذه الناحية الأخيرة لنرى مبلغ تأثيرها فى سابقتها.

٣ — الناحية الدينية:

تأثرت الحياة الدينية، فى القرن السادس الهجرى، بما ساد الحياة السياسية من اضطراب وتشتت ومنازعات، فكان من أهم ظواهرها شيوعُ التعصب والخرافات، وكثرة النزاع بين الفرق الإسلامية المختلفة، وعداوة أهل العلم بعضهم للبعض الآخر، وغلبة الجفاف على المباحث العلمية والفلسفية، واستخدام العلم والفلسفة أداة للمجادلات المذهبية، وجعل المباحث العلمية محدودة داخل نطاق الإحساسات المذهبية. (١)

وكانت هذه الأوضاع سبباً فى انحراف العلم عن محوره الحقيقى، الذى هو البحث عن حقائق الأشياء، فشاع ضيق النظر، وأصبحت الحكمة والفلسفة خادمتين لمجادلات أصحاب المذاهب ومناظراتهم.

---

(١) قاسم غنى: تاريخ تصوف در إسلام، ص ٤٦٤.

وقد بدأت هذه الظواهر تتضح فى القرن الخامس الهجرى ، حتى ثار الغزالى — فى أواخر ذلك القرن — فى وجه الفلاسفة ، وأخذ فى تسفيه أحلامهم وتكفيرهم فى كتابه « تهافت الفلاسفة [1] » . كما ذكر القفطى أن معاصرى عمر الخيام تناولوه بالقدح فى دينه ، حتى ترك نيشابور وذهب إلى الحج ، وكان — بعد رجوعه من مكة — يخفى أسراره ويتظاهر برعاية ظواهر الشرع [2] .

وعلى هذا الأساس يحسن أن نُلِمَّ بهذه الأشياء بصورة مختصرة منذ القرن الخامس الهجرى ، قبل أن نعرضها فى صورتها فى القرن السادس ، لأن جذورها تمتد إلى ذلك القرن .

لعل من الأشياء الجديرة بالملاحظة — فى القرن الخامس — رواج سوق الأشاعرة ، وكثرة الحروب بين أهل السنة والشيعة ، فقد فتح كل فريق منهم مدارس ، ورتَّب مجالس للدرس . وكان هدف كل منهم رواج المذهب الذى يتَّبعه ، والانتصار على أعدائه .

وقد كثرت الفرق الإسلامية ، وحاولت كل فرقة تخريب مدارس الفرقة الأخرى ، وكانت تعتبر ذلك العمل قربى إلى الله ، كما حاول كل فريق أن يسفك دماء مخالفيه ، حتى يظفر بالمثوبة من الله .

وقد اشتد النزاع المذهبى بين الشيعة ، والسنة ، والأشاعرة ، والمعتزلة ، والاسماعيلية ، كما ظهر النزاع بين مذاهب أهل السنة المختلفة ، وخصوصاً بين الشافعية ، والحنفية ، وكان النزاع بين هذه المذاهب المختلفة يتطور إلى درجة الحرب أحياناً [3] .

وقد ذكر ابن الأثير — فى حوادث عام ٤٠٧ هـ — شيئاً عن قتل الشيعة

---

(١) الغزالى : تهافت الفلاسفة ، ص ٣ — ٤ .

(٢) القفطى : تاريخ الحكماء ، ص ١٦٢ — ١٦٣ .

(٣) قاسم غنى : تاريخ تصوف در إسلام ، ص ٤٦٨ .

بإفريقية ، كما أشار - فى حوادث عام ٤٠٨ هـ - إلى النزاع بين أهل السنة وأهل محلة الكرخ الشيعة ، ثم تحدّث عن النزاع بين السُّنة والشيعة ، وتخريب السنيين منازل الشيعة وأبنيتهم حتى قبور كاظمين ، وذلك فى حوادث عام ٤٢٣ هـ ، وذكر مثل هذا النزاع فى حوادث عام ٤٤٤ هـ ، وقال إنه امتد إلى عام ٤٤٥ هـ . مما يدلُّ على أن الاضطراب السياسى قد حالفه اضطراب دينى ، ونزاع مستمر بين الفرق الإسلامية ، وأصحاب المذاهب المختلفة ، وقد ساعد هذا بدوره على بلبلة الأفكار وتَفَرُّق المسلمين ، وغلبة موجة التعصب ، التى بلغت أقصى قوتها فى القرن السادس الهجرى المتصل ببحثنا .

ولكنَّ فرقة واحدة بقيت بعيدةً عن التعصب إلى حدما ، ألا وهى فرقة الصوفية ، فقد كان الصوفية يمتازون بسلامة الفكر والعفة والأخلاق المحمودة ، كما كان أفق تفكيرهم أوسع بكثير من غيرهم من المتعصبين ، فأكسبهم هذا حُبَّ كثير من الناس وأخذ نفوذهم يزداد ويقوى ، وبدأ يظهر فى الأدب منذ القرن الخامس ، ثم ازداد حتى أصبح له نوع من الشمول فى القرن السادس ، واستمر بعد ذلك فى القرنين السابع والثامن ، حتى كدنا لا نجد شاعراً غير معنى باصطلاحات التصوف والعرفان .

ويمكن أن نحس بهذا الأثر إذ قارنَّا بين أدب القرن الرابع مثلاً ، وأدب القرون التالية ، وخصوصاً القرن السادس ، فقد كان أدب القرن الرابع خالياً من الصنعة والتكلف سهل الفهم ، كما كان خالياً - تقريباً - من المعانى المجازية والاستعارات والكنايات الإشراقية والصوفية ، ومن شطحات هؤلاء ، فى حين أنه امتلأ بهذه الأشياء منذ القرن الخامس ، فأبعدته عن فهم جمهور العوام ، وبعض الخواص ، وقد ازداد نفوذ التصوف فى الشعر ، حتى أصبحت نغمة جزء كبير منه مستمدة من التصوف .

وقد يبدو هذا طبيعياً ؛ لأن التصوف مذهب والشعر لسان القلب[١] .

ومن المقرر أنه ليس للعقل والاستدلال طريق إلى فضاء العشق والشوق ، الذى يسبح فيه خيال الصوفى ، فواضح ـ إذاً ـ أن اللغة التى تستطيع أن تترجم عن هـذا هى لغة العشق والإحساسات أى الشعر ، ويرى البعض أن صياغة الشعر ممزوجاً بالأفكار الصوفية هى التى أعطته رونقاً ، وكانت سبباً فى إنتاج أجمل الأشعار الفارسية[٢] .

وقد كان الصوفية موضع احترام الناس والأمراء والسلاطين ، لبعدهم عن المجادلات المذهبية . فقد رُوِىَ أن السلطان محمود الغزنوى زار الشيخ أباالحسن الخرقانى عند توجُّهه إلى الرى[٣] . كما رُوِىَ أن السلطان طغرل السلجوقى ذهب لرؤية بابا طاهر العريان فى همدان[٤] . وما ذلك إلاّ لأن الصوفية كانوا يصبغون تعاليمهم بالصبغة الدينية ، ويزهدون فى الدنيـا ، وحطامها الزائل ، ويبتعدون عن مصاحبة الملوك والأمراء وأصحاب الجاه والسلطان ، راضين بالزهد والقناعة . كما كانوالايتدخلون فى النزاع بين الفرق المختلفة مستعملين سياسة السلام مع الجميع[٥] .

وقد اشتدّ النزاع بين الفرق فى القرن السادس ، وأذكت نيرانَه الحروبُ الصليبية ، وضعفُ مركز الخلافة الإسلامية ، وتشكيلُ حكومات شبه مستقلة ، ونزاع أمراء الإيالات المختلفة بعضهم مع البعض الاخر ، ممـا أدّى إلى خراب الممالك الإسلامية فى النهاية ، وانقراض الخـلافة على يد المغول فى القرن السابع الهجرى . وقد أدّى كل هذا إلى انعدام المثل الأخلاقية .

---

(١) قاسم غنى : تاريخ تصوف در إسلام ، ص ٤٧١ — ٤٧٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٧٢ .

(٣) السمعانى : الأنساب (نسب الخرقانى) ، ص ١٩٥ ؛ العطار : تذكرة الأولياء ، نيمهٔ دوم ، ص ١٥٩ — ٢٠٠ ؛ غلام سرور : خزينة الأصفياء ، ص ٥٢٤ — ٥٢٦ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٩٨ — ٩٩ .

(٥) قاسم غنى : تاريخ تصوف ، ص ٤٧٣ — ٤٧٥ .

وقد استفاد الصوفية من هذه الأوضاع ، فبثُّوا تعاليمهم الدينية ، التي تهدف إلى تهذيب النفوس ، فأصبح الغرض من البحث العلمي ـ في القرن السادس ـ هو الوصول إلى السعادة الأخروية ، وكان شعار المتعلم «أول العلم معرفة الجبار وآخره تفويض الأمر إليه [١]» .

وقد أشاع النزاع بين الفرق التعصبَ وضيقَ النظر بصورة واضحة غالبة ، فالكتب والأشعار التي حُفِظَتْ لنا عن هذا القرن ، تَدُلُّ على أن كُتَّابه وشعراءه كانوا ـ بصفة عامة ـ متأثرين بما شاع في عصرهم ، فكان التظاهر بالفضل مصحوباً بالغرور النفسي ، إلى غير ذلك من مظاهر ضيق النظر ، واضحاً في آثارهم .

كما كان لنفوذ العلوم الدينية ، وشيوع المباحث المذهبية ، ومعرفة شعراء الإيرانيين وكتابهم باللغة العربية وآدابها ، أثرٌ واضح في محاولة تقليد اللغة العربية ، ومحاكاة فنونها .

وقد تجلَّت هذه الظاهرة في القرن السادس أكثر مما سبقه من القرون ، فإن شعراء القرن الرابع وكُتَّابه لم يكن لهم نفس التعمق ، الذي لاحظناه في القرن السادس ، رغم معرفتهم التامة باللغة العربية ، وتأثرهم بالفكر العربي .

ومن خصائص هذا القرن ـ أيضاً ـ الغلو والمبالغة في الموضوعات المذهبية ، كحمد الله والثناء عليه ، ومدح الرسول وأصحابه ، وذكر المعراج ووصف البراق . نلاحظ ذلك في أشعار نظامي ، وخاقاني ، وجمال الدين بن عبد الرزاق ؛ ونضرب مثلاً بنظامي ، فقد استغرق ذِكْرُ هذه الأشياء أكثر من ثلاثين صفحة من منظومته الأولى «مخزن الأسرار» أي مايقرب من سدسها .

كما أدَّى اضطراب الأوضاع في الممالك الإسلامية إلى تَزَلْزُل الروح المعنوية ، وخوف الناس ، وتوقعهم الموت أو الأسر ، مما أدَّى إلى فساد الأخلاق وانعدام

---

(١) قاسم غني : تاريخ تصوف ، ص ٤٨٢ .

الفضائل كما ذكرنا ، فأصبحنا نجد أغلب شعراء ذلك القرن يُكثرون من الحديث عن انعدام المروءة،وضياع الوفاء ، وانقلاب الأوضاع ، وإبدال الأمانة بالخيانة ، والمحبة بالعداوة ، والإنسانية بالجفاء ، وتحيُّر العلماء ، وابتلاء الفضلاء ، ويذمّون الاختلاط ، ويدعون إلى الوحدة والانزواء .

فهذا عبد الواسع الجبلى – مثلا – يقول : « نُسِخ الوفاء ، وانعدمت المروءة ، ولم يبق منهما إلا الاسم ، كالعنقاء والكيمياء ، لقد صارت الأمانة خيانة ، والذكاء سفهاً ، والصداقة عداوة ، والإنسانية جفاء ، وانعكست آداب الخلق جميعها ، بسبب هذا العالم البخيل ، والفلك عديم الوفاء ، فكل عاقل قد امْتُحِن فانتحى زاوية ، وكل فاضل قد صار مبتلى بداهية [(1)] » .

وكان من علامات ضيق النظر ، اشتغال الشعراء والكتاب – غالباً – بالمسائل الشخصية التافهة ، لا بالمسائل العامة العظيمة . فعُنِى الشعراء بالجزئيات وشُغِفوا بذمّ طريقة مخالفيهم ، وصرفوا أوقاتهم وتفكيرهم فى الهجاء والقدح ، وراج بين الشعراء مدح النفس ، وإظهار الفضل ، والعلم ، والغرور ، والمفاخرة ، وأمثال هذه الأشياء مقرونةً بالشكوى من بقاء قدر الشاعر مجهولاً ، وشغلت هذه المسائل جزءاً كبيراً من أشعار الشعراء فى ذلك العصر .

فهذا نظامى يقول فى الفخر: « إنى – بفضيلة المعانى – ملكٌ لملوك الفضل ، فقد أحاطت شهرتى بالآفاق كإحاطة السماء ؛ فصوت شعرى العالى هو ناقوس

---

(١) هذه ترجمة قول عبد الواسع الجبلى :

منسوخ شد مروت ومعدوم شد وفا وزهر دو نام ماندچو سيمرغ وكيميا
شد راستى خيانت وشد زيركى سفه شد دوستى عداوت وشد مردمى جفا
گشته است بارگونه همه رسمهاى خلق زين عالم نبهره وگردون بى وفا
هر عاقلى بزاويهٔ مانده ممتحن هر فاضلى بداهيهٔ گشته مبتلا

(قاسم غنى : تاريخ تصوف ، ص ٤٨٧)

صيتى الرنّان ، وقلمى يغزو العالم وكأنه علم فاتح ، وقد ضارعت عظمتى عظمة الملك كيقباد ، وجاوز نفوذى عنان السماء ، فأنا مؤيِّد الكلام فى عالم الفصاحة ، ماطرَق أحد غيرى باب السعادة ، إن مكاتباتى تُشرِّف ابن مقلة ، ونظمى يُحيِّر ابن هانىء ، فانظر إلى أشعارى إذا أردت أن تعرف لغة مضر ، وأى عجب أن ترى حديثاً عذباً من فصيح لسان مثلى ؟!.. أنا ـ والله ـ فخور بهذا الفن ، لأنه لم يكن هناك نظم بهذه اللطافة ، وشعر بهذه الفصاحة . فشعرى كالصدف الحر ، وكالجوهر النقى ؛ غير أنى معذب ـ ليلا ونهاراً ـ من فاسق ، إنه حاسدى ، وهو غير شريف . ولسوف يُهْزَم وينسحب ، كالنجم اليمانى [1] » .

وهذا خاقانى الشروانى يقول : « ليس لملك الكلام ملكٌ أفضل منى ، فقد سلمت الفصاحة ـ فى العالم ـ عنانها لى ، فأنا روح القدس لمريم المعانى العذراء ، وأنا مَلِك عالم المعانى [2] » .

---

(١) هذه ترجمة قول نظامى :

ملك الملوك فضلم بفضيلت معانى ... زمى وزمان گرفته بمثال آسمانى
نفس بلند صوتم جرس بلند صيتى ... قلم جهان نوردم علم جهان ستانى
سرهمتم رسيده بكلاه كيقبادى ... برحشمتم گذشته زبرندجوزجانى
بولايت سخن در كه مؤيد الكلام ... نزده كسى بجزمن در صاحب القرانى
بمكاتبات نغزم شرف آرد ابن مقلة ... زمغالطات نظمم غلط افتد ابن هانى
بلسان مضر خواهى بلسان من نظركن ... چه‌عجب‌حديث‌شيرين‌زچنين‌رطب‌لسانى
متفاخرم بدين فن بخدا وچون نباشد ... نكنى بدين لطيفى سخنى بدين روانى
چو صدف‌حلال‌خوارم‌چوگهر‌حلال‌زاده ... زحرام زاده هم شب وروز درزيانى
ولد الزنا است حاسد منم آنكه اخترمن ... ولد الزنا كش آمد چو ستاره يمانى

(نظامى : گنجينهٔ گنجوى ، ص ١٧٤ ـ ١٧٩)

(٢) هذه ترجمة قول خاقانى :

نيست إقليم سخن را بهتر أزمن پادشا ... درجهان هم اين سخن را نى‌مسلم شدمرا
مريم بكر معانى را منم روح القدس ... عالم ذكر معانى رامنم فرمان روا

(قاسم غنى : تاريخ تصوف ، ص ٤٨٩)

كما أوجدت روح العصر شيئاً من السأم ، فمال الناس إلى شيء من الصلح. وكان شيوخ الصوفية ، ومن يحذو حذوهم من الشعراء ، يحاولون القيام بهذه المهمة ، لبُعْدِهم عن التعصب والجفاف ، فوُجِدَتْ الدعوة إلى الصلح والإصلاح بين « أهل الحال » ومذهب « العشق والمحبة » وطريقة « الصلح والصفاء » وعقيدة « وحدة الوجود » من رجال الصوفية ، و بين الشعراء كسنائى والعطار من شعراء الصوفية ، وعند نظامى الكنجوى الذى كان يميل إلى مذهبهم ؛ فكانوا دعاة إصلاح وصفاء ، وعدل ووفاء . وقد وصلت هذه الدعوة إلى أسمى درجاتها فى القرن السابع الهجرى بفضل جلال الدين الرومى .

وهكذا وجدنا الصوفية وأمثالهم ، عاملاً ملطفاً فى ذلك الجو المُلَغَّم بالأحداث المختلفة والتيارات المتعارضة ، ورغم أنهم كانوا يجنحون فى أبحاثهم إلى التعليلات الفلسفية ، و يتناولون المسائل المتصلة بالفلسفة وعلم النفس ، كالمباحث المتعلقة بحقيقة الله والعالم ، والمعرفة ، وعلة الخلق ، ور بط الحادث بالقديم ، ووحدة الوجود ، والروح والبدن ، والعالم الصغير ، والعالم الكبير ، وأمثالها ، إلا أنهم لم ينسوا طريقتهم التى تعتمد على الذوق ، والمكاشفة ، والوجد ، والحال، والوجدان ، والشعور.

فلم يكن عجيباً — إذاً — أن يرد التصوف باب الأدب فيجعله حراً طليقاً مثله ، حتى أصبحنا نجد الشعر الذى نشأ فى كنف السلاطين ، وتأثر بهم ، قوةً وضعفاً ، يصير حرًّا ، محطم القيود ، بعد أن اصطبغ بصبغة الصوفيـة ، فظهرت بذلك روائع من الشعر ، وأصبح الشعراء من غير الصوفية يطرقون الموضوعات غير الصوفية ، فيحرصون على تلوينها بلون التصوف .

وهرع كثير من الناس إلى حظيرة التصوف بعد أن رأوا جور الزمان وقسوته وقد تجلَّى هذا بصورة أوضح فى القرن السابع الهجرى ، حينما اشتد هجوم المغول ، فقد كثُرت مجالس الصوفية ، وأقبل الناس عليها ، وكان يذهب إليها ناس لم يكونوا صوفية ، و إنما كانوا أصحاب قلوب وذوق ، فرُّوا من جور الزمان إلى ساعة فى

صحبة الصوفية بقلب فارغ [1]. فظهر ـ فى ذلك القرن ـ بعض كبار الصوفية ، من أمثال محيي الدين بن العربى ، وجلال الدين الرومى ، وسعدى الشيرازى ، الذين وصلوا إلى درجة النضج والكمال .

وقد ظهرت الاصطلاحات الصوفية فى أشعار نظامى كصدى لروح عصره ، ونتيجة لتأثير الناحية الدينية فى الأدب ؛ ذلك التأثير الذى سوف يساعدنا ـ إلى حد كبير ـ على فهم شعره .

* * *

ونكتفى بهذه الإلمامة اليسيرة بعصر نظامى من نواحيه السياسية ، والاجتماعية ، والفنية ، والدينية . وسنحاول أن نرى أثرها ـ مجتمعةً ـ فى الشاعر ، فلا شك أنه ـ كغيره من أبناء عصره ـ قد تأثر بما كان فى ذلك العصر من عوامل وموجهات فى نشأته ، وتعليمه ، ومذهبه فى الحياة ، فتفاعل معها سلبياً أو إيجابياً ، وظهر أثرها واضحاً فى شعره .

فلنترك هذه البيئة العامة لنلم ببيئة الشاعر الخاصة ، ونتحسّسَ ما فيها من مؤثرات وموجهات ، ثم نرى مدى تعاونها ، مع البيئة العامة ، فى التأثير فى نفس الشاعر وشعره .

---

(١) قاسم غنى : تاريخ تصوف ، ص ٥٠١ .

الباب الثاني

بيئة نظامي الخاصة

الفصل الأول

البيئة الجغرافية

١ – تحديد البيئة الجغرافية التي ولد فيها نظامى :

يجدُرُ بى ، أن أحدِّد بيئة الشاعر الجغرافية ، قبل التحدث عنها ، فقد اختُلِف فيها ؛ فقيل إنها كنجه ، كما قيل إنها قم[1] .

وأرجح أن نظامى وُلِد فى كنجه وعاش فيها إلى أن قضى نحبه ، ثم دُفِن بها ، وأن والده كان من أهل قم ، فأصل الشاعر قمىّ ، ولكنّ البيئة الجغرافية التى نشأ فيها ، هى كنجه .

ومما يرجح أنه وُلِد فى كنجه ، ما رُوِى من أن والده هاجر من قم ، لأنه كان – فيما يبدو – سنياً ، بينما كان أهل قم من غلاة الشيعة[2] ، ثُمَّ نزل فى

(١) ذكر أمين رازى فى هفت إقليم ، (الإقليم الرابع) ؛ ورضا قليخان هدايت ، فى كتابيه : مجمع الفصحاء ، ص ٦٣٧ ، ورياض العارفين ، ص ١٤٩ ؛ وابن يوسف شيرازى فى فهرست كتابخانهٔ مدرسهٔ عالى سپهسلار ، جلد دوم ، حاشيه ص ٥٢٤ . أن نظامى لم يولد فى كنجه ، وإنما ولد فى مدينة قم ، أو فى تفريش ، أو فى فراهان من توابع قم ، ثم رحل والده إلى كنجه حيث قضى أغلب حياته فيها ، واشتهر بها ، وما دام الذى يعنينا هو تحديد بيئة الشاعر الجغرافية ، فإن هذا لوصح يدل على أن بيئة كنجه ، هى التى أثرت فى نظامى أكثر من غيرها ، لأنه عاش فيها أغلب حياته ، فهى الجدير بالدراسة .

(٢) ذكر القزوينى فى آثار البلاد ، ص ٢٩٧ . أن أهل قم كانوا يغالون فى التشيع ، ثم أورد قصة تبين تعصبهم فقال. «حكى أنه أتاهم فى بعض الأحوال وال سنى وقال لهم : بلغنى لشدة بغضكم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتسمون أولادكم بأسمائهم ، فإن لم تأتونى منكم من اسمه عمر وكنيته أبو بكر لأفعلن بكم ، فداروا فى

كنجه ، دار الإمارة فى إقليم أرّان ، وتزوج من الأكراد[١] ، وظل مُقيماً فى كنجه حيث ولِد نظامى من أم كردية[٢] .

وقد أشار الشاعر إلى إقامته فى كنجه ، مبيناً أن أصله من قم ، فقال : « ولو أنّى مضيع ـ كالدر ـ فى بحر كنجه ، إلا أننى من مدينة قم ، فى إقليم قهستان ، فقد اشتَهرْتُ بأننى من قرية « تا » بتفرش التابعة لقم[٣] » . ولكن هذين البيتين غير موجودين فى النسخ القديمة[٤] .

جميع المدينة وفتشوا ، ثم أتوا بواحد أقرع ، كريه اللقاء ، معوج الأعضاء ، وكان أبوه غريبا ساكن قم ، فكناه أبا بكر . فلما رآه الوالى غضب وشتمهم . وقال : إنما كنيتموه أبا بكر لأنه سمج ، وهذا دليل على بغضكم لصحابة رسول الله . فقال بعض الظرفاء منهم : أيها الأمير اصنع ماشئت ، فإن قرية قم وهواءها لاتأتى بصورة أبى بكر أحسن من هذا . فضحك الوالى وعفا عنهم » .

(١) كان الكرد منتشرين حول كنجه حيث كانت أسرة الشداديين الكردية تحكم كنجه حتى عام ٤٦٨ هـ ؛ ولا يزال الكرد موجودين فى كنجه إلى وقتنا هذا كما يقرر مينورسكى فى مقالته التى كتبها فى : Bulletin of the shool of Oriental and African Studies, vol. XII, part 2., 1948, p. 442.

(٢) لطفعلى بيك : آتشكده ، ص ٢٤٢ ؛ عبد النبى قزوينى : ميخانه ، ص ١٠ .

(٣) نظامى : إقبالنامه ، ص ٢٩ . وهى ترجمة قوله :

چو در گرچه در بحر گنجه گمم ولى أزقهستان شهر قمم
بتفرش دهى هست تا نام أو نظامى أز آنجا شده نامجو

ويروى البيت الأول رواية أخرى هى :

چو در گرچه در بحر گنجه گمم ولى أز فراهان شهر قمم

وهى لا تغير ، فيما يهدف إليه الشاعر ، شيئاً .

(٤) دستگردى : مقدمهٔ گنجينهٔ گنجوى ، ص يج ؛ برتلس : نظامى شاعر آذربيجان العظيم ص ٣٦ ، حيث يقول إن نسخة « اسكندرنامه » الخطية الموجودة فى باريس لاتحتوى على هذين البيتين ، رغم أنها مؤرخة بعام ٧٦٣ هـ . وهى تعتبر أقدم نسخة خطية لهذه المنظومة .

كما ذكر أن أصله من العراق العجمى ، فقال : « عقدت كنجه تلابيبى ، مع أن كنز العراق من نصيبى . ولقد نادت الدنيا بصوت مرتفع : أيها الغلام أى كنجه تكون ، وأى نظامى ؟ ! . . . »[١] .

فهو يستنكر أن يكون أصله من كنجه ، ويؤكد أنه من العراق العجمى ، ولكنه مضطر إلى الإقامة فى كنجه .

وطبيعى أن يمدح نظامى العراق ، ويشيد بفضله ، فنجده يقول : « إن صوتاً عراقياً قد جاوز الفلك ، معلناً رفعة شأن العراق[٢] » .

ويقول أيضاً : «ليكن العراق سعيداً ، فإن صوت فضله قد صار عالياً[٣] » .

وهذا يؤيد مارجحته من أن الشاعر كان فى الأصل[٤] ، ولكنه لا يدلّ دلالة قاطعة على أنه وُلِد فى تلك الناحية ، ولا ينفى أن يكون قد وُلِد فى كنجه وأقام فيها ، لأنه يشكو من شدة تعلقها به .

ومهما يكن من شىء ؛ فإن الشىء الثابت الذى لم يَرْقَ إليه شك ، هو أن نظامى قد عاش فى كنجه أغلب سنى حياته ، ولم يفارقها إلّا فى القليل النادر ، وأنه ظلّ بها إلى آخر لحظة من عمره . ولذلك فإن كنجه قد أثّرت ـ بما فيها

---

(١) نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٨٥ . وهى ترجمة قول الشاعر :

گنجه گره‌كرده گريبان من بى گرهى گنج عراق آن من
بانگ برآورد جهان كاى غلام گنجه‌كدام است ونظامى‌كدام ؟ !

(٢) نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٣٦١ . حيث يقول :

عراقى‌وار بانگ أزچرخ بگذاشت بآهنگ عراق اين بانگ برداشت

(٣) نظامى : شرفنامه ، ص ٥٣ . حيث يقول :

عراق دل افروز با دارجمند كه آواز فضل ازاوشد بلند

(٤) هذا مايميل إليه قزوينى فى ميخانه ، ص ٩ ؛ ووافقه داغستانى فى رياض الشعراء ، ص ٤٨٠ ؛ وشبلى النعمانى فى شعر العجم ج ١ ، ص ٢١٦ ، وشمس الدين سامى فى قاموس الأعلام (باللغة التركية) ج ٦ ، ٤٥٨٩ .

من عوامل ـ فى توجيه الشاعر أكثر من غيرها ، فهى التى تهمنا فى بحثنا ، وتتصل بدراستنا .

٢ ـ كنجه وما في بيئتها من عوامل :

يبدو أن كنجه كانت من المدن الكبيرة ، فى اقليم أرّان(١) ؛ فقد أصبحت عاصمة هذا الإقليم ، بعد اضمحلال بَرْدَعة(٢) ، وصارت عاصمة الدولة الشدادية ، التى حكمت من عام ٣٤٠ ﻫ إلى أن أزالها ملكشاه فى عام ٤٦٨ ﻫ ، ثم أسند أمر كنجه إلى محمد ابن ملكشاه . كما كانت دار الإمارة فى عهد قراسنقر أمير آذر بيجان (٣) .

ويهمنا أن نعرف شيئاً عن كنجه فى القرن السادس الهجرى ، الذى عاش نظامى فيه .

وقد حدثنا التاريخ ، أنه فى عام ٥٣٣ (٤) ﻫ ، أو ٥٣٤ (٥) ﻫ ، أُصِيبت كنجه بزلازل شديدة(٦) ، خَسَفَتْ بها و بأعمالها ، فباد من أهلها عدد كبير(٧) ،

(١) عربت كلمة كنجه فصارت جنزة وقد وصفها ياقوت فى معجم البلدان ، ج ٣ و ٤ ، ص ١٥ ، من الجزء الثالث ، فقال : « إنهـا أعظم مدينة بين شروان وآذربيجان ، وهى التى يسميها العامة كنجه ، وبينها وبين بردعة ستة عشر فرسخا . خرج منها جماعة من أهل العلم » .

(٢) The Encyclopaedia of Islam. vol. 2. Art. Gandja

(٣) برتلس : نظامى شاعر آذربيجان العظيم ، ص ٢٤ .

(٤) البندارى : مختصر تواريخ آل سلجوق ، ص ١٩٠ ، صدر الدين الحسينى : أخبار الدولة السلجوق ، ص ١١٣ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ج ١١ ، ص ٥١ .

(٦) يبدو أن الزلازل كانت كثيرة الوقوع فى كنجه ، مما جعل نظامى يشير إليها فى أشعاره ، كما سيأتى .

(٧) يقول البندارى إنه باد من أهلها ثلثمائة ألف ، بينما يذكر ابن الأثير أنه هلك منها مائة وثلاثون ألفا .

وأن ديمتريوس ، ملك الكرج ، قد استفاد من هذه الكارثة ، فأغار عليها وحمل بابها . غير أن قراسنقر لم يلبث أن بنى المدينة من جديد ، فاستعادت جمالها القديم (١) .

ولما توفى قراسنقر أصبح جاولى الجاندار حاكماً على أرّان وآذربيجان ، غير أن كنجه لم تلبث أن أصبحت تحت حكم ايلدكز وأبنائه ، أتابكة آذربيجان ، وصارت من المدن الجميلة فى غرب آسيا ، حتى وجدنا ابن الأثير يُسَمِّيها أمّ بلاد أرّان (٢) .

وقد كانت كنجه ـ فضلاً عن ذلك ـ ذات موقع جغرافى مهم ، من الناحية الحربية ، إذ كانت من الثغور الإسلامية المواجهه للكرج ، وطبيعى أن هذا الموقع قد أضفى عليها أهمية « استراتيجية » كبيرة ، فكانت ـ دائماً ـ عرضة لغارات هؤلاء الكرج الكفار فى نظر أهلها (٣) .

وقد استتبع هذا أن تكون كنجه من المدن الحصينة ، حتى تستطيع الوقوف فى وجه الأعداء ، وأن يُمجِّدَ أهلها البطولة ، ويمارسوا الأسلحة ، ويميلوا إلى الحرب (٤) .

وكان أهل كنجه كثيراً عددهم ، قويةً شوكتهم ، كما كانت عندهم شجاعة عظيمة ، من طول ممارستهم للحرب مع الكرج (٥) .

وقد زاد فى حماسهم نَظَرُهم إلى الحرب على أنها واجب دينى مقدس ، وجهاد فى سبيل الله .

---

(١) برتلس : نظامى شاعر آذربيجان العظيم ، ص ٢٤ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ١٢ ، ص ٢٥١ .

(٣) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٣٥١ .

(٤) نفس المرجع والصفحة .

(٥) ابن الأثير : الكامل ج ١٢ ، ص ٢٧٦ ، حمد الله مستوفى قزوينى : نزهة القلوب ، ص ١٦٠ .

وكانوا ـ إلى جانب ذلك ـ أهل السنة والجماعة ، وأهل صلاح وخير وديانة[١] . وكان عندهم تعصب لمذهبهم السنى ، حتى إنهم كانوا لايتركون أحداً يسكن بلدهم ، إن لم يكن على مذهبهم واعتقادهم ، حتى لايشوش عليهم مذهبهم واعتقادهم[٢] .

وإذا تركنا هذه الناحية . إلى الناحية المناخية ، فإننا نجدها ملائمة لخلق جو من الحياة المستقرة المتحضرة ، فقد كان هواؤها منعشاً ، وماؤها عذباً[٣] . وكان بها نهر يسمى قردقاس ؛ كان مجيئه من ناحية ولايه الكرج ، وكان يجرى ستة أشهر ، كما كانت فيها قناة ينزل إليها من طريقين ، أحدهما يُعرَف بباب المقبرة ، والآخر يعرف بباب البردعة[٤] .

وكانت ـ على مرحلة منها ـ قلعة هرك تحوطها رياض ، ومياه ، وأشجار ، ويرق نسيمها فى الصيف ، فيقصدها أهل كنجه ، حيث كان لكل أهل بيت فيها موضع حتى تُكَسِّر سَوْرَةَ الحر ، ولأعيان كنجه بها دور حسنة[٥] .

وكانت القلعة على نهر يقال له درروان ، ينزل من جبل يقال له مُرّا ، يعلوه الضباب ، وهو شامخ جداً[٦] .

وطبيعى أن وجود الماء ، وملاءمة الجو ، قد ساعدا على كثرة الخيرات ، ووفرة الغلاة بها[٧] . فكان فيها فواكه كثيرة[٨] كالموز[٩] ، كما وُجد بها

---

(١) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٣٥١ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) زين العابدين شروانى : بستان السياحة ، ص ٤٨١ .

(٤) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٣٥١ .

(٥) نفس المرجع والصفحة .

(٦) نفس المرجع والصفحة .

(٧) نفس المرجع والصفحة .

(٨) حمد الله مستوفى قزوينى : نزهة القلوب ، ص ١٦٠ .

(٩) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٣٥١ . حيث يقول : « ليس فى جميع الدنيا إلا بها ، وهى شبيهة بالتوت الشامى إلا أنها مدورة تنفع فى أمراض الكبد » .

شجر التوت ، الذى ساعد على تربية دود القز ، وعمل الإبريسم[١] ، فأصبح لأهلها يد باسطة فى هذه الصناعة[٢] ، وأصبح يُجلَب منها إلى سائر البلاد الإبريسم الجيد ، والأطلس ، والثياب التى يقال لها الكنجى ، والعجم يسمونها القطنى ، والعمائم الخز ونحوها[٣] .

وقد ساعد رواج الصناعة ، على رواج التجارة ، فكثُر فى كنجه الصناع والتجار[٤] . وكانت تصدر المصنوعات إلى بلاد الكرج وما جاورها ، فيسّر هذا فرصة اتصال أهلها بالشعوب غير المسلمة ، والاستفادة مما عندها ؛ من حضارة ، وعلوم ، ومعارف[٥] .

وقد ساعد وجود المذهب السنى ، وميل الأهالى إلى التمسك بالدين ، ووجود طبقات متعددة ، كالزرّاع ، والصنّاع ، والعمال ، والتجار ، على تهيئة تربية صالحة لتعاليم الصوفية ؛ فانتشر شيوخ الصوفية بين الناس ، وقاموا بإرشادهم وهدايتهم ، عن طريق تعليمهم أصول دينهم .

وقد اشتهر نظامى بأنه كان من مريدى أخى فرج الزنجانى ، أحد شيوخهم[٦] .

---

(١) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٣٥١ .

(٢) وردت فى أشعار نظامى تشبيهات واستعارات كثيرة استمدت صورها من صناعة الحرير ، مما يدل على رواج هذه الصناعة إلى درجة أثرت فى الشعراء ، وجعلتهم يستمدون من صورها فى أشعارهم .

(٣) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٣٥١ .

(٤) برتلس : نظامى شاعر آذربيجان العظيم ، ص ٢٤ .

(٥) كان نظامى كثيرا مايذكر أنه استعمل المراجع غير العربية والفارسية فلعله استفاد من موقع كنجه الجغرافى ، واتصالها بالشعوب غير المسلمة ، فأحاط بما عندهم من مراجع ، أو استفاد من علماء تلك الشعوب ولو عن طريق المشافهة .

(٦) دولتشاه : تذكرة الشعراء ، ص١٢٩ ، لطفعلى بيك : آتشكده ، ص ٢٤٢ .

ورغم أن معلوماتنا عن أخى فرج هذا ليست كثيرة[١]، إلا أنه يبدو أن كلمة « أخى » تشير إلى مذهب معين ، كان منتشراً بين القوم .

وقد ذكر ابن بطوطة شيئاً عن « الأخية الفتيان » فقال : إن واحدهم أخى ، وإنهم بجميع البلاد التركمانية الرومية ؛ فى كل بلد ، ومدينة ، وقرية ، وإنه لايوجد فى الدنيا أشد احتفالاً بالغرباء من الناس مثلهم ، ولا أسرع منهم إلى إطعام الطعام ، وقضاء الحوائج ، والضرب على أيدى الظلمة ، وقتل الشرطة ، ومن لحق بهم من أهل الشر . وإنهم كانوا يعملون ويكتسبون ، ويشترون الأشياء ، ثم يحملونها إلى زواياهم ، ليكرموا الغرباء ، ويضيفوهم ، حتى يغادروا المدينة ؛ ثم ذكر أنه كان لهم لباس خاص ، يهمنا منه أن كل واحد منهم كان يشدُّ ـ إلى وسطه ـ سكيناً فى طول ذراعين[٢] .

ويبدو من وصف ابن بطوطة ، أنهم كانوا جماعة خاصة ، وكانوا يهدفون إلى تقديم المساعدة للآخرين ، ضد الحكام الظالمين ، كما كانوا نزّاعين إلى إصلاح الحكام بالقوة ، إذا احتاج الأمر إليها .

وقد تكون لهؤلاء الأخية الفتيان ـ الذين وصفهم ابن بطوطة ، وكانوا منتشرين ، فى عصره ، فى آسيا الصغرى ـ صلةٌ بالأخية ، الذين انتشروا فى كنجه فى عصر نظامى ، وكان منهم أخى فرج الزنجانى الذى كان الشاعر أحد مريديه .

ومما يجعلنا نرجح هذا ، أن نعرة الفتوة ، التى كان الأخية يمجدونها ، تشبه

---

(١) ذكر أمين رازى فى هفت إقليم ، ص ٤٨١ ب . شيئاً عن أخى فرج الزنجانى ، ولكنه لم يزد على قوله « إنه كان مريد الشيخ أبى العباس النهاوندى ، وإنه توفى فى عام ٥٥٧ هـ ، وأن قبره فى زنجان » . وقد ذكر جنيد شيرازى اسمه فى شد الإزار ، ص ٢٤٢ .

(٢) ابن بطوطة : رحلته ، ج ١ ، ص ١٨١ — ١٨٢ .

نعرة القوة التى مال إليها أهل كنجه ، فراجت بينهم ، مما يجعلنا لا نستبعد أن مذهباً كهذا يمكن أن ينتشر فى كنجه .

وإن القارىء لشعر نظامى ليحس بتمجيده للقوة ، وتأييده لنعرة الفتوة ، فهو يقول مثلا : « لماذا تعرض نفسك للصفعات ؟ ولماذا ترضى بكل جفاء ؟ كن قوياً شامخاً كالجبل ، وقابل لين العالم بالخشونة ؛ لأنك لو نسجت الحرير ، أو كنت كالسوسن ، فإنك سوف تشرب الماء العكر ، حتى من الأرض الصافية ، فالذلة لا تؤدِّى إلى تقليل الاضطهاد ، وتحمّل الجور يورث الذل ، فكن كالشوك حربته فوق كتفه ، حتى تستطيع أن تضم مجموعة الورد إلى صدرك ، فإن الظلم والاضطهاد يقصمان ظهر القوىِّ ، ويتسبَّبان فى القضاء على الإنسان »[(١)] .

فهذه الدعوة إلى عدم الرضا بالظلم ، ودفعه بالقوة ، والحث على التسلح ، تشبه ما كان يهدف إليه « الأخية الفتيان » ، الذين ذكرهم ابن بطوطة بعد نظامى بقرنين تقريباً . ونصيحة الشاعر بأن يكون الإنسان شاكى السلاح ، تشبه تسلُّح الأخية ، لتنفيذ أغراضهم بالقوة إذا دعت الحاجة إلى استعمالها .

ولقد ظلت القوة طابع أهل كنجه ، حتى إن المغول حينما هاجموا كنجه ، فى عام ٦١٨ هـ ، لم يستطيعوا التغلب على حصونها القوية كما أثبت أهلها شجاعتهم فى حروب كثيرة ضد الكرج . واستطاعوا — فى عام ٦٢٢ هـ — أن يثوروا ضد الدولة

---

(١) نظامى : ليلى ومجنون ، ص ٥٣ — ٥٤ . وهى ترجمة قوله :

گردن چه نهی بهر قفائی راضی چه شوی بهر جفائی
چوكوه بلندپشتي كن بانرم جهان درشتي كن
چو سوسن اگر حرير بافی دردی خوری أز زمين صافی
خواری خلل درو نیآرد بيدادكشی زبونی آرد
ميباش چوخار حربه بردوش تاخرمن گل كشی در آغوش
نيروشكن است حيف وبيداد از حيف بميرد آدميزاد

الخوارزمية ، ويقضوا على نفوذها فى كنجه ، بعد أن كانت المدينة قد خضعت لتلك الدولة[١] .

وقد مال أهل كنجه إلى النشاط ، وحب العمل ، وعدم الإخلاد إلى الكسل ، وهذا يشبه إلى حد كبير ما كان الأخية يدعون إليه ، ويطبقونه هم فى أنفسهم .

وكان نظامى – كما سيأتى – كثير التحدث عن وجوب العمل ، وضرورة كسب القوت بالجهد والكفاءة .

بقى أن نذكر أنه قد قضى على كنجه – نهائياً – فى عام ٦٣٢ هـ ، حينما استولى المغول عليها وأحرقوها ، كما ضُمَّتْ إلى روسيا فى عام ١٨٠٤م . ولا يزال قبر نظامى قريباً منها ، حيث يبعد كيلو مترين أو ثلاثة عنها[٢] .

وفى مكان كنجه القديمة ، وعلى بعد ثلاثة كيلو مترات غرباً ، بُنِيَتْ مدينة جديدة ، سُمِّيَت اليزابتپول ، التى هى الآن كيروف آباد[٣] .

وهكذا نجد أن بيئة كنجه الجغرافية كانت زاخرة بكثير من العوامل الموجِّهة .

وفى جو كنجه هذه ، وُلِد نظامى ونشأ ، وأمضى مدة عمره إلى أن قضى نحبه ، فلا بد أنه تأثر بكل ما فى بيئته الجغرافية من عوامل ؛ فى نشأته ، وتعليمه ، ونظرته إلى الحياة ، وفى رسم مُثُلِه العُليا ، وقد ظهر هذا الأثر مُصَوَّرًا فى شعره .

* * *

وندع البيئة الجغرافية ، لنلم بالبيئة العائلية ، ونرى ما فيها من عوامل ، تفاعل الشاعرُ معها ، إلى جانب تفاعله مع عوامل بيئته الجغرافية .

(١) أمير خواند : روضة الصفا (الجزء الرابع) ، خواند أمير : حبيب السير ، ص ١١٧ ، أمير يحيى قزوينى : لب التواريخ (الفصل التاسع) .

(٢) اسكندر بيك تركمانى : تاريخ عالم آراى عباسى ، ص ٤٩٨ .

(٣) برتلس : نظامى شاعر آذربيجان العظيم ، ص ٢٥ .

الفصل الثاني

البيئة العائلية

إذا ما أردنا أن نتناول بيئة نظامى العائلية بشىء من الدرس ، لنكتشف مافيها من عوامل وموجهات ، نجد أن معلوماتنا عنها تَقْصُر عن الوصول إلى مثل هذا الهدف ، لأن المصادر المختلفة لا تكاد تذكر شيئاً يشفى غلة ، أو يسد رمقا ، لمن يريد أن يتناول هـذه الناحية بالبحث والتمحيص ، كما أن الشاعر نفسه لم يشر ـ فيما نظمه من شعر ـ إلى هـذه الناحية إلا إشارات عابرة ، فى مواضع قليلة ،لا تكفى لإعطاء صورة واضحة .

وقد يكون السبب فى ذلك ، أن عائلة الشاعر لم تكن كنجوية الأصل ، وإنما كانت نازحة ، فلم تكن ـ فيما يبدو ـ كبيرة العدد .

وأنا أعرض إشارات الشاعر ، لنرى ما قد يمكن استنباطه منها .

أشار نظامى إلى والده ، يوسف بن زكى بن مؤيد ، إشارة ترجح أنه تُوُفى منذ وقت ، ليس بالقصير ؛ لأن الشاعر حاول أن ينسى الحزن ويتركه ، مما يدلُّ على أن الوفاة لم تكن حديثة ، فهو يقول : « إذا كان أبى ، يوسف بن زكى بن مؤيد ، قد مات بسنة الجد ، فماذا أصنع أنا مع حكم القضاء ؟! ... إنه القضاء العادل ، وليس جوراً ، فكيف أتألم ؟! ... أى أب بقى منذ آدم ، حتى أطالب بدم أبى من العالم ؟!.. إننى حينما نظرت إلى الآباء الراحلين ، قطعت عرق الأبوة من قلبى »[1] .

(١) نظامى : ليلى ومجنون ، ص ٤٨ ـ ٤٩ . وهى ترجمة قوله :

گر شـد پدرم بسنت جـد   يوسـف پسر زكى مؤيـد   =

وهو لا يزيد على ذلك شيئاً ، فلا يشير إلى عمل والده ، أو المكانة التى كان يحتلها فى المجتمع فى ذلك الوقت .

غير أننا نكاد نحس بمكانة والده من إشارته إلى والدته ، على أنها كانت بنت أحد رؤساء الكرد ، حينما يقول متحسراً على وفاتها : « لقد تُوُفِّيت والدتى ، رئيسة الكرد ، ولكن حنان الأمومة ما زال ماثلاً أمام عينى ، فمن أدعوه لنصرتى بكثرة العويل ، حتى يعيدها إلىّ بالبكاء ؟ ! ... إن الغم أكثر من أن يُتَحَمَّل ، فهو كالماء المغرق ، أعلى من قامة الإنسان ، فكأس الغم مفعمة تكفى لأن أشرب منها ألف جرعة ، ولا وسيلة لعلاج هذا الحزن ، وهذا الألم المفرط إلا محاولة النسيان[1] » .

وهذه الإشارة إلى والدته على أنها بنت أحد رؤساء الكرد ، إن دلت على شىء فإنما تدل على أنها كانت من عائلة محترمة ، كما تدل على أن والده كان ذا مكانة ، حتى استطاع أن يصاهر أحد رؤساء الكرد .

ولم يذكر نظامى من أفراد عائلة والده أحداً غير والده .

أما عائلة والدته ، فذكر من أفرادها ـ غير والدته ـ خاله السيد « عمر » ، وصور حزنه على وفاته فى قوله : « لقد كانت وفاة خالى ـ السيد عمر ـ وبالاً علىّ

= بادور بداورى چه كوشم دوراست نه جورچون خروشم
باقى پدر چه ماند أز آدم تاخون پدر خواهم ز عالم ؟!
چون در پدران رفته ديدم عـرق پدرى زدل بريـدم

(١) نظامى : ليلى ومجنون ، ص ٤٩ . وهى ترجمة قوله :

گر مادر من رئيسهٔ كرد مادر صفتا نه پيش من مرد
از لابه‌گرى كرا كنم ياد تاپيش من آردش بفرياد
غم بيشتر أز قياس خوردست گردابه فزون ز قد مردست
زان بيشتر است كاس اين درد كانرا بهزار دم توان خورد
با اين غم ودرد بى كناره داروى فراموشيست چاره

فقد بُحَّ صوتى من كثرة العويل ، وأصبحت أخشى أنا الموت ، فإن شدة جزعى قد تقوده إلىّ »[1] .

وهذه الإشارة إلى خاله ، وتلقيبه بلقب « السيد » تؤيد مارجحناه من أن عائلة والدته كانت رفيعة الشأن ، كما تدل على مكانة خاله فى قومه . وهى ترجح ـ أيضاً ـ أن أفراد عائلة والدته ، كانوا على مذهب أهل السنة ، والدليل على ذلك تسمية خاله باسم عمر ، لأن هذا الاسم لايمكن أن يوجد بين الشيعة .

وهذا يرجح بالتالى أن عائلة نظامى كانت سنية المذهب ، وإلا ما صاهرت أسرة سنية .

وإذا استعرضنا من صاهرهم نظامى نفسه ، لنستشف من الأسرة التى كونها هو شيئاً ، قد يساعدنا على فهم بيئته العائلية ، فإننا لا نكاد نجد ـ فيما قاله ـ شيئاً يلقى ضوءا كاشفاً على هذه الناحية ، فنظامى قد تزوج ثلاث مرات ، وأشار إلى زوجاته الثلاث ، ولكنه لم يذكر إلا أن زوجته ماتت ، مُخَرِم بفقدها شريكا مخلصاً ، ومؤنساً ملهماً جميلاً .

وكانت أولى زوجاته قبچاقية تدعى « آفاق » أرسلها إليه حاكم دربند ، ويبدو أنها كانت جارية أهديت إليه ، مما جعله لايتحدث عن حسبها ونسبها ، ويكتفى بالإشارة إلى جمالها وشدة تعلقه بها .

ويظهر أنه أحب هذه الزوجة حباً عنيفاً سيطر على قلبه ، وملك عليه حواسه ، ونطق به فى شعره ، فنجده ـ فى أول منظومة « خسرو وشيرين » ـ قد تحدث حديثاً مطنباً عن العشق[2] ، فقال : « ليس للفلك محراب غير العشق ،

---

(١) نظامى : ليلى ومجنون ، ص ٥٠ . حيث يقول :

گر خواجه عمر كه خال من بود   خالى شدنش وبال من بود
أز تلخ گوارى نواله ام   در ناى گلوشكست ناله ام
ميترسم ازاين كبود زنجير   كافغان كنم اوشود گلوگير

(٢) نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٣٣ ـ ٣٥ .

وليس للعالم حياةٌ إلا فى أرض العشق . . . فالإنسان الذى خلا قلبه من العشق ذليلٌ؛ وهو ميت ولو كانت فى جسمه مائة روح »[١] .

ثم ختم حديثه بالإشارة إلى عشقه هو لآفاق فقال : « لما رأيتُ نفسى فاقد الحياة ـ بدون العشق ـ بعتُ قلباً لأشترى روحاً ، وملأتُ الدنيا بغرامى ، فأعمتُ العقل ، لأتعلق بقصة العشق ، وأديتُ للعالم صلاة العشق »[٢] .

وقد توفيتْ هذه الزوجة فى ريعان شبابها ، ففُجع الشاعر بوفاتها حتى إنه أثبت هذه الوفاة فى منظومته « خسرو وشيرين » ، فذكرها بعد إشارته إلى وفاة شيرين معشوقة خسرو ، التى كانت تشبه معشوقته فى جمالها وفتنتها ؛ فقال فى حسرة وألم : « إنه من فرط العبرة ، بمثل هذه القصة ، ليُخَيَّل إليك أنك تقرأ خرافة ، تجب فيها إسالة الدموع المرة على شيرين ، لأنها كانت قصيرة العمر ، كالوردة التى عصفت بها الرياح فى يوم نضارتها ، لقد كانت جميلة كمشوقتى القبچاقية حتى ليُخَيَّل للإنسان أنها نفسها كانت كآفاق ، التى كانت فتاة ميمونة ، عاقلة ، أرسلها إلىّ حاكم دربند[٣] » .

---

(١) نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٣٣ . حيث يقول :

فلك جز عشق محرابى ندارد   جهان بى خاك عشق آبى ندارد

. . . . . .

كسى كز عشق خالى شد فسردست   گرش صدجان بود بى عشق مردست

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٥ . إذ يقول :

چو من بى عشق خود راجان نديدم   دلى بفروختم جانى خريدم
ز عشق آفاق را پردود كردم   خرد را ديده خواب آلود كردم
كمر بستم بعشق اين داستان را   صلاى عشق دردادم جهان را

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠ . حيث يقول :

توكز عبرت بدين داستان مانى   چه پندارى مگر افسانه خوانى
در اين افسانه شرطست اشك راندن   گلابى تلخ بر شيرين فشاندن
بحكم آنكه آن كم زندگانى   چو گل برباد شد روز جوانى
سبك رو چون بت قبچاق من بود   گمان افتاد خود كآفاق من بود
همايون پيكرى نغز و خردمند   فرستاده بمن داراى دربند

ويظهر أن هذه الزوجة قد توفيتْ فى عام ٥٨١ هـ ، حينما كان الشاعر على وشك الفراغ من نظم « خسرو وشرين » ، وأنها هى التى رُزِق منها ابنه الوحيد « محمد » .

وقد تزوج الشاعر ــ بعد وفاتها ــ زوجة ثانية توُفِّيَتْ فى أثناء نظم « ليلى ومجنون » فى عام ٥٨٤ هـ ، فتزوج زوجة ثالثة توفيت ، فى عام ٥٩٩ هـ ، فى أثناء نظم «اقبالنامه» ، ويبدو أن الشاعر قد تعلق بها لأنه يعبر عن وفاتها بقوله: « فلما جعلتْ عينى مصدرًا للنور ، أبعدتْها عينُ السوء عن ناظرى ، فسرقها الموت ، حتى لكأنها لم تعش أبداً ، فماذا أقول إلا أن أدعو أن يرضى الله عنها ، نظير مالقيتُ على يديها من سعادة[(١)] » .

وقد أشار نظامى إلى زوجاته الثلاث متعجباً من حظه ؛ فهو لايكاد يحيى قصة قديمة ، حتى يقَدِّم عروساً قرباناً ، فقال : « إن لى ــ من النظم ــ طالعاً عجيباً ، فكيف أحيِى القصص القديمة ؟! . . . . فى ذلك العيد الذى ينبغى أن أقدم فيه الحلوى ، أقَدِّم عروساً جميلةً قرباناً ، فبينما كنتُ أصنع حلوى « شيرين » أفرغتْ الدار من صانعة الحلوى ، وحينما أنشأتُ سوراً حول كنز « ليلى ومجنون » نثرتُ هناك جوهراً آخر ، والآن وقد انتهى العرس ، أودع إلى رضوان عروساً أخرى ، ولا أدرى كيف أنظم قصة الروم والروس وأنا أحمل حزن ثلاث عرائس ؟ ! إن الأفضل ألا أستحضر الحزن القديم ، وأن أطيِّبَ وقتى بهذه القصة »[(٢)] .

---

(١) نظامى : اقبالنامه ، ص ٦٠ ــ ٦١ . إذ يقول :

چو چشم مرا چشمهٔ نور کرد ز چشم منش چشم بد دور کرد
رباینـده چرخ آنچنـانش ربود که گفتی که تابود هرگز نبـود
بخشـنودیی کان مرا بود ازاو چگویم خـدا باد خشـنود ازاو

(٢) مرا طالعی طرفه هست از سخن که چون نوکنم داستان کهن
در آن عید کان شکر افشان کنم عروسی شکر خنده قربان کنم =

فنظامى ـ رغم أنه تزوج ثلاث مرات ـ لم يذكر شيئاً يتعلق بنسب إحدى زوجاته أو حسبها ، و إنما تناول ناحية الجمال فى الزوجة ، وأظهر الأسف على وفاتها .

وقد توفيت زوجاته جميعهن قبل وفاته ؛ و يبدو أنهن توفين فى ميعة الصبا ، وريعان الشباب ، لأن الشاعر قد عبّر عن كل واحدة منهن بكلمة عروس .

و إذا تركنا زوجات الشاعر إلى ابنه محمد ، فإننا لانجد فى إشاراته إليه مايدل دلالة واضحة على نوع التربية التي تر باها ، كما لانجد فيها شيئاً يكشف عن مكانة الشاعر وعائلته ، والعوامل التى كانت موجودة فى بيئته العائلية ، وأثرها فى توجيه التربية ، فرغم أن الشاعر قد أشار إلى ابنه فى مواضع كثيرة،إلا أنه كان يتحدث بلسان الأب الناصح الذى يزجى النصح لابنه ، بين حين وآخر .

وقد خاطب الشاعر ابنه ـ لأول مرة ـ حينما كان الابن فى السابعة من عمره، فقال : « تَطَلَّعْ ياذا السبع سنوات ، ياقرة العين إلى مقامك فى قاب قوسين(١) ، أنا رَبَّيْتُكَ ، والله هو الذى منح الرزق ، فليكن اسم الله ـ لا اسمى ـ هو الذى يرعاك . اضحك فى مرحلة الطفولة هذه بسرور ، كما ضحكنا نحن بعض الوقت ، فحينما يصير هلالك بدراً ، سيضىء جمالك النجوم . لاتشتغلْ بالعلوم

= چو حلوای شیرین همی ساختم ‌ ‌ زحلوا گری خانه پرداختم
چو برگنج لیلی کشیدم حصار ‌ ‌ دگر گوهری کردم آنجا نثار
کنون نیزچون شد عروسی بسر ‌ ‌ برضوان سپردم عروسی دگر
ندانم که باداغ چندین عروس ‌ ‌ چگونه کنم قصهٔ روم وروس
به ار نارم اندوه پیشینه پیش ‌ ‌ بدینداستان خوش کنم وقت خویش
(نظامى : اقبالنامه ، ص ٦١)

(١) الشاعر هنا يقتبس من قول الله تعالى فى سورة النجم آية ٨ ـ ٩ : « ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى » .

التافهة ، بل اشتغل بالعلم الإلهى فى صورة تجعل الفضلاء يقولون : ما أعقل ابن نظامى [١] » .

ثم نصح ابنه – للمرة الثانية – فى « ليلى ومجنون » حينما كان الابن فى الرابعة عشرة من عمره ، فقال له : «ياذا الأربعة عشر عاماً . . ياقرة العين . . يا من وصلتَ إلى درجة تستطيع أن تتعلم فيها علوم الكونين ... حينما كنتَ فى السابعة من عمرك ، كنت كالوردة التى تزهو فى الرياض . والآن وقد بلغتَ الرابعة عشرة ، صرتَ كالسرو ، فرفعتَ رأسك إلى السماء فلا تجلس غافلا ، فليس – الآن – وقت اللعب ، بل وقت العمل والرفعة . فاطلبْ العلم ، وحاولْ الرفعة ، حتى يشاهدوا ازدياد فضلك يوماً بعد يوم ، إن وقت الصغر هو وقت تحصيل العلم ، لأن الشجر المسن يخلو من الثمر ، وسوف لا تستفيد من أنك ابنى فى المقام الذى يتطلبُ العظمة ، فكن كالأسد قوياً بنفسك ، وكن – بنفسك – فاضلاً ، وإذا طلبتَ الجاه فتمسكْ بالسبب ، وعاملْ خلق الله بالأدب ، ولا تغفلْ عن ذكر الله ، وأنت تفعلُ شيئاً ، واعملْ بشوق ، حتى لا تفشل فى عملك . إنك إذا تمسَّكتَ – يا بُنَىَّ – بهذه النصيحة ، فسوف تقوى بنصح أبيك . ورغم أنى ألمح فيك طموح السيادة ، وأستشف منك آداب الفصاحة ، إلا أننى أنصحك ألا تتورط فى فن الشعر ، لأن أحسنه أكذبه ، فلا تطالب الرفعة عن طريق هذا الفن ، لأنها خُتِمَتْ بنظامى ، ولو أن مرتبة الشعر عالية ، إلا أنى أنصحك أن تطلب العلم المفيد ،

---

(١) ببين اى هفت ساله قرة العين مقام خويشتن درقاب قوسين
منت پروردم وروزى خداداد نه برتو نام من نام خدا باد
درين دور هلالى شاد مى‌خند كه خنديدیم ماهم روزكى چند
چو بدر انجمن گردد هلالت برافروزند انجمرا جمالت
قلم دركش بحرفى كان هوائيست علم بركش بعلمى كان خدائيست
بناموسى كه گويد عقل نامى زهى فرزانه فرزند نظامى
(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٤٣٠)

لحاول — في هذه الدنيا — أن تعرف نفسـك ، وأن تتعلم تشريح باطنك ، فإن ذلك هو العلم الذى يضيء الخاطر ، فالنبي قد قال (العلم علمان . علم الأديان ، وعلم الأبدان) فني هذين العلمين رائحة الطيب ، وصاحباها إما فقيه، و إما طبيب فكن طبيباً بذكاء عيسى ، لا طبيباً قاتلاً للناس ، وكن فقيهاً يدخر الطاعة ، لا فقيهاً محتالاً ، فإذا صرتَ كليهما عَظُمْت ، وأصبحت محترماً أمام الجميع ، فتصير ذا عهدين ، وتصبح ذا مهـدين . وحاولْ أن تعرف معنى كل صحيفة تقرؤها معرفة تامة ، لأنك حينما تبلغ الـكمال في العلم ، سوف تصبح حسن الذكر عند الجميع ، و إذا اشتغلتَ في عمل ، لحاولْ التخصص فيه ، ولو كان حقيراً ، فلأن تكون حائك سروج ماهر ، فإن ذلك أفضل من أن تكون صانع قلنسوات غير متخصص . و إن القول منى والعمل منك ، ولا يليق أن تجلس بدون عمل »(١) .

---

(١) ای چارده سال قرة العين بالغ نظر علوم كونين
آنروز كه هفت ساله بودى چون گل بچمن حواله بودى
واكنون كه بچارده رسيدى چون سروبر أوج سركشيدى
غافل منشين نه وقت بازيست وقت هنراست وسرفرازيست
دانش طلب وبزرگى آموز تا به نگرند روزت أز روز
نام ونسبت بخرد سالى است نسل أز شجر بزرگ خالى است
جائيكه بزرگ بايدت بود فرزندى من ندارت سود
چون شير بخود سپه شكن باش فرزند خصال خويشتن باش
دولت طلبى سبب نگه دار باخلق خدا أدب نگه دار
آنجا كه فسانهٔ سگالى أز ترس خدا مباش خالى
آن شغل طلب زروى حالت كزكرده نباشدت خجالت
گردل دهى اى پسر بدين پند أز پند پدر شوى برومند
گرچه سر سروريت بينم وآيين سخنوريت بينم
در شعر مپيچ ودرفن أو چون أكذب أوست أحسن او
زين فن مطلب بلند نامى كان ختم شد است بر نظامى
نظم ارچه بمرتبت بلند است آن علم طلب كه سودمند است =

ونظامى — فى نصحه — يبدو فى صورة الوالد المحب الذى يمنح ابنه الحنان والعطف ، و يحاول أن يرسم له طريق السير فى الحياة ، و يوجهه الوجهة الصالحة التى يعتقد أنها ترفعه عند الله والناس .

وهو يرى أن أسمى هدف يجب أن يسعى ابنه إليه ، و يحاول أن يدركه ، هو أن يصير طبيباً وفقيهاً فى وقت واحد ، ولا ندرى ما إذا كانت هذه التربية هى التى كانت تفضلها عائلته عامة ، أم أن هذا كان رأى نظامى الشخصى ! ...

ومهما يكن من شىء ؛ فإن الشاعر لم يزد شيئاً على النصح الطبيعى ، الذى يُوَجِّهُه كل والد إلى ابنه فى أول درجات النضج ، مدفوعاً بعاطفة الأبوة ، فكل والد يتمنى أن يكون ابنه مجداً مستقيماً ، وأن يصل إلى أسمى درجات العلم والرفعة .

وقد ظلّ ابن نظامى حيًّا حتى نظم الشاعر منظومته الأخيرة « إقبالنامه » وكان شاباً فى ذلك الوقت ، فقد أشار نظامى إلى أنه قد أرسل «إقبالنامه» مع ابنه

= در جدول اين خط قياسى ميكوش بخويشتن شناسى
تشريح نهاد خود بياموز كاين معرفتى است خاطر افروز
پيغمبر گفت علم علمان علم الأديان وعلم الأبدان
در ناف دو علم بوى طيب است وآن هردو فقيه يا طبيب است
ميباش طبيب عيسوى هش أمانه طبيب آدمى كش
ميباش فقيه طاعت اندوز أمانه فقيه حيلت آموز
گر هر دو شوى بلند گردى پيش همه ارجمند گردى
صاحب طرفين عهد باشى صاحب طرف دومهد باشى
ميكوش بهرورق كه خوانى كان دانش‌را تمام دانى
در علم چوتو تمام گردى نزد همه نيكنام گردى
بالان‌گرى بغايت خود بهتر زكلاه دوزى بد
گفتن زمن ازتوكاربستن بى كار نميتوان نشستن
(نظامى : ليلى ومجنون ، ص ٤٥ — ٤٧)

إلى أتابك الموصل عز الدين مسعود ، وذلك فى عام ٦٠٧هـ . فقال : « خرجت جوهرتان من بحرى ، أضاء بريقهما وجهى ، نالت إحداهما عصمة مريم ، وأشرق على الثانية نور عيسى ، فهذه — فى الحسن — كالبدر المنير ، وتلك — فى الإشراق — كالشمس بلا نظير ، فأنا أرسل — إلى باب الملك — عبدَيْن هنديَيْن ، اسم أحدهما مقبل ، واسم الآخر إقبال[1] ، لأن الصندوق يحفظ الياقوت ، والعروس المحبوبة المدللة يَحْسُن أن يكون أخوها هو حاجبها »[2] .

ويبدو أن هذا الابن قد توفى بعد ذلك بقليل ، فى أواخر عام ٦٠٧ هـ ، أو فى أوائل عام ٦٠٨ هـ ، أى قبل وفاة أبيه الذى توفى فى عام ٦٠٨ هـ ، كما سيأتى . فقد وردت قطعة شعر رثى نظامى فيها ابنه ، وقد بلغ الحزن والجزع به كل مبلغ[3] . ومن يدرى ؟ ! فلعل وفاة ابنه كانت من الأسباب التى ساعدت على تحطيم الشاعر ، فتوفى فى نفس العام .

وهكذا لانجد فى إشارات الشاعر إلى ابنه إلا النصح والرثاء .

---

(١) ظن شبلى نعمانى فى كتابه شعر العجم ، ج ١ ، ص ٢٢٢ — ٢٢٣ . أن لنظامى بنتاً ، وأن الشاعر أرسلها مع أخيها إلى عز الدين مسعود ، وكان اسمها «إقبال» واستدل على هذا بما ورد من قول الشاعر . ويبدو أن المقصود من «إقبال» هنا هو « إقبالنامه » إحدى أجزاء قصة الاسكندر ، لا بنت نظامى كما توهم شبلى .

(٢) دوگوهر برآمد زدریای من — فروزنده أز رویشان رای من
يكى عصمت مريمى يافتــه — يكى نور عيسى براو تافتــه
بخوبى شد اين يك چو بدر منير — چو شمس‌آن بروشن دلى بى نظير
بنوبتگه شه دو هندوى نام — يكى مقبل وديگر اقبال نام
فرستاده‌ام هر دو را نزدشاه — كه ياقوت را درج دارد نگاه
عروسى كه بامهر مادر بود — به اربرده دارش برادر بود
(نظامى : إقبالنامه ، ص ٢٨٥)

(٣) عوفى : لباب الألباب ، ج ٢ ، ص ٣٩٧ .

ورغم أن العوامل الموجهة التى فى بيئة نظامى العائلية ليست واضحة المعالم تمام الوضوح ، إلا أنه يبدو أن عائلته لم تكن فقيرة معدمة ، وإلا ما استطاع والده أن يرتبط برباط المصاهرة ، مع أسرة كردية محترمة ، وما تمكن نظامى من الانقطاع سنوات عديدة لتلقى العلوم المختلفة ، ومن البقاء وقتاً طويلاً فى كنجه ، يرسل مدائحه إلى الولاة ، ويقدم منظوماته لهم ، دون أن يحاول التردد عليهم ، وكان لايصل إليه عطاء فى أغلب الأحيان ، ومع ذلك فقد كان يدعو إلى الاعتكاف ، وإلى أن السلامة فى البعد عن الحكام ، ويشيد باعتكافه هو ، وعزوفه عن خدمتهم ، مما يرجح أن الشاعر لم يكن محتاجاً ، بل كان عنده مال ، إن لم يكن وفيراً فقد كان كافياً — على كل حال — لسد حاجته ، ودفع العوز عنه ، والأخذ بيده بعيداً عن ذلّ الاحتياج ، وقيد الفاقة .

* * *

والآن وقد ألممنا بالعوامل التى فى عصر الشاعر وبيئته ، نُعَرِّف بالشاعر نفسه ، لنلمس مدى تأثير هذه العوامل مجتمعة ، فى الشاعر ، وشعره .



أصل هذه الصورة محفوظ فى مكتبة لنينجراد
وقد رسمت لنظامى بيد أحد الرسامين المهرة القدماء .
(منظومة ليلى ومجنون نشر دستگردى بين ص ٢٤ و ٢٥)

الباب الثالث

التعريف بنظامى

الفصل الأول

اسم الشاعر ولقبه وكنيته وتخلصه وتاريخ ولادته

كان اسم الشاعر إلياس[1] ، ولقبه نظام الدين[2] ، وكانت كنيته أبا محمد ؛ فهو نظام الدين أبو محمد إلياس بن يوسف بن زكى بن مؤيّد الكنجوى[3] ، وكان تخلصه الشعرى « نظامى » .

---

(١) يذكر ابن يوسف شيرازى فى فهرست كتابخانهٔ مدرسهٔ عالى سپهسلار ج ٢ ، حاشيه ص ٥٢٤ . أن اسم الشاعر: «ويس» ويستدل على ذلك ببيت لنظامى ، يقول إنه موجود فى النسخ القديمة ، وهو قول نظامى :

يارب تو مرا كه ويس نامم   در عشق محمدى تمامم

ولكن البيت ورد فى «ليلى ومجنون» التى نشرها دستگردى ، ص٣٥ . هكذا :

يارب تو مرا كاويس نامم   در عشق محمدى تمامم

وقد فسر دستگردى هذا البيت ، فى مقدمة گنجينهٔ گنجوى (ص و) . فقال: ان الشاعر لم يقصد أن اسمه كان « ويس » وإنما كان يقصد أنه أصبح فى عشقه لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم كاويس القرنى ، وأصبح جديراً بأن يطلق عليه اسم « أويس » .

ويبدو أن هذا التفسير صحيح ، لأن الشاعر صرح باسمه على أنه إلياس . واتخذ من مطابقة مجموع حروف هذا الاسم ـ بحساب الجمل ـ لأسماء الله تعالى دليلا على حفظه من صروف الدهر ولم يشر إلى « ويس » ولو كان اسمه كذلك لصرح به فى هذه المناسبة ؛ مما يجعلنى أرجح أن اسم الشاعر كان « إلياس » وليس « ويس » .

(٢) هذا هو الرائج ، ولكن حاجى خليفه يذكر لقب الشاعر فى كشف الظنون ، ج ٢، ص ١٦٣٨ . على أنه جمال الدين .

(٣) يذكر دولتشاه فى تذكرة الشعراء ، ص ١٢٨ . اسم والد نظامى على أنه « أبو يوسف »ولكن الشاعر صرح بأن اسم والده « يوسف» .

وقد صرّح الشاعر باسمه وتخلصه فى منظومته « ليلى ومجنون » فقال : « إذا خطوتَ خطوة فى طريق نظامى ، فإنك ترى واحداً وألفاً ؛ أما كلمة إلياس فإنه إذا أُسقِطَ من مجموعها مجموع (ألف و باء)، صار مجموع حروفها تسعاً وتسعين[1]، فالواحد والألف حصنى ، والتسع والتسعون سلاحى تجعلنى خلوًا من المتاعب ، وآمنًا من المشقات[2] » .

كما أشار الشاعر إلى كنيته بذكر ابنه محمد ، وصرح باسم والده وجَدّه فيما سبق ؛ أما تخلصه بنظامى ، فقد تردد مرات كثيرة فى كل منظومة .

* * *

وإذا ما تركنا هذا إلى تاريخ ولادته ، فإننا لانجد ـ فيما نظمه الشاعر ـ ذكراً صريحاً لهذ التاريخ ، وقد أدّى هذا إلى اختلاف الذين تعرّضوا لدراسة نظامى فى تحديد تاريخ ولادته اختلافاً شديداً ، يربو على الثلاثين عاماً . ولعل السبب فى ذلك أنهم حاولوا استنباط تاريخ ولادته من تاريخ وفاته ، الذى بلغ اختلافهم فى تحديده إلى مايزيد على ثلاثين عاماً كذلك .

وقد كادوا يجمعون على أن نظامى تُوُفِّى فى منتصف الرابعة والستين من عمره ،

(١) الشاعر هنا يذكر مجموع الحروف التى تتكون منها كلمتا نظامى وإلياس مع إسقاط مجموع (ا ، ب) من مجموع إلياس وذلك بطريقة حساب الجمل المعروفة ، ليجعل مجموع حروف اسمه مساوياً لمجموع أسماء الله الحسنى ، ويتخذ منها نوعاً من التيمن والبركة .

(٢) در خط نظامى ارنهى كام   بينى عدد هزار ويكنام
والياس كالف برى زلامش   هم با — نود ونه است نامش
زينگونه هزارويك حصارم   باصد كم يك سليح دارم
هم فارغم أز كشيدن رنج   هم أيمنم أز بريدن رنج
(نظامى : ليلى ومجنون ، ص ٤٤)

مستشهدين بما ورد فى آخر منظومة « اسكندر نامه » من أبيات يبدو أنها من نظم شاعر آخر . وهذه الأبيات تصف اللحظات الأخيرة من حياة الشاعر ، وقد أثبتها المنتحل بعد ذكر موت الحكماء السبعة فى قصة الإسكندر ، فقال : «حينما تمت هذه القصة ، عزم نظامى ـ أيضاً ـ على الرحيل ، ولم يمض على هذا وقت طويل ، فقد طويت صحائف تاريخ عمره ، وكان يزيد ستة أشهر على ثلاثة وستين عامًا حينما دَقَّ الطبول إيذاناً بالرحيل ، ثم ذكر أحوال الحكماء السابقين ونام كما نام الحكماء ، وقد أخبر رفاقه ـ فى وقت الرحيل ـ حيناً عن الطريق ، وحيناً عن الدليل ؛ ثم ضحك وقال : إن الغَفَّار قد أمَّلنى فى رحمته ، فأبعدوا عنا متاعبكم ، فأنتم وهذه الدنيا ، ونحن والجنة ؛ وفى أثناء هذا الحديث أخذه النعاس ، حتى ليُخَيَّل إليك أنه لم يَعِشْ أبداً » [١] .

وعلى هذا الأساس استنبطوا تاريخ ولادته من تاريخ وفاته ، فيؤخذ مما ذكره دولتشاه أن الشاعر وُلِدَ فى عام ٥١٣ هـ [٢] ، ومما ذكره لطفعلى بيك

---

(١) نظامى چو این داستان شد تمام — بعزم شدن نیز برداشت گام
نه بس روزگاری بر این برگذشت — که تاریخ عمرش ورق در نوشت
فزون بود شش مه زشصت وسه‌سال — که بر عزم ره بردهل زد دوال
چو حال حکیمانه پیشینه گفت — حکیمان بخفتند واو نیز خفت
رفیقان خودرا بگاه رحیل — که از راه خبرداد وگاه از دلیل
بخندید وگفتا که آمرزگار — بآمرزشم کرد امیدوار
زما زحمت خویش دارید دور — شما واین سرا ماودار السرور
درین گفتگو بد که خوابش ربود — تو گفتی که بیداریش خود نبود

(نظامى : اقبالنامه ، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠)

(٢) دولتشاه : تذكرة الشعراء ، ص ١٣١ . فقد ذكر تاريخ وفاة الشاعر على أنه ٥٧٦هـ ، وقد وافقه فى هذا حاجى خليفه فى كشف الظنون : ج ١ ، ص٨٧١ .

أنه وُلِدَ فى عام ٥٢٣ هـ [١] ، ومما أثبته خواندامير أنه وُلِدَ قبل عام ٥٣٢ هـ [٢] .

كما يستفاد مما ذكره رضا قليخان أن الشاعر وُلِدَ فى عام ٥٣٣ هـ [٣] ، ومما قرّره صاحب « جهان آرا » أنه ولد فى عام ٥٣٤ هـ [٤] ، ومما نقله صاحب « صبح صادق » أنه ولد فى عام ٥٣٨ هـ [٥] ، ومما ذكره تقى كاشى أنه ولد فى عام ٥٤٣ هـ [٦] .

هذا عدا تواريخ أخرى استنبطها من تعرضوا لدراسة الشاعر [٧] . وإن

(١) لطفعلى بيك : آتشكده ، ص ٢٤٢ . فقد ذكر تاريخ وفاته على أنه ٥٨٩ هـ .

(٢) خواند أمير: حبيب السير ، ص ١١٢ . فقد ذكر أن الشاعر كان معاصراً للسلطان طغرل السلجوقى ، وأنه أتم اسكندرنامه فى عام ٥٩٢ هـ ، وكان عمره قد تجاوز الستين .

(٣) رضا قليخان : مجمع الفصحاء ، ص ٦٣٧ . ورياض العارفين ، ص ١٤٩ . كما أورد هذا حاجى خليفه فى كشف الظنون : ج ١ ، ص ٤٠٧ .

(٤) هذا يبدو مما نقله ريو فى فهرست المخطوطات الفارسية بالمتحف البريطانى، ص ٥٦٤ . نقلا عن جهان آرا ، ورقة ١١١ ، فقد ذكر أن الشاعر توفى فى عام ٥٩٧ هـ .

(٥) تربيت : دانشمندان آذربيجان ، ص ٢٨٤ . نقلا عن « نتائج الأفكار » و «صبح صادق» ، حيث ورد أنه توفى فى عام ٦٠٢ هـ ، وقد ورد فى حبيب السير ، حاشية ، ص ١١٢ . أن صاحب « نتائج الأفكار » ينقل عن « صبح صادق » أن نظامى قد أتم إسكندرنامه فى عام ٥٩٧ هـ ، وعاش بعدها خمس سنوات ، وتوفى فى عام ٦٠٢ هـ ، وهو نفس ماذكره معصومعلى شاه فى طرائق الحقائق ، ص ٢٧٩ .

(٦) مولوى أغا على أحمد على : هفت آسمان ، ص ٢٩ . نقلا عن تقى كاشى الذى ذكر — فى تذكرته — أن الشاعر توفى فى عام ٦٠٦ هـ .

(٧) من الذين تعرضوا لضبط تاريخ ولادة الشاعر دستگردى فى مقدمة گنجينهٔ گنجوى ، ص يج ، ولم يقطع برأى ، وإنما حصر تاريخ ولادته بين ٥٣٤ و ٥٤٠ هـ ، أما باخر فى كتابه «حياة نظامى وآثاره» (بالألمانية) ص ٦، وبراون=

كانت بعض المصادر المهمة لم تشر إلى هذه المسألة من قريب أو بعيد (١) .

وهكذا يجد الباحث نفسه تائهاً فى بحر متلاطم الأمواج ، من الأقوال المختلفة التى لا يتفق أكثرها مع إشارات الشاعر نفسه إلى سنه ، فى مواضع مختلفة من منظوماته ، كما لا يتفق مع تواريخ إتمام هذه المنظومات ، ومن قُدِّمَتْ لهم من الولاة الذين حدَّدَ التاريخ سنى حكمهم .

وأرجح أن نظامى وُلِدَ فى عام ٥٣٩ هـ ؛ لأن إشارات الشاعر إلى سنه فى مناسبات مختلفة تجعلنا نرجح هذا التاريخ .

فقد ذكر الشاعر فى « إسكندرنامه » أنه بلغ الستين من عمره ، فقال :

= فى كتابه : تاريخ إيران الأدبى (بالانجليزية) ج ٢ ص ٤٠٠ – ٤٠١ ، وبرتلس فى كتابه : نظامى شاعر آذربيجان العظيم (بالروسية) ص ٢٦ ، فقد رجحوا أن الشاعر ولد فى عام ٥٣٥ هـ ؛ وأما داراب – فى مقدمته لترجمة مخزن الأسرار إلى الانجليزية – فقد حاول إثبات أن الشاعر ولد فى عام ٥٤٠ هـ ، وأن هذا التاريخ هو الصحيح دون غيره ، بينما رجح ابن يوسف شيرازى فى فهرست كتابخانه مدرسه عالى سپهلار ، ج ٢ ص ٥٢٤ . أنه ولد فى عام ٥٤٧ هـ .

(١) كنا نطمع فى الحصول على معلومات دقيقة عن تاريخى ولادة الشاعر ووفاته وكل مايتعلق به من عوفى فى « لباب الألباب » ، والقزوينى فى « آثار البلاد » وهما من المصادر الأساسية فى هذه الناحية ، ولكننا لم نظفر بشىء ، فلم يذكر عوفى فى لباب الألباب ، ج ٢ ، ص ٣٩٦–٣٩٧ . قليلا أو كثيراً يتعلق بهذه المسألة ، بل انه ذكر منظومات الشاعر متفرقة غير مرتبة ، وأغفل ذكر « هفت پيكر » ؛ أما القزوينى فى آثار البلاد ، ص٣٥١ . فقد ذكر أن الشاعر توفى بقرب عام ٥٩٠هـ ، الشىء الذى يثبت التحقيق خلافه ، ولم يشر إلى منظومات الشاعر على أنها مجموعة وإنما ذكرها على غير ترتيب ، وأغفل منها « إسكندرنامه » .

ولعل عدم جمع منظومات الشاعر بعد وفاته بزمن قصير ، وبقاءها متفرقة هو السبب فى كل هذه الاختلافات ، كما أن هجوم المغول وما أعقبه من اختلال فى أحوال الممالك الإسلامية عامة ، وفى إيران خاصة ، قد يكون من الأسباب التى جعلت أنباء الشعراء تعمى هذه التعمية الشديدة .

« لم يتغيّر حالى رغم أن عمرى قد بلغ الستين [١] » .

ويبدو أن الشاعر قد أتمّ هذا الجزء من منظومته فى عام ٥٩٩ هـ ، لأنه قال بعد ذلك بقليل : « إن الدنيا فى اليوم العاشر من شهر إيار لتسعة وتسعين عاماً بعد الخمسمائة [٢] » .

فإذا كان الشاعر فى عام ٥٩٩ هـ فى الستين من عمره ، فإن هذا يرجح أنه ولد فى عام ٥٣٩ هـ .

كما ذكر نظامى فى منظومته الأولى « مخزن الأسرار » أنه تجاوز الأربعين فقال : « إن صديقاً يلزمك الآن ، فلا تخدع نفسك ، ولا تقرأ الآن دروس سن الأربعين » [٣] .

ويبدو أن الشاعر قد أتم «مخزن الأسرار» فى عام ٥٨١ هـ ، لأنه دعا الرسول إلى الاستيقاظ بعد أن نام خمسمائة وسبعين عاما ليُصْلِحَ فساد العصر فقال : « كفى نوم سبعين وخمسمائة عاماً ؛ أسرع إلى مجلسنا لأن اليوم قد تقدم » [٤] .

---

(١) بشصت آمد اندازهٔ سال من نگشت أز خود اندازهٔ حال من

(نظامى : اقبالنامه ، ص ٢٩٠)

(٢) جهان را بردهم روز بود أز ايار نود نه گذشته زپانصد شمار

(المرجع السابق ، ص ٢٩٢)

وقد روى بنفس الرواية فى خمسهٔ نظامى طبع كلكته ص ١٩٠ ، ريو : فهرست المخطوطات الفارسية فى المتحف البريطانى (بالإنجليزية) مخطوطة Add. 16, 782. foll. 117.

(٣) يار كنون بايدت افسون مخوان درس چهل سالگى اكنون مخوان

(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٤٩)

(٤) پانصد وهفتاد بس أيام خواب روز بلنداست بمجلس شتاب

(المرجع السابق ، ص ٢٧)

وقد روى هذا البيت رواية ثانية تغيرت فيها كلمة سبعين « هفتاد » إلى خمسين =

وقد توفى الرسول فى عام ١١ هـ ، مما يدل على أن هذا النظم كان فى عام ٥٨١ هـ ، أى فى الوقت الذى كان الشاعر فيه قد تجاوز الأربعين من عمره ، كما ذكر هو ؛ وهذا يؤيد مارجحناه من أن نظامى ولد فى عام ٥٣٩ هـ ، ويطمئننا إلى أن هذا التاريخ هو أقرب التواريخ إلى الحقيقة .

* * *

وندع هذا لنتحدث عن نشأة الشاعر .

= « پنجاه » كما روى رواية ثالثة تغيرت فيها الكلمة نفسها إلى ثمانين « هشتاد » ولكن الرواية الأولى ، التى سبقت ، هى الأصح لأننا لو قبلنا الثانية فإن تاريخ إتمام « مخزن الأسرار » يكون ٥٦١ هـ ، كما أننا لو قبلنا الثالثة ، فإن هذا التاريخ يصير ٥٩١ هـ ، وكلا التاريخين يتناقض مع تاريخ إتمام منظوماته الأخرى التى تلت « مخزن الأسرار » كما يتناقض مع إشارات الشاعر إلى سنه .

الفصل الثاني

نشأة نظامي

نستطيع أن نلمس من أشعار نظامي ، أنه نشأ نشأة دينية ، متأثراً بوسط كنجه الذي عاش فيه ، فقد قرّر هو أنه كان متديناً منذ شبابه فقال : « لم أقِفْ — منذ شبابي — على باب أحد غيرك لقربي منك »[(1)] .

ولذلك وجدناه في « مخزن الأسرار » أولى منظوماته ، كثير التحدث عن التفكر والمراقبة ، والانقطاع للعبادة ، كما وجدناه نزّاعاً إلى مايقوم به المتصوفة من الجلوس جلسة تَفَكّر ، في حالة مراقبة ، فهو يصوِّر انحناءه ، ووضع رأسه على ركبتيه ، كعلامة للتفكر ، وحينئذ تنكشف له الأسرار ، فينظر بعين القلب ويدرك الحقائق ، وذلك في قوله : « وضعتُ رأسي فوق ركبتي ، وأشرق وجهي بنور الله ، فصارتْ مرآة القلب فوق الركبة ، فطرحت مرآة النظر ، ونظرت في مرآة القلب ، لأرى من أي أنواع التجلي يأتي الفيض الإلٰهي »[(2)] .

ثم بيّن أن الزاهد حين يضع رأسه فوق ركبتيه ، ويتفكر ، تتجلى أمامه الحقائق بالتدريج ، حتى يحيط بالعالمين ، فهو يُحَطِّم روحه ثم يبنيها على

---

(١) چون بعهد جوانی أز برتو ... بر درکس نرفتم أز درتو
(نظامی : هفت پیکر ، ص ٥)

(٢) فرق بزیر قدم انداختم ... وزسر زانو قدمی ساختم
کشته زبس روشنی روی من ... آینه دل سر زانوی من
منکه باین آینه پرداختم ... آینه دیده در انداختم
تاز کدام آینه تابی رسد ... یاز کدام آتشم آبی رسد
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ٣٢)

أساس جديد قَوِىّ ، يستطيع أن يُسَخِّر به الفلك ، فقال : « حينما يجعل الزاهد ركبتيه مسنداً للرأس ويصبح جسمه كالحلقة ، يسبح قلبه فى العالمين ، وفى أثناء هذه الجلسة يُحَطِّم روحه ، ثم يبنيها من جديد ، وحينذاك يستطيع أن يسخر الفلك ، وأن يجنى ثمار التعبد أضعافاً مضاعفة » (١) .

فنظامى يتحدث بطريقة المتصوفة وأسلوبهم منذ بداية أشعاره ، مما يُرَجِّح تغلغل التديُّن فى قلبه ، وأنه نشأ مُحِبًّا للعبادة والتقوى .

ويبدو أن نظامى كان إذا جلس للتفكر ، أمعن فى الجلوس حتى يصل إلى الحقيقة ، غير أن طريقه كان وعراً ، ولذلك فإنه يعتقد أن أحداً غيره لا يستطيع سلوك هذا الطريق ، فيقول : « كثيراً مامكثتْ رأسى فوق ركبتى، حتى أهتدى إلى الطريق ، وقد قطعت المرحلة عن طريق اليقين . فاسلكْ نفس الطريق الذى سلكتُه (فهو الطريق الوحيد إلى الحقيقة) . ولكنك لست أهلاً لهذا الطريق، فاحترس ، واترك أمر نظامى لنظامى » (٢) .

وقد وصف الشاعر لنا خلوتين جلس فيهما تحت رعاية القلب ، فى حالة تفكر ومراقبة ، حتى انجلت الحقائق أمامه ، وشعر بالسعادة تغمره ، وبلذة

---

(١) چون سر زانو قدم دل كند — در دوجهان دست حمايل كند
آيد فرقش بسلام قدم — حلقه صفت پاى وسر آردبهم
درخم اين حلقه كه چستش كند — جان شكند بازدرستش كند
گاهى از آن حلقه زانو قرار — حلقه نهد گوش فلك را هزار
گاهى بدين حلقه فيروز رنگ — مهره يكى ده بدر آرد ز چنگ
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٤٢ — ٤٣)

(٢) بسكه سرم بر سر زانو نشست — تا سر اين رشته بيامد بدست
اين سفر أز راه يقين رفته ام — راه چنين رو كه چنين رفته ام
محرم اين ره تونهٔ زينهار — كار نظامى بنظامى گذار
(المرجع السابق ، ص ٦٢)

ماسكت عليه حواسه [١] وأخذ يصف المراحل التى مَرّ بها ، ففى أول الجلسة جَرَّده القلب من كل شىء فنسى العالم وما فيه ، وتفرغ بكليته للعبادة والتفكر وهو يُصَوِّر ذلك فى قوله : « حينما بدأت العبادة جرّدنى رائضى من العالم ، فصرت متصلاً بحبله ، وازددت تعلقاً به حتى وصلت العبادة إلى أسمى درجاتها ، وانقطعت عن العالم وما فيه [٢] » .

ثم سيطر القلب على نظامى فأصبح رائده ، وقائد طريقه ، وشريكاً له فى غمه ، ومشفقاً عليه فى شئونه ، رغم أنه كان يلاحظ منه تقصيراً . وفى ذلك يقول الشاعر : « لقد كان القلب متعلقاً بنا فى هذه الحالة ولو أنه ليس إلٰهًا ، إلا أنه كان ربّ شئوننا ، فهو قائد طريق فى العالمين ، وإلا ماشاركنى الغم ، ورغم أنه لم يشاهد منى استعداداً كبيراً ، إلا أنه لم ينزع عنى شفقته [٣] » .

وقد استمر نظامى فى هذه الحالة ، يرتقى من منزلة إلى منزلة أرفع ، حتى وصل إلى درجة الكشف ، فأدرك الحقيقة ، وصار مقرباً .

ويبدو من إشارات الشاعر أنه قضى سنين عديدة من عمره ، فى عبادة الله على هذا النحو ، فهو يتحدث فى منظومته الثانية «خسرو وشيرين» عن انزوائه ،

---

(١) نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٥٣ — ٧٠ .

(٢) رايض من چون أدب آغاز كرد　　أز گره نه فلكم باز كرد
گرچه گره در گرهش بود جاى　　برنگرفت أز سراين رشته پاى
تا سراين رشته بجائى رسيد　　كان گره أز رشته بخواهد بريد
(المرجع السابق ، ص ٥٣)

(٣) خواجه مع القصه كه در بندماست
گرچه خدا نيست خداوند ماست
شحنهٔ راه دوجهان منست　　گرنه چرا درغم جان منست
گرچه بسى ساز ندارد زمن　　شفقت خود باز ندارد زمن
(نفس المرجع والصفحة)

وكيف أن حديثه كان متصلاً بالسماء يهتك حجب الكواكب ، ولم يكن له صديق غير الله ، فيقول : « فى تلك المدة التى انزويت فيها ، كنت قد وصلت الحديث بالسماء ، فأحياناً كنتُ أقطع أبراج الكواكب ، وأحياناً كنت أهتك ستر الملائكة ، وكان لى صديق واحد هو الله ، عرّفته بروحى ، وتفانَيْتُ فى عبادته بكل جوارحى[١] » .

وكان يتعبد بطريقة خاصة ، هى أن يعتكف أربعين يوماً [٢] ينقطع فيها عن الناس . وقد تَعَبَّدَ بهذه الطريقة خمسين مرة ، فى مدة أربعين عاماً ، وفى ذلك يقول : « لا تضع أصابعك على الورق الملوث[٣] بعد أن اعتكفتَ خمسين مرة فى أربعين عاماً » [٤] .

ثم أكد أنه لم يترك العبادة حتى آخر حياته ، فقال فى آخر منظوماته « إسكندرنامه » مخاطباً رَبَّه : « إنك فى الليل وفى النهار ؛ فى المساء وفى الصباح ، مقدَّمٌ فى ذاكرتى على كل شىء ، فحينما أحاول النوم فى الليل ، أجدُ فى تسبيحك أولاً ، وحينما أستيقظ من النوم فى منتصف الليل أدعوك وأذرف الدموع ؛ فإذاما أصبح الصباح ، سلكتُ طريقى إليك ؛ وأنت ملجئى طول

(١) درآن مدت كه در را بسته بودم سخن با آسمان پيوسته بودم
كهى برج كواكب مى بريدم كهى ستر ملايك مى دريدم
يگانه دوستى بودم خدائى بصد دل كرده باجان آشنائى
(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٣٥)

(٢) كانت هذه الطريقة تسمى « چله » أى الأربعينية . وهى أن يظل العابد معتكفاً أربعين يوماً يتعبد ويتفكر ، فلا يخرج ، ولا يتصل بأحد .

(٣) يقصد بالورقة الملوثة قصة «خسرو وشيرين» فهو يردع نفسه عن نظم قصة عشق بعد أن تعبد كل هذه الأوقات الطويلة .

(٤) پس از پنجاه چله در چهل سال مزن پنجه در اين حرف ورق مال
(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٣٦)

اليوم حتى المساء ، لأنى أطلب منك المعونة ليلاً ونهاراً ، فلا تخزنى فى هذه الدنيا ، كما أرجو أيها الإله العادل، أن أصير ـ بعد الاحتياج ـ غنياً، فأى معبود يُعْبَد ـ عن طريق العبودية ـ مثلك ؟! .. إننى أرجو أن يُخَلَّد اسمى فى الدنيا ، وتُغْفَر ذنوبى فى الآخرة »[١] .

وقد جعله هـذا يخشى الله ، و يسأله الغفران والرحـة . فيخاطبه قائلا : «عاملنى بلطفك ، ولا تعاملنى بعدلك[٢] » .

ولذلك ؛ فقد حاول الشاعر الاستفادة من وقته ، فلم يضيعه عبثاً ، بل قضاه فى تحصيل العلوم المختلفة ، فنشأ محبًّا للعلم والدراسـة ، وقد تجلّى هذا فى شعره ، وقرر هو أنه لم ينم ليلة قبل أن يفتح باباً من أبواب العلم والمعرفة ، فقال : « لم أقطع العمر باللعب ، فقد كان لى عمل آخر غير الطعام والنوم ، ولم أنم ليلة ـ على فراشى ـ مسروراً ، قبل أن أفتح ـ فى تلك الليلة ـ باباً من أبواب الحـكمة»[٣] .

---

(١) شب وروز درشام ودر بامداد — تو بر يادى أز هرچه دارم بياد
چو أول شب آهنگ خواب آورم — بتسبيح نامت شتاب آورم
چو در نيمشب سر برارم زخواب — ترا خوانم وريزم أز ديده آب
وگر بامدادست راهم بتست — همه روز تا شب پناهم بتست
چو خواهم زتو روز وشب ياورى — مكن شر مسارم در اين داورى
چنان دارم اى داور كار ساز — گزين بانيازان شوم بى نياز
پرستنده گـزره بنـدگى — كند چون توئى را پرستندگى
درين عالم آباد گردد بگنج — در آن عالم آزاد گردد زرنج
(نظامى : شرفنامه ، ص ٧)

(٢) بفضل خويش كن فضلى مرا يار — بعدل خود مكن با فعل من كار
(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٩)

(٣) ببازى نبردم جهان را بسر — كه شغلى دگر بود جز خواب وخور
نخفتم شبى شـادبر بسـترى — كه نگشادم آنشب زدانش درى
(نظامى : شرفنامه ، ص ٤٧)

وقد جعله هذا يطلع على علوم كثيرة مختلفة ، ولكنها جميعها لم تَصْرِفه عن هدفه الأسمى ، وهو عبادة الله ، بل كانت تزيده إيماناً بقدرة الله وعظمته ، و بأن الله ربُّ كل شيء ، فيزداد تعلقاً به وقرباً منه ، فهو يقول : « لقد قرأتُ كل دقائق النجوم ، والعلوم الخفية ، وفتّشت عن السر فى كل ورقة اطلعت عليها فلما وجدتك محوتُ الأوراق ، فقد رأيتُ الجميع يولون وجوههم نحو الله ، ورأيتُك أنت رب الجميع »(١) .

وقد أثرت هذه النشأة الدينية فى الشاعر ، وفى شعره ، فجعلته لا يعتقد فى التنجيم – رغم أنه درس علم النجوم – مما نلمسه فى قوله : « كيف يأتى الخير والشر من النجم ، وهو نفسه عاجز عن الخير والشر ؟ ! ... فلو كان النجم يهب السعادة ، لكان كيقباد من نسل منجم ! ... أى منجم استطاع أن يحصل – بتنجيمه – على كنز ؟! ... إنك قد تعطى – دون وساطة النجوم – كنزاً لمن لا يعرف عدد النجوم وهل هى سبعة أم خمسة ! ... »(٢) .

والشاعر و إن كان قد أكثر من الحديث عن الخمر ، إلا أنه لم يقصد بها الخمر المادية ، و إنما قصد بها الخمر المعنوية ، التى كان يشعر بلذتها من عبادة الله ، ونسيان النفس ، حينما يكون ساقيه وعد الله ، وصبوحه الفنـاء فيه . فقد أقسم بالله أنه لم يُلَوِّث شفتيه بالخمر مدة حياته فقال : « لا تعتقد أيها الخضر المبارك

---

(١) هرچه هست أز دقيقه هاى نجوم   بايكايك نهفته هاى علوم
خواندم وسرهر ورق جستم   چون ترا يافتم ورق شستم
همه را روى درخدا ديدم   در خدا بر همه ترا ديدم
(نظامى : هفت پيكر ، ص ٥)

(٢) بدونيك أز ستاره چون آيد   كه خود أزنيك وبد زبون آيد
گرستاره سعادتى دادى   كيقباد أز منجمى زادى
كيست أز مردم ستاره شناس   كه بگنجينه ره برد بقياس
نودهى بى ميانجى آنرا گنج   كه نداند ستاره هفت أز پنج
(المرجع السابق ، ص ٤)

أن قصدى من الشراب الخمر ، إننى قصدت ـ بتلك الخمر ـ الغيبوبة ، وزيّنْتُ المحفل بتلك الغيبوبة ، لأن لى ساقياً من وعد الله ، وصبوحاً من الخلوات ، وشراباً من الغيبوبة ؛ وإلا فقسماً بالله أننى ـ منذ وُجِدْتُ ـ لم أُلَوِّث شفتى بالخمر ؛ وليجعل الله كل حلال حراماً علىّ إذا كان حلقى قد لُوِّث بالخمر »[١] .

كما جعلت هذه النشأة الدينية الشاعر يَتَحَنَّف فى شعره ، فيتغنى بالفضيلة ، ويُفَضِّلُ الشعر الذى لا يتعارض مع الشرع ، والذى يُصَوِّر أسمى الأهداف الدينية ويُجَلِّيها ، فهو يقول : « إذا لم يجعلك الشرع مشهوراً فلا تُرَشِّح نفسك للشعر ، لأن الشرع يجعل الشعر يصل بك إلى سدرة المنتهى ، ويمنحك حكومة ملك المعانى ، فيصل شعرك عن طريق الشرع إلى مكان ، يصل ظلك فيه إلى الجوزاء »[٢] .

ولذلك ؛ فقد أحدثت محاولته نظم بعض قصص العشق نزاعاً شديداً بين عقله الظاهر ، وعقله الباطن ؛ أو بينه كإنسان ذى عاطفة تتذوق العشق والجمال ، وكرجل عابد متديّن يعتبر حديث العشق لغواً يصرفه عن عبادة الله ، إن لم يفسد عليه هذه العبادة .

---

(١) نپنداری ای خضر پیروز پی   که أز می مرا هست مقصود می
أز آن می همی بیخودی خواستم   بدان بیخودی مجلس آراستم
مرا ساقی أز وعدهٔ ایزدیست   صبوح أزخرابی می أز بیخودیست
وگرنه بیزدان که تا بوده ام   بمی دامن لب نیالوده ام
گر أز می شدم هرگز آلوده کام   حلال خدایست بر من حرام
(نظامی : شرفنامه ، ص ٣٨)

(٢) تانکند شرع تورا نامدار   نامزد شعر مشو زینهار
شعر تورا سدره نشانی دهد   سلطنت ملك معانی دهد
شعر تو أز شرع بدانجا رسد   کز کمرت سایه بجوزا رسد
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ٤٤)

وقد صوّر الشاعر هذا النزاع فى صورة عاتب عتب عليه حينما شرع فى نظم قصة « خسرو شيرين » ؛ فأخذ يذكره باعتكافه الطويل المتكرر ، ويلومه على محاولته إحياء رسوم الزردشتيين ، وفى هذا يقول الشاعر : « دخل المُلِمّ بالسرّ ، فى حالة عتاب ، فلامنى لوماً شديداً (قائلا) : أحسنتَ ياملكاً فى عالم المعانى ، ويا عاهلاً فى مُلْك الكلام ! . . لا تضع أصابعك على هذا الورق الملوث ، بعد أن اعتكفتَ خمسين مرة فى أربعين عاماً ؛ ولا تُفطر بعظام جيفة بعدهذا الصوم الذى قُمْتَ به ، اطرح من يدك خداع المشركين ، ولا تنظم الأباطيل كما فعل الزردشتيون ... انظمْ فى توحيد الله ، فإن لك شهرة (فى هذا الميدان) .. لماذا تحيى رسوم المجوس ؟ ! ... إن العرفاء يَعُدُّون قلبك ميّتاً ، ولوأن الزردشتيين يعتبرونه حيًّا »(1) .

وهكذا نرجح أن نظامى نشأ نشأة دينية ، وأن هذه النشأة أثّرت فيه وفى شعره تأثيراً كبيراً ، وحاولت أن توجّهه وجهات معينة فى نظم الشعر ، وقد ظل تَدَيُّنُهُ ملازماً له طوال حياته .

* * *

ونترك هذا لنعرض ثقافته وألوانها المختلفة .

---

(1) در آمد سرگرفته سرگرفته عتابى سخت با من دررفته
كه أحسنت اى جهاندار معانى كه در ملك سخن صاحبقرانى
پس از پنجاه چله در چهل سال مزن پنجه در اين حرف ورق‌مال
درين روزه چو هستى پاى برجاى بمردار استخوانى روزه مگشاى
. . . .
فريب بت پرستان بفكن أزمشت فسون‌خوانى مكن‌چون‌زندزردشت
. . . .
در توحيد زن كاوازه دارى چرا رسم مغان راتازه دارى
سخندانان دلترا مرده دانند اگرچه‌زندخوانان زنده‌خوانند
(نظامى: خسرو وشيرين ، ص٣٦)

الفصل الثالث

ثقافة نظامى

يبدو من أشعار نظامى أنه كان ذا ثقافة واسعة ، فكان مُلِمًّا بالعلوم الرائجة فى عصره ؛ من دينية وغير دينية .

أما ثقافة الشاعر الدينية ، فإنّ شعره يدلّ على أنها كانت واسعة شملت دراسة القرآن والحديث ، والإلمام بما فى كتب السيرة .

فهو يشير إلى قصة الحجر الذى أُلقى على الرسول صلى الله عليه وسلم فكسر إحدى أسنانه ، فيقول : « إن جوهره لم يجرح قلب الحجر ، فلم كسر الحجر جوهره » (١) .

ويذكر قصص الأنبياء ويتخذها وسيلة لتقرير أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان خاتمهم وأفضلهم ، وأنه لولاه ماخلق الله الأفلاك .

وهو يبدأ بقصة نوح وما حدث من طوفان ، فيقول : « لقد وصل نوح الظمآن إلى ماء الحياة ، ولكنه أخطأ عين الماء فحدث الطوفان » (٢) .

ويشير إلى قصة إبراهيم ، ، وماقيل من أنه زلّ لحكمة ثلاث مرات ، (٣)

---

(١) كوهر أو چون دل سنكى نخست سنكك چرا كوهر أوراشكست
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص٢١)

(٢) نوح كه لب تشنه بحيوان رسيد چشمه غلط كرد وبطوفان رسيد
(المرجع السابق ، ص ٢٩)

(٣) يقال إن إبراهيم قد زل لحكمة ثلاث مرات ؛ الأولى حينما نظر نظرة فى النجوم فقال إنى سقيم وقد ورد ذكرها فى سورة الصافات ، آية ٨٨-٨٩ (فنظر نظرة فى النجوم فقال إنى سقيم) . والثانية لما رأى الشمس بازغة فقال هذا ربى وقد جاء ذكرها فى سورة الأنعام ، آية ٧٨ (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر) والثالثة حينما سألوه عمن حطم الأصنام فقال: (بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون) سورة الأنبياء ، آية ٣ ـ ٦ .

فيقول : « لما أكثر إبراهيم النظر ، اختلف به الرأى فزلّ وسط الطريق ، فى ثلاثة مواضع »[(١)].

ويذكر داود وقيثارته مستعملاً اصطلاحات موسيقية ، فيقول : « لما أصبح صدر داود ضيّقاً صاغ له لحناً يناسبه »[(٢)].

ويشير إلى قصة يوسف وإلقائه فى البئر ، فيقول : « لم ير يوسف فى البئر شيئاً غير الحبل والدلو »[(٣)].

كما يشير إلى قصة الخضر وعثوره على ماء الحياة فى قوله : « لوى الخضر عنانه بعد هذا السفر الشاق ، فابتلّ ذيله ، فعثر على عين الماء »[(٤)].

ويشير إلى قصة موسى ورغبته فى رؤية الله ، فيقول : « لم يستفد موسى شيئاً من طلبه رؤية الله ، لخرّ صعقاً[(٥)] بسبب قوله : ربّ أرنى أنظر إليك »[(٦)].

---

(١) مهد براهيم چو راى او فتاد نيم زه آمد دوسه جاى أوفتاد
(نظامى : مخزن الأسرار، ص ٢٩)

(٢) چون دل داود نفس تنگ داشت در خور اين زير، بم . آهنگ داشت
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) يوسف از آن چاه عيانى نديد جز رسن ودلو نشانى نديد
(المرجع السابق ، ص ٣٠)

(٤) خضر عنان زين سفر خشك تافت دامن خود ترشده چشمه يافت
(نفس المرجع والصفحة)

(٥) ورد ذكر هذه القصة فى سورة الأعراف ، آية ١٤٣ «قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقا ، فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين » .

(٦) ضمن نظامى هذا المعنى فى قوله ، فى مخزن الأسرار ، ص ٣٠ :
موسى از اين جام تهى ديد دست شيشه بكهپايه أرنى شكست

ويذكر قصة المسيح ومجيئه إلى الدنيا بدون والد ، مما أثار التهم حول والدته (١) ، فيقول : « لقدجاء المسيح بهذه الطريقة (دون والد) فكان بذلك مصدر تهمة لوالدته (٢) » .

ويختم بأن الرسول هو خاتم الأنبياء الذى من أجله خُلِق كل شىء ، فيقول مخاطباً الرسول : « لقد كُنْتَ السبب فى خلق الفلك ، فقد أَلْقَيْتَ ظلك عليه . وأنت خاتم النبيين ، فقد خُتِمَ كتابهم باسمك ، كما انتهت ـ بزمانك ـ خطبة النبوة » (٣) .

وكان نظامى إلى جانب معرفته قصص الأنبياء ـ مُلِماً بالتاريخ الفارسى القديم ؛ وإنّ نظمه لقصتى « خسرو وشيرين » و « بهرام گور » لأكبر دليل على ذلك . هذا فضلاً عن ذكره أسماء كثير من ملوك الفرس القدماء ، وبعض الوقائع التى حدثت فى عصورهم .

أما اطلاع الشاعر على الفلسفة فيتضح من ذكره آراء الفلاسفة ، ومناقشته لها ، وإظهار رأيه هو ، فى كثير من الأحيان .

فقد أورد ـ فى قصة الإسكندر ـ آراء الحكماء السبعة فى أصل العالم ، والخلق الأول ، فقال إن « أرسطو » يرى أنه « الحركة » ؛ بينما يرى « تهالس » أنه « المادة الأصلية » ؛ ويعتقد « بُليناس » أنه « الأرض » فهى الطلسم الأول ؛ ويرى « سقراط »

---

(١) يشير إلى ماورد فى سورة مريم آية ٣٨ « يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا » وهى التى تورد الاتهام .

(٢) عزم مسيحانه بدين دانه بود   كو زدرون تهمق خانه بود
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٣٠)

(٣) هم تو فلك طرح در انداختى   سايه براين كار برانداختى
مهر شد اين نامه بعنوان تو   ختم شد اين خطبه بدوران تو
(نفس المرجع والصفحة)

أنه «السحاب» ؛ ويميل «فورفوريوس» إلى أنه «المادة التي تحولت من فيض الله» ؛ ويعطي «هرمس» وصف العالم، ثم يقول : «إنه ليس معلوماً لديه كيف خُلِق» ؛ ويرى «أفلاطون» : أن الله خلق «مواد متفرقة» ، لأنه لو كانت هناك مادة أصلية لكانت أزلية . ويختم الإسكندر بقوله : «إن الشيء الوحيد الذي يمكن أن يُقبَلَ كحقيقة هو أن العالم قد خُلِق، وأن الله موجود ، وأنه واحد قادر» [١] .

وقد ذكر نظامي رأيه - بعد إيراد هذه الآراء ، وهو أن أول شيء خلقه الله هو «العقل» ، ثم افتخر بأن الخضر نصحه بألا يذكر رأي الفلاسفة ، مادام يستطيع إظهار فلسفته . فقال : «خلق الله العقل أولا ، وأيقظ العين بنوره ... وقد جاءني الهاتف المُسمَّى الخضر ، مخترقاً القبة الخضراء ، فأوصل إليَّ السلام ، وجلس بعد السلام إلى جواري ، وملأ رأسي كلاماً ، ثم قال لي بصوت لطيف : لا تسند هذه الكلمات الدقيقة إلى ألسنة الفلاسفة ، فأنت أعرف بالسر منذ الأصل ، فلماذا تُسند الكلام إلى الفلاسفة ، وتدع الكلام اللطيف لتلك العظام النخرة ؟ ! ... لاتأكل خبزك على مائدة الآخرين ، وضع هذا الثمر اللذيذ فوق مائدتك أنت [٢] » .

(١) نظامي : إقبالنامه ، ص ١٢٠ — ١٣١ .

(٢) نخستين خردرا پديدار كرد   زنور خودش ديده بيدار كرد

. . . . . .

همانا كاين هاتف خضر نام   كه خاراشكافت وخضرا خرام
درودم رسانيد وبعد از درود   بكاخ من آمد زگنبد فرود
دماغ مرا پرسخن كرد گرم   سخن گفت با من بآواز نرم
كه چندين سخنهاى خلوت سگال   حوالت مكن بر زبانهاى لال
توميخارى اين سرورا بيخ وبن   بر آن فيلسوفان چه بندى سخن
چرابست بايد سخنهاى نغز   بر آن استخوانهاى پوسيده مغز
بخوان كسان برمخور نان خويش   شكينه بنه برسر خوان خويش

(نظامي : إقبالنامه ، ص ١٣٢ — ١٣٣)

كما كان الشاعر إلمام كافٍ بعلم التنجيم ، فقد ذكر مصطلحات هذا العلم ، فى مواضع كثيرة من شعره ، فذكر أولا المجسطى الذى وضعه بطليموس (١) .

كما أشار إلى الأسطورة القديمة القائلة بأن الأرض يحملها حوت ، فذكر سمكتين إحداهما فى أعلى ـ وهى النجم الذى فى بحر الحوت ـ وأخرى فى أسفل (٢) .

ثم قال إن شعره روحانى ، لأنه مرتبط ببرج الميزان ، وكل من يرتبط بهذا البرج يكون روحانياً ؛ كما قرّر أن السحر الحلال قد أصبح قوته فطغى سحره على سحر هاروت ، ولهذا فهو حىٌّ بالشعر ، وهو سحره (٣) .

وأخذ يشير إلى الكواكب والنجوم ، فى كل منظومة من منظوماته ، ويحاول أن يحكِّمَها فى بعض الأشياء ، كما سيأتى .

ويبدو أن الشاعر كان مُلِمًّا بعلم الهندسة ، فقد ذكر اصطلاحات هذا العلم فى مناسبات مختلفة . فهو يقول : « لقد أصبحتُ مقيداً فى المدينة كالنقطة فى الدائرة (٤) » .

وهو يستعمل الهندسة فى بيان كيفية خلق العالم ، مبتدئاً بالنقطة فيقول : « كان الألف هو أول حركة صدرت عن تلك النقطة التى اختلفت كتاباتها ،

---

(١) يبدو هذا فى مدح نظامى لبهرامشاه ، حيث يقول فى مخزن الأسرار ، ص ٣٢ :

خضر سكندر منش چشمه راى　　قطب رصد بند مجسطى كشاى

(٢) گوش دوماهى زبر وزير تو　　شد صدف گوهر شمشير تو

(المرجع السابق ، ص ٣٤)

(٣) زهرهٔ اين منطقه ميزا نيست　　لا جرمش منطق روحانيست

سحر حلالم سحرى قوت شد　　نسخ كن نسخه هاروت شد

شكل نظامى كه خيال منست　　جانور از سحر حلال منست

(المرجع السابق ، ص ٤٦)

(٤) من كه درين دايره دهر بند　　چون گره نقطه شدم شهربند

(المرجع السابق ، ص ٣٢)

فلما رسم الفرجار معه خطاً آخر ، تكون من الخطين شكلٌ بسيط ، فإذا أحاطت ثلاثة خطوط بشيء كوّنت شكلاً آخر ؛ فالخط أحياناً قائم وأحياناً منبسط ، وقد صيّرت الخطوط الثلاثة الجسم قائماً . وبهذا الترتيب نستطيع أن تعرف العالم من البداية إلى النهاية [١] » .

كما يبدو أن الشاعر قد قرأ شيئاً من كتب الطب ، فهو لايفتأ يذكر الاصطلاحات الطبية ، والأدوية المختلفة ، ويشير إلى العناصر الأربعة ، في مناسبات متعددة ؛ فهو ـ مثلاً ـ يصور شمول الظلام بأن الليل قد مرض من كثرة التفكير ، حزناً على فراق الشمس ، فاحتاج إلى دواء مُسْهِل ، وكان هذا الدواء من التراب ، فالتهم الليل الأرض ، فصار التراب منعشاً له ، وبذلك عمّ الظلام الكون ، وفي ذلك يقول : « لقد صنع الليل المفكر ـ من شدة حزنه ـ معجوناً مسهلاً من التراب ، فصار التراب له كنفس المسيح [٢] ، فأطفأ نيران حزنه ومرضه ، وامتزجت الشربة بالمريض ، فساد الظلام جميع الأرجاء [٣] » .

وكان نظامي ـ فضلاً عن هذا كله ـ متصلاً بالحياة اليومية ، ملماً بما كان

---

(١) أزان نقطه كه خطش مختلف بود نخستين جنبشى كامد ألف بود
بدان خط چو ندكرخط بست پركار بسيطى زان دوى آمد پديدار
سه خط چونكرد بر مركز محيطى بجسم آماده شد شكل بسيطى
خطاست آنكه بسيط آنگاه أجسام كه أبعاد ثلثش كرده اندام
توان دانست عالمرا بغايت بدين ترتيب أز اول تانهايت
(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٤١١)

(٢) المقصود بنفس المسيح « قم بإذن الله » .

(٣) أز پى سوداى شب انديشه ناك ساخته معجون مفرح زخاك
خاك شده باد مسيحاى او آب زده آتش سوداى او
شربت ورنجور بهم ساخته خانه سودا شده پرداخته
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٤٧)

عند القوم من عادات ، ورسوم ، وتقاليد اجتماعية ، فهو حينما يصف الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه رحمة للعالمين ، يصور ذلك فى صورة تدل على إلمامه ببعض الألعاب الرياضية ، وكيفية أدائها ؛ فيذكر لعبة الكرة التى تسمى « البولو » فيقول « لقد صنعوا كرة القبول منذ الأزل ، ووضعوها فى وسط ميدان القلب ، فتقدّم آدم اللاعب الجديد ، ليأخذ الكرة ؛ بمضربه وجرى حصانه خلف الهدف ، ولكن الكرة سقطت بعيداً عن الهدف فتنحى جانباً [1] » .

كما ذكر الكرة وما يتعلق بها ؛ من مضرب ، وميدان لعب ، حينما دعا الرسول إلى الاستيقاظ لإصلاح الدنيا ، فقال : « قم ، وتصرف أحسن من الفلك لأنه لا يصنع شيئاً ، فاعمل أنت عملا مصلحاً ، فخط سير الفلك ميدان عملك ، وكرة الأرض فى ثنايا مضربك [2] » .

كما أشار إلى بعض التقاليد التى اتبعت فى عصره ، فذكر تقليداً اتبعته قبائل الترك ، هو وضع علامة تشبه الهلال فوق خيامهم ، فقال فى وصف الياسمين : « إن الياسمين التركى قد ارتفع فى الهضبة حتى أوصل هلال خيمته إلى الثريا ، بينما جاء الورد إلى معبد الأسرار ، كعابد هندى [3] جاء إلى الصلاة » [4] .

---

(١) گوى قبولى ز أزل ساختند — در صف ميدان دل انداختند
آدم نوزخمه درآمد بپيش — تابرد آنگوى بچوگان خويش
باركيش چون عقب خوشه رفت — گوى فروماند وفرا گوشه رفت
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٢٩)

(٢) خيزوبه أز چرخ مدارى بكن — أو نكند كار توكارى بكن
خط فلك خطه ميدان تست — گوى زمين درخم چوگان تست
(المرجع السابق ، ص ٣٠)

(٣) يشبه الياسمين بالترك فى البياض ، كما يشبه الورد بالهنود فى الحمرة .

(٤) ترك سمن خيمه بصحرا زده — ماهچه خيمه بثريا زده
لا له بآتشكده راز آمده — چون مغ هندو بنماز آمده
(المرجع السابق ، ص ٥٦)

وشبّه صعوبة نظم الشعر بطريقته هو ، بصناعة الحبل الذى تكون أجزاؤه موزعة بين الفم ، واليدين ، وأصابع القدم ، فقال : « أيها الفلك.. متى يخلصون هذه العقد المحكمة من يدك ؟! ... لقد انتقل العمل من اليد إلى أصابع القدم ، فاحلل هذه العقدة من صناعة الكلام[١] » .

كما أشار إلى عادة بيع الماء بالخبز ، فقال ينعى على الشعراء بيعهم الشعر — وهو ثمرة القلب — رخيصاً : « إن ثمرة القلب يجب أن يبيعوها غالية ، فتى تصير ماء حتى يبيعوها بالخبز ؟!...[٢] » .

والملاحظ أننا نحس بهذه الثقافة الواسعة المتنوعة ، و بإلمامه بالعلوم الشائعة فى عصره ، ومعرفته بعادات العصر وتقاليده من منظومته الأولى «مخزن الأسرار» ؛ مما يرجح أنه قضى وقتاً طويلاً منقطعاً للدراسة والتحصيل إلى جانب تَعَبُّدِه .

وقد قرَّرَ هو أنه كان يمعن فى البحث والتقصى ، ويتحمل المشاق فى سبيل الوصول إلى الحقيقة العلمية ، فذكر فى « هفت پيكر » أنه تكلف جهداً كبيراً ، فى جمع المادة المتعلقة بالموضوع ، فبحث فى الكتب القديمة المبعثرة فى أنحاء العالم المختلفة ، من عربية وفارسية ، كما استفاد من الممزّق منها ، ثم درس ماجمعه واختار منه مايلائم موضوعه . فقال : « لقد اجتهدتُ فى هذه المنظومة ، أن تكون جمالاً من نوع غريب ، فبحثت فى الكتب القديمة النادرة التى كانت مبعثرة فى أرجاء العالم ، من عربية وفارسية ، من نسخ البخارى والطبرى ، ومن النسخ الممزقة الأخرى التى وجدتُها مملوءة بالمعلومات القيمة ،

---

(١) أى فلك أز دست توچون رسته اند   اين گره هائى كه كر بسته اند
كارشد أز دست بانگشت پاى   اين گره أز كار سخن واگشاى
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٤٣)

(٢) ميوه دلرا كه بجانى دهند   كى بود آبى كه بنانى دهند
(نفس المرجع والصفحة)

وقد جمعت كل ورقة وقعت فى يدى فى حقيبة ، واطلعت عليها ، حتى هضمتها ، ثم اخترتُ ماراقنى منها »[(١)] .

كما أنه حينما أراد نظم قصة الإسكندر ، وجد الطريق وعراً أمامه ، فقد كانت المادة مبعثرة ، غير موجودة فى كتاب واحد، فحاول الاستفادة من الكتب المختلفة ، كما استفاد من المراجع اليهودية والنصرانية والبهلوية ، فاختار أحسن مافيها عن طريق الترجمة من لغة إلى لغة ، ثم نظم ما وجده صحيحاً منها ؛ وفى ذلك يقول : «حينما أردت نظم هذه القصة ، كان الطريق وعراً ، والمادة كثيرة ، فلم أر آثار ذلك الملك المتجوّل مجموعة فى سجل واحد ، بل كانت المادة كالكنوز ، مبعثرة فى كل نسخة ، فأخذت مادة من كل نسخة ، وصبُبْتُها فى قالب جميل من الشعر ، فضلًا عن استفادتى من التواريخ اليهودية والنصرانية والبهلوية الحديثة . وقد حاولت أن أختار من كل مادة أحسنها ، ومن كل كتاب خير مافيه ، ثم أحطت بمادتى كالكنز ، لأصوغ من تلك الجواهر جوهرة كلية نفيسة ، فترجمتُ من لغة إلى أخرى ، لأن الإلمام بما فى لغة واحدة لايكفى ، فمن يعرف لغة واحدة لن يكون قادراً على النقد ؛ ثم عرضت ـ على مسرح الشعر ـ كل ماوجدتُه صحيحاً من تلك النفائس[(٢)] » .

---

(١) جهد کردم که در چنین ترکیب — باشد آرایشی زنقش غریب
بازجستم زنامه‌های نهان — که پراکنده بود گرد جهان
زان نسخهای که تازیست ودری — در سواد بخاری وطبری
وز دگر نسخها پراکنده — هر دری در دفینی آکنده
هر ورق کاوفتاد در دستم — همه را در خریطهٔ بستم
چون از آن جمله در سواد قلم — گشته سرجمله‌ام گزیده بهم
(نظامی : هفت پیکر ، ص ١٧)

(٢) چو میکردم این داستان بسیچ — سخن راست روبود وره پیچ پیچ
أثر های آن شاه آفاق‌گرد — ندیدم نگاریده دریك نورد =

وهذا يدل على أن الشاعر قد استفاد من قرب كنجه من البيئـات غير المسلمة ، فاطلع على ماعند أهلها ، من علم ومعرفة .

ورغم أن ماأورده نظامى عن الإسكندر لا يتفق كله مع الحقيقة التاريخية ، إلا أنه يدلّ على مابذله الشاعر ، من جهد وعناء ، فى الإطلاع والبحث ، ومحاولة الإلمام بكل شىء مهما كلفه ذلك من تعب ووقت ، وانقطاع للدراسة والتحصيل .

هذا بالإضافة إلا إنه كان ينظم قصة ، تمتزج فيها الحقائق بالأساطير .

وأغلب الظن أن الإلمام بهذه العلوم المختلفة التى انعكست صور منها فى شعره ، كان نتيجة لإتقانه اللغتين العربية والفارسية ، فقد اجتهد المسلمون ـ فى العصر العباسى ـ فى أن ينقلوا كتب العلم ، من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية مما جعل هذه اللغة ضرورية لطلاب العلم فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ، وكان الشعراء والـكتاب العرب منهم والفرس يَعْرِفُونَ ـ فى ذلك العصر ـ اللسانين العربى والفارسى غالباً ، حتى سُمِّى كثير منهم « أصحاب اللسانين » مما يرجح إتقان نظامى اللغتين معاً ، وقد أثبتَتْ اقتباسات الشاعر من القرآن والحديث والحـكم والأمثال العربية ، إحاطته الـكاملة باللغة العربية ، وهى التى هيأتْ له توسيع ثقافته ، وجعلها مختلفة الألوان .

* * *

وندع هذا الحديث عن ثقافة نظامى ، لنلم بأخلاقه ومذهبه فى الحياة .

= سخنها كه چون گنج آكنده بود ... بهر نسختى در پراكنده بود
زهر نسخه بر داشتم مايه ها ... برو بستم أز نظم پيرايه ها
زيادت ز تاريخهاى نوى ... يهـودىّ ونصرانى وپهـلوى
گزيده زهـر مايهٔ نغز أو ... زهر پوست برداختم مغز أو
زبان در زبان گنج پرداختم ... از آن جمله سر جملهٔ ساختم
زهر يك زبان هركه آگه بود ... ز بانش ز بيغاره كوته بود
در آن پرده كز راستى يافتم ... سخن را سرزلف برتافتم

(نظامى : شرفنامه ، ص٦٩)

الفصل الرابع

أخلاق نظامي ومذهبه في الحياة

١ — أخلاق نظامي :

كان نظامي — كما يبدو من شعره — ذا خلق قويم ، ونفس نبيلة ، متسامحة حتى مع أعدائه ، الذين كانوا يحسدونه ؛ فقد وجدناه يدعو لمن يحسده ، فيقول : « ليكن لمن يحسد نظامي ، نفسٌ بلا تأوه ، وعين بلا دموع »[1] .

كما أن الشاعر لم يخرج في قصصه عن حدود الفضيلة ، فصوّر — في منظوماته — الطهر والعفاف ، ورعاية الفضيلة ؛ مما جعل لها نغمة واحدة .

وكان في رثائه لزوجاته مثالاً للزوج المخلص المحب ، الذي ينظر إلى زوجته نظرته إلى الشريكة المخلصة ، والمعشوقة الملهمة ؛ فرغم أنه تزوج ثلاث مرات ، إلا أنه لم يجمع بين زوجتين في وقت واحد ، بل إنه كان من أنصار الاقتران بواحدة ؛ وهو ينصح بذلك فيقول : « تكفيك زوجة واحدة فقط ، لأن الرجل الذي له قرينات كثيرات ، يعتبر وحيداً ، إذ أنه يفقد حبّهن[2] » .

ويرى أن يفنى كل من الزوجين في حب الآخر . لأن هذا له أثر مفيد في الأبناء ، فيقول : « لقد صار الزمان مختلف الألوان ، لأن له سبعة آباء وأربع

---

(١) كسى كو بر نظامى ميبرد رشك   نفسى بى آه بيند ديده بى اشك
(نظامي : خسرو وشيرين ، ص ٤٤٦)

(٢) يكى جفت ترابس بود   كه بسياركس مرد بيكس بود
(نظامي : إقبالنامه ، ص٥٩)

أمهاتٍ[١]، فإذا أردتَ أن يكون لابنك لون واحد ، فاتحد مع أمه في قلب واحد[٢]» .

وقد لاحظنا ـ في أثناء نصح نظامي لابنه ـ أنه كان يبدو في صورة الوالد المحب ، الذي يمنح ابنه الحنان والعطف ، وينصحه محاولاً أن يطرد عنه اليأس والحزن ، ويخلق فيه المرح والأمل ، ويغرس في قلبه الإيمان بالله والتوكل عليه ، ويرسم له طريق السير في الحياة ، ويلقنه درساً في الأخلاق الفاضلة ، وفي كيفية معاملة الناس ، ويشجعه على كسب رزقه بالعمل الشريف ، وينصحه إذا عمل عملاً أن يتقنه ، ويدعوه إلى الاعتصام بعزة النفس ، والكرامة .

ولقد كان هذا صدى لما في نفس الشاعر من عزة نفس ، نلمسها في قوله مهيباً بالإنسان أن يترك الذلة والتزلف : «إلى متى تتذلّل مثل الثلج المذاب ، ومثل الفأر الميت في الماء ؟! [٣]...» .

ويدعوه إلى ترك خدمة الملوك فيقول : اترك خدمة الملوك ، فالخدمة تذهب الكرامة ، وتجنب صحبة الملوك كتجنب القطنة الجافة النارَ المحرقة ، فإن البعيد عن تلك النار آمن ، وإن تكن مملوءة بالنور[٤] » .

---

(١) يبدو أن الشاعر يقصد بقوله «سبعة آباء» الكواكب السبعة ، وبقوله «أربع أمهات» العناصر الأربعة .

(٢) أز آن مختلف رنك شد روزكار ... كه دارد پدر هفت ومادر چهار
چو يك رنك خواهي كه باشد پسر ... چو دل باش يك مادرويك پدر
(نظامي : إقبالنامه ، ص ٥٩)

(٣) تاچند چو يخ فسرده بودن ... در آب چو موش مرده بودن
(نظامي : ليلي ومجنون ، ص٥٢)

(٤) بگذار معاش پادشاهي ... كآوارگي آورد سپاهي
أز صحبت پادشه به پرهيز ... چون پنبه خشك أز آتش تيز
زان آتش اگرچه پر نوراست ... أيمن بود آن كسيكه دورست
(المرجع السابق ، ص ٥٤)

وهو لذلك يقرّر أنه لا يجيد خدمة الملوك فيقول : « لا أجيد خدمة الملوك ، ولا أعرف السجود إلا لله »[(١)] .

وهكذا أثرت النشأة الدينية فى أخلاق نظامى ، فظل محافظاً على تدينه وأخلاقه الفاضلة بعد اتصاله بالولاة ، فلم تغيرها الأحوال المختلفة ؛ وقد لازمه الدين والخلق طوال حياته ، فأثّرا إلى حد كبير ــ فيما انتهجه من مذهب فى الحياة.

* * *

٢ ــ مذهب نظامى فى الحياة :

إن الشىء الذى لا شك فيه ، هو أن نظامى كان من الناحية الدينية سُنّى المذهب ، فهو يطنب ــ فى كل منظومة من منظوماته ــ فى مدح الرسول والخلفاء الراشدين ، فيقول مثلا : « حينما أُكمِل بناء الشرع من جوانبه الأربعة ، صار منيعاً إلى الأبد »[(٢)] .

ويؤكد هذا المعنى ويوضحه فى قوله : « كان « الصدِّيق » إماماً بصدقه ، وقد جاوز قَدْرُ الفاروق «عمر» الفرقدين ، وكان الشيخ الخجول التقى « عثمان » زميلاً لأسد الله «علىّ» ، وقد كان الأربعة من معدن واحد ، كريحان شرب من ماء واحد ، فصار ملك الدين موطداً بفضل هؤلاء الخلفاء الأربعة ، كالبيت الذى يُهيّأ بأركانه الأربعة »[(٣)] .

---

(١) ندانم كرد خدمتهاى شاهى مگر لحق سجود صبحگاهى
(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٢٤)

(٢) سراى شرع را چون چار حد بست بنا بر چار ديوار ابد بست
(المرجع السابق ، ص ١١)

(٣) صديق بصدق پيشوا بود فاروق زفرق هم جدا بود
وان پير حيائى خداترس باشير خداى بود همدرس
هر چار زيك نورد بودند ريحان يك آبخورد بودند
زين چار خليفه ملك شد راست خانه به چهار حد مهياست
(نظامى : ليلى ومجنون ، ص ١١)

ثم يقول : « ليس فى تقواهم شك ولا ريب ، وليس — فى هؤلاء الأربعة — أحدٌ[1] معيباً »[2] .

ولا تكاد منظومة من منظومات الشاعر تخلو من مثل هـذا المديح . وقد أثبتَ حبه للخلفاء الراشدين جميعاً ، فى قوله : « إذا كان قلبى عامراً بحب على ، فلست أخلو من حب عمر ، كما أحبُّ أبا بكر وعثمان ، فهما كالشمع والمصباح اللذين يضيئان طريق الشرع[3] » .

ومادام الشاعر سنياً ، فمن الطبيعى أن يوافق الأشاعرة فى تفكيرهم ، وقد

---

(١) حاول بعض غلاة الشيعة أن يتخذوا من هذا البيت دليلا على تشيع نظامى . وقد قال دستكردى فى مقدمة گنجينهٔ گنجوى ، ص لز « إن هذا البيت إذا كان من نظم الشاعر فإنه يثبت تشيعه لأنه ترجمة للعبارة التى وردت فى محاضرات الراغب الإصفهانى ، وهى : « مر ابن المعدل بقوم فسلم عليهم ، فلم يجيبوه ، فقال لهم لعلكم تظنون مايقال فى من الرفض . إن أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً من نقص واحداً منهم فهو كافر وامرأته طالق . قال بعض من كانوا معه من شيعته : ويحك ماهذه اليمين ؟!.. قال : أردت بقولى من نقص واحداً منهم على بن أبى طالب وحده » وهم يعتبرون مقصود الشاعر هنا يشبه مقصود ابن المعدل وهو أن علياً فقط هو التقى الذى لا شك فى تقواه . وحاول دستكردى أن يجد مخرجاً من هـذا المأزق ، فرجح أن البيت ليس من نظم الشاعر وقال إنه غير موجود فى النسخ القديمة .

وأرى أن مقصود الشاعر واضح لا لبس فيه ، فهو يمدح الخلفاء الأربعة دون تمييز أو ترجيح ، ويؤكد أنهم جميعاً تقاة لا شك فى تقواهم ، وأنهم جميعاً منزهون عن العيوب ، ولكن يبدو أن الشيعة قد حاولوا أن يتخذوا هذا البيت دليلا على تشيع نظامى . وقد ظهرت هذه المحاولة حتى فى الكتب المتأخرة مثل : الذريعة إلى تصانيف الشيعة لآقابزرگ الطهرانى ، ص ٢٥٦ .

(٢) در پاكيشان نه شك نه ريبى زين چهار يكى نداشت عيبى

(نظامى : ليلى مجنون ، ص ١١)

(٣) بمهر على گرچه محكم پيم ز عشق عمر نيز خالى نيم

هميدون دراين مغز روشن دماغ أبو بكر شمعست وعثمان چراغ

(نظامى : شرفنامه ، ص ٢٤—٢٥)

كانت سوقهم رائجة فى عصره ، فلعل الشاعر قد تأثر بهم ، لأننا نجده يوافقهم فى بعض المسائل المذهبية ، ويخالف المعتزلة . فهو يوافق الأشاعرة فى القول بإمكان رؤية الله بالعين المجردة ، أى بعين الرأس ، مع التنزيه عن الزمان والمكان ؛ وهو ـ فى وصف المعراج ـ يميل إلى أن الرسول قد رأى الله بعين الظاهر ، فيقول : « إنّ القول المستحسن هو أن الرسول رأى الله منزهاً عن الصورة والمكان ، لأن الله يُرَى ، فيجب ألا تُحْجَب رؤيته عن العين ، وقد عَمِيَ من لم يقل بالرؤية .. وقد رآه النبى بعين الرأس لا بعين القلب ؛ ولكن الرؤية ـ فى تلك الليلة ـ كانت منزهة عن الزمان والمكان ، فكل من شاهد قد وجد طريقاً من جهة ليست مكانية[1] » .

وهو يكرر هذا المعنى ، مؤكداً أن الرسول رأى الله ، وسمع كلامه ، فيقول : « كان الله ـ فى وقت الرؤية ـ منزهاً عن المكان ، فقد نصب العرش فى مكان خاص ، بعيداً عن الكونين ، ودنا الرسول فكان قاب قوسين ، فكان يرى حضرة ذى الجلال ، ويدرك سر كلام الحق[2] » .

وقد وافق نظامى الأشاعرة فى قولهم بأن الإنسان مجبور فى كل أعماله ؛ من

---

(١) مطلق أز آنجا كه پسنديد نيست — ديد خدارا وخدا ديدنيست
ديدنش أز ديده نبايد نهفت — كورى آنكس كه بديدن نگفت
ديد پيمبر نه بچشمى دگر — بلكه بدين چشم سر اين چشم سر
ديدن آن پرده مكانى نبود — رفتن أز راه زمانى نبود
هركه در آن پرده نظرگاه يافت — أز جهت بى جهتى راه يافت
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٢٠)

(٢) بازار جهت بهم شكستى — أز زحمت فوق وتحت رستى
خرگاه برون زدى ز كونين — در خيمه خاص قاب قوسين
هم حضرة ذو الجلال ديدى — هم سر كلام حق شنيدى
(نظامى : ليلى ومجنون ، ص ١٥)

خير وشر ، فلا اختيار له فيما يفعل ، فقال : « إنى أعش فى هذه الدنيا ويدى ممسكة بقبضة الفلك »(١) .

وقرر أنه سواء أكان خيراً أم شريراً ، فإن ذلك قضاء عليه لا اختيار له فيه؛ فقال : « لقد عجَنْتَ طينتى - التى أوجدتَها من التراب - بالطيب والخبث ، فإذا كانت نفسى خيرة أو شريرة ، فإن قضاءك هو الذى كتب هذا لىّ »(٢) .

وردّد هذه النغمات فى مواضع كثيرة من منظوماته .

وقد لاحظنا أن نشأة الشاعر الدينية جعلته يؤثر العزلة ، ويتخذ الاعتكاف - للتفكر والعبادة - مذهباً له فى الحياة ، مُقلِّداً - فى ذلك - المتصوفة ، وأنه أكثر من الاعتكاف حتى ظن الكثيرون(٣) أن الشاعر عاش طيلة حياته فى عزلة وانزواء ، فلم يحاول الاتصال بحكام عصره ، أو التردد على بلاطهم مادحاً ، متزلفاً ، طامعاً فى العطاء ؛ بل لقد بالغوا فى وصف عزلته إلى درجة أنهم رووا أن الحكام التمسوا القرب منه ، للتبرك به ، والتشرف بالوجود فى حضرته . وهم - فى ذلك - يشبهونه بشيوخ الصوفية(٤) .

---

(١) پاى فرو رفته بدين خاك در   با فلكم دست بفتراك در

(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٣٢)

(٢) سرشت مرا كافريدى ز خاك   سرشته تو كردى بناپاك وپاك

اگر نيكم وگر بدم در سرشت   قضاى تو اين نقشه در من نبشت

(نظامى : شرفنامه ، ص ١٢)

(٣) دولتشاه : تذكرة الشعراء ، ص ١٢٨ ؛ القزوينى : آثار البلاد ، ص ٣٨٥ ؛ جامى : نفحات الأنس ، ص ٥٤٧ ، واله داغستانى : رياض الشعراء ، ص ٨٤٠ ؛ راضى تبريزى : زينة التواريخ (الورقة التى قبل الأخيرة) ؛ عليشير نوائى : مجالس النفائس ، ص ٣٥٢ ؛ عبد النبى قزوينى : ميخانه ، ص ١٠ ؛ مير تقى كاشى : خلاصة الأفكار ، ١٤٦ ا ؛ أمين رازى : هفت إقليم (الإقليم السابع) .

(٤) يروى دولتشاه فى تذكرة الشعراء ، ص ١٢٨ - ١٢٩ . أن الأتابك قزل آرسلان زار نظامى ليمتحنه ، فعرف الشاعر ذلك ، فأظهر له كرامة من عالم الغيب ، فرآه يجلس على عرش مرصع بالجواهر ، وقد أحاط به مائة ألف من الخدم والجنود =

أما نزوع الشاعر إلى الزهد والاعتكاف ، فقد فَسَّرَته لنا نشأته الدينية التى تحدثنا عنها ، فى عصر كله حروب ومنازعات تُحَبِّبُ الناس فى الاعتكاف ؛ ولا يعنى هذا أن الشاعر كان صوفياً .

ونحن نرجح أن نظامى لم يكن صوفياً ، بل كان ميَّالاً إلى الخلوة والتعبد ، فلم يكن مقيداً بما يتقيد به الصوفية ـ عادة ـ من اجتماع ، وخرقة ، وغناء . كما نرجح أن هذا الميل قد فرضته عليه الظروف التى أحاطت به ، فما كان الشاعر ليمانع فى الاتصال بالحكام وأعوانهم لو أن أحداً قربه إليه ، بل إنه كشاعر ، كان يتمنى ذلك حتى يذيع شعره ، وينتشر ذكره بتلك الوسيلة التى لم يكن أمام الشعراء غيرها .

ونحن نحس من مدح الشاعر للولاة والحكام أنه حاول ذلك ، فقدم لهم

= والغلمان والحجاب والندماء ، فبهت الأتابك ، وتقدم لتقبيل قدم الشيخ ، وحينذاك خرج نظامى من عالم الغيب إلى عالم الشهادة ؛ فرأى الأتابك شيخاً مسناً يجلس على باب غار ، وأمامه مصحف ، ودواة ، وقلم ، ومسبحة ، وعصا ، وبضع أوراق ؛ فقبل الأتابك يده بتواضع ، وصار يعتقد فيه اعتقاداً كبيراً منذ ذلك الوقت .

وقد روى هذه القصة ـ أيضاً ـ لودى فى مرآة الخيال ، ص ٣٤ ـ ٣٥ ـ وأغا على أحمد على فى هفت آسمان ، ص ٢٧ ؛ ولطفعلى بيك فى آتشكده ، ٢٤٢ ، ومير حسين سنبهلى فى تذكرته ، ص ٣٤٣ .

وقد شاعت بين المستشرقين فكرة أن نظامى شاعر صوفى كما يبدو من مقالة اثـكمشكى التى كتبها عن « مخزن الأسرار » ضمن « عدة مقالات حول نظامى » باللغة الروسية ، ص ٩٥ . نقلا عن كريمسكى فى كتابه « تاريخ آداب إيران وفلسفة الدراويش » .

أما القصة التى سبق ذكرها فقد اعتدنا أن نسمع أمثالها حول الأشخاص الذين يمتازون بصفات بارزة ، من حربية وعقلية ودينية . فهؤلاء الأبطال كل فى ناحيته ، يكونون مجالا خصباً لأن تروى حولهم مثل هذه القصص التى تبالغ فى تجسيم ما عندهم من تلك الصفات البارزة ، وهى قصص يلعب الخيال فيها دوراً كبيراً .

منظوماته ، وأسرف فى مدحهم ، ولكنهم لم يلتفتوا إليه ، ولم يفكر أغلبهم فى دعوته ، لانشغالهم عنه بالحروب والمنازعات .

والشاعر يقرر أنه لم يجد من يقدره ، فيقول: « إننى أعيش فى ظلام دامس دون مصباح يُضىء لى الطريق ، كبلبل لايجد حديقة يأوى إليها ، رغم أنى مزجتُ دم كبدى بالكلام ، فأججْتُ نار الشعر بدم الكبد»(١) .

وهو يدعو نفسه إلى السكوت لأن الدنيا لاتسمع ، فيقول : « اسكت يانظامى واختم هذه المقالة ، فماذا تقول لدُنيا تضع القطن فى الأذن »(٢) .

ويبدو أنه كان يرسل مدائحه إلى الولاة ، فهو حينما يمدح بهرامشاه يُبيّن أن هذا ليس أول مديح فيقول : «لقد كان قصدى أن أجَدِّد ـ فى هذين الشهرين ـ العهد بخدمة الملك »(٣) .

كما يبدو أن الشاعر كان يظهر عدم رغبته فى الذهاب إلى حضرة الولاة ، إذا لم يدع ، أما إذا دُعِىَ فإنه كان يلبى فرحاً مسروراً ، ويكفى أن نصوّر فرحه حين دعاه قزل آرسلان ، فإنه لم يتباطأ لحظة واحدة ، ولم يتعلل بحبه للعزلة ، بل غمرته موجة من الفرح عبّر عنها فى قوله : « قفزْتُ من مكانى لأذهب إلى خدمة الملك ، وسُقْتُ الدابة فى الصحراء مسرعاً ، وطفقت أرقص فى الجبال والصحارى ، وكنتُ أسابق الحمر الوحشية فى العدو ، وأسبق الطير فى الطيران ، ولم أشبع من الرقص طول الطريق ، وكانت الدابة التى تحتى أكثر منى رقصاً ، وقد قطعتُ

---

(١) من بچنين شب كه چراغى نداشت   بلبل آن روضه كه باغى نداشت
خون جگر با سخن آميختم   آتش از آب جگر انگيختم
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٤٨)

(٢) نظامى بس كن اين گفتار خاموش   چه گوئى باجهان پنبه در گوش
(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٤٢٩)

(٣) بود بسيجم كه در اين يكدوماه   تازه كنم عهد زمين بوس شاه
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٣٨)

الطريق ساجداً لله شاكراً ، وكنت أمضى كالفرجار ، أدور حول الطريق ، فكنت أسمع الدعاء للملك فى كل منزل نزلت فيه ، وفى كل مرحلة قطعتها ، وكنت أنا أدعوله — فى كل مرحلة — دعاء جديداً ، كما كنت أشكره بالقرب من كل عين شربتُ منها ماء جديداً ، وكان نسيم الدولة يأتى من كل جبل ونهر لتحيتى ، بفضل لطف الملك . وكانت رائحة عدله ، تفوح مسكية من كل شبر وطئته قدماى ، فلما أرحتُ نفسى من عناء السفر ، قبلت الأرض بين يَدَىْ الملك(1) » .

وهكذا نجد أن الشاعر وإن كان قد عاش فى عزلة وانزواء ، وأظهر ميله إلى الاعتكاف ، وتمجيده له ، وأكثر من الحديث عن عزلته ، فى صورة توحى بأنه قد اتخذ العزلة مذهباً له فى الحياة ، إلا أنه لم يكن عازفاً عن الاتصال بالحكام ، غير أن عدم دعوة أغلبهم له هى التى حالت دون خروجه من كنجه ، وخلقت فى نفسه هذا الميل إلى الانزواء ، وهذا التمجيد له ، كما أوجدت كثرة الحديث عن الظلم وعدم التقدير .

---

(١) بعزمت خدمت شه جستم أز جاى — در آوردم بپشت بارکی پای
برون راندم سوی صحرا شتابان — گرفته رقص درکوه وبیابان
ز گوران تك ربودم در دويدن — گرو بردم زمرغان در پريدن
ز رقص ره نمیشد طبع سيرم — زمين رقاص‌تر مرکب بزيرم
همه ره سجده ميبردم قلم وار — بتارك راه ميرفتم چو پرکار
بهر منزل کز آن ره ميبريدم — دعای دولت شه ميشنيدم
بهر چشمى كه آبى تازه خوردم — بشکرشه دعائی تازه کردم
نسيم دولت أز هرکوه ورودى — زلطف شاه ميدادم درودى
زمشكين بوى آن حضرت بهرگام — زمين در زير من چون عنبر خام
چو بر خود رنج ره کوتاه کردم — زمين بوس بساط شاه کردم
(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٤٥٠ — ٤٥١)

ومما يرجح أن الشاعر كان يتصل بالولاة ورعاياهم ؛ أنه نفسه قرر أنه اختار قصة « خسرو وشيرين » لتروج بين الناس ، ولتحوز إعجاب الولاة ، لأنها من الموضوعات المحببة إلى نفوس الناس جميعاً ، فانتشارها يؤدى ، إلى ذيوع شهرته والوصول باسمه إلى درجة الخلود التي كان ينشدها . ولذلك قال الشاعر في تبرير نظمه لهذه القصة : « لماذا أتعب نفسي في قصة العشق ، وعندي كنز كمخزن الأسرار ؟!. لأنه ليس هناك فرد في العالم اليوم لا يميل إلى مثل هذه القصص[1] » .

فالواقع أن الظروف هي التي شجعت نظامى على العزلة ، أما الشاعر نفسه فلم يكن عازفاً عن الناس ، أو عن الاتصال بالحكام .

* * *

ونختم تعريفنا بالشاعر ، بذكر مايتعلق بوفاته ومدفنه .

(١) مرا چون مخزن الأسرار گنجى   چه بايد در هوس پيمود رنجى
وليكن در جهان امروز كس نيست   كه اورا درهوس نامه هوس نيست
(نظامى : خسرو وشرين ، ص ٣٢)

الفصل الخامس

وفاة نظامى ومدفنه

أرجح أن نظامى توفى فى عام ٦٠٨ هـ [1] . فقد كان ـ فيما يبدو ـ حياً فى عام ٦٠٧ هـ ، حينما قدّم « خردنامه و إقبالنامه » للقاهر عز الدين مسعود ، حاكم الموصل ، الذى ولى أمرها فى ذلك العام [2] .

وقد أطنب الشاعر فى مدح هذا الحاكم ، و بيّن أنه حاكم الموصل ، فقال :
« إنه حاكم الموصل بالحكمة والروية ، وهو ملك الملوك بالرجولة » [3]

---

(١) سبقت الإشارة إلى اختلاف المراجع فى تحديد تاريخ وفاة نظامى اختلافا كبيرا ، يربو على الثلاثين عاماً ، عكس حصره فى المدة ما بين ٥٧٦ هـ و ٦١١ هـ .
وقد ناقشت هذه المسألة فى أثناء محاولة تحديد تاريخ ولادة الشاعر ، وسنرى أن الدلائل الموجودة فى شعر نظامى ترجح أنه توفى بعد عام ٦٠٧ هـ ، وأن أغلب التواريخ التى ذكرت ليس صحيحاً .

(٢) يذكر الحافظ أبو عبد الله الذهبى فى تاريخ الإسلام الذهبى ، ص ٨٤ ، وأبو الفدا ، فى تاريخه ، ص ١١٩ ، وابن الوردى ، فى تاريخه ، ص ١٢٨ ، وابن العماد الحنبلى ، فى شذرات الذهب ، ج ٥ ص ٢٤ . أن القاهر عز الدين مسعود قد خلف أباه أرسلان شاه ـ الذى توفى فى عام ٦٠٧ هـ ـ فى حكم الموصل وأنه كان فى السادسة عشرة من عمره . ويضيف ابن العماد الحنبلى أن القاهر كان مشهورا بالملاحة والعدل والسماحة . ويذكر ابن يوسف شيرازى فى فهرست كتابخانهٔ مدرسهٔ عالى سپهسالار ، جلد دوم ، ص ٥٣٠ أن وزيره عماد خوى كان يعرف بنظام الملك الثانى .

(٣) طرف دار موصل بفرزانگى قدر خار شاهان بمردانگى
(نظامى : إقبالنامه ، ص ٣٠)

وقد صرح الشاعر باسمه ، ووصفه بالغلبة والبطولة ، فقال : « إنه قائد الأبطال والغزاة ، الملك عز الدين القاهر ، ذو العرش والتاج ، إن شعاره فى الدولة كشعار طغرل تكين ، وهو أبو الفتح مسعود بن نور الدين »[١] .

وقد ورد هـذا المديح فى أكثر من نسخة خطية قديمة[٢] . مما يُرَجِّح أنه من نظم الشاعر ، وأن الممدوح هو حاكم الموصل ، القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين آرسلان .

ومما يؤيد ذلك أن الشاعر مدح وزيره عماد الدين خونى ، وبيّن أنه ـ فى حسن تدبيره ـ أفضل من نظام الملك ، وزير ملكشاه السلجوقى المشهور ، فقال : « إنه وزير أحسن ـ فى التدبير ـ من نظام الملك ، وقد اشتهر بلقب (كفى الكفاة) ولما كان الملك مساوياً فى العظمة لملكشاه ، فإنه يجب أن يكون نظام الملك الثانى وزيراً له »[٣] .

وقد أشار نظامى إلى موت نور الدين آرسلان والد هـذا الحاكم ، فقال : « مادام الملك آرسلان[٤] قد توفى ، وتَوَسَّد التراب ، فإنه لا يمكننى نَظْمُ الشعر ؛

---

(١) سر سرفرازان وكردنكشان   ملك عز دين قاهر شاه نشان
بطغراى دولت چو طغرل تكين   أبو الفتح مسعود بن نوردين

ورد هذا المدح فى مخطوطة Add. 276. B كما ذكر ريو ، فى فهرست المخطوطات الفارسية بالمتحف البريطانى ، ج ٢ ص ٥٦٨ .

(٢) نفس المرجع والصفحة فقد وردت الأبيات فى مخطوطة Add.16 780. Fol. 214 ومخطوطة Add. 46613. Fol. 267. B

(٣) وزيرى بتدبير بيش أز نظام   باكفى الكفاتى برآورده نام
چوشه چون ملكشه بود دستكير   نظام دوم بايد أورا وزير
(نظامى : إقبالنامه ، ص ٢٨٢)

(٤) ظن داراب فى مقدمة ترجمته « لمخزن الأسرار » إلى الانجليزية ، ص ٥٦ . أن المقصود من آرسلانشاه هو قزل آرسلان الذى توفى فى عام ٥٨٧ هـ ، وتعجب من رثاء الشاعر له بعد مضى وقت طويل ورجح أن الأبيات نظمت فى تاريخ =

اللهم إلا إذا ساعدتنى دولة الملك ، فأوحت إلىّ بقول جديد »[١] .

فهذه القرائن ترجح أن الشاعر توفى بعد عام ٦٠٧ ﻫ .

أما الأبيات المنتحلة التى وردت فى آخر « إقبالنامه » ، والتى تفيد أن الشاعر توفى بعد إتمامه نظم قصة الاسكندر ، وأنه كان ـ فى ذلك الوقت ـ يزيد ستة أشهر على ثلاثة وستين عاماً ، كما مرّ ، فيبدو أنها تدل على عمر الشاعر حينما أتم القسم الأخير من « اسكندرنامه » ، أى أنه أتم هذا القسم فى عام ٦٠٣ ﻫ .

ومما يساعدنا على ترجيح أن « اسكندرنامه » تمت بعد عام ٦٠٠ ﻫ ، أن الشاعر وصف زلزالاً حدث فى ذلك العام ، وشمل مصر ، والشام ، والجزيرة ، والروم ، وصقلية ، وقبرص ، والعراق ، كما ذكر ابن الوردى[٢] ، ويبدو أنه شمل كنجه التى كانت الزلازل تحدث فيها من وقت لآخر .

وقد صوّر الشاعر هذا الزلزال فى صورة تشبه ماذكره ابن الوردى فقال :

« لقد مزّق ذلك الزلزال السماء ، فطمست المدن تحت الأرض ، وقد وقع فى الجبل والصحراء بدرجة جعلت الغبار يتجاوز عنان السماء ، فصارت الأرض مضطربة مثل السماء ، تتأرجح من لعب الدهر[٣] » .

= سابق وأن المنظومة قدمت لنصرة الدين أبى بكر أتابك آذربيجان ، لا لعز الدين مسعود ، ولكن الأبيات صريحة فى أن المقصود هو نورالدين آرسلان أبو عزالدين مسعود ، أتابك الموصل ، الذى ذكر اسمه قبل ذلك .

(١) چوشاه آرسلان رفت ودرخاك خفت
سخن چون توان در چنين حال گفت
مگر دولت شه كند يارئى در آرد بمن تازه گفتارئى
(نظامى : إقبالنامه ، ص ١٢)

(٢) ابن الوردى : تاريخه ، ص ١٢٢ .

(٣) أز ان زلزله كآسمان را دريد شد آن شهرها در زمين ناپديد
چنان لرزه افتاد دركوه ودشت كه گرد أز گريبان گردون گذشت
زمين گشت چون آسمان بى قرار معلق زن از بازى روزگار
(نظامى : إقبالنامه ، ص ٣٢)

وبعد أن صور الشاعر البلاد التى شملها الزلزال صور شدته فى گنجه فى قوله : « لم يصدر عن جماعات النساء ، والرجال ، والشبان ، والشيب — بسبب هذا الزلزال — إلا صوت نفير الموت »[١] .

ويبدو أن الزلزال حدث فى أثناء نظم القصة ، وكان شديداً إلى درجة أثّرت فى الشاعر ، وجعلته يُثْبِتُه فى ثنايا المنظومة . وبديهى أن وصف الزلزال كان بعد وقوعه ، فى عام ٦٠٠ هـ .

وعلى هذا لايبدو بعيداً أن « اسكندرنامه » تمت فى عام ٦٠٣ هـ ، غير أنه نظراً لاضطراب الأحوال ، لم يستطع الشاعر تقديم باقى القصة لنصرة الدين أبى بكر ، أتابك آذر بيجان فى ذلك الوقت ، كما قدّم القسم الأول منها ، فانتظر حتى تسنح الفرص .

وقد سنحت له فرصة — فى عام ٦٠٧ هـ — حينما تولى القاهر عز الدين مسعود أمر الموصل ، فولّى وجهه شطر الموصل لعله يجد فى الحاكم الجديد نصيراً ومشجعاً ، فقدم المنظومة له ، وأرسلها مع ابنه الشاب ، الذى توفى بعد ذلك بقليل .

أما المدة التى تقع بين ٦٠٣ هـ و ٦٠٧ هـ ، فقد عميت فيها أبناء الشاعر ، لكبر سنه ، وضعفه ، وانزوائه .

وقد ورد أن الشاعر عاش خمس سنوات بعد إتمامه قصة الإسكندر[٢] فى عام ٦٠٣ هـ ؛ مما يرجح أنه توفى فى عام ٦٠٨ هـ ، أى بعد أن أدرك حكم القاهر عز الدين مسعود ، حاكم الموصل .

ولعل موت ابنه فى وقت كان هو فيه شيخاً محطماً قد أثر فى الشاعر ، فتوفى بعده بقليل ، فى نفس العام .

---

(١) ز چندان زن ومرد وبرنا وپير   برون نامد آوازة جز نفير
(نظامى : إقبالنامه ، ص ٣٣) .

(٢) خواندامير : حبيب السير ، حاشيه ، ص ١١٢ نقلا عن صبح صادق ، وقد سبق ذكره .

ومهما يكن من شيء ؛ فإن نظامى لم يمت قبل عام ٦٠٨ هـ ، أى أنه توفى فى التاسعة والسعين من عمره .

أما الحديث عن الموت والاستعداد للرحيل بعد إتمام « اسكندر نامه » ـ الذى كان سبباً فيما نجده من اختلافات ؛ فى تحديد وفاة الشاعر ، وولادته ، ومدة عمره ـ فلعله كان صدى لـكبر سنّ الشاعر ، وضعف جسمه ، وقد كرّره فى مناسبات كثيرة ، كان فيها أقل هرماً وأصغر سناً ، فـكان يقول إن جسمه قد ضعف ، وأصبح فى حاجة إلى الراحة التى يقصد بها الموت (١) .

* * *

وقد توفى نظامى فى كنجه ودفن بها ، وكانت له مقبرة ظلت قائمة بضع سنوات بعد إلحاق كنجه بروسيا (٢) ، ثم تَهَدَّمَتْ ؛ وتم بناؤها مرة أخرى

---

(١) تحدث الشاعر عن الموت ، ورغبته فيه ، فى « ليلى ومجنون » ص ٧ ـ ٨ ، و « هفت پيكر » ، ص ٤ ـ ٥ ، و « شرفنامه » ، ص ٣٢ ـ ٣٨ .

(٢) ممن رأوا مقبرة نظامى رأى العين حاج فرهاد ميرزاى معتمد الدولة ، كما يذكر فى كتابه هداية السبيل ، ص ٢٠ . وكان سفره فى عام ١٢٩٢ هـ — ١٨٨٣ م ، وقد خربت المقبرة بعـد ذلك بالتدريج حتى أصبحت فى صورة كومة من التراب ، وكانت قرب مدينة كنجه القديمة ، وعلى بعد فرسخ من كنجه الحالية ، وقد نشر بارتولد مقالا بالروسية تحت عنوان « قبر نظامى » ونشر معه صورتين لبقايا المقبرة ، كما أشار إليها اسكندر منشى تركمانى ، فى تاريخه « عالم آراى عباسى » ، ص ٤٩٨ وما بعدها ، على أنها بقرب كنجه . وقد ورد فى كتاب « سفرنامه ناصر الدين شاه قاجار » أنها قرب اليزابتپول وهو الاسم الذى سميت به كنجه بعـد انضمامها إلى روسيا ، كما ذكر أنها كانت خربة جـدا فى عام ١٨٧٣ م ، وهـذا يشبه ماذكره باكيخانوف ، فى « كلستان إرم » بالروسية ، ص ١٦٥ .

وقد أعطى شبليكن ، فى كتابه «آثار الفن المعمارى فى عهد نظامى» ، بالروسية ، ص ٤٩ ـ ٥٠ . وصفاً لهذه المقبرة وما تم فيها من ترميمات إلى أن تهدمت نهائياً .

وفى عام ١٩٢٣م تـكونت هيئة من علماء كنجه عرفت باسم «جماعة نظامى» . وقد استطاع أعضـاؤها ـ بعد الحفر والتنقيب ـ أن يخرجوا مابقى من عظام =

فى عام ١٩٤٠ م ، فى نفس المكان الذى كانت فيه المقبرة القديمة ، أى بالقرب من مدينة كنجه القديمة ، ثم دُفِنَتْ فيها عظام الشاعر بصفة نهائية (١) .

* * *

والآن وقد لمسنا ما فى عصر نظامى من تيارات موجهة ، وما فى بيئته من عوامل مؤثرة ، وعرّفنا به ، على ضوء هذه المؤثرات ، نستطيع أن ندرس شعره ، الذى كان ثمرة لهذه الأشياء جميعها ، فقد انعكست فيه أصواؤها . فكان تعبيراً عنها .

وقد خصصنا لذلك الكتاب الثانى من هذا البحث ، حيث ندرس شعر الشاعر دراسة نقدية مقارنة ، محاولين أن نجسم منزلة نظامى بين شعراء الفارسية ، وأن نبرز مزايا فنه الشعرى .

= الشاعر، ثم أعادوا دفنه فى مدينة كيروفاباد فى قبر تحوطه حديقة ، وهذه المدينة تبعد فرسخين عن كنجه القديمة ،كما يبدو مما ذكره دستكردى ، فى مقدمة كنجينة كنجوى ، ص كو . نقلا عن مقالة ترجمها حلخالى ، عن جريدة « ينكى فكر » التركية عددى ٢٥٦ ـ ٢٥٧ لسنة ١٩٢٣م

وظلت عظام الشاعر فى هذه المقبرة إلى أن تم بناء مقبرته الجديدة ، فنقلت إليها . ونشر دستكردى صورة للمقبرة الجديدة فى مقدمة كنجينة كنجوى ، ص ل . وقد كتب عليها بالتركية :

Segh Nisami Gencali, Ilyas Yusuf Oglu «Nisamaddin» T. Tev. 535 vef. 599

وترجمة هذه العبارة « الشيخ نظامى الكنجوى إلياس بن يوسف (نظام الدين) ولادته ٥٣٥ ، وفاته ٥٩٩ هـ ، وقد ضبطت تاريخى ولادته ووفاته فيما سبق، وناقشت الأقوال المختلفة التى وردت فيهما .

(١) كتاب جمعية آذربيجان القديمة (بالروسية) ، مقالة سيسيوف ، ص ١-٢٧ .

الكتاب الثاني

شعر نظـــــامي

---

١ — منظومة مخزن الأسرار
٢ — « خسرو وشيرين
٣ — « ليلى ومجنون
٤ — « هفت پيكر
٥ — « إسكندر نامه
٦ — ديوان نظامي
٧ — فن نظامي

تمهيد

خلّف نظامى خمس منظومات ، يقرب مجموع أبياتها من ثلاثين ألف بيت من الشعر ، ألا وهى : « مخزن الأسرار » و« خسرو وشيرين » و « ليلى ومجنون » و « هفت پيكر » و « اسكندر نامه » . كما خلّف ديوان شعر بقى منه ألفا بيت تقريباً [1] .

وقد نظم الشاعر منظوماته الخمس بطريقة المثنوى ، مما يجعل من الضرورى التعريف بهذا الفن ، قبل دراسة المنظومات نفسها .

١ — فن المثنوى :

يُعْتَبر فن « المثنوى » من الفنون التى اخترعها العجم ، وقد أخذه العرب عنهم وسموه « المزدوج » كما أخذوا فن « الرُّباعى » الذى يُسَمَّى « الدُّو بيت » [2] .

وقد عُرِّف « المثنوى » بأنه الشعر الذى يُبْنَى على أبيات مستقلة مُقَفَّاة ، وسُمِّىَ المثنوى لأنه تلزم قافيتان لكل بيت [3] ؛ أى أنه الشعر الذى يُقَفَّى فيه

(١) لم تحفظ النسخ الخطية الموجودة من ديوان نظامى أكثر من ألفى بيت ، بينما يقول دولتشاه فى تذكرة الشعراء ، ص١٢٩ . إنه كان يبلغ عشرين ألف بيت .

(٢) مولوى أغا على أحمد على : هفت آسمان ، ص ٤ . نقلا عن صاحب الميزان الوافى .

(٣) هذا تعريف شمس الدين محمد بن قيس الرازى فى كتابه المعجم فى معايير أشعار العجم ، ص ٣٠٨ . وهو يتفق مع التعريفات التى وردت فى غيره من الكتب ونضرب مثلا بما نقله مولوى آغا على ، فى هفت آسمان ، ص ٤ . عن صاحب الميزان الوافى الذى يقول: «إن المثنوى عند العجم هو الأبيات التى تتفق فى الوزن، ويوافق كل مصراع منها المصراع الآخر ، المحاذى له ، فى القافية» ، كما نقل تعريف صاحب « بدايع الأفكار » وهو « المثنوى فى اللغة أن يقولوا شيئاً يكون منسوباً إلى مثنى أى اثنين اثنين ، وفى الاصطلاح الشعرى أن يكون كل مصراع منه مستلزماً قافية وبذلك تكون لكل بيت قافيتان ، ويسمونه ـ أيضاً ـ المزدوج » .

مصراعا كل بيت ، ويكون البيت مستقلاً ـ من حيث القافية ـ عن البيت الذى يسبقه أو يليه .

وقد أكثر شعراء الفارسية من نظم « المثنوى » فى سبعة أوزان : اثنين من الهزج ، واثنين من الرمل المسدس ، وواحد من السريع ، وواحد من الخفيف المسدس ، وواحد من المتقارب المثمن [١] ؛ ولم ينظموا «المثنوى» فى الأبحر الكبيرة مثل الرجز التام ، والهزج التام ، وأمثالها [٢] .

وقد اختار الفرس هذا الفن لنظم المنظومات الحماسية والغنائية ، ويبدو أنهم فعلوا ذلك ليفروا من قيود القافية الموحدة ، فى منظومات طويلة قد تصل إلى آلاف الأبيات ، مما يجعل وجود قافية مُوَحَّدَة شيئاً يكاد يكون مستحيلاً . فالشاعر الذى ينظم بطريقة « المثنوى » حر غير مقيد بوحدة القافية ، لأن كل بيت يعتبر قائماً بذاته ، من حيث القافية .

وقد سَبَّبَ هذا سهولة ويسراً ؛ فأصبح هذا الفن يصلح لوصف مناظر الطبيعة ، وتصوير الإحساسات المتنوعة ، كما يصلح لكتابة القصص والوقائع التاريخية ، وتصوير جوانب الحياة من فردية واجتماعية ، لأن الشاعر لا يكون مقيداً بعدد معين من الأبيات تفرضه عليه القافية الموحدة ، بل يكون حراً طليقاً ينظم أى عدد من الأبيات يشاء ؛ وهكذا وجدنا المثنويات المطولة التى بلغ عدد الواحدة منها آلافاً من الأبيات ، فصارت المنظومة أشبه شيء بالكتاب العلمى حسن التأليف .

ويمكن تقسيم المثنويات إلى الأقسام التالية .

١ ـ الحماسية أو التاريخية ، مثل «شاهنامه» للفردوسى ، و « اسكندرنامه » لنظامى .

---

(١) مولوى آغا على : هفت آسمان ، ص ٥ . نقلا عن صاحب الميزان الوافى ، وعن مجمع الصنايع ، وهفت قلزم ، ودرياى لطافت ، ومخزن الفوائد .

(٢) مولوى آغا على : هفت آسمان ، ص ٥ . نقلا عن صاحب كشاف الاصطلاحات .

٢ ـ الغرامية ، مثل « خسرو وشيرين » لنظامى .

٣ ـ القصصية ، مثل « هفت پيكر » لنظامى ؛ و « هشت بهشت » لأمير خسرو الدهلوى .

٤ ـ الأخلاقية ، مثل « حديقة الحقائق » لسنائى ؛ و « مخزن الأسرار » لنظامى .

٥ ـ التصوفية الفلسفية ، مثل « مثنوى مولانا جلال الدين الرومى » ؛ و « جام جم » لأوحدى المراغى (١) .

وقد اشتهر كل بحر من الأبحر التى نُظِمَ فيها « المثنوى » بصلاحيته لبعض الموضوعات .

فبحر الهزج مناسب لإظهار الألفة والمعاشقة ، وقد نُظِمَتْ منظومتا « خسرو وشيرين » و « ليلى ومجنون » لنظامى فى هذا البحر ، لأن فيه سببين ووتداً ، فهو يعطى شيئاً من اللحن ، مما جعل الأهازيج من أملح الغناء (٢) .

وبحر المتقارب يصلح للموضوعات الحماسية ، بسبب تقارب أوتاده وأسبابه مما جعل نغماته تشبه صوت الشجعان ودقّ الطبول ، ورنين الأسنة ، وهو لذلك مناسب لتحريك أعصاب الجنود .

وبحر الرمل يلائم حالات الفرح والحزن (٣) ، بينما يصلح بحر الخفيف لحالات الرقص والحركات الخفيفة ؛ بسبب قصر مقاطعه (٤) .

---

(١) شبلى نعمانى : شعر العجم ، ج ٤ ، ص ١٧٥ .

(٢) تربيت : مقالته عن « مثنوى ومثنوى گويان » ، مجله مهر ، سال پنجم ، مردادماه ١٣١٦ ، ص ٢٢٧ .

(٣) من المثنويات التى نظمت فى بحر الرمل « مصباح رشيدى » فى التجرد والتصوف

(٤) من المثنويات التى نظمت فى بحر الخفيف « هفت پيكر » لنظامى .

أما بحر السريع فيناسب وصف الإحساسات القلبية (١) ؛ وذلك بسبب كثرة أسبابه ، وقلة أوتاده ، مما يعطى سرعة وسهولة لنغمة الأبيات (٢) .

وقد نُظِمَتْ مثنويات عديدة قبل منظومات نظامى . نذكر منها « وامق وعذراء » للعنصرى ، و« شاهنامه » و « يوسف وزليخا » للفردوسى ، و « ويس ورامين » لفخر الدين الگرگانى ، و « حديقة الحقائق » لسنائى ، و « مصباح رشيدى » لرشيد الدين الوطواط ، و « تحفة العرقين » للخاقانى .

ثم جاء نظامى فنظم خمسته التى سبق ذكرها ، وهى تسمى أحياناً « الكنوز الخمسة » (٣) .

وقد وُصِفَ نظامى بأنه إمام فن المثنوى ، لأنه قُلِّدَ كثيراً ، كما قيل : إن الصنعة والإحكام والدقة فى الفن القصصى قد انتهت إليه (٤) ؛ غير أننا لا نستطيع أن نَتَبَيَّنَ مكانة الشاعر بين شعراء هذا الفن إلا إذا انتهينا أولاً من دراسة منظوماته دراسة نقدية مقارنة ، يحسن أن تسبقها معرفة النسخ الخطية الموجودة منها ، وترتيبها فى النظم .

* * *

٢ ـ النسخ الخطية الموجودة من خمسة نظامى :

لعل من الأشياء التى تساعد على دراسة شعر نظامى ، وجود نص منظوماته الخمس فى كثير من النسخ الخطية ، فضلاً عن أنه طُبِع مرات عديدة .

وقد تَكَفَّلَتْ كتب الفهارس بذكر النسخ الخطية الموجودة من الخمسة ،

(١) من المثنويات التى نظمت فى بحر السريع « مخزن الأسرار » لنظامى .

(٢) تربيت : مقالة «مثنوى ومثنوى گويان » مجله مهر ، سال پنجم ، مرداد ماه ١٣١٦ ، ص ٢٢٧ .

(٣) هذه ترجمة للتسمية الفارسية « پنج گنج » .

(٤) عبد الوهاب عزام : ما كتبه متعلقاً بالأدب الفارسى فى كتاب : قصة الأدب فى العالم ج ١ ، ص ٤٤٥

ووصفها ، وإيراد الأبيات الأولى من كل منظومة ، هذا عدا الأبيات التى تشير إلى تاريخ إتمام كل منها ، ومدح من قدمت له .

والملاحظ أن كل نسخة من النسخ الخطية تشتمل ـ غالباً ـ على منظومات الشاعر الخمس ، مما يدل على أنها ـ كلها ـ قد جُمِعَتْ فى مجلد واحد ، وظلت كذلك إلى أن انفصلت أخيراً ، فَطُبِعَتْ كل منظومة منها على حدة .

ومما يجدر ذكره أن هذه النسخ الخطية كثيرة منتشرة فى مكتبات الشرق [1] والغرب [2] ، ولكن أغلبها قد كُتِبَ فى تواريخ متأخرة .

---

(١) ابن يوسف شيرازى : فهرست كتابخانهٔ مجلس شوراى ملى ، جلدسوم ، وفهرست كتابخانهٔ مدرسهٔ عالى سپهسالار ، جلد دوم (ماذكر فيهما خاصاً بخمسة نظامى) . كما توجد نسخ خطية فى مكتبة ملك بطهران (الفهرست غير مطبوع) .

Abdul Muqtadir : Cat. of Arabic and Persian Manuscripts in the oriental public library at Bankipore pp. 48 - 57;

Radawi and Saheb : Cat. of Persian Manuscripts in the Buhar library p. 223 - 226;

A. Sprenger: A Cat . of Arabic, Perssian, and Hindustany Manuscripts of the library of King Oudh, 519- 523.

(٢) Browrne : A Cat. of Persian Mss, in the library of the University of Cambridge, pp. 303-307 ;

Rieu: a) Cat. of the Persian Mss. in the Brit. Mus. pp. 564 - 577; b) Supplement to the Cat. of the Persian Mss. in the Brit. Mus. , pp. 153 - 155;

H, Ethé : Cat. of the Persian Mss. in the Library of the India Office, pp. 595 - 599;

Victor Rosen : Les Manuscrits Persans de L, Institut des Langues Orientales, pp. 171 - 173 ;

Blochet: Bibliothèque Nationale Cat. de Manuscrits Persans Tome Troisieme pp. 52 - 99;

Jackson and Yohannan : A Cat. of Persian Mss. (Cochran Collection) pp. 49 - 58.

وإذا استعرضنا النسخ الخطية الموجودة نلاحظ أنها قد كُتِبَتْ فى القرن التاسع الهجرى ، أو بعد ذلك فى خلال القرون الثلاثة التالية ، حتى القرن الثانى عشر ، مما يرجح أن منظومات الشاعر بقيت مبعثرة بعد وفاته أكثر من قرنين من الزمان ، قبل أن تتناولها أيدى النساخ بالجمع والنسخ .

غير أننا نجد دستكردى يقرّر أنه اعتمد ـ فى نشره للمنظومات الخمس ـ على ثلاثين نسخة خطيـة مكتوبة فيما بين القرنين السابع والحـادى عشر الهجريين [1] ، مما يشعر بأنه كان يمتلك ـ فى مكتبته الخاصة ـ أقدم النسخ الخطية الموجودة من نص الخمسة ، غير أنه ـ كما ذكرت ـ لم يصف أية نسخة من النسخ التى اعتمد عليها ، وكان عليه أن يعرف بها كما فعل أصحاب كتب الفهارس .

وتوجد نسخة خطية فى دار الكتب المصرية [2] مخطوطة بقلم فارسى ، أولها محلى بالذهب ، وهى تقع فى ٣٥٠ ورقة ، فى كل صفحة منها ٢١ سطراً ، طولها ٣٢ سم ، وعرضها ٢٠ سم ، ولـكن تاريخ كتابتها غير مذكور ، فلا ندرى فى أى قرن كُتِبَتْ .

وقد وصف ريو كثيراً من النسخ الموجودة بالمتحف البريطانى بلندن ، وهى نسخ كُتِب بعضها فى القرن التاسع الهجرى ، وبعضها الآخر فى القرنين العاشر والحادى عشر ، كما اشتمل بعضها على منظومة واحدة مثل مخطوطة Add, 19500 ، ومخطوطة Add, 23458 ، فإنهما تحتويان على « مخزن الأسرار » فقط .

أما النسخ التى كُتِبَتْ فى القرن التاسع ، فقد ذكر ريو اثنتين منها فى الفهرست ، وهما : مخطوطة Add, 7729 ، وقد وصفها بأنها مكتوبة بالخط النسخ الفارسى الصغير ، وعدد أوراقها ٣١٦ ورقة ، طولها ٧,٥ ، وعرضها ٥ بوصات ،

(١) يذكر دستكردى هذا فى مقدمة « مخزن الأسرار » وفى خاتمة « خسرو وشيرين » ، ص ٤٦٠ . ويكرره فى كل منظومة .

(٢) مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢٠ أدب فارسى .

كتب فى كل صفحة منها ٢٢ سطراً ، طول كل سطر ٣٫٥ بوصة ؛ وقد تمت كتابتها فى شوال من عام ٨٠٢ هـ .

ثم نسخة Add, 25900 وعدد أوراقها ٣١٦ ورقة . طولها ٧٫٥ بوصة وعرضها ٧٫٥ بوصة وعرضها ٤٫٧٥ بوصة ، تحتوى كل صفحة منها على ٢٥ سطرا ، طول كل سطر ٣٫٦٢٥ بوصة .

كما ذكر ريو اثنتين فى ملحق الفهرست وهما : مخطوطة Or, 2834 ، وعدد أوراقها ٣٧٤ ورقة ، طولها ١٠٫٢٥ بوصة ، وعرضها ٦٫٢٥ بوصة ، وفى كل صفحة من صفحاتها ١٩ سطرًا ، طول كل سطر أربع بوصات ، وقد تمت كتابتها فى عام ٨٩٥ هـ .

ومخطوطة Or, 2931 وعدد أوراقها ٥٠٤ ورقة طولها تسع بوصات وعرضها ست بوصات ، وقد كتب فى صفحة ٢١ سطرًا ، طول كل سطر ٢٫٥ بوصة .
كما ذكر مولوى عبد المقتدر نسخة خطية تحت رقم No. 37 كتبت فى القرن التاسع ؛ عدد أوراقها ٣٣٧ ورقة طولها ٦٫٥ بوصة وعرضها ٥٫٧٥ بوصة ، وفى كل صفحة منها ٢١ سطرا (١) .

وذكر « إته » مخطوطة تمت كتابتها فى عام ٨٩٤ هـ (٢) .

وهذه هى أقدم النسخ الخطية التى بين أيدى الباحثين ؛ وإن كنتُ قد اعتمدتُ فى هذا البحث ، على « خمسة نظامى » التى نشرها دستكردى متفرقةً ، لأن النص الذى نشره يعتبر من أصح النصوص المنشورة ؛ فقد قارن ـ فيما يبدو ـ بين نصوص نسخ خطية كثيرة قبل أن ينشر النص الذى بين أيدينا .

---

(١) M. Abdul Muqtadir : Cat. of the Arabic and Persian Mss. in the Oriental public library at Bankipore, pp. 48 - 58.

(٢) H. Ethé : Cat. of the Persian Mss. in the library of the India Office, vol. I, pp. 595 - 597.

كما أنى حققْتُ رواية بعض الأبيات المتعلقة بتاريخ إتمام نظم كل منظومة ، والأبيات التى ساعدت فى إثبات مايتعلق بولادة الشاعر ووفاته ، فقارنتُ بين روايات النسخ الخطية المختلفة ، ورجّحْتُ رواية منها معتمدًا على بعض القرائن التاريخية ، أو على الأدلة الموجودة فى شعر الشاعر .

* * *

٣ — ترتيب خمسة نظامى :

بقى أن نعرف ترتيب منظومات الشاعر لنبنى دراستنا على أساسه ، والمُرَجَّحُ أن نظامى قد نظم « مخزن الأسرار » أولا ، ثم « خسرو وشيرين » ، ثم « ليلى ومجنون » ، ثم « هفت پيكر » ، ثم « اسكندر نامه » .

فقد صرح هو بهذا الترتيب ، فى قوله : « اتجهتُ نحو « مخزن الأسرار » أولا ، فلم أتباطأ فى ذلك العمل ، وأسلتُ منه الشهد ، ثم مزجته « بشيرين وخسرو » ، ونَصَبْتُ ـ بعد ذلك ـ الخيمة فى الفضاء ، وطرقت باب عشق « ليلى ومجنون » فلما انتهيت من هذه القصة ، أسرعت نحو « هفت پيكر » ، والآن ، وعلى بساط الفصاحة ، أَدُقُّ طبول حظ « الاسكندر » (١) .

وهذا الترتيب هو الذى أَثْبَتَتْه النسخ الخطية الموجودة بين أيدينا ، واتفق عليه أغلب الباحثين (٢) ، مما لا يدع مجالا للشك فيه .

---

(١) سوى مخزن آوردم أول بسيچ   كه سستى نكرد در آن كار هيچ
وزو چرب وشيرينى انگيختم   بشيرين وخسرو در آميختم
واز آنجا سرا پرده بيرون زدم   در عشق ليلى ومجنون زدم
وزين قصه چون باز پرداختم   سوى هفت پيكر فرس تاختم
كنون بر بساط سخن پرورى   زنم كوس إقبال اسكندرى
(نظامى : شرفنامه ، ص ٧٨ ـ ٧٩)

(٢) ذكر باخر فى كتابه : حياة نظامى وآثاره (بالألمانية) ، ص ٦ ـ ٧ . أن =

ونكتفى بهذا التمهيد لندرس منظومات الشاعر حسب ترتيبها فى النظم ، فنبدأ « بمخزن الأسرار » .

= «اسكندرنامه» هى المنظومة الرابعة للشاعر ، وأن «هفت پيكر» هى الخامسة ، واستشهد بأبيات وردت فى آخر « شرفنامه» ، ص ٥٢٨ . ينصح الشاعر فيها ابنه ويصرح بأنه قد بلغ السابعة عشرة من عمره فيقول :

وزين هفده خصل آوريدن بدست   شده هفده ساله بدينسان كه هست

وقال باخر : إن ابن نظامى كان فى الرابعة عشرة من عمره فى أثناء نظم « ليلى ومجنون» التى رجح أنها تمت فى عام ٥٨٤ هـ ، مما يدل على أن « اسكندرنامه » تمت فى عام ٥٨٧ هـ .

وقد قلده فى ذلك براون فى كتابه تاريخ إيران الأدبى (بالانجليزية) ج ٢ ، ص ٤٠٠ . بينما بين دستگردى أن الأبيات ملحقة فذكرها فى الحاشية ، لأنها غير موجودة فى النسخ القديمة .

وأغلب الظن أن تلك الأبيات التى نصح الشاعر فيها ابنه قد نظمت مستقلة غير مرتبطة بمنظومة معينة ، فإن توجيه النصح من أب شاعر كنظامى لابنه لايتقيد بمنظومة بالذات ، وإنما يوجه من حين لآخر ، ويكرر فى مختلف المناسبات ، ومن الجائز أن الأبيات أضيفت إلى المنظومة ، فألحقها النساخ بها دون أن تكون جزءاً منها . ومما يرجح ذلك ماورد فى شعر الشاعر نفسه ، وفى « شرفنامه » نفسها ، من أن المنظومة قدمت فى عام ٥٩٧ هـ ، ثم تقديم « خردنامه وإقبالنامه » أى باقى «اسكندرنامه» لعز الدين مسعود أتابك الموصل الذى بدأ حكمه فى عام ٦٠٧ هـ . هذا فضلا عن إضافة الأبيات التى تصور أيام الشاعر الأخيرة إلى « اسكندرنامه » مما يرجح أنها آخر منظومات الشاعر ؛ وأن « هفت پيكر » ليست آخر المنظومات كما قرر باخر ، وقلده براون .

الباب الأول

منظومة مخزن الأسرار

الفصل الأول

دراسة حول منظومة مخزن الأسرار

نُظِمَت منظومة « مخزن الأسرار » فى بحر السريع ، وهى تقع فى ٢٢٦٠ بيت من الشعر .

وهى أولى منظومات الشاعر[(١)] ، وأرجح أنه أتمها فى عام ٥٨١ هـ ، ثم قدّمها لفخر الدين بهرامشاه بن داود ، حاكم أرزنجان .

وقد اختلف الباحثون فى تاريخ إتمام هذه المنظومة اختلافاً يصل إلى ثلاثين عاماً ؛ فقرّر ريو[(٢)] أن إحدى النسخ الخطية تحتوى على بيتين ، يثبت نظامى فيهما أنه أكمل المنظومة فى عام ٥٥٩ هـ ، فيقول : « إن الحقيقة بالحساب الدقيق هى أن المنظومة قد تمت فى الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول ، لتسعة وخمسين وخمسمائة عام مضت منذ الهجرة إلى وقتنا هذا[(٣)] » .

(١) ليس معنى أن « مخزن الأسرار » أولى منظومات الشاعر أنه لم يكن ينظم شعراً قبلها ، فلابد أن الشاعر كانت له محاولات شعرية كثيرة قبل أن يقدم على نظم منظومة مطولة أربت على ألفى بيت ؛ ولعل ديوانه الذى صرح بأنه قد جمعه فى عام ٥٨٤ هـ ، هو ثمرة تلك المحاولات الشعرية التى قام بها فى وقت شبابه ، لأن الملاحظ أن الشعراء العظام الذين أقدموا على نظم منظومات مطولة مثل الفردوسى ، وسنائى ، ونظامى وأمثالهم لم يشرعوا فى مثل هـذا العمل قبل سن الأربعين ـ غالباً ـ حينما يكون الشاعر قد تكامل ، فأتم تحصيل العلوم المختلفة واستكمل تجاربه فى الحياة ، كما تكون ملكته الشعرية قد نضجت نضوجاً تاماً يؤهله للقيام بعمل كهذا .

(٢) Rieu: Cat. of Perian Mss. in the Brit. Mus. vol. 2.p. 565.

(٣) بود حقيقت بشمار درست   بيست وچهارم ز ربيع نخست

أز كه هجرت تا اين زمان   پانصد وپنجاه ونه افزون برآن

(نقل ريو هذين البيتين عن مخطوطة Or. 1216, Fol. 31. بالمتحف البريطانى)

وهـذا التاريخ لا يمكن أن يكون صحيحاً ، فقد كان الشاعر - في ذلك الوقت - في العشرين من عمره ، بينما صرّح هو - في مخزن الأسرار - بأنه قد جاوز الأربعين . كما أن المعلومات التي تبدو في ثنايا المنظومة تجعلنا نستبعد إمكان تحصيل مثلها في سن العشرين .

ورجّح باخر[١] - وتابعه براون[٢] - أن المنظومة قد أكملت في عام ٥٦٩ هـ ، وأنها قدمت لايلدكز أتابك آذربيجان ، وأن الذي ذكره الشاعر ليس شخصاً آخر فهو ايلدكز .

وهذا خطأ فاحش ، لأن الشاعر صرح بأن ممدوحه يحكم في آسيا الصغرى ، فقال : « نُظِمت منظومتان[٣] من أجل حاكمين ، وقدمت كل منهما لحاكم اسم بهرامشاه ، استخرجت الأولى الذهب من منجم قديم ، بينما استخرجت الثانية الدر من بحر جديد ، وقد رفعت الأولى علم الغزنوى ، بينما مُهِرت الثانية بختم الرومى[٤] » .

---

(١) Bacher: Nizamis Leben und Werke p. 16 .

(٢) Browne: A. Literary History of Persia, vol. II. p 400.

(٣) يقصد نظامى بقوله هذا منظومتى « حديقة الحقائق » لسنائى التى قدمت السلطان بهرامشاه بن مسعود الغزنوى ، ومنظومته « مخزن الأسرار » التى قدمها لبهرامشاه بن داود حاكم أرزنجان .

(٤) نامه دو آمد زدو ناموسگاه هردو مسجل بدو بهرامشاه
آن زرى از كان كهن ريخته وين درى از بحر نوانگيخته
آن بدر آورده ز غزنى علم وين زده برسكهٔ رومى رقم

(نظامى: مخزن الأسرار ، ص ٣٧)

وقد أخطأ باخر فى ترجمة كلمة « نامه » فترجمها على أنها بمعنى « خطاب » وزعم أن نظامى رفض عرض أميرين أرسل كل منهما إليه خطابا ، وكلمة « نامه » هنا بمعنى « كتاب » أو « منظومة » وليست بمعنى خطاب كما توهم باخر .

فهذا يرجح أن نظامى قصد بمدحه بهرامشاه الرومى حاكم أرزنجان ، لا ايلدكز حاكم آذر بيجان ؛ مما يُبَيِّن أن التاريخ الذى رجّحه باخر غير صحيح لأن الشاعر كان ـ فى عام ٥٦١ هـ ـ فى الثانية والعشرين من عمره ، بينما ذكر باخر نفسه أن الشاعر كان فى سن الأربعين ، فى أثناء نظم « مخزن الأسرار » (١).

وقد ذكر باخر ـ أيضا ـ أن مخطوطة درسدن تثبت أن منظومة « مخزن الأسرار » قد تمت فى عام ٥٥٢هـ ، وَرَدّ هوهذا التاريخ ، و بديهى أنه غير صحيح فقد كان الشاعر ـ فى ذلك الوقت ـ فى الثالثة عشرة من عمره .

ونشر دستكردى ـ فى آخر مخزن الأسرار ـ أبياتاً قرر أنها ملحقة ؛ وهى تشير إلى تاريخ إتمام هذه المنظومة حيث يقول الشاعر : « حلّق طائر القلم بعيداً عن الكتاب ، ثم نشر جناحيه عليه ، وأحنى رأسه ونثر الدر ، وختم « مخزن الأسرار » ، وكانت الحقيقة بالحساب الدقيق أن المنظومة تمت فى الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول .. وقد مضى اثنان وسبعون وخمسمائة عام ، منذ الهجرة إلى وقتنا هذا » (٢).

وهذا التاريخ ليس دقيقاً ـ فى أغلب الظن ـ لأنه لايتلاءم مع إشارة الشاعر إلى أنه قد جاوز الأربعين .

كما أن هناك نسخة خطية تثبت أن المنظومة تمت فى عام ٥٨٢ هـ ، حيث

---

(١) Bacher : Nizamis Leben und Werke, p. 12 - 13 .

(٢) مرغ قلم نامه بپرواز كرد   برسر قرطاس دوپر باز كرد
پاى ز سر كرد وزلب در فشاند   مخزن أسرار بپايان رساند
بود حقيقت بشمار درست   بيست وچهارم ز ربيع نخست
أز كه هجرت تا اين زمان   پانصد وهفتاد ودو فزون برآن
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٨٥)

يقول الشاعر: «قد مضى اثنان وثمانون وخمسمائة عام منذ الهجرة إلى وقتنا هذا [١]» .

وقد رجح ريو أن منظومة « مخزن الأسرار » لم تتم قبل عام ٥٧٥ ﻫ بكثير؛ بينما رجح دستكردى [٢] أنها تمت فى عام ٥٧٢ ﻫ ؛ ومال برتلس [٣] إلى أنها تمت فى الفترة ما بين ٥٧٢ و ٥٧٥ ﻫ .

وهذه التواريخ كلها ليست دقيقة ، لأن الشاعر صرح بما يفيد أن المنظومة تمت فى عام ٥٨١ ﻫ ، فقال إنه قد مضى سبعون وخمسمائة عام منذ وفاة الرسول [٤].

ونحن نعلم أن الرسول قد توفى فى عام ١١ ﻫ ، مما يرجح أن المنظومة تمت فى عام ٥٨١ ﻫ ، وأن هذا التاريخ هو أقرب التواريخ إلى الصحة .

ويبدو أن الذى أوقع الباحثين فى هذا الاضطراب هو أنهم اعتمدوا على البيت [٥] الذى يُثْبِتُ تاريخ إتمام المنظومات ، دون مراعاة القرائن الأخرى ، كإشارة الشاعر إلى سنه فى أثناء نظمها ، أو المدة التى مضت على وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم .

---

(١) أز كه هجرت تا اين زمان پانصد وهشتاد ودوفزون برآن
(Rieu : Cat. of Persian Mss. in the Brit. Mus. vol. 2. p. 566.)

(٢) دستكردى : مقدمهٔ گنجينهٔ گنجوى ، ص عح .

(٣) برتلس : نظامى شاعر آذربيجان العظيم ، ص ٣٩ .

(٤) پانصد وهفتاد بس أيام خواب روز بلندست بمجلس شتاب
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٢٧ . وقد سبق ذكر هذا البيت وترجمته)

(٥) لعل السبب فى اختلاف روايات هذا البيت هو عدم وجود فرق من ناحية الوزن الشعرى بين خمسين « پنجاه » وسبعين « هفتاد » وثمانين « هشتاد » كما لا يوجد فرق بين اثنين « دو » وواحد « يك » وتسعة « نه » فلو وضعت كلمة مكان الأخرى لا يحدث تغيير فى الوزن ، ولعل رواية البيت إن كان من نظم الشاعر هى :

از كه هجرت يا اين زمان پانصد وهشتاد ويك فزون برآن

وقد قدم الشاعر منظومته إلى حاكم أرزنجان وأسرف فى مدحه كما مر ، ثم بيّن أن عمله جديد مبتكر ، وليس تقليداً ، حتى يقدره الحاكم حق قدره .

ويبدو أن الشاعر كان معجباً بعمله ؛ ولذلك نجده يقدم منظومته وهو واثق من أنها ستُقْبَل وتُقَدَّر ، فيقول مخاطباً الحاكم : « إننى أضع على مائدتك هذا الطعام الشهى من الشعر ، قبل أن تمسه يد شخص آخر ، فإذا وجدته لذيذاً كُلْ هنيئاً ، وإلا . . فليمح الله طعمه من فك [(١)] » .

كما يبدو أن المنظومة قد حازت إعجاب بهرامشاه ، فأثاب الشاعر بسخاء فقدرُوِى أنه أرسل إليه جائزة ثمينة هى عبارة عن خمسة آلاف دينار ، وخمسة أحصنةمسرجة ، وثوباً من الوبر ، وخمسة بغال ، وملابس فاخرة مرصعة بالجواهر ، على يد رسول لائق [(٢)] .

ولكن الشاعر لم يُشِرْ إلى شىء من هذا فى « مخزن الأسرار » ، أو فى منظوماته الأخرى .

* * *

ومهما يكن من شىء ؛ فإننا لا نستطيع أن نحكم على منظومة « مخزن الأسرار » ونقدرها حق قدرها ، وندرك مبلغ صدق الشاعر ، قبل أن ندرسها دراسة مقارنة ، فنكتفى بهذه الدراسة حول المنظومة ، لنأخذ فى دراسة المنظومة نفسها .

---

(١) خوان ترا اين دو نواله سخن   دست نكردست برودست كن
كز نمكش هست بخور نوش باد   ورنه زياد تو فراموش باد
(نظامى مخزن الأسرار ، ص ٣٧)

(٢) ابن البيبى : مختصر سلجوق نامه ، ص ٢١-٢٢ .

الفصل الثاني

محتويات مخزن الأسرار

تشتمل منظومة « مخزن الأسرار » على مقدمة طويلة تستغرق أكثر من ثلث الكتاب ـ تحدّث نظامى فيها عن موضوعات مختلفة ـ تتلوها عشرون مقالة تعالج جميعها المسائل الأخلاقية ، وتعتبر كل مقالة أساساً لقصة تتلوها مؤكدةً الغرض الذى تهدف إليه المقالة فى شىء من الشرح والتوضيح .

أما المقدمة ؛ فقد تحدث الشاعر فيها عن حمد الله ، والثناء عليه ، وابتدأ منظومته باسم الله ، فقال : « بسم الله الرحمن الرحيم ، مفتاح باب كنز الحكيم ، فاسم الله فاتحة الفكرة وخاتمة القول ، فليكن به البدء والختام ، فالله موجود قبل جميع الكائنات ، وهو أكثر بقاء من جميع الخالدين [1] » .

ثم صور قدرة الله ، و بيّن أن جميع المخلوقات مدينة بوجودها لفضل الله وعظمته ؛ وخاطبه بقوله : « يامن خُلِقَتْ جميعُ الكائنات بفضل قدرتك ، وقوى الإنسان الضعيف بقوتك [2] » .

وأخذ يتوسل إليه طالباً العفو والمغفرة ، فقال : « اصفح عن الذنب فإننا

---

(1) بسم الله الرحمن الرحيم هست كليد در گنج حكيم
فاتحهٔ فكرت وختم سخن نام خدايست بر او ختم كن
پيش وجود همه آيندگان بيش بقاى همه پايندگان
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٢)

(2) اى همه هستى زتو پيداشده خاك ضعيف از تو توانا شده
(المرجع السابق ، ص ٧)

معترفون بالتقصير ، وهَيِّء لنا طريق التوبة فنحن ملتجئون ببابك [١] » .

وانتقل الشاعر إلى مدح الرسول ، فخاطبه بقوله : « كُنْتَ نبياً حينما بدأ الخلق الأول [٢] ، ثم خُتِمَتْ النبوة بك [٣] » .

ثم ذكر معراج الرسول [٤] ، وأطنب فى مدحه فى أربعة نعوت [٥] ، انتقل بعدها إلى مدح بهرامشاه [٦] ، وبيان فضل كتابة [٧] ، وأتبع ذلك بالحديث عن فضل الكلام ، وترجيح الشعر على النثر [٨] ، وختم المقدمة بالحديث عن حالات المراقبة تحت رعاية القلب ، فى خلوتين كانت لهما ثمراتهما [٩] .

ثم تأتى بعد ذلك عشرون مقالة ، ترمى جميعها إلى هدف واحد تقريباً ، هو تمجيد العدل ، وذم الظلم ، والدعوة إلى أن يسود الإنصاف والوفاء بين الناس فى دنيا فانية خداعة ، سوف تنقضى سريعاً ، ولا يبقى للإنسان إلا ماقدمت يداه ، مما سَنَتَبَيَّنُهُ بعد عرض المقالات العشرين وقصصها ، فلنعرضها فى شيء من الاختصار .

* * *

(١) در گذر أز جرم كه خواننده ايم چاره ما كن كه پناهده ايم
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١١)

(٢) يشير الشاعر إلى الحديث القائل « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » .

(٣) كنت نبيا چو علم پيش برد ختم نبوت بمحمد سپرد
(المرجع السابق ، ص ١٢)

(٤) المرجع السابق ، ص ١٤-٢٠

(٥) المرجع السابق ، ص ٢١-٣٢

(٦) المرجع السابق ، ص ٣٢-٣٦ . وقد سبق ذكر صور منه .

(٧) المرجع السابق ، ص ٣٦-٣٩ . وقد سبقت الإشارة إليه .

(٨) المرجع السابق ، ص ٣٩-٤٦ .

(٩) المرجع السابق ، ص ٤٦-٧٠ . وقد سبقت الإشارة إليهما .

١ — المقالة الأولى

فى خلق آدم

خصص نظامى المقالة الأولى للحديث عن خلق آدم ، فقال إنه لم يكن هناك إنسان ـقبلهـ يعبد الله ، و يسبِّح بحمده[١] ؛ فهو أبو البشر ، وأول مَنْ فتح باب الوجود ، وأسبق البشر إلى تعمير الأرض ، بينما كان الجن يسكنونها قبله[٢] .

ثم بيّن أن آدم خُلِق ليكون خليفة فى الأرض ، وأنه قد عصى ر به فى الجنة ، ثم تاب ، وهبط منها إلى الأرض ليعمرها[٣] .

وأخذ الشاعر يُعَدِّدُ مزايا آدم مستشهداً بالآية الكريمة « وَعَلّمَ آدم الأسماء كُلَّهَا[٤] » وبالحديث القدسى « خمرت طينة آدم بيدى أربعين صباحاً[٥] » .

واتخذ ذلك وسيلة للحديث عن صفات الإنسان ، فقال : « إنه كدر نسبة للجسم المخلوق من الطين ، ونَقِىٌّ بفضل الروح الطاهرة ، ومَحَكٌّ لأنه موضع

---

(١) أول كاين عشق پرستى نبود   در عدم آوازهٔ هستى نبود
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٧١)

(٢) مقبلى أز كتم عدم ساز كرد   سوى وجود آمده ودر باز كرد
باز پسين طفل پرى زادگان   پيشترين بشرى زادگان
(المرجع السابق ، ص ٧١)
ولعل الشاعر يشير بذلك إلى الآية الكريمة « والجان خلقناه من قبل من نار السموم » سورة الحجر ، آية ٢٧ .

(٣) آن بخلافت علم آراسته   چون علم افتاده وبرخاسته
(نفس المرجع والصفحة)

(٤) سورة البقرة ، آية ٣١ .

(٥) علم آدم صفت پاك أو   خمر طينه شرف خاك أو
(نظامى : مخزن الأسرار ص ٧١)

الابتلاء بالثواب والعقاب ، وذَهَبٌ لأن الله أحسن تصويره ، وصراف لأنه يُمَيِّز بين الخير والشر » [١] .

ثم شرح الشاعر كيف عصى آدم ربه فغوى ؛ فقد أمره ربه ألا يقرب هو وزوجته شجرة معينة ، ولكنهما أكلا منها ، فهبطا من الجنة إلى الأرض ليعمراها ، وقد أجمل ذلك فى قوله : « لما أُغرِم آدم بثمرة الشجرة ، ترك الجنة وسكن هذه الأرض ، فبذر فيها بذور الوفاء ، ونشر العدل ، ثم أورثنا إياها » [٢] .

وختم نظامى هذه المقالة بدعوة الإنسان إلى ترك الظلم ، والتوكل على الله ، وفعل الخير دائماً ، وترك المعاصى ، واتباع أوامر الله ، فقال : « تَحرَّ أوامر الله ، واعمل بها ، واعترف بخطئك » [٣] .

ثم أورد « قصة ملك يائس ظفر بالمغفرة » ... وهى أن ملكاً عادلاً رأى آخر ظالماً — فى الحلم — فسأله عما فعل الله به — بعد موته — نتيجة لما اقترفه من جور واستبداد ، فأجاب الظالم بأنه لم يجد — بعد وفاته — من يعتمد عليه من الكائنات ليتوسط له عند ربه ، أو يهديه سواء السبيل ، « فلم تكن هناك شفقة — فى قلب أحد نحوه ، ولم يوجد شخص يستطيع أن — يُحسِنَ الظنّ به » [٤] فارتعش

(١) آن بگهر هم كدر وهم صفى   هم محك وهم زر وهم صيرفى
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٧١)

(٢) جون زپى دانه هو سناك شد   مقطع اين مزرعه خاك شد
. . . . . .
تخم وفا در زمى عدل كشت   وقفى اين مزرعه برمانوشت
(المرجع السابق ، ص ٧٤)

(٣) نيكى أو بين وبران كاركن   بر بدى خويشتن إقرار كن
(المرجع السابق ، ص ٧٦)

(٤) در دل كس شفقق از من نبود   هيچكسى را بكرم ظن نبود
(نفس المرجع والصفحة)

كالمصفصاف ، وخجل ، واستولى اليأس على قلبه ، ونفض يده من الاعتماد على الناس ، وتوكل على الله ، وخاطبه بقوله : « أنا المسكين الذى أصبحت خجلا منك ، فاصفح عنى ، واغفر ذنبى ، رغم أنى لم أتبع أوامرك . . . لا تَرُدَّنى عن بابك كما رَدَّنى الجميع ، فإما أن ترحمنى ، وتتصرف فى أمرى تصرفاً يخالف تصرف الناس ، وإما أن تُؤدِّبنى فتلقى بى فى النار »[١]. ثم قال الظالم : « فلما رأى الله خجلى وندمى ، ساعدنى ؛ وصادف دعائى فيض كرمه ، فغفر ذنبى ، وأنقذنى »[٢].

وقد عَلَّق الشاعر على ذلك بقوله إن كل كلمة تنبعث عن الشعور بالندم ، والرغبة فى التوبة ، يتقبلها الله ، ويُنْقِذ صاحبها يوم القيامة .

ثم دعا إلى ترك الظلم ، وأورد ماقاله الظالم نفسه ، بأن من يفعل مثقال ذرة شراً يره يوم الحساب ، وأنه اختار هذا المسلك طيلة حياته ، فلم يورثه إلا امتلاء ميزانه بالسيئات ، فيجب أن يقلع الإنسان عن الظلم لأنه ضعيف ، وحىٌّ بنفس واحد ، ونصح الإنسان بفعل الخير دائماً ، وبيّن له ثمرة ذلك فى قوله : «قدم كل ماتملكه فى هذه الدنيا ، وانزع الطمع من نفسك ، وافعل الخير ما استطعت ، حتى تصير خالياً من الذنوب ، فى يوم القيامة الذى هو أهم الأيام »[٣] .

---

(١) كى من مسكين بتودر شرمسار — از خجلان در گذر ودر گذار
گرچه ز فرمان تو بگذشته ام — رد مكنم كز همه ردگشته ام
يا أدب من بشرارى بكن — يا بخلاف همه كارى بكن
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٧٧)

(٢) چون خجلم ديد زيارى رسان — يارى من كرد كسى بيكسان
فيض كرم راسختم در گرفت — بارمن افكند ومرا بر گرفت
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) هرچه در اين پرده ستانى بده — خود مستان تابتوانى بده
تا بود آنروز كه باشد بهى — گردنت آزاد ودهانت تهى
(نفس المرجع والصفحة)

وختم نصحه قائلا : «لايكن مال اليتيم فى رقبتك ، ولا تحمل وزر العجائز ، واترك هذه الدنيا الفانية الملوثة ، وخذ زاد طريقك كالغرباء ، أو اعتزل العالم ، كنظامى[(١)] » .

وهكذا ختم الشاعر المقالة والقصة بترديد الدعوة إلى ترك الظلم ، واتباع العدل ، والتزود من الدنيا بالعمل الصالح ، الذى يفيد يوم القيامة .

* * *

٢ — المقالة الثانية

فى العدل ورعاية الإنصاف

خاطب الشاعر — فى أول المقالة الثانية — الإنسان بأنه أفضل مخلوقات الله ، وأكرمها ، لأن كل ما فى الوجود مُسَخَّرٌ له ، فقال : «إن الشمس التى تتقدُ ناراً ، تُسَرُّ حينما تبصر وجهك ، وإن القمر إذا دَقَّ فصارهلالاً كشعرك ، يبتسم إذا رأى طلعتك[(٢)] » .

ونصح الإنسان بالتفاؤل ، قائلا . «انظر إلى العالم بتفاؤل لأنك لَسْتَ ضعيفاً ، ولا تحمل هماً ، لأنك لست عبداً للعالم ، وكن متواضعاً مع الجميع ، ولا تعتمد على أحد[(٣)] » .

---

(١) وام يتيمان نبـود دامنت ... باركش پيره زنان گـردنت
باز هل اين فرش كهن پوده را ... طرح كن اين دامن آلوده را
ياچو غريبان پى ره توشه گير ... ياچو نظامى ز جهان گوشه گير
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٧٨)

(٢) سينهٔ خورشيد كه پر آتشست ... روى تو مى بيند از آن دلخوشست
مه كه شود كاسته چون موى تو ... خنده زند چون نگرد روى تو
(المرجع السابق ، ص ٧٩)

(٣) عالم خوش خور كه زكس كم نهٔ ... غصـه مخور بندهٔ عالم نهٔ
با همه چون خاك زمين پست باش ... وز همه چون باد تهى دست باش
(نفس المرجع والصفحة)

ثم تحسر الشاعر على بُعْدِ الناس عن دينهم ، فقال : « أين الدين ؟!.. أين الديانة ؟!.. أين نحن وأين الأمانة ؟!...(١) » .

ودعا إلى العدل والإحسان ، لأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها : « إن الله الذى يهبك زاد الطريق ، يتقبل منك الحسنة الواحدة ، و يعطيك عشرة(٢) » .

ثم انتقل إلى الدعوة إلى ترك الظلم فقال : « إن الملك لا يوجد بالظلم ، وإنما يمكن أن يوجد بالعدل والإنصاف (٣) » .

وخاطب الإنسان بقوله : « إن المملكة تخلد بعدلك ، وإن الأمور تستقر بإنصافك.(٤) » .

ثم أورد «قصة نوشيروان مع وزيره» وهى أن الملك نوشيروان خرج للصيد ومعه وزيره وحاشيته ولكنه ضل الطريق ، وابتعد عن حاشيته ، ولم يبق معه إلا وزيره .

ثم أبصرا طائرين ـ من البوم ـ يتحدثان ، فسأل الملك وزيره عما يقوله كل طائر للآخر ، فأجاب الوزير بأن حديثهما يدور حول مصاهرة ، توشك أن تتم بينهما ، فطائر منهما يريد أن يتزوج ابنة الطائر الآخر ، الذى يطلب منه المهر قرية خربة ، فيجيبه الأول بأنه مادام الملك فى هذه الصورة فإنه يستطيع أن يقدم له ألف قرية خربة .

(١) كو خبر دين وديانت كجاست   ما بكجائيم وأمانت كجاست ؟!..
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٧٩)

(٢) آنكه ترا توشهٔ ره ميدهد   أز تويكى خواهد وده ميدهد
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) رسم ستم نيست جهان يافتن   ملك بإنصاف توان يافتن
(المرجع السابق ، ص ٨١)

(٤) مملكت أز عدل توشود پايدار   كارتو أز عدل توگيرد قرار
(نفس المرجع والصفحة)

ثم يصور تأثر أنوشيروان فى قوله . « لقد عض – من الظلم – إصبع الندم ، وقال : انظر كيف وصلت أنباء الظلم إلى الطيور ، انظر كيف أحلاتُ – بظلمى – البوم محلى الآدميين ؛ ويلى من غافل محب للدنيا ؟! .. يكفى هذا القدر الذى اقترفته يداى .... كم أخذتُ أموال الآخرين بالقوة ، غافلا عن الموت ووحدة القبر !... إلى متى أمد يدى بالظلم ؟!.. انظر كيف أظلم نفسى !... إن الله قد أعطانى الملك حتى لا أفعل مالا يحسن عمله .. لقد غطى الله رأسى بالذهب ، ولكنى أفعل الأشياء التى لم يأمر بها ، فلماذا أشوه اسمى بالظلم ؟! .. أظلم ... ويلى ! ... إننى لاأظلم إلا نفسى[1] » .

وقد تحول نوشيروان منذ تلك اللحظة من ظالم إلى عادل : « فلم يكد يصل إلى معسكره حتى عم عدله أنحاء المملكة[2] »

* * *

(١) زین ستم انگشت بدندان گزید گفت ستم بین که بمرغان رسید
جور نگر کز جهت خاکیان جغد نشانم بدل ماکیان
ای من غافل شده دنیا پرست بس که زنم برسر این کاردست
مال کسان چند ستانم بزور غافلم از مردن وفردای گور
تاکی وکی دست درازی کنم باسر خودبین که چه بازی کنم
ملك بدان داد مرا کردگار تا نکنم آنچه نیاید بکار
من که مسم را بزراندوده اند میکنم آنهارا که نفرموده اند
نام خود أز ظلم چرا بدکنم ظلم کنم وای که برخود کنم
(مخزن الأسرار ، ص ٨٣)

(٢) چونکه بلشکرگه ورایت رسید بوی نوازش بولایت رسید
(المرجع السابق ، ص ٨٤)

٣ — المقالة الثالثة

فى حوادث العالم

يتحدث نظامى ـ فى المقالة الثالثة ـ عن الدنيا ، فيقول : «إن الدنيالم تتغير، رغم أنه قد مضت سنون كثيرة من عمرها ، فما زالت الأرض هى الخصم القوى ، ومازال الفلك ظالماً قاطعاً للرقاب (١) » .

ويصور غدر الدنيا فيقول : « من يتمنى صداقة الدنيا ؟!.. لِمَنْ أوفت حتى تفي لنا ؟!... لقد صار تراباً كل من عاش على التراب ، فكيف يدرك الإنسان ، ماتخبئه الدنيا ؟! ..(٢) » .

ثم يقرر أن الإنسان لايسلم من حوادث الزمان ؛ فيقول : « ليس الإنسان خالياً من هموم الحوادث ، وليس آمناً منها فى البركان أم فى البحر (٣) » .

وهو ـ لذلك ـ يدعو الإنسان إلى ترك الغفلة بعد أن وصل إلى مرتبة البلوغ والتعقل ، فيقول : « الغفلة جهالة قبل مرتبة التعقل ، فما أجمل الغفلة فى ذلك الوقت ! ... أما إذا بلغ نظر العقل غايته ، فإن دولة السرور تنتهى ، وتصبح الغفلة ضرباً من الجنون ، وليست من الحكمة فى شىء (٤) » .

---

(١) سال جهان گرچه بسى در گذشت — أز سرمويش سرموئى نگشت
خاك همان خصم قوى گردنست — چرخ همان ظالم گردن زنست
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٨٥)

(٢) صحبت گيتى كه تمنا كند — باكه وفا كرد كه باما كند
خاك شد آن كس كه برخاك زيست — خاك چه داند كه درين خاك چيست
(المرجع السابق ، ص ٨٦)

(٣) آدمى أز حادثه بى غم نينند — بر تر وبرخشك مسلم نينند
(المرجع السابق ، ص ٨٧)

(٤) پيشتر أز مرتبهٔ عاقلى — غفلت خوش بود خوشا غافلى =

ثم يدعو إلى الوفاء ، فيقول : « ما أساس الأدب ؟ بذر الوفاء . . . وما حق الوفاء ؟ رعايته . . . إن الزارع الذى يتعهد هذه البذرة ، سوف يأكل من ثمرها يوماً ما (١) » .

ويتبع المقالة بقصة « سليمان والفلاح » وهى أن سليمان توجه مرة إلى الصحراء ، فوجد فلاحاً قد بذر الحب فى رقعة من تلك الصحراء الفسيحة ، فنبتت من كل حبة سنبلة .

وقد تأثر سليمان لرؤية الفلاح ، فلم تكن لديه آلات لحرث الصحراء ، أو ماء لسقى الأرض حتى تنبت النبات ، فنصحه بألا يتعب نفسه فى الزراعة وهو غير مستعد لها ، فلن يستطيع أن يحصد شيئاً من تلك المزرعة المحرقة .

وقد أجاب الزارع الفقير بأنه فارغ القلب مما يتعلق بهذه الأرض ، فهو لايفكر فى أمر الماء ، وما عليه إلا أن يبذر الحب ، وعلى الله الإنبات ، وقال إنه يأكل من عرق جبينه قانعاً بما قسم الله له ، وفسّر ذلك بقوله : « إننى لاأحمل هم ملك أو ولاية ، وتكفينى هذه السنابل مادمت حياً ، وهذا هو الذى يُبَشِّرُنى بأن الله سوف يعطينى عن كل حبة سبعمائة حبة » (٢) .

ثم قال : « إن مرتبة الإنسان فى الدنيا على حسب قدره فيها ، فيجب على

= چون نظر عقل بغايت رسيد دولت شادى بنهايت رسيد
غافل بودن نه زفر زانگيست غافلى أز جمله ديو انگيست
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٨٧)

(١) تخم أدب چيست ؟ وفا كاشتن حق وفا چيست ؟ نگه داشتن
برزگر آن دانه كه مى پرورد آيد روزى كه أزو برخورد
(المرجع السابق ، ص ٨٨)

(٢) نيست غم ملك وولايت مرا تامنم اين دانه كفايت مرا
آنكه بشارت بخودم ميدهد دانه يكى هفتصدم ميدهد
(المرجع السابق ، ص ٩٠)

المشتغل بالأمور أن يكون صبوراً ، فلا يضجر سريعاً [١] » .

وختم الشاعر بقوله عن نفسه : « لا أطمع فى العظمة قبل الوصول إلى مرتبة النضج ، ولذلك فإن تَحَمُّلَ المشاق قد أصبح من عادات نظامى [٢] » .

* * *

٤ — المقالة الرابعة

فى رعاية الرعيـة

يذم الشاعر — فى أول المقـالة الرابعة — الإنسان الذى يتجرّد عن المروءة ، ويغترّ بملك لايفى لأحد ، وبعمر يفنى ، ويشير إلى مافعلته رابعة العدوية ، فقد قصت ذؤابيتها ، ومَزّقَتْ ثيابها لتصنع حبلا تستعين به فى إخراج قدر من الماء من بئر ، لتسقى كلباً عطشاً ، ويدعو الشاعر مثل هذا الإنسان إلى الخجل من مثل هذه المرأة ، لأنه أقل منها مروءة وشهامة ، وينصحه قائلا : « لابد للعقل من الفضل ، وليس هناك أفضل من العدل [٣] » .

ثم يقول تبعاً لذلك : « لايجب أن يظهر الإنسان إلا الجوهر الطيب ، فإنه المعدن الذى يمكن أن يستفيد منه لأن الظلم غير مأمون العواقب ، فالظالم يريق ماء وجهه ، ودماء الآخرين [٤] » .

---

(١) هست در اين دايرهٔ لاجورد مرتبـهٔ مرد بمقـدار مرد
دولتي بايد صاحب درنگ كز قدرى ناز نيايد بتنگ
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٩٠)

(٢) ناز نـگويم كه زخامى بود نازكشى كار نظامى بود
(المرجع السابق ، ص ٩١)

(٣) گردن عقل أز هنر آزاد نيست هيچ هنر خو بتر أزداد نيست
(نفس المرجع والصفحة)

(٤) جز گهر نيـك نبـايد نمود سود توان كرد بدين مايه سود
نيست مبارك ستم انـگيختن آب خود وخون كسان ريختن
(المرجع السابق ، ص ٩٢)

ويكرّر النصح بالتزام العدل ، فيقول : « اعْدِلَ واحْذَرْ قيام الناس فى نصف الليل للتظلم ، ولا تحتقر قيامهم ، لأن له آثاره ، إذا أصاب دعاؤهم الهدف [(١)] » .

وهو لذلك يخاطب قائلا : « أَبْعِدْ سهم الظلم عن طريقهم ، حتى لا تصيبك سهام دعائهم فى وقت السحر ؛ فإن العدل أساس الملك ، والتعلق بالدنيا هو سبب الظلم ، فكل من يعدل فى هذه الدنيا يُعَمِّرُ آخرته [(٢)] » .

ثم يورد « قصة العجوز والسلطان سنجر » وهى أن عجوزاً شكت إلى السلطان سنجر ظلم رجاله ، وأخذت تُبَيِّنُ له عاقبة ظلمه ، فقد أدّى إلى خراب المملكة وتحطيمها .

ثم خاطبته قائلة : « إنك عبد وتدعى الملك ، است ملكا لأنك تُخَرِّبْ ، إن الملك هو الذى يُنَظِّم الدولة ، ويرعى الرعية ، حتى يطيع الجميع أمره ، ويضعوا حبه فى قلوبهم وأفئدتهم [(٣)] » .

---

(١) دادكن أز همت مردم بترس   نيمشب أز تير تظلم بترس
همت أز آنجا كه نظرها كند   خوار مدارش كه أثرها كند
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٩٢)

(٢) تيغ ستم دوركن أز راهشان   تا نخورى تير سحركاهشان
دادگرى شرط جهانداريست   شرط جهان بين كه ستمكاريست
هركه درين خانه شبى دادكرد   خانه فرداى خود آباد كرد
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) بنده ودعوى شاهى كنى   شاه نه چونكه تباهى كنى
شاه كه ترتيب ولايت كند   حكم رعيت برعايت كند
تا همه سربر خط فرمان كنند   دوستيش در دل وجان نهند
(المرجع السابق ، ص ٩٤)

وهى — لذلك — تنصحه بقولها : « ارفع يدك عن ظلم الفقراء حتى لا تصيبك سهام دعائهم[١] » .

ثم تقول له : « اعلم أنك ملك ، بأن تُقْلِعَ عن الظلم ، وتأسُوَ جراح المصابين[٢] » .

وهكذا يختم الشاعر المقالة والقصة مُرَدِّداً نفس النغمات التى تدعوا إلى مراعاة العدل والوفاء ، وتجنب الظلم ما استطاع الإنسان إلى ذلك سبيلا .

* * *

٥ — المقالة الخامسة

فى وصف الهرم

يتحدث نظامى — فى المقالة الخامسة — عن الهرم ، فيظهر الحزن على نغماته ، حينما يقرر أن أن الشباب قد تولى بأيامه الجميلة ؛ فيقول : « الشباب حلو رغم أنه كالنار المشبوبة ، أما الهرم فمر المذاق[٣] » .

ثم يقول : « إن عهد الشباب قد انتهى فلا تَنَمْ ، وقد جاء الليل . . . وهذا هو السحر ، فلا تَنَمْ[٤] » .

ويُتْبِع ذلك بالحث على العمل قائلا : « كل التراب ولا تأ كل خبز البخلاء »

---

(١) دست بدار از سر بيچارگان تا نخورى ياسج غمخوارگان
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٩٤)

(٢) شاه بدانى كه جفا كم كنى گر ديگران ريش تومرهم كنى
(المرجع السابق ، ص ٩٦)

(٣) گرچه جوانى همه خود آتشست پيرى تلخست وجوانى خوشست
(المرجع السابق ، ص ٩٨)

(٤) عهد جوانى بسر آمد مخسپ شب شد واينك سحر آمد مخسپ
(نفس المرجع والصفحة)

لست ذليلا ، فلا تتحمل شماتة الأذلاء [١] » .

ثم يورد « قصة صانع آجر مُسِنٍّ » وهى أن شيخاً كان يعيش فى الشام ، ويكسب قوته من صناعة الآجر ، وكان الناس يستعملون آجره فى بناء لحودهم ، مُتَبَرِّكين به ، ومعتقدين أن ذنوبهم سوف تغفر ، مهما كانت هذه الذنوب كثيرة .

وذات يوم جاءه شاب ، وأخذ ينتقد عمله ، ويقول له إن صناعة الآجر مذلة ، وينصحه بترك هذا العمل ، لأن رزقه سيصل إليه بدونه ، فضلا عن أنه شيخ كبير ، فيجب أن يترك هذا العمل للشباب .

وقد أجابه الشيخ راجياً إياه أن يترك الفضول والجرأة ، ثم قال له : « إنى أتخذ هذه الحرفة ، حتى لا أمد يدى ـ أمامك ـ للسؤال يوماً ما [٢] » .
ونصحه بالإقلاع عن الانتقاد ، فتأثر الشاب اللائم من كلام الشيخ ، وانصرف باكياً من فرط التأثر .

ثم دعا الشاعر نفسه إلى ترك الدنيا والعمل للآخر فقال : « يانظامى ! إلى متى تطرق باب الدنيا ؟! . . . استيقظ ، واطرق ـ إذا طَرَقْتَ ـ باب الدين [٣] » .

* * *

---

(١) خاك خورونان بخيلان مخور خاك نهٔ زخم ذليلان مخور
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٠٠)
(٢) دست بدين پيشه كشيدم كه هست تا نكشم پيش تويكروز دست
(المرجع السابق ، ص ١٠١)
(٣) چند نظامى در دينى زنى خيز ودر دين زن اگر ميزنى
(نفس المرجع والصفحة)

٦ — المقالة السادسة

فى الاعتبار بالموجودات

ينظر الشاعر ـ فى المقالة السادسة ـ إلى الكون نظرة فيها تأمل واعتبار ، ويقرر أن كل مافى السموات والأرض قد سُخِّر لخدمة الإنسان ، فهو أكرم المخلوقات عند الله ، وهو الموجود الذى لايستغنى العالم عنه ، ولذلك فهو يخاطبه بقوله : « ليس للعالم ساكن مثلك، إن طيور الأرض ترزق بالحب من أجلك(١) » .

وينصحه باتباع القلب حتى يرتفع شأنه ، فيقول : « اتبع القلب حتى تصير سلطاناً ، فتسيطر على العقل العقل والروح(٢) » .

ويدعوه إلى تحمل العناء متعبداً حتى يصل إلى بر السلامة ، فيقول : « تحمل العناء فى الليل البهيم ، فكلما كثر التعب زادت العناية الإلهية ، فإن كل من وصل ـ من أهل الوفاء ـ إلى منزلة ، قد وصل إليها عن طريق العناء ، لأن نزول البلاء عافية للأنبياء ، فالبلاء هو الذى يجلب لك العافية(٣) » .

ثم يورد قصة « كلب وصياد وثعلب » وهى أنه كان يوجد صياد حادُّ البصر، خبير بمسالك الصحراء ، وكان له كلب قوى ، سريع العدو ، يعاونه فى الصيد ، ويلازمه فى السفر ، وقد أفاد منه كثيراً ، فأحبَّه حباً شديداً ، وكان الكلب

(١) نيست جهانرا چوتو همخانهٔ مرغ زمين‌را زتو به دانهٔ
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٠٢)

(٢) بنده دل باش كه سلطان شوى خواجه عقل وملك جان شوى
(المرجع السابق ، ص١٠٣)

(٣) بار عنا كش بشب قيرگون هرچه عنابيش عنايت فزون
ز أهل وفا هركه بجائى رسيد بيشتر أز راه عنائى رسيد
نزل بلا عافيت أنبيـاست وآنچه ترا عافيت آيد بلاست
(المرجع السابق ، ص١٠٤)

مخلصاً فى خدمة سيده ، فكان يحرسه إذا نام ، ويساعده على كسب قوته فى أثناء النهار .

وذات يوم ضاع الكلب ، فحزن الصياد على فقده حزناً شديداً ، ثم استعان بالصبر ، فصبر صبراً جميلا ، ولكنّ ثعلباً جاءه ساخراً وقال له : كيف تصبر ؟! . لقد كان كلبك يُعْتَبَر كل شىء بالنسبة إليك ، لحياتك متوقفة على وجوده . ثم تهكّم عليه قائلا : إن عندك من صيده مايكفيك شهرين ، فقم وكُلْ فقد استرحت من دهن أعضائنا ، فلن تأكل ثعلباً سميناً بعد الآن ، فلم تحزن ؟! ..

فأجابه الصياد بقوله : إن الليالى حبالى بالأحداث ، وإن الغم والسرور لايخلدان فى هذه الدنيا ، وإن العز والذل ، والأنجم والأفلاك ، والراحة والمحنة ، تدور جميعها فى عجلة واحدة . إن قلبى سعيد بهذا الغم ، لأن مجىء الغم دليل على أنّ فى إثره سروراً ، لأن بعد العسر يسراً ، حقيقة أن كلبى قد ضاع ، ولكنى واثق من أنه سوف يعود لى بصيد مثلك .

وبينما كان الصياد مسترسلاً فى حديثه ، ثار غبار من بعيد ، ثم ظهر الكلب المفقود ، ودار حول صاحبه ، ثم قال : « لقد رَجَعْتُ متأخراً بعض الوقت ؛ ولكن يجب أن يعلم الثعلب أننى عُدْتُ قوياً كالأسد .

ثم ينصح الشاعر فيقول : « إن كل من يصطنع اليقين فى عمله ، تكون السعادة خاتمة له ، فابحث عن طريق اليقين فى كل قصد ، فليس هناك طريق أفضل منه . . . . فلو ثبتت قدمك على طريق اليقين ، فإنك تستطيع أن تأتى بالمعجزات ؛ فتخرِج الغبار من البحر ، والماء من النار [١] » .

---

(١) هركه يقينش بإرادت كشد   خاتم كارش بسعادت كشد
راه يقين جوى زهر حاصلى   نيست مباركتر أزين منزلى
كر قدمت شد بيقين استوار   كرد زدريا نم از آتش برآر
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٠٧) .

ثم يقول : « إن أهل اليقين طائفة أخرى ، فهم الرأس ونحن القدم [(١)] » .

ويدعو إلى عدم التفكير فى أمر الرزق لأنه مقسوم منذ الأزل ، فيقول : « حينما خلق الله صورتنا قسم لنا الرزق منذ الأزل ، وقد أرسل رزقك معك ، فكل فى الدنيا ، مامنحه الله إياك ، فمهما تعب إنسان فى طلب الرزق ، فإنه لن يأكل أكثر من نصيبه المقسوم » [(٢)] .

وختم الشاعر نصيحته بقوله : « حاول أن تعتقد أن الرزق والجاه لايزيدان بكثرة التعب والجهد ، فإن سعيك يجب أن يحالفه توفيق الله ، حتى تصبح عزيزاً ، غنيا عن العالم كله » [(٣)] .

* * *

٧ — المقالة السابعة

فى فضل الإنسان على الحيوانات

يكرر نظامى — فى المقالة السابعة — الحديث عن فضل الإنسان ، وتسخير مافى الوجود لخدمته ، لأن قدر الإنسان أسمى مما يتصور الإنسان نفسه ، ثم ينصحه بأن يكون شريفاً فى أعماله ، فيقول : « كن — كالطائر الميمون — شريف العمل ..

---

(١) أهل يقين طائفهٔ ديگرند   ما همه پائيم گر ايشان سرند
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٠٧)

(٢) صورت ما را كه عمل ساختند   قسمت روزى بأجل ساختند
روزى أز آنجات فرستاده اند   آن خورى اينجا كه ترا داده اند
گرچه در اين راه بسى جهد كرد   بيشتر أز روزى خود كس نخورد
(المرجع السابق ، ص ١٠٨)

(٣) جهد بدين كن كه برا ينست عهد   روزى ودولت نفزايد بجهد
تا شوى أز جملهٔ عالم عزيز   جهد تو ميبايد وتوفيق نيز
(نفس المرجع والصفحة)

كُل قليلًا ، وتكلم قليلًا ، وأقلّ الأذى »[١] .

ويدعو إلى تطهير الجسم ، فيقول : « اجعل جسمك أكثر طهارة من روحك ، بأن تعتكف أربعين يوماً »[٢] .

ثم ينصح بالرياضة الروحية – على طريقة الصوفية – فيقول : « إن قدر القلب ، ومنزلة الروح لا يمكن الحصول عليهما إلا بالرياضة ، فأَضِفْ إلى الطبائع صفاء الرياضة ، واستخرج بالرياضة خير ما في النفس الإنسانية ، حتى تصل عن طريقها إلى تكوين شخص مُهَذَّب من شخصك الذي ليس شيئاً »[٣] .

ثم يورد قصة « أفريدون والغزال » وهي أن أفريدون خرج يوماً للتنزه مع بعض رجاله ، ثم توجه إلى مرعى للصيد ، فرأى غزالاً صغيراً ، أعجبه جماله ، وتناسق أعضائه ، فَأُغْرِمَ به ، وعدل عن صيده ، بعد أن كان قد استعد لذلك وهكذا نجا الحيوان الضعيف من القتل وعاش حراً طليقاً .

ويُتْبِع الشاعر ذلك بالنصح بأن يترفع الإنسان عن الصغائر ، ويتطلع إلى المُثُلَ العليا ، فيقول : إذا أراد الإنسان الصيد ، فيجب أن يصيد شيئاً عظيماً ، حتى يسمو ، ويشتهر بهذا الصيد .

ويختم نصحه بقوله : « إن مساعدة الناس أساس الرجولة ، وشرف

---

(١) چون تو همائی شرف کار باش   کم خور وکم گوی وکم آزار باش
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ١٠٩)

(٢) جسمت پاکتر أز جان کنی   چونکه چهل روز بزندان کنی
(المرجع السابق ، ص ١١٠)

(٣) قدر دل وپایهٔ جان یافتن   جز بریاضت نتوان یافتن
سیم ریاضت بطبایع سپار   زر طبیعت بریاضت برآر
تا زریاضت بمقامی رسی   کت بکسی درکشد این ناکسی
(نفس المرجع والصفحة)

الإنسانية ، فليس فى نظر الحكماء أفضل من المساعدة ، فحافظ على الوفاء ، وحاول ألا تنقضه »[١] .

* * *

٨ — المقالة الثامنة

فى بيان الخلق

يتحدث الشاعر — فى هذه المقالة — عن كيفية خلق العالم ، فيقول: « قبل أن تضع قدمك فى هذا الطريق ، كان العالم مملوءاً بالشكر ، وكانت الأيام والليالى غير حبالى بالأحداث »[٢] .

فلما خُلِقَ الإنسان امتلأ العالم بالمتاعب والذنوب ، ولذلك فهو يخاطبه بقوله : « يامن أصبح كل ماعلى الأرض فى تعب بسببك ، إن مكانك يحسن أن يكون تحت الأرض ، مثل الكنز »[٣] .

وينعى على الإنسان ، لأنه يُضَيِّع وقته فى اللهو والتمتع ، فيقول له : « لاجرم أنك فى الدنيا أسير المطبخ ، وستكون يوم القيامة علفاً لجهنم »[٤] .

---

(١) صورت خدمت صفت مرد ميست — خدمت كردن شرف آدميست
نيست بر مردم صاحب نظر — خدمتى أز عهد پسنديده تر
دست وفا در كمر عهد كن — تا نشوى عهد شكن جهد كن
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص١١٣)

(٢) تا تو درين ره ننهادى قدم — شكر بس داشت وجود أز عدم
فارغ أز آبستنيت روز وشب — نامیه عنين وطبيعت عزب
(المرجع السابق ، ص ١١٤)

(٣) اى زتو بالاى زمين زير رنج — جاى تو هم زير زمين به چو گنج
(المرجع السابق ، ١١٦)

(٤) لا جرم اينجا دغل مطبخى — روز قيامت علف دوزخى
(للمرجع السابق ، ص ١١٨)

ثم يقول : « لو عاش شخص بالطعام كثيراً ، لعاش كل من يأكل أكثر عمراً أطول . . فإن الطعام يُعَطّل عقلك عن العمل المنتج ، ولـكن الحرص هو الذى يدفعك إلى التـكالب عليه ، وإنى أخشى أن يروق الطعام فى نظرك ، فيلغى عقلك ، فتصير أسير شهواتك (١) » .

ثم يورد قصة « بائع فاكهة وثعلب » وهى أن بائع فاكهة كان يسكن اليمن وكان يستعمل ثعلباً صغيراً لحراسة دكانه ، وكان الثعلب ذكياً يحفظ متاع سيده ، ويرعاه جيداً ، حتى تغلب عليه نشال ، فأنامه ، ثم سرق المتاع .

وعلق الشاعر على هذا بقوله : « إن كل من يسلم نفسه للنوم فى هذا الطريق سوف يفقد كل شىء فى الحياة (٢) » .

* * *

٩ — المقالة التاسعة

فى ترك المثونات الدنيوية

يُذَكِّر الشاعر الإنسان — فى هذه المقالة — بقصر عمره ، وسرعة انقضائه ، وينصحه بأن يتزود لآخرته ، وأن يرسل هذا الزاد أمامه ، حتى ينفعه إذا ماوصل ، ويضرب المثل بالنحل والنمل — فى بعد النظر — ويدعو الإنسان إلى ادخار قوت

---

(١) گر بخورش بيش كسى زيستى هركه بسى خورد بسى زيستى

. . . . . .

عقل تو باخورد چه بازار داشت حرص ترا برسر اينكار داشت

. . . . . .

ترسم از اين پيشه كه پيشت كند رنگ پذيرنده خويشت كند

(نفس المرجع والصفحة)

(٢) هركه در اين راه كند خوابگاه يا سرش أزدست رود يا كلاه

(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١١٩)

غذه مثل هذه الحشرات ، فيقول : « إن الإنسان الغافل إذا لم يكن أعمى ، فإنه ليس أقل من هذا النمل ، وذلك النحل [١] » .

ثم يقول : « إن كل المخلوقات ـ غير الإنسان ـ بعيدة النظر ، تَدّخِر زادها وما ينفعها فى مستقبلها ، فيجب أن يتفكر الإنسان فى عاقبته ، لأن عاقبة هذا التفكير مفيدة . « فنحن و إن كُنّا قد خُلِقنا من تراب إلا أننا جواهر لأننا أصحاب قلوب [٢] » .

وينصح بأن يتفكر الإنسان فى السر من خلقه قائلا : « انظرْ فى أى طريق يقع منزلك ، وفكِّرْ فى مجيئك إلى هذه الدنيا ، وفى ذهابك منها ، وما السر فى مجيئك ؟ وما الحكمة فى ذهابك ؟ [٣] » .

ويشير إلى أن الإنسان كان ـ قبل هبوطه إلى الأرض ـ فى عالم جميل ، ثم هبط إلى الأرض ، ولن يدوم عليها كثيراً ، بل إن حاله فى تَغَيُّر وَتَبَدُّل ، ويجب أن يلحق بالعالم العلوى مرة أخرى ، فيجب أن يتمع نصيحة أبيه آدم ، فيترك الدنيا والآثام ، ويعمل للآخرة ، ويتفكر فى حقيقته ، فيحمل عباه . « فنحن قد خُلِقْنَا للعمل ، لا للقيل والقال [٤] » .

ثم يقول : « إن الإنسان يجب ألا يسر بالمجىء إلى الدنيا لأنه يعرف أن فى

---

(١) آدمى غافل اگر كورنيست كمتر از اين نحل وأزين مورنيست
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١١٩)

(٢) ماكه ز صاحب خبران دليم گوهريم ارچه زكان گليم
(المرجع السابق ، ص ١٢٠)

(٣) منزل خود بين كه كدامست راه ولمدن ورفتن از اين جايگاه
ز آمدن اين سفرت راى چيست باز شدن حكمت از اينجاى چيست؟
(نفس المرجع والصفحة)

(٤) مازپى رنج پديد آمديم نز جهت گفت وشنيد آمديم
(المرجع السابق ، ص ١٢٢)

إثر المجيء الرحيل منها ، وليس هناك شيء في المجيء أو الرحيل ، وسيأتي اليوم الذي نعود فيه إلى الحياة مرة أخرى في الآخرة . « فمركب العبور الوحيد في هذه البادية هو الدين ؛ فهو الوسيلة الوحيدة للنجاة (١) » .

وينصح بعد ذلك قائلا : « اطلب المغفرة وعلى الله القبول ، ولا تسلم كل شيء للقدر (٢) » .

ثم يذكر « قصة زاهد نقض توبته » فيقول إنه كان يوجد زاهد معتكف للتَّعَبُّد ، وكان يندب حظه العاثر ، فقد أصبح أسير العبادة والتسبيح ، فسرقت القبلة كل أوقاته ، وصار من سكان بيت الدراويش ، فلا علاقة له بهذه الدنيا الحقيرة ، رغم أنه لم يستفد من هذا المسلك شيئاً ، وهو يعزو سلوكه هذا الطريق إلى القضاء ، فهو الذي جعله زاهداً .

ولكن قلبه يجيبه بأنه لا يجب أن يكل كل شيء للقضاء لأنه ، وألفاً مثله لا يساوون أمام القضاء حبة شعير ، ثم ينصحه بأن يحاول غسل ذنوبه ، دون تَعَلُّل بالأعذار ، فلا يحاول ارتكاب المعاصي في أثناء حياته في هذه الدنيا ، ويُبَيِّن له طريق النجاة في قوله : « اهجر نومك قبل أن يُنِيمك الموت ، وتزوّدْ قليلا من هذه الدنيا الفانية ، فليس جميلا أن تنام حيًّا وميتًا (٣) » .

* * *

---

(١) مركب اين باديه دينست وبس چاره اين كار همين است وبس
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٢٣)

(٢) عذر زخود دار وقبول أز خداى جمله ز تسليم قدر درمياى
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) تا نبرد خوابت أزو گوشه كن اندكى أز بهر عدم توشه كن
خوش نبود ديده بخوناب در زنده ومرده بيك خواب در
(المرجع السابق ، ص ١٢٤)

١٠ ـ المقالة العاشرة

فى ظهور آخر الزمان

يستمر الشاعر ـ فى هذه المقالة ـ فى الحديث عن تبدُّل الأرض والأفلاك ، وعدم بقائها على حال واحد ، وأن الساعة ستقوم « فتُزَلْزَلُ طبقات الأرض زلزالا شديداً ، لأنَّ زلزلة الساعة شيء عظيم [١] » وحينذاك تُبَدَّلُ الأرض غير الأرض والسموات ، وتُدَكُّ الأرضُ دكّاً ، وتُطْوَى السماء كطى السجل للكتب ، و بذلك « تستريح الأرض والسماء من متاعبنا ، وتُطَهَّرانِ من ذنو بنا ، و يسكن الفلك ، فلا يسعى لخدمتنا ، فتأمن الأرض مكرنا [٢] » .

ثم يخاطب الشاعر الإنسان الذى أرهق الأرض بأفعاله السيئة ، فيدعوه إلى ترك متاع الدنيا ، وتطهير النفس ، لأن الأحداث سريعاً ماتحدث ، ولن يستطيع أى إنسان أن ينجو من الموت ، فيجب أن يعترف الإنسان بعجزه ، وهو لذلك ينصحه بقوله : « إنك واقف على رأس شعرة ، فلا تتمسك بها ، وحاول أن تخرج من الدنيا كما تخرج الشعرة من العجين [٣] » .

ثم يُبيِّن الشاعر عيوب العالم ، فيقرر أن كل شيء فى الدنيا ناقص معيب ؛ فالشمس شرارة من جهنم ، والقمر قاصر لأنه يعتمد على الشمس ، والسحاب

---

(١) در طبقات زمى افكنده بيم زلزلة الساعة شيء عظيم
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٢٤)

(٢) رسته شودهر دوسر أز دردما پاك شود هر دوره أز گردما
هم فلك أز شغل تو ساكن شود هم زمن أز مكرتو أيمن شود
(المرجع السابق ، ص ١٢٥)

(٣) برسر موئى سر موئى مگير ورنه برون آى چوموى أز خمير
(المرجع السابق ، ص ١٢٧)

يعتمد على بخار الماء . ويُجْمِل العيوب فى قوله : « العالم مملوء بالعيوب ، ولكنك لا تنظر إلى عيوبه مطلقاً [١] » .

وينصح أن يشتغل الإنسان بعيوبه عن عيوب الناس ، وأن ينظر إلى محاسن الناس فقط ، وأن يترفع عن تقصِّى عيوبهم ، فيقول : « ارفع عينك عن عيوب الآخرين ، وفتِّش فى نفسك ، واعرف عيوبك ، ففى كل شىء فضل وعيب ، فترفع عن النظر إلى العيوب ، حتى تصير فاضلا [٢] » .

ثم يورد « قصة عيسى » ، وهى أن عيسى كان يمر فى سوق فأبصر كلباً ميتاً مُلْقًى فى الطريق ، وقد التفت حوله جمع من الناس ، فأخذ كل منهم يذكر عيباً من عيوبه ، فقال واحد منهم : إن رائحته تسبب صداع الرأس ، وقال الثانى : إنه يسبب عمى العين ومرض القلب ، وكان كل من يتحدث منهم ينتقد الكلب ، فلما وصل عيسى إليهم ، نصحهم بعدم ذكر العيوب ، والنظر إلى المحاسن فقط ، وتعديدها ، فلا ينبغى أن يضحك الإنسان من مصيبة الآخرين ، ونصح قائلا : « لا تفتش عن عيوب الآخرين ، ولا تُعَدِّدْ محاسنك ، بل تأمل فى نفسك [٣] » .

ثم قرّر أن الأفلاك التسعة حجب لعيوب الإنسان ، وكل ما فى الدنيا لفتنته ، وسوف يفنى جميعه .

---

(١) خانه پر عيب شد اينكارگاه　　خود نكنى هيچ بعيبش نگاه
(نظامى: مخزن الأسرار، ص ١٢٨)

(٢) ديده ز عيب ديگران كن فراز　　صورت خود بين ودرو عيب ساز
در همه چيز هنر وعيب هست　　عيب مبين تا هنر آرى بدست
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) عيب كسان منگر وإحسان خويش　　ديده فروكن بگريبان خويش
(المرجع السابق ، ص ١٢٩)

وقد صوَّر ذلك فى قوله : « كل مافى الدنيا من قديم إلى حديث ، لن يساوى ـ حينما يفنى ـ شعيرتين ، فلا تَحْمِلْ هَمَّ الدنيا ، واستيقظ أيها السيد ، وإذا حملته ، فدع نصيب نظامى [1] » .

* * *

١١ ـ المقالة الحادية عشرة

فى غدر الدنيا

يبدأ نظامى هذه المقالة بقوله : « اسْتَيْقِظ وَاطْوِ بساط الفلك ، فليس هناك وفاء فى هذه الدنيا [2] » .

ثم يتحدث عن غدر الدنيا ، فيقول : « لا تَتَوَقَّعْ أن تصل إلى هدفك بحبك للدنيا ، ولا تبحث عن خصلة الإنصاف بين خصالها ، فَلِمَ تُعَرِّض متاعك لهذا الموج العاتى ؟ !.. [3] » .

وَيُحَذِّر من غدر الدنيا فَيُبَيِّن أن كنز الوفاء والأمان ليس موجوداً فى هذه الأرض ، فالدنيا لا تُدَلِّل الإنسان أبداً ، فيجب أن يسحب يده من مصاحبتها ، والاعتماد عليها ، فليس على مائدة الدنيا شىء ، اللهم إلا كؤوس ملوثة ، فكل من يعتمد عليها تكون عاقبته الخسارة ، فهى بريق زائف ، وسراب

---

(١) جمله دنيا ز كهن تا بنو چون گذرندست نيرزد دوجو
اندر دنيا مخور اى خواجه خيز ور تو خورى بخش نظامى بريز
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٣٠)

(٢) خيز وبساط فلكى در نورد زانكه وفا نيست درين تخته نرد
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) نقش مراد أز در وصلش مجوى خصلت إنصاف ز خصلش مجوى
پاى درين بحر نهادن كه چه ؟! بار درين موج گشادن كه چه ؟!
(نفس المرجع والصفحة)

خادع ، وهى تغرُّ الإنسان فيتعلق بها ، فيعيش مفتوناً بها ، حتى يصيبه نوم الغفلة والاضطراب ، ولذلك فالشاعر ينصح قائلاً « اجْعَلْ الآخرة دار مقامك ، واهجر هذه الدار الخربة [١] » .

ويرى أنه يجب أن يترك الإنسان الدنيا ويبيعها لأنه لم يستفدْ شيئاً من علاقته بها ، فينبغى أن يهملها حتى يعيش سعيداً ، وأن يُجَهِّزَ زاد الآخرة ، فيقول : « إن طريقك طويل ، ومنزلك بعيد ، فجهز زاد الطريق ، ومئونة المنزل [٢] » .

وهو يعتقد أن الدنيا دار الشياطين ، لأنها تمتص عصارة الكبد من كل مَنْ يتعلق بها ، فيتَحوَّل قلبُه دماً ، فلن تستطيع قافلة القلب أن تسير فى هذا الطريق الذى يُذيبُ القلب ... فَأُفٍ للدنيا المملوءة بالغم .

ولذلك يكرِّرَ الدعوة إلى تركها ، ويُحَذِّر من الانكباب عليها ، فيقول : « إن كل من يَتّبِع هواه فى هذه الدنيا ، تُحْرَق كبده ، ويصير مهموماً دائماً [٣] » .

ويدلل على رأيه بقوله : « ماذا تفعل بهذه الوردة النابتة من جهنم ، استيقظ واترك جهنم ، وتوجه إلى الجنة ، فإن الدهر يتعقبك ، ويمسك بيدك ، ويحاول أن يضلك ، وهكذا حتى تموت ، فتكون عاقبتك وخيمة ، كغيرك من الناس ، وما دمتَ ستعود إلى التراب مرة أخرى ، فحاول أن تعبر الدنيا بسلام ، ولا تحاول أن تحفر حفرة لأحد ، فكثيراً ما طحنت الدنيا غيرك تحت قدمها ، فقد فى كل

---

(١) خلوت خود ساز عدم خانه را   باز گذار اين ده ويرانه را
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٣١)

(٢) راه تو دور آمد ومنزل دراز   برگ ره وتوشه منزل بساز
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) هر كه درين باديه با طبع ساخت   چو نجگر افسرد وچو زهره گداخت
(المرجع السابق ، ص ١٣٢)

من عليها ، دون أن يصلوا إلى أهدافهم ، فلا تتعلق بهذه الدنيا التى محصولها الشوك ، ولا تحاول الإقامة فى مكان ليس مُخَصَّصًا لإقامتك ... إنه مكان مخيف ، فماذا تفعل فيه ؟! . . إن الدنيا منزل فانٍ ، فلا تتوقع بقاءها ، وقد بلغت خريف عمرها ، فلا تنتظر ربيعها (١) » .

ثم يورد قصة « عابد صاحب نظر » وهى أن عابداً مرَّ على حديقة يانعة فرآها مكاناً مُزَيَّناً خلاّباً ، ولـكنه أدرك بفطنته أنها تقوم على الـكذب والخداع ، لأن المملكة ـ التى هى فيها ـ يسودها الظلم ، وأحسَّ بأن أزهار الحديقة ملوثة بالدماء ، وأنها ترتعش خوفاً على نفسها ، وأن الأشجار تهتز من الفساد والجور ؛ وأيقن أنها سوف تتبدل سريعاً ، وتصبح خاوية على عروشها ، وأن دولة الظلم سوف تزول قريباً .

ثم مرَّ العابد على هذه الروضة بعد بضعة أشهر ، فرأى نواح الغربان مكان البلبل والروض ، ورأى جهنم مكان الجنة ، وأدرك أن المملـكة قد خَرِبَتْ ، فذهبت الخضرة ، وأصبحت الزهور كومة تراب . « فنظر العابد إليها نظرة عابرة ،

---

(١) تا چكنى اين گل دوزخ سرشت — خيز وبده دوزخ وبستان بهشت
تا شود اين هيكل خاكى غبار — پاى بپايت سپرد روزگار
عاقبت چونكه بمردم كند — دست بدستت زميان گم كند
چونكه سوى خاك بود بازگشت — بر سر اين خاك چه بايد گذشت
زير كف پاى كسى را مساى — كوچو تو سودست بسى زير پاى
كس بجهان در زجهان جان نبرد — هيچكس اين رقعه بپايان نبرد
پاى منه برسر اين خارخيز — خويشتن از خارنگه دارخيز
آنچه مقام تو نباشد مقيم — بيمگهى شد چه كنى جاى بيم
منزل فانيست قرارش مبين — باد خزانيست بهارش مبين
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص١٣٢ ـ ١٣٣)

وسخر منها واعتبر ، وبكى على حاله [١] » . وقال إن كل من عليها فانٍ ، فكل من خرج من التراب سوف يعود إليه فى النهاية ، فليست أمامه وسيلة غير التعبد والاعتكاف ، وهكذا « نظر العابد بعين البصيرة فعرف ربّه ، وأدرك قدر نفسه [٢] »

ثم ينصح بأن يحاول كل إنسان أن يعرف هذه الحقيقة ، فيدرك قدره نفسه ، ويعرف ربه ، لأن المسلم إذا كان خالياً من الفيض ، يصبح كالمجوسى .

ويرى أن الإنسان يجب ألا يكون أقل من ذلك العابد ، وأن يترك الدنيا فلا يتعلق بها ، وألا يتكبر ويغتر ، وأن يستيقظ ويتعبد ، ويعمل للآخرة .

ويختم نصيحته بقوله : « اجتهد حتى تنجو من العبودية ، وتتخلص ـ كنظامى ـ من أسر الشهوات [٣] » .

* * *

١٢ — المقالة الثانية عشرة

فى وداع الدنيـــــــــا

يكرر الشاعر ـ فى هذه المقالة ـ دعوته إلى أن يستيقظ الإنسان ، ويودع الدنيا ليهيىء لنفسه حياة أسعد فى الآخرة ، وأن يخشع ويبكى ، حتى يتعرض قلبه لفيض الله ، لأن الإنسان أعجز من أن يحافظ على شعرة واحدة ، فليس أمامه غير طريق العدم ، ولذلك فهو يخاطبه بقوله : «ما دُمْتَ لا تستطيع أن تحفظ شعرة واحدة ، فليس أمامك غير طريق العدم ، فقد تولى الأصدقاء والظرفاء ...

---

(١) پير در آن تيزروان بنگريست   بر همه خنديد وبخود بر گريست
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٣٤)

(٢) چون نظر از بينش توفيق ساخت   عارف خود گشت وخدارا شناخت
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) كوش كزين خواجه غلامى رهى   ياچو نظامى ز نظامى رهى
(المرجع السابق ، ص ١٣٤)

مع من تجلس وقد تولى الرفقاء ؟! . . . إن الطبع يميل إلى الملاطفة ، ولكن كيف تكون الملاطفة مع الوحدة والانفراد ؟! . . . فالأجدر أن يبحث الإنسان الطاهر عن صديق مماثل له فى هذه الدنيا المظلمة ، ويجب أن تنشر علمك قبل أن تذهب من الدنيا ، وأن تُخَفِّفَ من أحمالك ، حتى تصل إلى الجنة سريعاً »[(١)] .

ثم ينصح بالعمل للآخرة ، لأن الدنيا عديمة الفائدة ، وأن يحاول ألا يكون هدفاً للفلك الدوار ، حتى لا يصب عليه قذائفه ، ويرى أن الوسيلة الوحيدة هى خروج الإنسان عن دائرته الضيقة ، والبحث عن طريق النجاة ، وهو يرشد إلى هذا الطريق فى قوله : « لا تحاول أن تقوم بأى عمل قبل أن تستعد وتُثَبِّت قدمك فى الطريق المؤدية إليه ، وقبل أن تُؤَمِّن طريق رجوعك ، فإن معرفة الطريق تحفظ من الزلل[(٢)] » .

ويدعو الإنسان إلى أن يهيِّىء لنفسه فرصة النجاة دائماً ، وإن كان لا يستطيع النجاة من قبضة القضاء ؛ وهو — لذلك — يُنَبِّه الإنسان إلى ترك الغفلة ، والعمل للآخرة ؛ فيقول مخاطباً إياه : « خذ زادك من الدين ، لأن الإقامة فى الدنيا

---

(١) چونكه ترا محرم يكوى نيست — جز بعدم راى زدن روى نيست
طبع نوازان وظريفان شدند — باكه نشينى كه حريفان شدند
گرچه بسى طبع لطيفى كند — باتن تنها كه حريفى كند
به كه بجويد دل پرهيزناك — روشنى آب درين تيره خاك
تا نرسد تفرقه راه پيش — تفرقه كن حاصل معلوم خويش
رخت رها كن كه گران روكسى — كز سبكى زود بمنزل رسى
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٣٥)

(٢) تا نكنى جاى قدم استوار — پاى منه در طلب هيچكار
در همه كارى كه گرائى نخست — رخنه بيرون شدنش كن درست
شرط بود ديده بره داشتن — خويشتن أزچاه نگهداشتن
(المرجع السابق ، ص١٣٦).

قصيرة ، واحملْ معك الماء لأن الطريق جاف [١] » . ويكرر الحديث عن ضرورة تخليص النفس من هموم الدنيا ومتاعبها ، والانتفاع بنُصْح العارفين .

ثم يورد قصة « حكيمين متنازعين » وهى أن حكيمين متساوِيَيْن فى درجة العلم تناقشا فى مسائل الحكمة ، واحتدمت المناقشة بينهما ، دون أن يصلا إلى شىء ، فقد تمسك كل منهما بقوله ، وسَفَّه رأى صاحبه ، وحاول أن يستأثر لنفسه بالفضل ، ويصبح وحيد دهره فى العلم ؛ ولما بلغ التعصب للرأى مبلغه ، حاولا أن يحسما النزاع عن طريق التحدى ، فتحدى كل منهما صاحبه أن يشرب شربة السم التى يقدِّمها له ، دون أن يتأثر بالسم . فتركا النزاع ، وخرجا فى منتصف الليل عازمَيْن على الرحيل ، لينفذ كل منهما تحديه ، حتى يتبين أيهما أقوى من صاحبه ، وأقدر على تحمل شربة الآخر ، فيصير مُلْك الحكمة من نصيبه ؛ فأعدَّ أولهما شربة سم من صدأ الحجارة السوداء ، وقدمها لصاحبه ، فشربها ثم شرب شيئاً ضد السم فنجا من الموت . أما الثانى فقطف وردة من روضة ، وقرأ عليها سحراً ، ثم قدمها لصاحبه فكانت أكثر تأثيراً من السم ، فقد خشى منافسه من الوردة ، وغلب عليه الخوف فمات . « فبينما أخرج الأول السم من جسمه بالعلاج ، مات الثانى بوردة من الوهم [٢] » .

ويعلق الشاعر على القصة بقوله : « إن كل وردة ملونة فى الحديقه قطرة من دم قلب الإنسان ، وحديقة الدهر التى أنت ربيعها ، دار غم أنت نقوشها [٣] » .

(١) توشه زدين بر كه عمارت كست   آب ز چشم آر كه ره بى نمست
(نظامى مخزن الأسرار ، ص ١٣٧)

(٢) آن بعلاج أز تن خود زهر برد   وآن بيكى گل زتوهم بمرد
(المرجع السابق ، ص ١٣٩)

(٣) هر گل رنگين كه بباغ زميست   قطره أز خون دل آدميست
باغ زمانه كه بهارش تونى   خانه غم دان كه نگارش تونى
(نفس المرجع والصفحة)

ثم يكرر النصح بترك الدنيا وأوهامها ، وعدم التمسك بها لأنها فانية ، فحوادث الدهر تحرق كبد الإنسان ، وتلهيه حتى يفنى عمره ، فيجب عليه أن يتفكر ويبكى ، حتى تكون عاقبته النجاة ، فيثقل ميزانه يوم القيامة . كما يكرر أن الوسيلة الوحيدة هى التمسك بالدين ، فيقول : « إن الدين هو الذى يُقَوِّى ساعدك ، ويُرَجِّح كفة ميزانك ، فليس هناك رجل فاضل حر ، ارتبط بالدنيا ولم يذق همها ، فإذا كانت لك أطماع فى الدنيا ، فَخذْها لك وأعط الدين لنظامى [١] » .

* * *

١٣ — المقالة الثالثة عشرة

فى ذم العالم

يبدأ الشاعر هذه المقالة بذم العالم ؛ فيقول : « انظر إلى هرم العالم وضيقه ، حتى لا تخدع بلون شبابه [٢] » .

وهو يعتقد أن الظاهر الذى يراه الإنسان جميلا يخفى وراءه حقيقة محزنة ، فما يُخَيَّل للانسان أنه وردة قد يكون ناراً ، وما يراه قبلة ، قد يكون صليباً ، وهكذا . فلا ينبغى أن يخدع الإنسان بالظواهر ، بل عليه أن يستعد ويجهز نفسه للآخرة لأنه لن يحمل معه إلا ما أعده ، وكل شيء سيفنى بعد ذلك ،وسيستحيل الإنسان

---

(١) دين كه قوى دارد بازوت را راست كند عدل ترازوت را
هيچ هنرپيشه آزاد مرد در غم دنيا غم دنيا نخورد
چونكه بدنياست تمناترا دين بنظامى ده ودنيا ترا
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٤١)

(٢) پيرى عالم نگر وتنگيش تا نفريبى بجوان رنگيش
(نفس المرجع والصفحة)

تراباً ، فيجب أن يتجرد من الدنيا ، فلا يعبدها ، والشاعر ينصح قائلا : « احتقر الذهب ، فضع عليه قدمك ، ولا تَمُدَّ إليه يدك ، حتى لا تصير عابداً للذهب ، كنفهوك من الناس ، فإن الذهب الذى لا يهيء سبيل النجاة فى الآخرة ، يكون هو والزرنيخ سواء [1] » .

وهو يرى أن الملوك ـ الذين يحصلون على الذهب بقوة الحديد ـ كالحدادين ، وأن عاقبتهم ستكون وخيمة ، فإن قارون لما كثر ذهبه اختال ، فكان ذلك سبباً فى هلاكه ؛ وهو ـ لذلك ـ يقول : « ولو أن مَنْحَ الذهب جميل كمنح الحياة ، إلا أن عدم أخذه ظلماً أفضل من ذلك الإعطاء [2] » .

وينصح بأن يترك الإنسان الحرص وهو يريد الذهب ، وأن يعطيه عن طيب خاطر ، حتى يُسَكِّن روحه ، ويهب نفسه السعادة .

ويختم المقالة بالدعوة إلى ترك حب الذهب ، لأنه خداع ، يقود إلى التهلكة ، وإن بدا براقاً جميلاً .

ثم يورد قصة « حاج وصوفى » وهى أن رجلا عزم على الحج ، وكان معه مبلغ من المال يزيد على حاجته ، ففكر فى إيداعه لدى رجل صوفى مشهور بالزهد والورع والتقوى ، ثم توجه إلى الرجل وأودع عنده ماله واثقاً فى أمانته ، ومطمئناً إلى أنه سيرد إليه ماله عقب رجوعه من الحج ؛ وسافر الرجل إلى الحجاز ، ولكنّ نفس الصوفى حَدَّثَتْه أن ينفق المال ، فأنفقه فى الطعام ، ولم يُبْقِ منه شيئاً . ولما رجع الحاج ، توجه إلى الصوفى ، وطلب منه نقوده ، فأخبره بأن نفسه

---

(١) پاى كرم برسر زر نه نه دست   تا نخوانند چو كل زرپرست
زر كه بر أو سكهٔ مقصود نيست   آن زر وزرنيخ بنسبت يكيست
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٤٢)

(٢) دادن زر گر همه جان دادنست   ناستدن بهتر أز آن دادنست
(المرجع السابق ، ص ١٤٣)

سوّلت له إنفاق الدنانير الذهبية ، فأنفقها ، وهكذا أغرى ذهبه قلبه حتى حطمه، وأظهر الصوفى الندم ، وطلب المعذرة حتى عفا الحاج عنه ، ونصحه بأن يتعفف فلا يمد يده إلى أموال الناس .

ولكن الحاج قرّر أن الأمانة قد انعدمت من هذه الدنيا ، مما عبر عنه الشاعر؛ فى قوله : « لايوجد قلب قط خال من الحرص والحسد ، كالا يوجد شخص أمين على وجه هذه الأرض (١) » .

وذم الدنيا فى قوله : « الدنيا دار عيب ، فاغتنمْ منها زادك ، وتمسكْ بالدين ، واعتزلها جانباً (٢) » .

وهو يعتقد أن الطمع والحرص هما سبب البلاء ، ولذلك فقد ختم القصة بالدعوة إلى تجنب الطمع وتطهير النفس .

* * *

١٤ — المقالة الرابعة عشرة

فى ذم الغفلة

يعود الشاعر — فى هذه المقالة — إلى مخاطبة الإنسان الغافل الذى يفرح بالطعام والشراب كالحيوانات ، دون تفكر فى عظمة الوجود والخلق ، ويقرر أن الغفلة لاتصدر عن العارفين ، فيقول : « يأتى العمل من العارفين بالله ، أما الغافلون فلا يحملون هم الدنيا (٣) » .

---

(١) هيچ دل أز حرص وحسد پاك نيست معتمدى بر سراين خاك نيست
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص١٤٦)

(٢) منزل عيبست هنر توشه رو دامن دين گير وفراگوشه رو
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) أز پى صاحب خبرانست كار بى خبرانرا چه غم أز روزگار
(المرجع السابق ، ص ١٤٧)

ثم ينصح قائلا : « لماذا تنام ؟!.. تهيَّأ للعمل ، وأدِّه بإتقان .. لماذا تنام ثملا وقد وقفوا لك بالمرصاد ؟! .. إن العارفين لم يفعلوا كما فعلْتَ(١) » .

ويدعو إلى أن يفكر الإنسان فى غده ، ويعتبر بعجزه ، فينبه عقله ، ويُعِدّه للعمل ، فلولا امتياز الإنسان بشرف العقل لأصبح كالحيوانات ، فيجب أن يتبع الإنسان العقل ، فلا يعصى أوامره ، ولا يلغيه حتى لا يصير مجنوناً ، كما ينبغى ألا يثمله ، فإن الخمر المحللة فى كل مقام ، قد حُرِّمَتْ لعدواتها للعقل ، ولأنها تذهب الكرامة ، فيجب على الإنسان العارف أن يبتعد عن شرب أى شىء حتى لا يجهل كل شىء ، وألا يتبع هواه ، وأن يبتعد عن الحانات ، وينصح الشاعر الإنسان بالتواضع ، وترك الأنانية ، والكف عن الأذى ، فيقول: «لستَ شوكا حتى ترفع رأسك للصعود ، كن كالزهر عطراً ناعماً ، ولست طفلا ؛ فلا تركن إلى اللعب ، ولست مخلَّدًا ؛ فلا تتوقع الدوام(٢) » .

وهو يعتقد أن نهار العمر قد أوشك على الانقضاء ، فقد بعدت الشمس وأصبح الظل كثيراً ، والنور قليلا ، فيجب أن يبتعد الإنسان عن الظل ، وأن يحاول أن يحطمه كنور المصباح ، وبذلك تطهر نفسه ، وفى ذلك يقول الشاعر : « إذا استطعْتَ أن تُبْعِد الظلال عن نفسك ، فإن عيوبك ستبدد كما تتبدد الظلال(٣) » .

---

(١) بر سر کار آی چرا خفتهٔ   کار چنان کن که پذیرفتهٔ
مست چه خسپی که کمین کرده اند   کار شناسان نه چنین کرده اند
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٤٨)

(٢) خارنهٔ کاوج گرائی کنی   به که چو گل بیسر وپائی کنی
طفل نهٔ پای بیازی مکش   عمر نهٔ سر بدرازی مکش
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) گرتو زخود سایه توانی برید   عیب توچون سایه شود ناپدید
(المرجع السابق ، ص ١٤٩)

ثم يكرر دعوة الإنسان إلى التطهر ، وتزكية النفس ، وتنظيفها من أدران الذنوب ، ليثقل ميزانه يوم يُحْضِرون كل شيء أمامه ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ويؤكد أن الله يؤيد الحق والاستقامة ، فيقول : « أينما يرفع الحق أعلامه يتأيد بقوة الله تعالى[1] » .

ويختم المقاله بالدعوة إلى الاستقامة ، واتباع الحق ، حتى ينجو الإنسان من الغم ، ويُحْفَظ من السوء .

ثم يورد قصة « ملك ظالم مع رجل صادق القول » ؛ وهي أنه كان يوجد ملك ظالم ، يضطهد الرعية كالحجاج[2] ، وكان عيونه يخبرونه بكل مافي الدولة ، فجاءه أحد جواسيسه ذات صباح ، وأخبره بأن فلاناً الشيخ قد اغتابه في الخفاء ، وصوَّر ظلمه ، وسفكه للدماء ؛ فغضب الملك ، وصمم على قتله ، فأمر بإعداد النطع الذي سيقتله عليه ، وأعد العدة لقتله ، ثم أرسل في طلبه ، فتوضأ الشيخ ، وحمل كفنه ، وتوجه إلى الملك فواجهه بالتهمة الموجهة إليه ، وسأله عن مبلغ صحتها ، فلم ينكر الشيخ التهمة ، بل قرر أنه قال أسوأ مما سمعه الملك ، لأن الشعب كله مهدَّد بالفناء نتيجة لأعماله ، بعد أن خَرُبَتْ المملكة ، وقال إنه مرآته ، فإذا أظهرت المرآة صورة الإنسان قبيحة ، فيجب أن يصلح نفسه ، لاأن يحطم المرآة .

فلما سمع الملك كلام الشيخ اتعظ به ، فأصلح نفسه ، وصار عادلا ، والشاعر يصور ذلك في قوله : «لما تأكد الملك من صدقه ، أدرك مبلغ اعوجاج نفسه ، فقال لرجاله : دعوا حنوطه وكفنه ، وقدموا له خلعتنا . وأقلع عن الظلم ، فصار ملكا عادلا ، عطوفاً على الرعية[3] » .

(١) راستى آنجا كه علم برزند ياری حق دست بهم برزند
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ١٥٠)

(٢) يقصد الشاعر الحجاج بن يوسف الثقفي .

(٣) چون ملك أز را ستيش پيش ديد راستى أو كژی خويش ديد
گفت حنوط وكفنش بر كشيد غاليـه وخلعت ما دركشيد
أز سر بيدادگری گشت باز دادگری گشت رعيت نواز
(المرجع السابق ، ص ١٥١)

ثم ينصح الشاعر بألا يخفى الإنسان صراحته عن أحد،لأن الصراحةواجبة ؛ فيجب أن يكون الإنسان صريحاً ـ رغم أن الحق مر ـ لأن الله يؤيد الصريح بروح منه ، وفى ذلك يقول الشاعر : « إذا تمسَّكتَ بالصراحة والصدق فى القول فإن الله ينصر مقالك[1] » .

* * *

١٥ — المقالة الخامسة عشرة

فى ذم الحساد

يبدأ الشاعر ـ هذه المقالة ـ بقوله إن الدنيا لاتدوم على حال واحد ؛ ففى كل لحظة يحدث شىء غريب ، فالدنيا مملوءة بالألحان الجميلة ؛ ولـكن الإنسان لايعرف كيف يطرب منها ، وبحر الحياة مملوء بالدرر ؛ ولـكنه لايستطيع أن يغوص فيه ، ويستخرج الدرر منه ؛ فالقدر ليس بخيلا ، ويمكن الإنسان أن يرتفع إلى منزلة جبريل ؛ لأن فضل الله واسع ، فما عليه إلا أن يسلك طريق الله حتى يصل إلى السعادة ؛ فإذا اجتهد فى السير فى هذا الطريق استطاع أن يصل إلى منزلة أعلى ، وإلى درجة أرفع . والناس يتفاوتون فى هذا ؛ فطائفة أمهر من طائفة ، ولا دخل للهرم والشباب فى ذلك .

والشاعر يرى أن منزلة الإنسان تعلو كلما تقدم به السن ، وأن الحُسّاد وحدهم هم الذين يزدادون سوءاً كلما بلغوا من العمر عتياً ؛ فالهرم منهم لايعترف للشاب بفضل ، لأن شهد الشاب يتحول إلى سم زعاف فى فمه . « فالشيوخ لاينصفون الشباب إلا قليلا ، ولا يعجبون بهم إلا نادراً[2] » .

---

(١) چون بسخن راستى آرى بجاى ناصر گفتار توباشد خداى
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٥١)

(٢) در كهن إنصاف نوان كم بود پير هواخواه جوان كم بود
(المرجع السابق ، ص ١٥٣)

ويوضح الشاعر ذلك بقوله : « إن الورد نبات شاب مما جعل فيه الراحة ، أما الشوك فنبات مُسِنّ ، ففيه الجراحة[١] » .

ثم يقرر أن الشيوخ كالتقويم القديم الذى لا يُسْتَعمل الآن ، وأن روحه العالية كروح يوسف ، فلن تستطيع الذئاب أن تؤذيه ، وأن جرح الشيوخ ضعيف مهما بلغ .

وهو يصور الشباب فى قوله : «إن الشباب كله حكمة ، ولو أن فيه شيئاً من التهور ـ أحيانا ـ يجعل الشاب يحب التفاخر ، كالورود التى تقلد الصفصاف ، أو كالهنود الذين يدعون البياض ؛ ولكنى ـ رغم الشباب ـ أنثر الحكمة دائماً ، وأفوق الشيوخ فى ذلك[٢] » .

ثم يدعو الشاعر الإنسان إلى أن يترك الغرور ، وأن يحارب هوى النفس ، وأن يكون نصيراً للحق أينما وجد . لأن نظرة الإنسان إلى الأشياء قد تتغير بتغير سنه ، ومبلغ نضجه ، فيجب أن يُحْسِن اختيار أصدقائه ، لأن « العدو العاقل خير من الصديق الجاهل[٣] » .

ثم ينصح بترك الأنانية والحمق ، والتقاط الحكمة أينما وُجِدَتْ ، و يشرح

---

(١) گل كه نوآمد همه راحت دروست
خار كهن شد كه جراحت دروست
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٥٣)

(٢) گرچه جوانى همه فرزانگيست هم نه يكى شاخ زديوانگيست
ياسمنى چند كه بيدى كنند دعوى هندو بسپيدى كنند
منكه چوگل گنج فشانى كنم دعوى پيرى بجوانى كنم
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) دشمن دانا كه پى جان بود بهتر از آن دوست كه نادان بود
(المرجع السابق ، ص ١٥٤)

ذلك في قوله : « لا تحاولْ أن تعرف من أى عشب نبت القصب ، وانظر إلى حلاوته ، وإلى أين تَصِلْ ، وسَلِّم نفسك للفضل ، لا للادعاء الكاذب ، وكن صيداً للفضل أينما وُجِد [١] » .

كما ينصح بعدم الاعتراض على صنع الله ، فيقول : « احترس ، فلا تعترض على صنع الله ، حتى لاتُضْرَب بسوط إبليس ، فكل من لم يعترف بقضاء الله وحكمه ، ستكون عاقبته البوار [٢] » .

ثم يورد قصة «أمير شاب مع أعداء مسنين» وهى أنه كان يوجد ـ فى مرو ـ أمير شاب ، معتدل القامة ، حسن الطلعة ، وكان رجال دولته مُسِنِّينَ ، فاختلفوا معه ، مما أدّى إلى اضطراب الدولة ، وفساد الأحوال ، وقلق الأمير ، وخوفه .

وذات ليلة نام الأمير مهموماً ، فجاءه والده حُلْماً ، ونصحه بالقضاء على رجال دولته المسنين ، حتى تستقر الأحوال ، وتستقيم له الدولة ، فيسعد بها ، وتسعد به .

فلما استيقظ الأمير من نومه أمر بقتل رجال دولته المسنين ، وأحل محلهم شباباً قوياً ناهضاً ، وبذلك بنى الدولة على أساس جديد قوى .

ويوافق الشاعر على قتل كل من يعبث بأمن الدولة ، ويعكر صفو استقرارها ورفاهيتها ، لأن الأغصان الجديدة لاتنبت ـ كما ينبغى ـ إلا إذا قُطِعَتْ الأغصان القديمة ، فيجب أن يُطَهَّر ماء النهر ، حتى ينبت الصفصاف رائعاً .

ثم ينصح الشاعر بأن يحسن الشاب استعمال شبابه ، فيقول : « أخرجْ ذلك

---

(١) نى منكر كنز چه كيا ميرسد   در شكرش بين كه كجا ميرسد
دل بهزده نه بدعوى پرست   صيد هنرباش بهرجا كه هست
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٥٣)

(٢) محتسب صنع مشو زينهار   تا نخورى درّه إبليس وار
هركه نه بر حكم وى إقرار كرد   چرخ سرش در سر إنكار كرد
(نفس المرجع والصفحة)

السيف من غلافه لحظة ، فإلى متى تغلفه بالمخالف ؟ !... إن الشباب مِلْك الرحمن ، وليس من نصيب هذه الدنيا الفانية الملوثة ، وما دام ملكاً لله فيجب أن تبذل كل مالى وسعك ، وأن تكون فاضلاً فى كل ماتفعل[1] » .

ويختم بمدح الفضيلة والكرم ، فيقول : «إن عظماء الدولة الذين ظفروا بالجاه والثروة ، قد عَمّروا آخرتهم بالكرم . فإن بذرة الكرم تنبت نباتاً حسناً ، يصير محصوله زاداً للآخرة[2] » .

* * *

١٦ — المقالة السادسة عشرة

فى سرعة السير

يبدأ الشاعر ـ هذه المقالة ـ بدعوة الإنسان الضعيف ، إلى الإقلال من الغرور ، فلا يدعى العظمة وهو لا يملك أسبابها ، كما ينصحه بالكف عن الأذى ، ويجمل ذلك فى قوله : « لَسْتَ سيفاً فلماذا تتمادى فى جرح الناس ؟ ! . ولَسْتَ طبلاً ، فلِمَ هذا الضجيج الكثير ؟ ! ...[3] » .

وينصح الإنسان بالتنبه ، وعدم الانقياد للشيطان ، لأنه حى ذو عقل ، وليس

---

(١) يكنفس آن تيغ بر آر أز غلاف   چند غلافش كنى اى بر خلاف
آن نفس أز حقه اين خاك نيست   اين حق آن هم نفس پاك نيست
پيش همين كس همكى پيش كش   نام كرم بر همه خويش كش
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٥٥)

(٢) دولتيان كه آب ودرم يافتند   دولت باقى ز كرم يافتند
تخم كرم كشت سلامت بود   چون برسد برگ قيامت بود
(المرجع السابق ، ص ١٥٦)

(٣) تيغ نهٔ زخم بى اندازه چيست   كوس نهٔ اينهمه آوازه چيست ؟!
(نفس المرجع والصفحة)

ميتاً ، فيجب أن يكون نشيطاً له مضاء كمضاء السيف ، و يحسن أن يترك التعلق بالدنيا ، و يسلك طريق العشق الحقيقى ، حتى يفوز بعطاء الله ، و يعلل ذلك بأن مَنْ قبلنا قد ذهبوا دون أن يجنوا من حبهم للدنيا شيئاً ، فيقول : « لقد عاش قبلنا ناسٌ لم يتوانوا فى طلب الجاه والثروة ، فانظر . ماذا أفادوا من ذلك الجاه ؟! لقد كانت فائدتهم مؤقته ، فقادتهم إلى الغواية . فما جدواها ؟! ... [١] » .

ثم يقرر أن الإنسان سوف يعود إلى التراب مرة أخرى ، لأنه خلق منه ، وحينذاك سيخرج بعيداً عن دائرة الجاه والثروة ، مهما طال مقامه فيها ، فيجب أن يترك الغرور حتى يستطيع أن يسرع فى السير ، و يمكنه الوصول ، لأنه ليس طائراً ؛ فلن يتمكن من الطير إلا إذا صار ربّانياً ، فالإنسان هو المسئول عن تخلفه وتقصيره ، ولا ذنب للدهر فى ذلك ، مما يوضحه الشاعر فى قوله : « شربتَ السم . فما ذنب السم ؟ وارتكبت الجرم . فما تقصير الدهر ؟!... لا تَسُبّ الدهر أيها الرجل اللبيب ، لأنه لم يجبرْنا على شىء [٢] » .

ثم يبين أن الدهر قد حاول أن يخلق من كل منا إنساناً كاملاً ، ولكننا لم تستجب له ، فلا يجب أن نلقى اللوم عليه ، لأن كل شىء يتوقف على مبلغ قابلية الإنسان ، واستعداده للاستجابة والعمل ، وإن كان يرى أن الحظ ـ أيضاً ـ يلعب دوراً كبيراً فى إنجاح العمل، وأن سوء الحظ قد يجعل الإنسان فى الحضيض، كما أن حسن الحظ قد يرفع صاحبه إلى السماكين، ولكن لابد من العمل والجد ، فالعظمة لا تتفق مع اللعب ، ولم يصل من وصلوا إليها إلا بالسعى، والجهد ، ومواصلة

---

(١) پيشتر أز مادگران بوده اند   كز طلب جاه نياسوده اند
حاصل اين جاه ببين كه تا چه بود   سودبد أما بزيان شد چه سود؟!..
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٥٧)

(٢) باده تو خوردى كنه زهر چيست   جرم تو كردى خلل دهر چيست ؟!
دهر نكوهى مكن اى نيك مرد   دهر بجاى من وتو بدنكرد
(المرجع السابق ، ص ١٥٧)

العمل ، فيجب أن يسلك الإنسان سبيلهم ، وأن يسترشد بقلبه ، ولا يدعه مجالاً للأهواء المتباينة ، كما ينبغي عليه أن يترك الحرص لأنه يبعد القناعة ، ويقرر أن الدنيا واسعة ، ولكن فكر الإنسان ضيق ؛ ثم ينصح بأن يسخر الإنسان الدنيا بعدم التفكير فيها ، لأنها ألدُّ أعدائه ، ويوضح ذلك بقوله : « إن كل ما في هذه الدنيا مملوء بالعيوب ؛ فلا تطلب الصداقة من العدو ، ولا تحاول أن تحصل على ماء الحياة من سم الأفعى[(١)] » .

ثم يورد قصة « طفل مجروح » وهي أن طفلاً خرج للعب مع بعض رفاقه ، وجرى فزَلَّتْ قدمه ، وكُسِر وسط ظهره ، حتى أوشك على التلف ، فارتاع أصحابه ، وفكروا في حيلة يتخلصون بها من الحرج أمام أبيه . « فقال أكثرهم صداقة له : يجب أن ندفنه في الحفرة التي زلَّتْ فيها قدمه ، حتى لا يُكْشَفَ أمره ، فنخجل أمام أبيه[(٢)] » . ولكن أحدهم ـ وكان عدواً له ـ ذهب إلى والده وأخبره بما حدث لابنه ، حتى لا يُتَّهَم هو بتدبير ما حدث .

ويختم نظامى القصة بقوله : « إن كل من يحمل جوهر العلم قادر على تدبير جميع أموره ... فمن يستطيع أن ينتصر على الفلك ؟ . . إنه ذلك الشخص الذي يمكنه أن يضع قدمه عليه[(٣)] »

(١) در دو هنر نامه اين نه دبير نيست يكى صورت معنى پذير
دوستى أز دشمن معنى مجوى آب حيات أزدم أفعى مجوى
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٥٩)

(٢) آنكه ورا دوسترين بود گفت درين چاهيش ببايد نهفت
تانشود راز چون روز آشكار تا نشويم أز پدرش شرمسار
(المرجع السابق ، ص ١٥٩ ـ ١٦٠)

(٣) هركه در وجوهر دانائيست بر همه چيزيش توانائيست
بند فلك راكه تواندگشاد آنكه بر أو پاتواند نهاد
(المرجع السابق ، ص ١٦٠)

١٧ — المقالة السابعة عشرة

فى العبادة والتجرد

يبدأ الشاعر ـ هذه المقالة ـ بلوم الإنسان ؛ لأنه يهمل نفسه ، وينسى ربه ، حتى يمرض جسمه ، وتشقى روحه ، وهو ـ فى نفس الوقت ـ أنانى يتباهى بنفسه وقوته ، ويظل غافلاً إلى أن تفارقه الحياة ، ثم ينصحه قائلاً : « لاتحرص على الدنيا ، ولا تطمع فيما ليس لك ، فإن قوة الدنيا وغدرها فوق طاقتك ، وإن ثقلها أكبر من أن يقوى عليه ميزانك[١] » .

كما ينصحه بالرياضة والقناعة ، لأن الذين حرموا كنز الحقيقة هم الذين يحرصون على الدنيا ، أما الإنسان القانع الذى يرضى بحكم القضاء ، فإن يملك ـ فوق رأسه ـ تاج الرضا والسرور ، لأن الإنسان كلما قلّ ماله قلّ حسابه ، وقلت متاعبه ؛ والشاعر يدعو إلى التجرد من الدنيا والتخفف من الأعباء ، فيقول : « إن الدنيا كالأمواج المهلكة ، فتخفّفْ من الأعباء حتى تنجو سريعاً . . لخلص روحك ، وألق الأحمال فى الماء[٢] » .

ثم يكرر النصح بعدم التكالب على الدنيا ، ويوضح سبيل ذلك فى قوله : « اعتدل فى الأكل والنوم ، وفَتِّش عن الكنز العظيم فى الخرابات ، ولا تعشق أكل الميتة كالحدأة ، بل انفر من الدم كالغراب ، فإذا تطهر جسمك من دماء

---

(١) چون خم گردون بجهان در مپيچ آنچه نه آن تو بآن در مپيچ
زور جهان بيش ز بازوى تست سنگ وى افزون ز ترازوى تست
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٦٠)

(٢) موج هلاكست سبكتر شتاب جان‌بير وبار در افكن بآب
(المرجع السابق ، ص ١٦١)

الغير ، فإنك تأمن أن ينهش آكل الميتة لحمك[١] » .

والشاعر يعتقد أن كثرة الأكل تميت القلب ، وتؤثر فى الأخلاق ، وتشل حركة العقل ، وهو لذلك ينصح بالتزام حد الاعتدال حتى فى الضحك ؛ « لأن الضحك حينما يخرج فى غير وقته ، يكون البكاء أفضل منه[٢] » .

ويرى أن المؤمن العاقل يجب أن يكون معتدلاً ، فيكون بين الخوف والرجاء ، يغتم من الخوف أحيانا ، ويبتسم من الرجاء أحياناً أخرى ؛ واجتماع الحزن والفرح ليس مستحيلاً ، لأن الليل يعقبه النهار دائماً ، وكل شىء زائل لادوام له ، فيجب أن يتقبل الإنسان من الدهر حلوه ومرّه ، فلا يضجر ولا يثور حتى يصل إلى العظمة ، والشاعر يقرر ذلك فى قوله : « يجب أن تتحمل التعب الذى تحمله العظماء ، حتى تستطيع الوصول إلى العظمة[٣] » .

ثم يذكر قصة « شيخ ومريد » وهى أن شيخاً كان له مريدون كثيرون ، فأودع لديهم بضاعة فى صورة أمانة ، فخانوها وتركوا حضرته إلا واحداً ، فسأله الشيخ عن العلة فى بقائه ، فى الوقت الذى ذهب فيه كل رفاقه ، فأجاب المريد بأنه يتبع الشيخ دون غرض ، ولذلك بقى ، أما الذين يتبعونه بقصد الاستفادة ، فإنهم يذهبون فَوْرَ الحصول عليها ، فهم كالغبار ليس لهم قرار فى

---

(١) قدرى به بى خوردى وخوابى درست
كنج بزركى بخرابى درست
مردهٔ مردارنه چون زغن زاغ شو وپاى بخون در مزن
كر تن بيخون شدهٔ چون نكار أيمنى از زحمت مردار خوار
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٦١)

(٢) خنده چو بيوقت كشايد كره كريه أز آن خندهٔ بيوقت به
(المرجع السابق ، ص ١٦٣)

(٣) ناز بزركانت بيايد كشيد تا ببزركى بتوانى رسيد
(المرجع السابق ص ، ١٦٤)

مكان واحد ، وإنما تذروه الرياح من مكان إلى آخر ، أما الجبل فإنه يستقر فى مكانه طويلا ؛ « فنقض العهد حرفة البعيدين عن طريق الحقيقة ، وتَحَمّل المشاق شأن الصابرين[1] » .

ويختم الشاعر بالنصح بالزهد ، وبأن يكون الإنسان كسليمان الذى كان زاهداً رغم ما كان عنده من الملك والجاه ، وكالشمع الذى يقنع بفتيلة واحدة تحت قباء شمعه ، رغم مايشعه من نور ؛ ثم يتغنى بفضيلة الزهد مشيداً بزهده هو .

* * *

١٨ — المقالة الثامنة عشرة

فى ذم المنافقين

يذم الشاعر — فى هذه المقالة — المنافقين الذين يخالف ظاهرهم باطنهم ؛ « فهم يُظْهِرون المحبة بأفواههم ، ويُضمِرون الحقد ، ويقابلون الإنسان بحرارة ، وأكبادهم محترقة بُغْضاً وحسداً ؛ كما يقابلونه بحيوية ، وقلوبهم ميتة[2] » .

وينصح بألا يقبل الإنسان صداقتهم ، ولو على سبيل التجربة ، لأنهم يفشون سره ، كما يردد الجبل صدى الصوت ، ولأن صداقتهم لا تنتهى إلا بالعداوة .

ثم يبين أن الصداقة الحَقّة كالبلسم الشافى ، ويرى ضرورة تَخَلُّص الإنسان من الصداقات المصطنعة ، التى تجعل الصديق يؤذى صديقه ، كما تأكل المرة

---

(١) پرده درى پيشه دوران بود بارکشى کار صبوران بود
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٦٥)

(٢) مهر ، دهن در دهن آموخته کينه ، گره بر گره اندوخته
گرم وليك أز جگر افسرده تر زنده ولى أز دل خود مرده تر
(المرجع السابق ، ص ١٦٦)

أولادها . وهو لذلك يقرر أصول الصداقة فى قوله : «من الصديق ؟ . . . إنه الشخص الذى يحفظ السر . أما المنافقون فهم ـ كالدهر ـ يهتكون الستر[١] » .

والشاعر يعتقد أن القلب هو الذى يعرف العدو من الصديق ، مما يتجلى فى قوله : « إن الشخص الذى يُنْكِر قلبك صداقته يجب أن تعتبره عدواً ، مهما كانت صداقته ظاهرة براقة ، فالقلب ـ لا الجسم ـ هو الذى يعرف الصديق المخلص الوفى[٢] » .

وهو لذلك ينصح بأن يحفظ الإنسان سره فى قلبه ، فيقول : « كل مافى هذا العالم يهتك السر ، فليكن قلبك حافظاً لسرك ، فإذا لم يكن على قلبك قفل ، فكيف تطالب بالأقفال على قلوب الآخرين؟!... »[٣] .

ويرى أن الإنسان يجب ألا يضيق بسره ، وألا يفشيه ، كما تفشى الكوب مافيها من الخمر ، وليس معنى هذا أن يعادى الناس أو يبتعد عنهم ، وإنما يجب أن يتصل بهم مدة حياته فى الدنيا ، على أن يكون حذراً ، يحسن اختيار أصدقائه؛ مما يوضحه الشاعر فى قوله : « مادُمْتَ تعيش فى هذه الدنيا ، فاجتهد فى أن تحصل على صديق وفىّ ؛ ولا تفش إليه أسرارك ، قبل أن تمتحن جوهره[٤] » .

---

(١) دوست كدام ؟ آنكه بود پرده دار　　پرده درند اينهمه چون روزگار
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٦٧)

(٢) دوستى هركه ترا روشنست　　چون دلت انكار كند دشمنست
تن چه شناسد كه ترا ياركيست　　دل بود آگه كه وفاداركيست
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) پرده درد هرچه درين عالمست　　راز ترا هم دل تو محرمست
چون دل تو بند ندارد بر آن　　قفل چه خواهى زدل ديگران ؟!
(المرجع السابق ، ص ١٦٧)

(٤) پاى نهادى چو درين داورى　　كوش كه همدست بدست آورى
تا نشناسى گوهر يار خويش　　ياوه مكن گوهر أسرار خويش
(نفس المرجع والصفحة)

ثم يورد قصة « جمشيد مع تابع مؤتمن على السر » ، وهى أن جمشيد كان له تابع يأتمنه على أسراره جدًّا ، حتى لقد بلغت ثقته به درجة جعلته يأتمنه على أسرار خزائنه ، مما جعل الشاب يبتعد عن كل المقربين إلى الملك ، ويحاول ألا يُطْلِع أحداً على السر ، وأخيراً استطاعت عجوز أن تصل إليه ، فوجدت لونه مصفرًّا مثل لونها ، وقد ذبل رغم شبابه ، ورغم معيشته فى النعيم ، فسألته عن سر ذلك ، فأجاب بأنه يحمل فى قلبه أسرار الملك ، وأنه لايستطيع إفشاءها ، وأن صبره على حملها هو الذى غيّره وجعله فى هذه الصورة ، وأنه قد عوّد نفسه على الصمت فى جميع الأحوال ، حتى لايفشى السر لأن حفظه للسر حِفْظٌ لحياته. فنصحته العجوز بألا يثق فى أحد ولو كان ظله ، وأن يكون هو رفيق نفسه ، لأن العاقل هو الذى يحفظ لسانه ، فلا يخرجه كالكلب المجنون ، فيجب أن يحفظ الإنسان لسانه دائماً ، لأن للحيطان آذاناً تسمع الكلام وتنقله .

ثم قالت له : « كن كالماء ، وامح كل ماتسمعه ، ولا تقل كل ماتراه كالمرآة[1] » .

ويعلق الشاعر على هذه القصة ناصحاً بألا يتحدث الإنسان بكل مايراه فى الليل من الفيوضات الإلهية ، فالليل مملوء بالأسرار والدفائن ، والعارفون لايتحدثون عما يرون من الأسرار الإلهية ، ويبين سر ذلك قوله : « العشق الخفى كرامة ، فإذا ظهر تبخّر وتلاشى[2] » .

وهو يعتقد أن القلب وحده هو القادر على رواية قصته ، فيؤكد ذلك فى قوله : « إن قصة القلب لايرويها إلا لسان القلب ، فمتى استطاع الفم أن يصل

---

(١) آب صفت هرچه شنيدى بشوى آينه‌سان آنچه ببينى مگوى
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٧٠)

(٢) عشق كه در پرده كرامات شد چون بدر آمد بخرابات شد
(نفس المرجع والصفحة)

إلى هذه المرتبة ؟!....[1] » .

كما يرى أن السكوت ضرورى فى حالة العشق ، فيقول : « إن الفصاحة — فى هـذه الحالة — هى أن ينعقد اللسان ، والسرعة هى أن يتأنى الإنسان ويتمهل[2] » .

ويختم بقوله : « تلك لغة القلب ، التى هى بيان القلب ، وترجمتها لاتتيسر إلا بلسان القلب[3] » .

* * *

١٩ — المقالة التاسعة عشرة

فى استقبال الآخرة

يبدأ نظامى هذه المقالة بتصوير مجلس الخلوة ، فيبين أنه مزيّن ، مشرق بنور الله ، وأن التجليات فيه عميمة ، والأنفاس الإلهية تعطره ، فيفوح منه أجمل عبير .

ثم يدعو إلى الإسراع إلى ذلك المجلس ، والاستعداد للآخرة ، والتجرد من كل مايعوق عن عبادة الله ، وينصح بعدم التعلق بالدنيا ؛ قائلا : « إن الدهر هو عدوك الوحيد ، فَأَرِحْ نفسك من صداقته ، فكل من تعلق به قهره ، وجَرّه إلى الهلاك[4] » .

---

(١) كى دهن اين مرتبه حاصل كند   قصهٔ دل هم دهن دل كند
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٧١)

(٢) اينت فصاحت كه زبان بستگيست   اينت شتابى كه در آهستگيست
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) آن لغت دل كه بيان دلست   ترجمتش هم بزبان دلست
(نفس المرجع والصفحة)

(٤) دشمن جانست ترا روزگار   خويشتن أز دو ستيش وا گذار
بين كه بزنجير كيانرا كشيد   هركه درو ديد زبانرا كشيد
(نفس المرجع والصفحة)

ويوجه الخطاب إلى الإنسان الغافل ، فيقول : « يناديك الرقباء أنت ياطالب الدنيا ، ويا تارك الدين ، أن ارجع عن باب الظالمين ، وحاول أن تلحق بهذا المجلس الملىء بالأسرار[(١)] » .

ويقرر أن الإنسان ، الذى خدعته الدنيا فارتكب فيها المعاصى ، سوف يُحَاسَبُ يوم القيامة حساباً عسيراً ، على كل مافعله ، ولذلك فهو يدعو إلى الحذر واحتقار الدنيا ، والتجرد من كل مايتعلق بها ، حتى يصير الإنسان حرًّا طليقاً .

كما يرى ضرورة ابتعاد الإنسان عن الأنانية لأنها أخطر شىء على المجتمع . فيقول : « إن كل من يدعى الأنانية فى هذه الدنيا ، يقطع الطريق علينا ، فهو يسرقنى و يسرقك[(٢)] » .

ويحذر من اتباع المضللين ، وينصح بأن يلوذ الإنسان بالتسبيح لدفع غارتهم ، وألا يستصغر عدوًّا ، لأن الغفلة فى ذلك بلاء عظيم ، وأن يكون بعيد النظر حتى لا يهلك ، لأن النملة الصغيرة ، تنزع عين الأسد ، وأن يعد نفسه للرحيل من الدنيا لأنها على وشك الفناء ، وإلا فسوف يخرج منها محترق الكبد مطروداً ؛ ويبين أن الرحيل شرف ، ويدلل على ذلك بالليل والنهار ، فيقول : « لو لم يكن السفر من التراب شرفاً ، لما سافر الفلك ليلاً ونهاراً ، فاستيقظ قبل أن يُغَرِّرَ الشيطان بك ، وَتَمَسَّكْ بالدين ، واعتصمْ بالإيمان[(٣)] » .

---

(١) باتو دنيا طلب دين گذار   بانگ بر آورده رقيبان بار
کز در بيداد گران باز گرد   گرد سرا پرده اين راز گرد
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٧٢)

(٢) هرکه در اين راه منى ميكند   بر من وتو راهزنى ميكند
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) گر سفر أز خاك نبودى هنر   چرخ شب وروز نكردى سفر
تا ندرد ديو گريبانت خيز   دامن دين گير ودر ايمان گريز
(المرجع السابق ، ص ١٧٣)

ويكرر النصح بالتجرد عن الجميع ، وعدم الاعتماد إلا على الله ، فيقول : « الناس جميعاً كالظل ؛ فكن أنت كالنور ، ولا تعتمد عليهم ، ولو كانوا جميعاً طوع أمرك [٣] » .

ويؤكد أن الإنسان لا يستطيع أن يتخلص من قبضة الفلك ؛ لأنه لو قص على الإنسان قصته ، وحدثه عما تم فى خلال عمره ، لوجد أنه ليس شيئاً بالنسبة إليه ، وأن عمر الإنسان لا يقاس فى شىء إلى دوراته ، وأن عاقبة أمره السكوت والنسيان .

ويرى أن يقف الإنسان نفسه لعبادة الله مدة حياته ، فيقول : « يحسن أن تكون عاشقاً لله مدة حياتك فى هذه الدنيا [٤] » .

ويعلّل ذلك بأنه سوف لا يُنْظر إلى صورة الإنسان يوم القيامة ، بل يُنْظَر إلى عمله ، فيطلق عليه اسم « خيّر » أو « شرير » على حسب عمله ؛ ثم ينصح بعدم التقلب حتى لا يندم الإنسان يوم القيامة ، فيقول : « لا تتقلب حتى لا تخجل – يوم الحساب – من نفسك وربك [٥] » .

ثم يكرر وجوب قطع علاقة الإنسان بالدنيا الظالمة ، حتى يرتفع شأنه ، ويسيطر على الفلك ، فيقول : « انبذ هذا الفلك الذى يحرق الكبد ، واكسر هذه الزجاجة المليئة بالدم ، وارجم هذه اللعبة البراقة ، وانسخ هذه الكلمة ، وسخر هذه القلعة ، وطهر ما فيها من خبث ، وضع قدمك على هذا الأبلق الختال ،

---

(٣) اينهمه چون سايه توچون نورباش   كر همه دارى ز همه دورباش
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٧٣)

(٤) تا بجهان در نفسى ميزنى   به كه در عشق كسى ميزنى
(المرجع السابق ، ص ١٧٤)

(٥) قلب مشو تا نشوى وقت كار   هم زخود وهم زخدا شرمسار
(نفس المرجع والصفحة)

حتى تصير الملك المسيطر على هذا العالم [(١)] » .

ويختم نظامى المقالة مفتخراً بنفسه ، وبأنه رب هذا الميدان ، ومشيداً بعلو قدره ، ورفعة منزلته .

ثم يورد قصة « هارون الرشيد والحلاق » وهى : أن الرشيد استيقظ مرة فى منتصف الليل ، وتوجه إلى الحمام مصطحباً الحلاق معه ، فطلب الحلاق منه أن يزوجه ابنته قائلاً : « يامن تأكدتَ من مهارتى ، خصِّصْ اليوم لمصاهرتى ، واعلن نبأ الزواج ، واجعل ابنتك خطيبة لى [(٢)] » .

فغلى طبع الخليفة ، ولكنه لاذ بالحياء ، ظاناً أن حرارة الحمام ، ورهبة الموقف ، قد أثرتا فى الحلاق ، فغاب عن نفسه وتكلم هذا الهراء ، ولكنه جربه فى ليلة أخرى ، فوجد منه نفس الشىء ، وكرر هذا عدة مرات ، فلم يغير الرجل أسلوبه ؛ فقص الخليفة القصة على الوزير ، وطلب منه أن يدبر وسيلة لزجر الحلاق ، بعد أن ترك الأدب معه ، وتطاول عليه .

فقال الوزير : إن أمر الحلاق أتفه من أن يشغل بال الخليفة ، وإنه يعلل ماحدث بأن الحلاق يضع قدمه على كنز ، مما يجعله مغروراً ، وأشار على الخليفة ، بأن يغير مكان الحلاق فى الحمام ، حتى يتغير موضع قدمه ، فإذا أقلع الحلاق عن عادته عفا عنه ، وإلا ضرب عنقه .

---

(١) بانگ بر اين دور جگر تاب زن ‌ ‌ سنگ بر اين شيشه خوناب زن
رجم كن اين لعبت شنگرف را ‌ ‌ در قلم نسخ كش اين حرف را
دست بر اين قلعه قلعى بر آر ‌ ‌ پاى در اين أبلق ختلى در آر
تا فلك أز منبر نه خرگهى ‌ ‌ برتو كند خطبه شاهنشهى
(نظامى مخزن الأسرار ، ص ١٧٤ - ١٧٥)

(٢) كاى شده آگاه زأستاديم ‌ ‌ خاص كن اين روز بداماديم
خطبه تزويج پراكنده كن ‌ ‌ دختر خود نامزد بنده كن
(المرجع السابق ، ص ١٧٥ - ١٧٧)

وقبل الخليفة ماأشار الوزير به ، وغيّر موضع جلوسه فى الحمام ، فلما تغير وضع قدم الحلاق ، امتقع لونه ، وأصبح قليل الكلام مؤدّباً ، يتّبع ماينبغى عليه كحلاق ، ثم أمر الخليفة بأن يحفروا تحت الموضع الأول لقدم الحلاق ، ففعلوا ، فوجدوا كنزاً زاخراً .

ويعلق نظامى على هذه القصة بقوله : « إن كل من يضع قدمه على كنز ، ينثر الجواهر إذا تحدث ، وكنز نظامى المحطم للطلسم ينحصر فى صدر صاف ، وقلب مشرق [1] » .

* * *

٢٠ — المقالة العشرون

فى وقاحة أبناء العصر

يبدأ الشاعر هذه المقالة بقوله : « لِمَ ظللنا تائهين فى هذه الدنيا رغم أننا قد أهملنا أنفسنا ؟ ! [2] » .

ثم يعلل هذا بأن حب الدنيا ـ وهى تراب ـ قد جعل الإنسان فى الحضيض ـ كالتراب ـ ويبين أن العمر قد ولى ، ومع ذلك فالناس متأخرون عن القافلة ، وقد جُنّ الملكان من كثرة ماسجلاه من الأعمال السيئة ، كما تولى نور القلب وإشراق الصدر ، وانعدمت البركة ، وأوشك صبح القيامة على الطلوع ، ولكن يبدو أنه سيكون أسود من كثرة ذاوب البشر ، وهكذا ذهب السرور ، وضاع هدف العمر .

---

(١) هركه قدم بر سر كنجى نهاد   چون بسخن آمد كنجى كشاد
كنج نظامى كه طلسم افكنست   سينه صافى ودل روشنست
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٧٨)

(٢) ما كه بخود دست برافشانده ايم   بر سر خاكى چرا فرومانده ايم ؟ !
(نفس المرجع والصفحة)

ويُنصح بأن يحاول الإنسان أن يطهر روحه ، وينجو بها سالمة ، فيبتعد بها عن شراك الدنيا ، ويرى أن يستعمل الإنسان مهارته فى هذا ؛ ثم يدعوه إلى الوفاء ، فيقول : « حاول أن تكون ذا وفاء ، فلا تعبد شهواتك ، بل كن ربَّانيًّا [1] » .

كما يرى أن يطيع الإنسان قلبه ، لأنه مصدر الوفاء ، ولأن وفاءه دائم ، وأن يقدِّر الإنسان ما عند غيره من الفضل ، ويشيد به ، حتى لا يضيع جوهر الفضل من هذه الدنيا ؛ وهو لذلك يقول : « إن الفضل إذا وُجد فى الناس ، ولم تستحسنه ضاع جوهره ، أما إذا استحسنته فإنه يتخذ شكلاً آخر ، فيتضاعف ، ويثمر [2] » .

ثم يبين الفرق بين الفضلاء وغيرهم ، فيقول : « إن الفضلاء يرعون الفضل ـ بأرواحهم ـ إذا رأوه فى مكان ما ، لأن الأرض لا تطهر بغير الفضل ، ولكنه ليس موجوداً فى الدنيا اليوم ، فلو رفع الفضل ـ الآن ـ رأسه فإن الرذيلة تضع يدها عليه لتخفيه ، والناس يذلون الفاضل حتى يقضوا على فضله [3] » .

ويصور إيذاء الناس للفضلاء ، فيقول : « إنهم يسخرون من الرياضة

---

(١) جهد بر آن كن كه وفارا شوى   خود نپرستى وخدارا شوى
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٧٩)

(٢) گر هنرى در تن مردم بود   چون نپسندى گهرى كم بود
گر بپسنديش دگر سان شود   چشمه آن آب دوچندان شود
(المرجع السابق ، ص ١٨٠)

(٣) مردم پرورده بجان پرورند   گر هنرى در طرفى بنگرند
خاك زمين جز بهنر پاك نيست   واين هنر امروز درين خاك نيست
گر هنرى سر ز ميان برزند   بى هنرى دست بدان در زند
كار هنرمند بجان آورند   تا هنرش را بزبان آورند
(نفس المرجع والصفحة)

الفكرية ، ويعتبرون الفكر نوعاً من الجنون ، والكرم سفهاً ، والوفاء بلهاً ، فيسخرون من السخيّ ، ويندون بالفصيح ، وقد نقشوا وفاءهم على الثلج فهو سريع الذوبان ، وهم ميالون إلى الشر بطبيعتهم ، فإذا نعم قوم براحة ، أكل الحسد قلوبهم ، وإذا أصابهم إحسان من إنسان ، انقلبوا حرباً عليه [(١)] » .

ويواصل الشاعر تصويره للحساد ؛ فيبيّن أنهم يظهرون الجفاء للفضلاء ، ولا يبحثون إلا عن عيوبهم ، رغم ندرة الفضلاء ، وقلة الفضل في عصره .

ويبدوا أن الشاعر كان له بضعة حساد ، يقللون من شأنه — رغم مافيهم من عيوب — فهم يحسدونه لخلوهم من الفضل ، وهو يشرح كيفية إيذائهم في قوله : « إنهم يصيرون دخاناً إذا وصلوا إلى أنف ، ويتحولون إلى ريح إذا وصلوا إلى مصباح . . . فتأمل حال الدنيا . . . من رؤساؤها اليوم ؟ ! . . . ومن المشهورون فيها ؟ ! . . . ومن المرشحون للرئاسة والشهرة ؟ ! . . . إن هؤلاء النفر الأوغاد ، يسيئون إلى بلادهم ، ويحاولون أن يحطموني كما يحطمون عهودهم ؛ ولكني كالبدر في السماء ، فلن يستطيعوا القضاء عليّ ، لأني أتكامل باستمرار ، ولو أن سرورهم يزداد كلما أصابني مكروه ، إلا أنهم لن يتمكنّوا من النّيل مني ، لأني أقوى منهم [(٢)] » .

---

(١) گر نفسی مرهم راحت بود	بردل این قوم جراحت بود
گر زلی شربت شیرین چشند	دست بشیرینه برویش کشند
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ١٨٠)

(٢) دود شوند أر بدماغی رسند	باد شوند أر بچراغی رسند
حال جهان بین که سرانش که اند	نا مزد ونامورانش که‌اند ؟!
این دوسه بدنام کهن مهد خویش	می شکنندم همه چون عهد خویش
من بصفت چون مه گردون شوم	نشکنم أر بشکنم افزون شوم
دنج گرفتم زحد افزون برند	با فلك این رقعه بسر چون برند
(المرجع السابق ، ص ١٨١)

ثم ينادى الخضر أن يحضر بعلمه ليتغلب عليهم ، ويطلب من نوح أن يدعو عليهم ليهلكوا ، ويتمنى أن ينساهم قلبه الساخط ، وأن يكون إهماله لهم أكثر من إساءتهم التى لاحد لها ؛ وهو يعتقد أن ضجيجهم دليل على خلوهم من الفضل ؛ لأن الصدف يحدث صوتاً إذا كانت فيه درة واحدة ، أما إذا امتلأ درًّا فإنه لايحدث صوتاً ، كما أن الجرة تُحْدث صوتاً إذا كان نصفها ماء ، أما إذا امتلأت ماء فإنهـا تصمت ، وهو لذلك ينصح بقوله : « إذا امتـلأت عِلماً فاصمُتْ ، واستمع كثيراً دون أن تتكلم[(١)] » .

ثم يورد قصة « بلبل وصقر » وهى أن بلبلاً تحدث مع صقر فى فصل الربيع بينما كانت الزهور متفتحة ، والجو عطراً ، فقال له : « أنت أكثر الطيور صمتاً ، فلم حُزْتَ قصب السبق بين الطيور ؟ ! . . إنك لم تغن لحناً عذباً منذ جئت إلى هذه الدنيا ، ومع ذلك فنزلك قصور السلاطين ، وطعامك قلب الطيور ؛ وأنا أستطيع أن أغنى مائة لحن جميل فى يسر وسرعة ، فلم صار طعامى ديدان الصيد ، ومنزلى فوق الأشواك ؟ ![(٢)] . . . »

« فأجابه الصقر : استمع إلىّ يجب أن تتعظ بصمتى ، فتكون صامتاً مثلى ، فأنا أعمل كثيراً ، وأتكلم قليلاً ، أما أنت فعاشق للدنيا ، تتكلم كثيراً ، ولا تعمل

---

(١) گر پرى أز دانش خاموش باش　　ترك زبان گوى وهمه خاموش باش
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٨٢)

(٢) كز همه مرغان تو خاموش ساز　　گوى چرا بردهٔ آخـر بيـاز
تا تولب بسـته گشادى نفس　　يك سخن نغـز نـگفتى بكس
منزل تو دسـتگه سـنجرى　　طعمهٔ تو سـينهٔ كبك درى
منكه بيك چشم زد أزكان غيب　　صد گهر نغـز بر آرم زجيب
طعمهٔ من كرم شكارى چراست　　خانه من بر سر خارى چراست ؟!
(المرجع السابق ، ص ١٨٢)

شيئاً ، وأنا مشغول بالصيد دائماً ، وهو يوصلني إلى قلب الطير ويد الملك[1] ، أما أنت فجارح اللسان ، فكل الديدان واجلس على الشوك . والسلام عليك[2] » .

ويتهكم الشاعر من الذين يكثرون الضجيج رغبة في الشهرة والملك فهو يختم بقوله : « لا ترفع صوت النظم عالياً ، حتى لا تصير – كنظامي – أسير المدينة[3] » .

* * *

ثم تأتي بعد ذلك خاتمة المنظومة فيقول الشاعر : « أيها الكاتب . صبحك الله بالخير ، فقد انتهت هذه المنظومة بعد أن صوّر شعري المعاني في صور زاهية جميلة كالطاوس ، ولو أنني قمتُ بعمل صغير ، إلا أنه كان شاقًّا صعبًا ؛ لأن مادته كانت نادرة قليلة ، ولولا مساعدة الحظ إياي ما وُفِّقْتُ حتى في القيام بهذا القدر ، وطالما راودني الإحساس بأني أخطأت ، لأني قمت بنظم هذه المنظومة[4] » .

---

(١) يشير الشاعر إلى عادة كانت مستعملة في وقت الصيد ، فقد كان الناس يضعون الصقر فوق يد الملك ، ثم يطلقونه كعلامة لبدء الصيد .

(٢) باز بدو گفت همه گوش باش   خامشيم بنگر وخاموش باش
منكه شدم كار شناس اندكى   صد كنم وباز نگويم يكى
روكه توئى شيفته روزگار   ز انكه يكى نكنى وگوئى هزار
منكه همه معنيم اين صيدگاه   سينهٔ كبكم دهد ودست شاه
چون تو همه زخم زبانى تمام   كرم خور وخار نشين والسلام
(المرجع السابق ، ص ١٨٢ – ١٨٣)

(٣) بر مكش آوازهٔ نظم بلند   تاچو نظامى نشوى شهر بند
(المرجع السابق ، ص ١٨٣)

(٤) صبحك الله صباح اى دبير   چون قلم از دست شدم دستگير
كاين نمط أز چرخ فزونى كند   با قلمم بوقلمونى كند
زين همه ألماس كه بگداختم   كز لكى أز بهر ملك ساختم
كآهن شمشيرم در سنگ بود   كوره آهنگريم تنگ بود
دولت اگر همدميئ ساختى   بخت بدين نيز نپرداختى
در دلم آيد گنه كرده ام   كين ورقى چندسيه كرده ام
(نفس المرجع والصفحة)

ثم يطلب من الوالى ـ الذى قدم له المنظومة ـ أن يقرأها متعمقاً ، وأن يمحو كل ما يجده خارجاً عن حد اللياقة والأدب ، لأنه يعتقد أن منظومته قد رفعت لواء العلم والأخلاق ؛ فيقول : «اقرأ واجعل التأنى شعارك ، وفكِّر بتعقل ، وامْحُ كل ما تجده بعيداً عن الأدب ، فإن المنظومة قد تمت كما ينبغى ، وأنا ـ شخصياً ـ مستعد لمحو كل ما أجده لا يرفع لواء العلم ، ولو لم أكن قد استعملت فيها منتهى الفصاحة ، ما أرسلتها من مدينة إلى أخرى[1]» .

ويقرر أنه لم يستفد من تعبه شيئاً غير الشهرة ، فيقول : « ما محصولى من كل قديم وحديث . غير الشهرة ؟ ! . . . شهرة الحرب دون فائدة ؛ وتعب السوق ، ولا شىء غير ذلك[2] » .

ويشير فى النهاية إلى تقيده بگنجه ، ثم يحمد الله أن تمت المنظومة قبل وفاته ، لجملته غارقاً فى الذهب من رأسه إلى إخمص قدمه .

ويدعو لمن تكون هذه المنظومة من نصيبه فيقول : « لتكن هذه المنظومة ـ التى تنثر الذهب ـ مباركة على ملك تكون هى من نصيبه[3] » .

---

(١) پیش رو وآهستگی پیشه کن گر کنی اندیشه باندیشه کن
هر سخنی کز أدبش دوریست دست بر أو مال که دستوریست
وآنچه نه أز علم بر آرد علم گر منم آن حرف دروکش قلم
گرنه درو داد سخن دادمی شهر بشهرش نفرستادمی
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٨٤)

(٢) أز نظر هر کن وتازهٔ حاصل من چیست جز آوازهٔ
گرمی هنگامه وزر هیچ نه زحمت بازار ودگر هیچ نه
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) باد مبارك گهر افشان أو بر ملکی کاین گهر ست آن او
(المرجع السابق ، ص ١٨٥)

وهكذا تنتهى منظومة « مخزن الأسرار » .

* * *

ونكتفى بهذا القدر فى عرض محتوياتها ، لننتقل إلى المقارنة ، بينها وبين « حديقة الحقائق » لسنائى ، حتى يتسنى لنا أن نقدرها حق قدرها ، وأن نحكم عليها حكماً صحيحاً دقيقاً .

الفصل الثالث

مقارنة مخزن الأسرار لنظامى بحديقة الحقائق لسنائى

راجت ـ بين الباحثين ـ [١] فكرة أن نظامى قد نظم « مخزن الأسرار » ليقلّد سنائى فى منظومته « حديقة الحقائق » ؛ واستشهدوا على ذلك بإشارة نظامى إلى منظومة سنائى ، وذكره أنها قد قُدِّمَتْ ـ مثل منظومته ـ إلى حاكم يُدْعَى بهرامشاه [٢] ، ثم قالوا : إن الفرق بين المنظومتين ينحصر فى اختلافهما فى الوزن الشعرى ، فقد اختار نظامى بحرًا غير بحر « الحديقة » ونظم فيه منظومته [٣] .

ومن الجائز أن يكون نظامى قد قلد سنائى ، فإن منظومتى « مخزن الأسرار » و « حديقة الحقائق » تدوران حول محور واحد ، هو التهذيب الخلقى ، ونشر الفضائل فى المجتمع ، وإن كنا نجد نظامى نفسه يحاول جاهداً أن يثبت أنه مبتكر ، وليس مقلداً ، وأن عمله جديد ، لم يسبق إليه ، فيقول : « لم أقبل عارية شخص آخر ، بل قلت كل ما أوحى به قلبى ، فأودعت فى المنظومة نغمة جديدة ، وأخرجت تحفة من قالب جديد ، فهى كنز للفقير وبركة للغنى ، وهى مخزنٌ

(١) باخر : حياة نظامى وآثاره (بالألمانية) ، ص١١ ؛ برتلس : نظامى شاعر آذربيجان العظيم (بالروسية) ، ص ٥٥ .

(٢) نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٣٧ . حيث قال :

نامه دو آمد زدو ناموسگاه   هر دو مسجل بدو بهرامشاه

وقد سبقت الإشارة إلى هذا البيت .

(٣) نظم سنائى « حديقة الحقائق » فى بحر الخفيف ، بينما نظم نظامى « مخزن الأسرار » فى بحر السريع .

للأسرار الإلهية[(١)] » .

ثم يؤكد جدة عمله فيقول : « لم يجلس على سكر منظومتى ذباب ، ولم تمد — هى — يدها إلى سكر شخص آخر[(٢)] » .

ويبدو أن الشاعر نفسه قد أحس بأنه ينظم فى نفس الموضوع الذى سبقه إليه سنائى ، فحاول أن يُثْبت أن نغمته جديدة ؛ وإن كان دفاعه عن منظومته ، لايكفى دليلاً على أنها جديدة — من حيث الموضوع — ؛ بل الواقع أنها تقليد لموضوع منظومة سنائى . وليس هذا عيباً ، لأن الموضوعات التى تدور حول الفضائل ، والتهذيب الخلقى لاتقتصر على شاعر دون الآخر ، فهى موضوعات إنسانية عامة ، وقد ظهرت فى الشعر ، نتيجة لنفوذ التصوف ، وارتفاع شأن علماء الصوفية فى ذلك العصر ، وكان سنائى ونظامى من السباقين فى هذا الميدان .

ومهما يكن من شىء ، فإن بين المنظومتين تفاوتاً من الناحيتين المنهجية والأسلوبية .

أما من الناحية المنهجية ، فنلاحظ أن منظومة « مخزن الأسرار » أحسن تنظيما وتماسكا ، لأن الوحدة الموضوعية ظاهرة فيها ، فقد رأينا كيف قسمها إلى عشرين مقالة تتلو كلّ مقالة منها قصة ؛ وهى — جميعها — ترمى إلى هدف واحد ، وتحاول إصابته فى دقة وقوة ، فحديثه فيها يحارب الظلم والفساد ، وعدم الوفاء ، ويدعو إلى الإصلاح ، والتجرد من الدنيا ، والعمل للآخرة ، ونغماتها — جميعها —

---

(١) عاريت كس نپذيرفته‌ام آنچه دلم گفت بگو گفته ام
شعبدهٔ تازه بر انگيختم هيكلى أز قالب نو ريختم
مايهٔ درويشى وشاهى درو مخزن أسرار إلهى درو
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٣٦)

(٢) بر شكر أو ننشسته مگس نى مگس أو شكر آلود كس
(المرجع السابق ، ص ٣٧)

متشابهة ، والوحدة الموضوعية فيها واضحة ، مما جعل ترتيب « مخزن الأسرار » أدق ـ من الناحية المنهجية ـ من ترتيب « حديقة الحقائق » التى قسمها سنائى إلى عشرة أقسام :

الأول : فى التقديس والتمجيد .

والثانى : فى نعت النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

والثالث : فى صفة العقل .

والرابع : فى فضيلة العلم .

والخامس : فى الغفلة .

والسادس : فى صفة الأفلاك والبروج .

والسابع : فى الحكمة والأمثال .

والثامن : فى العشق والمحبة .

والتاسع : فى بيان أحواله .

والعاشر : فى مدح السلطان .

وهكذا نجد أن الفكرة التى سيطرت فى « مخزن الأسرار » ، وشملت المنظومة كلها ، ليست واضحة فى « حديقة الحقائق » التى دار الحديث فيها حول موضوعات مختلفة .

وأما من الناحية الأسلوبية الفنية ، فإن نظرة فاحصة فى المنظومتين تظهر لنا الفرق الواضح بينهما . فأسلوب سنائى يُعْتَبر جافًا إذا ماقيس بأسلوب نظامى ومافيه من رقة وعذوبة ، وأضواء زاهية ، وصور جميلة ، تفنن فى إبرازها ، مستعملاً منتهى الدقة والعناية ، وباذلاً جهداً كلفه عصارة قلبه ، ودم كبده ، كما كان يقول كثيراً .

ولعل السبب فى ذلك أن سنائى أراد أن يتحدث بأسلوب العقل الذى يعتمد على الحجة والاستدلال والبرهان ، وهذه الطريقة لاتبدو خلابة فى الأسلوب

الشعرى ، الذى يلعب الخيال فيه دوراً هاماً .

وقد حاول سنائى أن يقنعنا بإمكان إخضاع كل شىء – حتى الشعر – لقواعد المنطق والاستدلال ، حتى لا ننتقد استعماله أسلوب العقل ، والمنطق ، وتطبيقه فى الشعر ، فأكثر من الحديث عن العقل ، بل إنه خصص الباب الثالث من حديقته لبيان مزايا العقل ، تحت عنوان «صفة العقل[1]» . فبين أن العقل أفضل ماخلق الله ، وأنه مفتاح كل الأمور المغلقة . وذلك فى قوله : « كل ماتحت السماء من خير وشر من محصول العقل ، فحينما خرج العقل من الملكوت الإلهى ، استقام به العلم والعمل ، ففى يده مفتاح الأمور ، وكل شىء يتوقف على وجوده ، فهو أساس الخير ، ومبعث الشر ، وسبب ما كان ، وما هو كائن ، وما سيكون ، فقد ورد فى العلوم المنقولة أن العقل أول شىء ، ثم يليه الشرع[2] » .

وشرح قوة العقل وسيطرته فقال : « حينما يرتفع صوت العقل يختفى كل شىء ؛ فالعقل هو الجوهر ، وهو المعدن ، وهو الرسول ، وهو الحارس ، وهو السلطان القادر حسن الطبع ، وهو الذى يسمونه ظل الله فى الأرض ، والظل متصل بالذات دائماً ، وإلا فمتى كان الظل منفصلاً عن الذات ؟ ! . .[3] »

---

(١) سنائى : حديقة الحقائق ، ص ١٥٩ — ٢٠٠

(٢) هرچه در زير چرخ نيك وبدند　　خوشه چينان خرمن خردند
چون در آمد زبرگاه أزل　　شد بدو راستكار علم وعمل
هم كليد أمور در دستش　　هم راه أمر بسته در هستش
مايهٔ نيك وسايهٔ بد أوست　　سبب بود وهست وباشد أوست
در حروفى كه پردهٔ نقلست　　آخر شرع أول عقلست
(سنائى : حديقة الحدائق ، ص ١٦٩)

(٣) هر كجا نطق عقل برزد دم　　حرف وآواز در خزد بعدم
عقل هم گوهر است وهم كانست　　هم رسولست وهم نگهبانست
. . . .
عقل سلطان قادر خوش خوست　　آنكه سايهٔ خداست گويند أوست =

ثم بيّن الأشياء التي تخضع لنفوذ العقل ، فقال مستعملاً الطريقة الفلسفية : « إن النفس النامية تحت رعايته ، والنفس الناطقة تسير على هديه . . فالعقل هو الحاكم المسيطر على جسم البشر ، وهو المطلع على جميع الأحوال . . وهو ملك ؛ والأعضاء الأخرى حشم ، لأنها أقل مرتبة منه[1] » .

وبلغ تصويره لقوة العقل ونفوذه درجة جعلته يقول : « اعلم أن العقل الشريف ، والنفس الناطقة ، هما والدا العالم اللطيف[2] » .

ثم وضح هذا فقال : « إنه السبب فى الأمة والرسالة ، وهو العلة فى الصورة والهيولا ، وهو الذى خُلِق ـ أيضا ـ منذ الخلق الأول ، فالصورة تحت هيولا العالم[3] » .

ثم جمع بين العقل والشرع ، لأنه يعتقد أن كليهما لا ينفصل عن صاحبه . فشبههما بالعين والنور ، فقال : « العقل عين والنبوة نورها ، فهو منها وهى منه ، لا يفترقان كثيراً[4] » .

= سايه باذات آشنا باشد سايه باذات كى جدا باشد
(سنائى : حديقة الحدائق ، ١٦٩ ـ ١٧٠)

(١) نفس روينده در رعايت أوست نفس گوينده در هدايت أوست

. . . .

كدخداى تن بشر عقلست أز همه حال با خبر عقلست

. . . .

عقل شاهست وديگران حشم اند ز آنكه در مرتبت ز عقل كم اند
(المرجع السابق ، ص ١٧١)

(٢) پدر ومادر جهان لطيف نفس گويا شناس وعقل شريف
(المرجع السابق ، ص ١٧٤)

(٣) سبب أمت ورسولى أو علت صورت وهيولى أو
أونها داست هم بامر قدم صورة اندر هيولى عالم
(المرجع السابق ، ص ١٧٧)

(٤) عقل چشم وپيمبرى نوراست آن أز ين اين أز آن نه بس دوراست
(المرجع السابق ، ص ١٧٩)

وقد جعل سنائى العقل يتحكم فى كل شىء حتى فى أسلوبه ، فبدا جافاً ، كما نلاحظ من هذه الأمثلة التى مرّت ، وهى صورة صادقة لأسلوبه فى المنظومة .

أما نظامى ، فإنه رغم موافقته لسنائى فى أن العقل هو أول شىء خلقه الله ، إلا أنه يؤمن بوجود قوة أخرى ، تستطيع أن تصل - بفضل الله - إلى ما لا يستطيع العقل بلوغه بوسائله القاصرة ؛ وهى قوة القلب .

وأسلوب نظامى إن وصف بشىء فإنما يوصف بأنه أسلوب القلب ، لأنه يعتمد على الرياضة ، والتجلى ، والكشف ، والإلهام ، وهى العناصر التى تغذى الشعر ، وتجعله رائعاً جميلاً ، فالشعر لسان القلب الذى يحسن التعبير عن إحساساته .

وأسلوب نظامى - من هذه الناحية - جذاب فتان ، لأنه يعتمد على القلب . وقد حاول الشاعر نفسه أن يجعلنا نقتنع معه بقوة القلب ، وروعة التجليات التى يصل الإنسان - بواسطته - إليها ، بفضل الرياضة الروحية .

ولذلك ؛ أطنب نظامى فى ذكر القلب ووصفه(١) . فبيّن أن الإنسان يجب أن يعتصم بحبل القلب ، حتى يصير عزيزاً ، فقال : «تعَلَّقْ برباط القلب ، فإن عزتك فى أن تخضع للقلب(٢) » .

وهو يعتقد أن القلب مزيج من الروح والجسد ، ويشرح ذلك فى قوله : «حينما خلق الله العالم ، أوجد مملكة الجسم والروح ، عن طريق التزاوج ، فظهر منهما القلب ، فهو النسل الذى وصل إلى الخلافة ، وهو الذى تقرأ باسمه خطبة السلطنة . إنه مخلوط النسل من الجسم والروح . وإن نور طريقك يعتمد على إشعاع القلب ، لأن الروح والبدن تابعان له(٣) » .

---

(١) نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٤٦ — ٧٠

(٢) دست در آويز بفتراك دل آب تو باشد كه شوى خاك دل
(المرجع السابق ، ص ٥٠)

(٣) چون ملك العرش جهان آفريد مملكت صورت وجان آفريد
داد بترتيب أذب ريزشى صورت وجانرابهم آميزشى =

ثم صور قدرة القلب على إدراك الحقائق عن طريق التجلي ، و بين سروره حينما وصل هو إلى الحقيقة ، التي أنارت ذهنه ، وملأت طبعه سروراً ، وجعلته ينظم الشعر ، فقال: «حينما وصل حديث القلب إلى عقلي ، وصل الزيت إلى مصباحي فأضاء ، وأخذْتُ أنصتُ إلى هاتف الروح ، وأستقبل التجليات الإلهية ، فصرْتُ عذب اللسان من ذلك الفيض ، و بَعُدَ عني الغم ، فامتلأ طبعي سروراً ، وذرفتُ — من العين — دموعاً باردة ، صيَّرتْها حرارة القلب ساخنة ، وتخلصت من قيود الأعضاء ، فصرت قويًّا ، بينما أصبَحَتْ هي ضعيفة عاجزة ، فخثثتُ السير في هذا الطريق ، حتى أفتح باب كنز القلب سريعاً[1] » .

فنظامي يستوحي قلبه ، و يستلهمه ، و يتحدث بلسانه ، وأسلو به متأثر بهذا ، بل إنه كثيراً ما كان يقول إن هاتفاً قد جاءه ، وأوحى إليه بما ينشده ، أو إن وحيًا قد نزل عليه .

وهذه الطريقة أقرب إلى طبيعة الشعر من طريقة سنائي ، فكلما كان الشاعر مُلْهماً ما يقول ، كان شعره أرق وأجمل ، لأن الطريقة المنطقية تفقد الشعر رواءه ، و بهاءه ، وتذهب بحلاوته .

= زين دوهم آ گوش دل آمد پديد — آن خلفي كو بخلافت رسيد
دل كه بر أو خطبهٔ سلطانيست — أكدش جسمانى وروحانيست
نور أديمت زسهيل دلست — صورت وجان هردو طفيل دلست
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٥٠) .

(١) چون سخن دل بدماغم رسيد — روغن مغزم بچراغم رسيد
گوش در اين حلقه زبان ساختم — جان هدف هاتف جان ساختم
چرب زبان گشتم أز آن فربهى — طبع ز شادى پروازغم تهى
ريختم أز چشمه چشم آب سرد — كآتش دل آب مرا گرم كرد
دست بر آوردم أز آن دست بند — راه زنان عاجز ومن زورمند
در تك آن راه دو منزل شدم — تا بيكى تك بدر دل شدم
(نفس المرجع والصفحة) .

وقد حاول نظامى أن يثبت أنه تحدث بما رآه فى أثناء الرياضة ، والمراقبة ، وأنه دُعِى إلى الدخول ، فانضم إلى المجلس الذى أشرق بنور الله ، فأدرك الحقائق ثم صاغها شعراً . فأثبت ذلك فى قوله : « لقد احتبس لسانى فى ذلك المجلس ، فأمسك العشق بعنانى ، وقادنى إلى حيث التجليات الإلهية ، فقال ملك الستر : من الذى جاء فى هذا الوقت ؟ . فقلتُ : إننى آدمى ، فإذا أذِنتم لى — مرة — سَعِدتُ برؤية الحقائق . فألقى الملائكة الحجب بعيداً ، كما أبعدوا عنى حُجُب جسمى ، وجاء صوت من أخص بقعة . أن أدخل يانظامى ، فاقتربتُ من أخص حارس لها ، فقال ادخل ، فتوغلتُ فى الدخول ، حتى بلغتُ مجلساً مشرقاً بالأنوار الإلهية ، وقد أقفلت عين للسوء عن رؤيته . وحينذاك أدركت الحقيقة[1] » .

فكما قلد الشاعر الصوفية فى الاعتكاف للتفكر والمراقبة ، نجده يستعمل أسلوبهم فى شعره فيجعله برّاقاً خلاباً .

ولعل هذا يفسر لنا الفرق بين أسلوب كل من سنائى ونظامى ؛ فأسلوب نظامى أرق وأجمل .

ويبدو أن نظامى — نفسه — قد أحس بالفرق بين أسلوبه وأسلوب سنائى ، وأيقن أن أسلوبه يَفْضُل أسلوب صاحبه ، لأننا نجده يقول : « ولو أن الشعر فى « الحديقة »

---

(١) چونكه در آن نقب زبانم كرفت عشق نقيبا نه عنانم كرفت
حلقه زدم كفت بدينوقت كيست ؟ كفتم اكر باردهى آدميست
پيشروان پرده برانداختند پردهٔ تركيب در انداختند
لا جرم أز خاص‌ترين سراى بانكك در آمد كه نظامى در آى
خاصترين محرم آندر شدم كفت درون آى درونتر شدم .
باركهى يافتم افروخته چشم بد أزديدن أو دوخته
(نظامى مخزن الأسرار ، ص ٥١)

كالذهب ، إلا أن سكة ذهبي أفضل[١] » .

وهكذا نرى أن نظامى – فى « مخزن الأسرار » – وإن يكن قد قلد سنائى – فى « حديقة الحقائق » – من حيث الموضوع ، فاتخذ الشعر وسيلة للتهذيب الخلقى – على طريقة الصوفية – إلا أنه قد تقدم خطوة جديدة ، فجعل منظومته أدَقّ تنظيماً ، وأرقّ أسلوباً ، وتناول فيها موضوعاً محدداً ، فاستوفى الحديث عنه بأسلوب شعرى جميل .

وقد عرض نظامى المساوىء – التى كانت فى عصره – فى صراحة وجرأة ، وكان حديثه مملوءا بالاحتجاج الغاضب ، كما كان يتمنى أن يسود العدل والوفاء فى دنيا سريعة الزوال ، أنفه من أن يُزْرَع فيها ظلم أو حقد . وهو – فى هذا – عكس شعراء البلاط تماماً ، لأنه لاينافق مثلهم ، بل يعتمد على الأسس الدينية فى محاربة الظلم والاضطهاد ، وهى طريقة لم تكن تخدم أغراض الحكام المتناحرين فى عصره .

وقد أصبح نظامى – بطريقته هذه – إماماً قلده كثير من الشعراء فى إيران ، والهند .

فمن قلدوه : أمير خسرو الدهلوى المتوفى فى عام ٧٢٥ هـ ، الذى نظم « مطلع الأنوار » ؛ وخواجو كرمانى المتوفى فى عام ٧٤٢ هـ ، الذى نظم «روضة الأزهار» ؛ وكاتبى المتوفى فى عام ٨٣٨ هـ ، الذى نظم « كلشن أبرار » ؛ وعرفى الشيرازى المتوفى فى عام ٩٩٩ هـ ، الذى نظم « مجمع الأبكار » .

وقد قلد هؤلاء جميعاً منظومة « مخزن الأسرار » لنظامى شكلاً وموضوعاً ؛ فاختاروا وزنها الشعرى ، وتأثروا بما ورد فيها من محتويات .

---

(١) كرچه در آن سكه سخن چون زرست
سكهٔ زرمن أز آن بهتراست
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٣٧)

ونذكر منهم على سبيل المثال أمير خسرو الدهلوى الذى قسم منظومته « مطلع الأنوار » إلى عشرين مقالة ، تحدث فيها عن الأخلاق ، والفضيلة ، والوحدة مع الله ، مُقَلِّداً أستاذه نظامي – فى « مخزن الأسرار » – إلى حد كبير[1] .

* * *

ونكتفى بهذا القدر من الحديث عن « مخزن الأسرار » ؛ لنتحدث عن منظومة الشاعر الثانية « خسرو وشيرين » .

---

(١) Mohammad Wahid Mirza : The life and works of Amir Khusrau, p. 190.

البابُ الثّانى

منظومة خسرو وشيرين

الفصل الأول

دراسة حول منظومة خسرو وشيرين

١ — تاريخ إتمام المنظومة :

شرع نظامى فى نظم قصة « خسرو وشيرين » بعد فراغه من نظم « مخزن الأسرار » .

و يبدو أن اختياره لها كان استجابة لما فى نفسه من حب لزوجته الأولى « آفاق » — من ناحية — ، و إرضاءً لميل الناس فى عصره — من ناحية أخرى — ؛ فقد كانوا يميلون إلى هذا النوع من القصص الذى يصور العشق فى أجلى صوره وأروعها (١) .

وهى تقع فى ٦٥٠٠ بيت من الشعر تقريباً ، نظمها الشاعر فى بحر الهزج المسدس .

وأرجح أنه فرغ من نظمها فى عام ٥٨٢ هـ ، وإن كان الباحثون يختلفون فى ضبط تاريخ إتمامها ؛ فباخر يقرِّرُ أنها تمت بعد « مخزن الأسرار » بعشر سنوات ، أى فى عام ٥٧١ هـ ، لأنه يرجح أن منظومة « مخزن الأسرار » قد أكملت فى عام ٥٦١ هـ ، مما سبقت مناقشته .

و يستشهد على ذلك ببيت من الشعر ، هو قول نظامى : « لم يضع شخصٌ مِثْلَ هذا الخال على وجه الجميلات ، منذ إحدى وسبعين وخمسمائة سنة (٢) » .

---

(١) سبق ذكر الأبيات التى تشير إلى سبب اختيار الشاعر لهذه القصة رغم أنه بدأ بمخزن الأسرار .

(٢) Bacher: Nizamis Leben und Werke, P. 4.

وقد ورد هذا البيت ـ بنفس الرواية السابقة ـ فى إحدى مخطوطات المتحف البريطانى بلندن[١]، كما روى روايات مختلفة، تَغَيَّر التاريخ فيها إلى عام ٥٧٦ هـ[٢]، كما تغير إلى عام ٥٧٩ هـ[٣]، و إلى عام ٥٨٠ هـ[٤].

ولكننا نستبعد كل هذه التواريخ، التى نتجت عن تغير روايات البيت الذى يثبت تاريخ إتمام المنظومة؛ خصوصاً بعد أن أثبتنا أن الشاعر أكمل منظومة « مخزن الأسرار » ـ التى تسبقها ـ فى عام ٥٨١ هـ، مما يرجح أن منظومة « خسرو وشيرين » تمت بعد هذا التاريخ.

كما أكمل منظومته الثالثة « ليلى ومجنون » فى عام ٥٨٤ هـ ـ كما سيأتى ـ وهذا يرجح أن « خسرو وشيرين » تمت فى المدة التى تقع بين ٥٨١ هـ و٥٨٤ هـ.

ونحن نميل إلى أنها تمت فى عام ٥٨٢ هـ؛ لأن نظامى ـ حينما دعاه قزل آرسلان إليه، وسأله عما إذا كان أخوه جهان پهلوان قد أعطاه شيئاً ـ أجاب بما يفهم منه أن جهان پهلوان مات منذ مدة قصيرة، لأنه ألقى اللوم على الأقدار التى اختطفته من الدنيا ـ سريعاً ـ قبل أن يُنَفِّذَ ما أوصى به، فأصابته كما أصابت العالم بخسارة فادحة، فقال: « نعم، لقد أمر ـ لى ـ الملك الراحل السعيد بجائزة من ماله الخاص، فلما طوت السفينة بحر عمره سريعاً، أصابتنى بل أصابت العالم كله بضرر بالغ . . . ولكن سوق سوف تروج من جديد، فتُقَدَّر مثل هذه المنظومة المحببة إلى النفوس؛ مادام قد خلفه على العرش حاكم مثلك،

(١) Rieu : Suppl. to the Cat. of the Persian Mss. in the Brit. Mus. P. 155.

(٢) گذشته أز پانصد وهفتاد شش سال   نزدبر خط خوبان كس چنين خال
(نظامى : خسرو وشيرين « نشر دستگردى »، ص ٤٤٥)

(٣) Rieu : Suppl. to the Cat. of the Persian Mss. in the Brit. Mus. p. 154.

(٤) گذشته أز پانصد وپنجاه سى سال   نزدبر خط. خوبان كس چنين خال
(خمسة نظامى «طبع طهران» ، ص ٤ من المقدمة)

من نسل الحكام المصلحين [(١)] » .

فهذا دليل على أن دعوة قزل آرسلان كانت عقب وفاة أخيه جهان بهلوان — الذى توفى فى أوائل عام ٥٨٢ هـ — ؛ مما يرجح أن الشاعر أتم قصة « خسرو وشيرين » قرب وفاة هذا الأتابك ، ولكن سرعة موته حالت بين الشاعر و بين الجائزة ؛ فأرسل مديحاً إلى أخيه — وخليفته — قزل آرسلان ، فدعاه إليه ، وأثابه بسخاء .

وهذا هو الذى يجعلنا نرجح أن المنظومة أكملت فى عام ٥٨٢ هـ ؛ بينما كان السلطان طغرل السلجوقى شاباً ، فى الثامنة عشرة من عمره . وقد أشار الشاعر إلى ذلك فى قوله : « إن السلطان الشاب ملك حسن الحظ ، فليكن ذا عرش وتاج دائماً [(٢)] » .

* * *

٢ — تقديم المنظومة وما أصابته من نجاح :

قدم الشاعر هذه المنظومة للأتابك جهان پهلوان ، ثم قدمها لأخيه . قزل آرسلان من بعده ، ولكنه بدأ بمدح السلطان طغرل السلجوقى الذى كان ابن أخيهما ، وكان فضلاً عن ذلك السلطان الشرعى على العراق وكردستان

(١) بلى شاه سعيد أز خاص خويشم پذيرفت آنچه فرمودى زپيشم
چو بحر عمر أو كشتى روانكرد مرانه جملهٔ عالم را زيانكرد
ولى چون هست شاهى چون تو برجاى
همان شهزادگان كشور آراى
أز آن پذرفتهاى رغبت انگيز دگر باره شود بازار من تيز
(نظامى: خسرو وشيرين ، ص ٤٥٥)

(٢) چو سلطان جوان شاه جوانبخت كه برخوردار باد أز تاج وأز تخت
(المرجع السابق ، ص ١٥)

وآذر بيجان ، رغم أنهما كانا متصرفين فى كل شئون الدولة ـ منذ كانا وصيَّين عليه ـ لصغر سنه .

وقد أصابت هذه المنظومه نجاحاً لم تصبه غيرها من منظومات الشاعر ، فقد تقبلها جهان پهلوان بقبول حسن ، وأمر بإثابة الشاعر على عمله ، ولو أن أمره لم يكتب له التنفيذ ، نظراً لوفاته ، وعدم تنفيذ أتباعه ما أمر به .

كما رحَّب بها قزل آرسلان ، فدعا الشاعر ، وأحسن استقباله ، وجالسه يوماً كاملاً ؛ مما يصوره الشاعر فى قوله : « أمر الأتابك برفع أوانى الخمر احتراماً لى ، فتوقف السُّقاة ، وسكت المطربون ، وقال : لنستفد ـ هذا اليوم ـ من نظامى ، ـ من الصباح إلى المساء ـ بدل الشراب والغناء ، فنغمات نظمه أحلى من العود ، وشعره غناء .. لقد جاء الخضر ، فلنترك الخمر ، لأننا نجد ـ بفضله ـ ماء الحياة[1] » .

ثم أخذ الشاعر يصور مبلغ احترام الأتابك له ، واستماعه إلى نصائحه ، وثنائه على علمه ، وحكمته ، وإشادته بشعره ، وإعجابه بمنظومة «خسرو وشيرين» فقال : « كان الإعجاب يغمر الأتابك وهو يستمع إلى نظمى ، فلما وصل الحديث إلى خسرو وشيرين ، كان الإعجاب قد بلغ أعلى درجاته ، فوضع يده على كتفى ، وأخذ يغمرنى باستحسانه ـ دون انقطاع ـ قائلا : لقد أحيَيْتَ ـ بمنظومتك ـ تاريخنا القديم[2] » .

---

(١) بفرمود أز ميان مى بر گرفتن — مدارای مرا پى بر گرفتن
بخدمت ساقيانرا داشت دربند — بسجده مطربانرا كرد خرسند
إشارت كرد كاين يك روز تاشام — نظامى‌را شويم أز رود وأز جام
نواى نظم أو خوشتر زرودست — سراسر قولهاى أو سروداست
چو خضر آمد زباده سر بتابيم — كه آب زندگى با خضر يابيم
(نظامى خسرو وشيرين ، ص ٤٥٢)

(٢) حديثم را چو خسرو گوش ميكرد — ز شيرينى دهن پرنوش ميكرد
حكايت چو بشيرينى در آمد — حديث خسرو وشيرين در آمد=

ثم منح الأتابك الشاعر قرية – كجائزة له على نظمه هذه القصة – وأثبت الشاعر ذلك فى قوله : « قال الأتابك : لقد أصبح فرضاً – علىّ وعلى أخى – أن نخصص لك مرتباً ، تقديراً لتعبك الذى استغرق سنوات – فى سبيل نظم هذه القصة – . . وقد كان أخى بطلاً مظفراً ، فماذا قدم لك من الجواهر ؟ سمعتُ أنه منحك قرية من ماله الخاص لتعيش فى رفاهية ، فهل سلموك هذه القرية أم لا ؟ ! . . وهل أرسلوا إليك أمر ملكيتها أم لا ؟ ! . . »[(١)] .

وقد أجاب الشاعر بلباقة ، فقال : « إننى – منذ البداية – لم أنظم هذه القصة الجميلة طمعاً فى العطاء ؛ فقد كان هدفى – من نظمها – أن تكون وسيلة لمدحكم ، والآن .. لِمَ أطلب الأجر بعد أن ظفرت بشكركم ، ورضاكم ؟ ! . . »[(٢)] .

ثم قال إنه لم يظفر بمنحة أخيه الراحل لسرعة وفاته ، فسُرّ الأتابك بإجابته ؛ وأمر له بالقرية ، مما وضحه الشاعر فى قوله : « قبل الأتابك منى هذه الإجابة ،

شهنشه دست بردوشم نهاده   ز تحسين حلقه در گوشم نهاده
گزارشهاى بى اندازه كردى   بدان تاريخ مارا تازه كردى
(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٤٥٣ – ٤٥٤) .

(١) ترا هم بر من وهم بر برادر   معاشى فرض شد چون شير مادر
برادركو شهنشاه جهان بود   جهان را هم ملك وهم پهلوان بود
بدان نامه كه بردى سالها رنج
چه دادت دست مزد أز گوهر وأز گنج
شنيدم قرعهٔ زد بر خلاصت   دوباره قرعه زد أزمال خاصت
چه گوئى آن دهت دادند يانه   مثال ده فرستادند يانه ؟!
(المرجع السابق ، ص ٤٥٤) .

(٢) كه من ياقوت اين تاج مكلل   نه أز بهر بها بربستم أول
مرا مقصود أز ين شيرين فسانه   دعاى خسروان آمد بهانه
چو شكر خسرو آمد برز بانم   فسون شكر وشيرين چه خوانم ؟!
(المرجع السابق ، ص ٤٥٤–٤٥٥)

لأنه أحس بإخلاصى الدائم له ، فأهدانى قرية « حمدونيان » وأعطانى أمراً بملكيتها ، وأن تكون متوارثة من بعدى ، ووقع عليه باسم قزل شاه ، فأصبحت القرية مِلكا لى بكل مافيها ، لسد حاجتى وحاجات ذريتى ـ نسلا بعد نسل ـ وجعلها معفاة من الضرائب ، وأسقطها من ملكيته إلى يوم القيامة[1] » .

وهكذا أثيب الشاعر بسخاء[2] ، فأطنب فى وصف ماحدث ، فقد كانت زيارته لقزل آرسلان هى المرة الوحيدة ـ فيما يبدو ـ التى ذهب الشاعر فيها إلى حاكم ـ بناء على طلبه ـ مما جعل لسانه يلهج بشكره ، والثناء عليه .

والواقع أن هذه المنظومة هى أسعد منظومات الشاعر حظا ، فطبيعى أن يسهب الشاعر فى مدح الأتابك ، وأن يرثيه بعد قتله .

وقد ألحق بالمنظومة قطعة شعرية فى رثاء الأتابك[3] ، فأشار إلى استشهاده

---

(١) پذيرفت آن دعا وحمدرا شاه   باخلاصى كه بود أز دل بدوراه
چوخوباحمد وبا إخلاص من كرد   ده حمدونيان را خاص من كرد
بمملوكى خطى دادم مسلسل   بتوقيع قزلشاه مسجل
كه شد بخشيده اين ده بر تمامى   زما بر زاد بر زاد تمامى
بملك طلق دادم بى غرامت   بطلق ملك أو شد تا قيامت
(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٤٥٥)

(٢) بالغ دولتشاه فى تقدير الجائزة التى أعطاها قزل آرسلان لنظامى فقال فى تذكرة الشعراء ، ص ١٢٩ . إن الأتابك خلع عليه أربع قرى مزروعة معمورة والطريف أن باخر أخطأ فى كتابه : حياة نظامى وآثاره (بالألمانية) ، ص ٢٧ . فتوهم أن « حمدونيان » تدل على قريتين اسم إحداهما « حمد » واسم الأخرى « نيان » ، وحاول أن يصحح خطأ دولتشاه فوقع هو فى الخطأ ، لأنه ترجم « چهار دِه معمور ومزروع » ـ أى أربع قرى معمورة مزروعة ـ ، على أنها « چهار دَه » أى أربع عشرة قرية .

(٣) نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٤٥٨-٤٥٩

قائلا : « استشهد إثر ضربة من أحد أهل السوء ، سوف تكون عاقبته فى الآخرة ، أسوأ من نهايته فى الدنيا[١] » .

و بديهى أن وصف الشاعر لمجلس الأتابك ، وتسجيله لما دار بينهما من أحاديث ، كان بعد زيارته له ، أى بعد عام ٥٨٢ هـ ، وأن رثاءه للأتابك كان بعد قتله فى عام ٥٨٧ هـ ، مما يرجح أنه كان يضيف إلى منظوماته بعض الملحقات أحيانا .

* * *

٣ — شخصيات القصة وأماكنها :

منظومة « خسرو وشيرين » قصة أساسها الحب الذى يربط بين قلبَىْ « خسرو پرويز » أحد ملوك الساسانيين ، ومعشوقته الأرمنية « شيرين » .

وقصة عشق « خسرو وشيرين » معروفة متداولة ؛ فقد كان الناس يتناقلونها فى صورة روايات شفوية ، يؤيدها وجود بعض الآثار المتصلة بها ، والأماكن التى مُثِّلَتْ فيها بعض أدوارها .

وقد أشار الطبرى إلى أن قصصاً كثيرة تدور حول « خسرو پرويز » تنتشر بين الإيرانيين[٢] ؛ وأيّده الفردوسى الشاعر ، فقال — حينما بدأ يعرض هذه القصة نظماً — : « الآن أُجَدِّد قصة قديمة ، فأنظم قصة خسرو وشيرين[٣] » .

ولهذه القصة أبطال ، وأماكن مُثِّلت فيها أدوارها .

أما أبطالها ؛ فهم — كما عرضهم نظامى — ينحصرون فى هذين الاسمين :

---

(١) شهادت يافت أز زخم بدانديش
كه پاداش آنجهان پاداش أزين بيش
(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٤٥٨)

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٢ ، ص ١٣٧–١٦٠ .

(٣) كنون داستان كهن نوكنم سخنهاى شيرين وخسرو كنم
(فردوسى : شاهنامه ، ج ٥ ، ص ٢٢٥)

« خسرو » و « شيرين » ـ كما يدل عليهما عنوان المنظومة ـ وفى شخص ثالث ، اسمه « فرهاد » .

ولئن كان « خسرو » أحد ملوك الساسانيين ، فإن « شيرين » مختلف فى أصلها ، وموطنها ؛ فقد روى أنها كانت من بلاد الأرمن ، كما قيل إنها كانت من آذربيجان ، وإن كان اسمها يرجح أنها إيرانية [١] .

ويبدو من عرض نظامى للقصة أنها كانت أرمنية ، عاشت فى المنطقة القريبة من بحر الخزر .

وسواء أكانت شيرين إيرانية أم أرمنية ، فهى شخصية تاريخية ـ كخسرو سواء بسواء ـ لم يَشُكَّ أحد فى وجودها . ولا يمنينا أصلها بقدر مايعنينا ما كان بينها وبين خسرو من صلات الحب ، وحرارة العشق .

أما فرهاد ؛ فمن الجائز أن يكون شخصاً خيالياً ـ من خلق نظامى ـ تمشياً مع الطريقة المتبعة فى نظم مثل هذه القصص ، ومع مذهبه هو الذى سيأتى الحديث عنه .

والذى يجعلنا نرجح أن فرهاد شخصية خيالية انعدام الدلائل التاريخية التى تثبت وجوده ، فلم يرد اسمه فى الكتب القديمة : كتاريخ الطبرى [٢] ؛ وغرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم للثعالبى [٣] ؛ وكتاب البلدان لابن الفقيه الهمدانى [٤] ؛ ولم

---

(١) من الجائز أن يكون اسم شيرين قد وضع لمعشوقة خسرو بعد زواجها منه ، لإثبات أنها إيرانية ، كما بذلت محاولات لإثبات أن الإسكندر إيرانى . وقد نقل دودا ، فى كتابه فرهاد وشيرين (بالألمانية) ، ص ١ . عن المؤرخ الأرمنى سبئوس أن شيرين من أهالى خوزستان ، وقال إن خوزستان كانت مشهورة بقصب السكر ، وأن اسمها شيرين ـ أى حلوة ـ مأخوذ من هذا .

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٢ ، ص ١٣٧–١٦٠ .

(٣) الثعالبى : غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ، ص ٦٩١–٦٩٤ .

(٤) ابن الفقيه الهمدانى : كتاب البلدان ، ص ١٥٨ .

يذكر في الشاهنامه للفردوسي[1] .

ويبدو أن نظامي هو أول من ذكر اسم فرهاد ، في منظومته «خسرو وشيرين» .

أما القناة المنحوتة في جبل « بيستون » ، والتي قيل إن فرهاد شقها لينُقَل اللبن بواسطتها من مراعي الملك إلى قصر شيرين ؛ فقد ذكرها القزويني في كتابه آثار البلاد[2] ، ومن يدري ؟! ... فلعل القزويني متأثر - في ذلك - بما ورد في « خسرو وشيرين » لنظامي ، لأن كتابه مؤلف في عام ٦٧٤ هـ ، أي بعد أن نظم الشاعر القصة بأكثر من تسعين عاماً .

ويبدو أن وجود هذه القناة ، وإشارة الشاعر - في منظومته - إلى أن فرهاد هو الذي قام بشقها ، حتى يحظى - إذا ما أفلح - بالزواج من شيرين ، هو الذي ساعد على اختلاق القصص حولها ، وحول فرهاد . وقد راجت هذه القصص حتى أضفت على فرهاد مسحة تاريخية - خصوصاً بعد أن جعله نظامي منافساً لخسرو - جعلته شخصية تاريخية ، كخسرو وشيرين سواء بسواء .

* * *

وأما الأماكن التي مثلت فيها أدوار القصة فهي : بلاد الأرمن ، في الشمال الغربي لإيران ، خصوصاً في عاصمتها « بردع » بالقرب من بحر الخزر - حيث كانت ديار شيرين - ، ثم أجزاء مختلفة من إيران - ديار خسرو - كآذربيجان ، والمدائن ، وقصر شيرين - بالقرب من كرمانشاهان ؛ ولا زالت أطلال القصر ، والقناة المنحوتة في الجبل ، وبعض الآثار الأخرى توجد حتى الآن .

* * *

وندع هذا الحديث حول المنظومة ، لنعرض - في اختصار - قصة «خسرو وشيرين» كما صوَّرها نظامي .

---

(١) فردوسي . شاهنامه ، ج ٥ ، ص ٢٢٥-٢٥٥ .

(٢) القزويني : آثار البلاد ، ص ٢٢٨-٢٣٢ .

الفصل الثانى

قصة خسرو وشيرين كما عرضها نظامى

بدأ نظامى منظومة « خسرو وشيرين » بمقدمة تقليدية ؛ تحدث فيها عن توحيد الله ، ومدح الرسول ، وسبب نظم القصة ، ومدح مَنْ قدمت لهم ، ثم تحدث عن العشق ، وأهميته فى حياة البشر ، حتى يبرر نظمه لقصته «خسرو وشيرين» . وختم المقدمة بالإشارة إلى الصراع الذى حدث بينه و بين نفسه ، حينما شرع فى نظم هذه القصة(١) .

ثم بدأ القصة بالحديث عن ولادة « خسرو پرويز(٢) » فقال : « لما أصبح قمرى كسرى آنوشيروان محاقاً ، أسند العرش إلى « هرمز » ، الذى كان ملكاً مظفراً عادلا ، فعمر الدنيا بعدله ، وترسم خطى والده ، فأكثر من البر والعطف ، وأحيا رسوم الدين(٣) » .

ودعا « هرمز » ربه — فى تضرع وخشوع — أن يهبه ابناً ، فاستجاب الله دعاءه ، ومنّ عليه بابن جميل «لمح فيه علامات الملك فسماه خسرو پرويز(٤) » .

---

(١) نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٢–٣٩ . وقد سبقت الإشارة إلى هذه الأشياء ، وعرض صور منها .

(٢) « خسرو پرويز » معناها « الملك المظفر » .

(٣) كه چون شد ماه كسرى‌در سياهى   بهرمز داد تخت پادشاهى
جهان افروز هرمز داد ميكرد   بداد خود جهان آباد ميكرد
همان رسم پدر برجاى ميداشت   دهش بردست ودين برپاى‌ميداشت
(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٤٠)

(٤) پدر در خسروى ديده تمامش   نهاده خسرو پرويز نامش
(نفس المرجع والصفحة)

وقد أحاط الشاعر «خسرو پرويز» ـ بطل القصة ـ بهالات البطولة منذ صغره، فتحدث عن ذكائه، وحسن نمائه، واعتدال قامته، وفرط جماله، وروعة فصاحته، وإلمامه بكل علم وفن، قبل أن يبلغ العاشرة من عمره.

كما تحدث عن قوته الخارقة، «فقد كان ـ وهو فى العاشرة من عمره ـ يصرع من كانوا فى سن الثلاثين[1]».

كما كان قوياً يشطر بسيفه الحجر نصفين، ويحكم الرماية، فلا يخطىء الهدف أبداً.

«فلما بلغ عمره الرابعة عشرة بدأ علمه يظهر، وأخذ يلم بالعلوم الخفية، ويطلع على حسنات العالم وسيئاته[2]».

«وكان أستاذه يدعى «بزرگ أميد» ... وكان عالماً، عاقلاً، ملماً بدقائق العلوم العلوية[3]».

وقد توفر على تربية خسرو؛ «فأشرق قلبه بتعليمه، وتلقن عنه حكماً كثيرة[4]».

ثم تحدث الشاعر عن حرص «هرمز» على تلقين ابنه مبادىء العدل،

---

(١) چو برده سالگى افكند بنياد   سر سى سالگان ميداد برباد
(نظامى: خسرو وشيرين، ص ٤١)

(٢) چو عمر آمد بحد چارده سال   بر آمد مرغ دانش را پروبال
نظر در جستنيهاى نهان كرد   حساب نيك وبدهاى جهان كرد
(المرجع السابق، ص ٤٢)

(٣) بزرگ أميد نامى بود دانا   بزرگ أميد أز عقل وتوانا
. . . . .
بدست آورده أسرار نهانى   كليد گنجهاى آسمانى
(المرجع السابق، ص ٤٢)

(٤) دل روشن بتعليمش برافروخت   وزو بسيار حكمتها در آموخت
(نفس المرجع والصفحة)

وأخذه بالشدة فى تطبيق العدالة ، فذكر أن « خسرو » ذهب يوماً للصيد ، ثم نزل فى قرية ليقضى فيها ليلته ، وشُغِل بالشراب ، بينما أكل حصانه نبات المزرعة ، وسرق خادمه مافيها ، فلما رجع إلى نفسه ، غضب ، وأمر بقطع قوائم الحصان ، وقدم خادمه لصاحب المزرعة . ولم يكتفِ والده « هرمز » بهذا بل غضب عليه ، وأنّبه لتعديه على الرعية ، ولم يعف عنه إلا بعدضراعة ومعذرة ، حينما أيقن أنه استقام ، وأصبح أهلاً لولاية العرش من بعده[١] .

ثم أخذ الشاعر يمهد لظهور « شيرين » فأورد أن « خسرو » رأى ـ فى منامه ـ جده « آنوشيروان » يعطيه أربعة أشياء هى : شيرين الجميلة ، وشبديز ـ وهو حصان سرعته كسرعة الرياح المرسلة ـ ، والعرش ـ الذى اعتز به آباؤه وأجداده ـ ، و باربد المغنى الذى طبقت شهرته الآفاق[٢] .

ثم ذكر أن « خسرو » كان له نديم خاص اسمه « شابور » ، كان ماهراً فى فن الرسم والتصوير مهارة « مانى »[٣] ، فضلا عن طوافه العالم من المغرب إلى المشرق .

وذات يوم أخبر شابور خسرو بأن امرأة تدعى « شميرا » تحكم بالقرب من بحر الخزر ، وهى تلقب بـ « مهين بانو[٤] » لفرط قوتها ، التى فاقت قوة الرجال .

وكانت « شميرا » تقضى فصل الربيع فى موقان ، والصيف فى بلاد الأرمن ،

---

(١) نظامى خسرو وشيرين ، ص ٤٣-٤٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٧-٤٨ .

(٣) المقصود بمانى هذا النبى الفارسى القديم الذى بشر بالديانة المانوية المعروفة ويبدو أنه كان ماهراً فى فن النقش والتصوير ، كما ذكر أبو المعالى محمد الحسينى العلوى فى كتابه بيان الأديان ، ص ١٧ .

(٤) لقب « مهين بانو » معناه « أعظم النساء » أو « المرأة العظيمة » .

والخريف فى بلاد الأبخار ، والشتاء فى بردع[1] ، كما كانت تبسط نفوذها على إقليم أران ، وتمتلك من الخيل المسومة مالا عدّ له ولا حصر[2] .

ولم تكن متزوجة ، وإنما كانت تعيش مع ابنة أخيها « شيرين » . التى كانت ولية عهدها ، وكانت فتاة عفيفة بارعة الجمال ، كالزهرة المتفتحة ، عطرة الرائحة ... شفتاها حلوتان ، واسمها ـ أيضاً ـ شيرين[3] . ولهذا فقد شبّه الشعراء شفتها بالحلوى[4] » .

وكان أمراء العالم يطيعونها ، كما كانت سبعون فتاة جميلة يقمن بخدمتها ؛ حتى ليُخَيَّل للانسان أن مكانها كالجنة ، وأن هؤلاء الفتيات كحور الجنة المشهورات[5] » .

وكان عندها حصان جميل أسود اللون يسمى « شبديز[6] » كان سريع العدو جداً ، يستطيع أن يغزو بسرعته جميع أرجاء العالم[7] .

وهنا بدأت قصة عشق « خسرو » لـ « شيرين » ، فإن شابور الذكى لم يكد

---

(١) كانت بردع أو بردعة ـ قديماً ـ عاصمة إقليم أران ، وقد احتلت گنجه مكانها بعد اضمحلالها ، كما مر .

(٢) نظامى: خسرو وشيرين ، ص ٤٩ .

(٣) سبقت الإشارة إلى أن « شيرين » معناها حلوة .

(٤) هنر فتنه شده برجان پاكش نبشته عهده عنبر بخاكش
رخش نسرين وبويش نيز نسرين لبش شيرين ونامش نيز شيرين
شكر لفظان لبش را نوش خوانند وليعهد مهين بانوش دانند
(نظامى : خسرو وشيرين ، ص٥٢)

(٥) اگر حور بهشتى هست مشهور بهشت است آنطرف وآن لعبتان حور
(المرجع السابق ، ص ٥٣)

(٦) كلمة « شبديز » معناها « أسود كالليل » .

(٧) نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٥٣ .

يفرغ من كلامه عن «شميرا» و«شيرين» حتى استيقظ العشق فى قلب «خسرو» فصار ولهاً ، لا ينام ولا يستريح من فرط العشق[1] » .

ورجا « خسرو » « شابور » أن يُحضِر له « شيرين» فوعد بذلك، ورحل إلى بلاد الأرمن حيث أقام فى دير، وأخذ يسأل الرهبان عن مساكن «شيرين» ، و بعد جمع المعلومات الكافية رسم صورة «خسرو» على ورقة كبيرة ، وأرسلها إليها .

وهنا — أيضاً — بدأ عشق « شيرين » لخسرو ، فلم يكد نظرها يقع على صورة « خسرو » حتى قالت لفتياتها « أحضرن هذه الصورة .. من رسمها ؟ لا تخفين هذا الأمر .. فأحضرن الصورة أمام العاشقة ، فجلستْ تنظر إليها بضع ساعات ، فقد تعلق قلبها بها ، فلم يستسغ الانفصال عنها ، وكانت كل نظرة إليها تجعلها ثملة ، فتغيب عن وعيها .. وقد ضعف قلبها من شدة العشق ، ولكنها — رغم ذلك — كانت تبحث عن الصورة — كلما أخفتها فتياتها من أمامها — حتى خشين أن تصير شيرين أسيرة الصورة ، فتذبل وتذوى ، فقطّعنها — رغم جمالها — حتى يتلاشى رسم صاحبها من ذاكرتها[2] » .

(١) چو بر گفت اينسخن شابور هوشيار فراغت خفته گشت وعشق بيدار

. . . .

چنان آشفته شد خسرو بدان گفت كزان سودا نياسود ونميخفت

(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٥٤)

(٢) بخوبان گفت كان صورت بياريد كه كرداست اين رقم پنهان مداريد

بياوردند صورت پيش دلبند برآن صورت فروشد ساعتى چند

نه دل ميداد ازو دل بر گرفتن نه ميشايستش اندر بر گرفتن

بهر ديدارى ازوى مست ميشد بهر جاى كه خورد ازدست ميشد

چو ميديد أز هوس ميشد دلش سست

چو ميكردند پنهان بازمى جست

نگهبانان بترسيدند أز آن كار كز آن صورت شود شيرين گرفتار

دريدند أز هم آن نقش گزين را كه رنگ ازروى بردى نقش چين را

(المرجع السابق ، ص ٦٠)

ولـكن شابور رسم صورة خسرو مرة أخرى ، وأرسلها إلى « شيرين » فلما تأملت فيها ــ مرة ثانية ــ انعقد لسانها وهامت روحها[١] » .

ثم أرسل شابور إلى شيرين صورة ثالثة « فرأتْ عينها المُحِبَّة فيها مسكناً لروحها ، وراحة لقلبها .. كما أبصرت فيها انعكاساً لنفسها ، فسَكِرَ لبُّها حيناً[٢] » .

« وَعَرَفتْ حارساتها أن الأمر جد لا هزل ، فندمن على ما فرط منهن وأخَذْنَ يثنين على تلك الصورة[٣] » .

فأرسلت شيرين إلى شابور ، وطلبت منه الحضور لمقابلتها ، فلما مثل بين يديها ، سألته عن صاحب الصورة ، فأخبرها بأنه خسرو پرويز الذى يعتز به مُلْك إيران ، وبالغ فى وصف محاسنه والثناء عليه « وكانت شيرين تنصت إلى حديثه ، وقد ثاب إليها رشدها[٤] » .

وسألها شابور عن عواطفها نحو صاحب الصورة ، فأجابت بقولها : « لقد

---

(١) دگر باره چو شيرين ديده بر كرد در آن تمثال روحانى نظر كرد
پرواز اندر آمد مرغ جانش فروبست أز سخن گفتن زبانش
(نظامى: خسرو وشيرين ، ص ٦١)

(٢) دگر ره ديد چشم مهر بانش در آن صورت كه بود آرام جانش
. . . . . .
در آن آيينه ديد أز خود نشانى چو خودرا يافت بيخود شد زمانى
(المرجع السابق ، ص ٦٣)

(٣) بدا نستند كان كارپرى نيست عجب كاريست كارى سرسرى نيست
از آن پيشه پشيمانى گرفتند بر آن صورت ثنا خوانى گرفتند
(نفس المرجع والصفحة)

(٤) سخن ميگفت وشيرين هوش داده بدان گفتار شيرين گوش داده
(المرجع السابق ، ص ٦٧)

أَحْبَبْتُهُ وتعلقتُ به ، وصرتُ أفكر فيه ليلاً ونهاراً[١] » .

فقال شابور : « أنا الذى رسمت تلك الصورة ، ومهما تكن متقنة فإنها لا تعدو أن تكون رسماً لا روح فيه[٢] » . ثم خاطبها بقوله : « إذا كنتِ قدفعَلْتِ مثل هذا بعد رؤية صورة خسرو ، فكيف بك إذا رأيته هو شخصيًا ؟! سوف ترين دنيا مشرقة يشع نورها ، فيغمر جميع الأرجاء ، وتبصرين شجاعاً ماهراً جميلاً ، كالغزال فى جماله ، وكالأسد فى قوته و بطشه[٣] » .

« وَدُهِشَتْ شيرين من سماع هذا الكلام العذب ، وقبلته جبهه ، فكان ألذ فى سمعها من الأنغام الحلوة[٤] » .

وهكذا نلاحظ أنه كما عشق خسرو شيرين قبل أن يراها ، عشقته هى قبل أن تراه ، وقد حرص الشاعر على تصوير عاطفة الحب المشوبة عند كل من العاشقين قبل أن تضمهما جلسة واحدة .

---

(١) در این صورت بدانسان مهر بستم   كه گوئى روز و شب صورت پرستم
(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٦٨)

(٢) من آن صورتگرم كز نقش پرگار
ز خسرو كردم اينصورت نمودار
هرآن صورتكه صورتگر نگارد   نشان دارد وليكن جان ندارد
(المرجع السابق ، ص ٦٩)

(٣) چو تو بر صورت خسرو چنينى   ببين تا چون بود كاورا ببينى
جهانى بينى از نور آفريده   جهان نا ديده أما نور ديده
شگرفى چابكى چستى دليرى   بمهر آهو بكينه تند شيرى
(نفس المرجع والصفحة)

(٤) وز آن شيرين سخن شيرين مدهوش
همى خورد آن سخنها خوشتر از نوش
(المرجع السابق ، ص ٧١)

ثم أخذ يصور كيف حاول كل من العاشقين أن يلتقى بصاحبه ، وكانت الخطوة الأولى من شيرين ، فقد نصحها شابور بالسفر للقاء خسرو ، قائلا لها : « يحسن أن تخرجى غداً للصيد دون أن تُخبِرى أحداً ، ثم تمتطى صهوة شبديز لتتوجهى إلى خسرو ، فاخرجى للصيد ، ثم اهربى منه إلى المعشوق [1] » .

ثم أعطاها خاتم خسرو كعلامة مميزة لها ، ووصف لها زِيّه ، وملامح وجهه حتى تعرفه إذا رأته .

واستأذنت شيرين عمتها « مهين بانو » فى ركوب شبديز ، والخروج للصيد ، فأذِنَتْ لها ؛ فركبتْه ، وتوجهت إلى المدائن ، للقاء خسرو [2] .

وأبصرت شيرين فى وسط الطريق عين ماء ، « وكانت متوعكة من تعب السفر ، فضلًا عما علاها من الغبار ، فنزلت لتستريح وتستحم ، بعد أن طافت حول العين فلم تر آثاراً لشخص ما [3] » .

وهنا حدثت مفاجأة لم تكن متوقعة ، فقد دبّر خصم لخسرو مكيدة للإيقاع بينه وبين والده ، فضرب نقوداً باسم « پرويز » ليوهم « هرمز » أن خسرو هو الذى ضرب هذه النقود ، لأنه يريد أن يستولى على العرش .

وأحس خسرو بما دُبِّر له ، فآثر الفرار حتى تهدأ الأحوال ، فأخبر جواريه بأنه ذاهب الى الصيد ، وأمرهن بإكرام شيرين الجميلة ، إذا وصلت إلى

---

(١) صواب آنشد كه نكشائى بكس راز   كنى فردا سوى نخجير پرواز
چو مردان برنشين برپشت شبديز   بنخجير آى وأز نخجير بگريز
(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٧١)

(٢) المرجع السابق ، ص ١٧ — ٧٣ .

(٣) زرنج راه بود اندام خسته   غبار أز پاى تا سربر نشسته
بگرد چشمه جولانى زد زمانى   ده اندرده نديد أز كس نشانى
(المرجع السابق ،ص ٧٧)

المدائن لأنها ضيفة عزيزة ، كما أمرهن ببناء قصر لها فى أى مكان تريده من الصحراء — إذا لم تطق الحياة فى المدائن — وأن ينفذن رغباتها لأنها تتصرف بإلهام من الله »[١] .

« ثم توجه خسرو صوب بلاد الأرمن مسرعاً يطوى الأرض طياً[٢] » .

وتصادف أن تعب حصانه فى نفس المكان الذى نزلت فيه شيرين ، فنزل « فرأى عروساً جميلة كالبدر المتلألىء فى وسط السماء[٣] » .

« ورأته شيرين فنثرت شعرها فوق وجهها[٤] » .

ولكنها شعرت بحب نحو الشاب الذى رأته دون أن تعرفه ، وخاطبت نفسها قائلة : «عجيب أن يستولى على قلبى إذا لم يكن معشوقى ! . فكيف يستولى على قلبى إذا لم يكن محبوبى ؟ ! ...[٥] » .

---

(١) هذا تضمين لقول الشاعر :

گر آيد نار پستانى در اين باغ — چو طاووس نشسته برپر زاغ
فرود آريد كان مهمان عزيز است — شما ماهيد وخورشيد آن كنيز است
. . . . . .
وگر تنگ آيداز مشكوى خضرا — چو خضر آهنگ سازد سوى صحرا
در آن صحرا كه او خواهد بتازيد — بهشتى روى را قصرى بسازيد
بدان صورت كه دل دادش گوائى — خبر ميداد أز الهام خدائى

(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٧٩—٨٠)

(٢) زمين كن كوه خودرا گرم كرده — سوى أرمن زمين را نرم كرده
(المرجع السابق ، ص ٨٠)

(٣) عروسى ديد چون ماهى مهيا — كه باشد جاى آن مه بر ثريا
(المرجع السابق ، ص ٨٠)

(٤) ز هر سو شاخ گيسو شانه ميكرد — بنفشه بر سر گل دانه ميكرد
(المرجع السابق ، ص ٨١)

(٥) شگفت آيد مرا گر يارمن نيست — دلم چون برد اگر دلدارمن نيست
(المرجع السابق ، ص ٨٣)

كما فتن خسرو بالفتاة التى رآها دون أن يعرفها؛ « فتوجه إلى بلاد الأرمن يائساً لأنه أحس بأنه قد انفصل عن معشوقته [(١)] » .

وهكذا تقابل العاشقان ، وانفصلا دون أن يتعرف كل منهما على الآخر .

وتوجه خسرو إلى ديار شيرين على أمل أن يراها ، كما توجهت هى إلى المدائن وهى تطمع فى لقائه .

ووصلت شيرين إلى المدائن « فاستقبلتْها الجوارى بالطريقة التى أمر بها خسرو ، ولم يخبرنها بشىء عنه [(٢)] » .

ولـكن شيرين لم تلبث أن علمت بعلة هروب خسرو ، وأدركت أنه كان الشاب الذى قابلته بالقرب من العين ، وتأكدت من صدق الشعور الذى أحسَّتْ به .

وأقامتْ فى المدائن بعض الوقت ، ثم خشيتْ أن تمرض ، فطلبت من الجوارى أن يبنين لها قصرًا ـ فى الصحراء ـ قريباً من المراعى ، فامتثلن الأمر ، و بُنِيَ القصر ، وكان يبعد عشرة فراسخ عن كرمانشاهان ، ولـكنه ـ بسبب فراق خسرو ـ لم يكن بعيداً عن كرمانشاهان وحدها ، بل عن العالم كله [(٣)] » .

وعاشت شيرين فى القصر الجديد ، « وقد جعلتْ عشق خسرو ، والحزن على فراقه شغلها الشاغل ، فاعتزلت العالم جميعه [(٤)] » .

---

(١) بنوميدى دل أز دلخواه برداشت بدار الملك أرمن راه برداشت
(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٨٨)

(٢) برسم خسرو بنواختندش ز خسرو هيچ وانشناختندش
(المرجع السابق ، ص ٨٩)

(٣) بده فرسنگ أز كرما نشهان دور نه أز كرما نشهان بل أز جهان دور
(المرجع السابق ، ص ٩٢)

(٤) غم خسرو رقيب خويش كرده در دل بر دو جهان پيش كرده
(المرجع السابق ، ص ٩٢)

ووصل خسرو إلى بلاد الأرمن ، ثم توجه إلى « موقان » ، ثم جاوزها إلى « باخرزان » وعلمت « مهين بانو » بمجيئه فأسرعت لاستقباله ، وجهَّزَتْ له جيشاً ومؤناً[1] » .

وقد قضى خسرو أسبوعاً فى ضيافتها ، ثم دعته لقضاء الشتاء فى مدينة « بردع » مما صوره الشاعر فى قوله : « قبَّلت « مهين بانو » الأرض بين يدى خسرو ، وقالت : إن لنا حاجة ، هى أن تشرف دار الملك « بردع » بقضاء فصل الشتاء فيها ، حيث الجو معتدل ، والماء والزرع متوافران ، فقبل خسرو مطلبها ، وقال لها : تفضلى بالذهاب إليها ، وسأجىء أنا فى إثرك[2] » .

وقضى خسرو — فى تلك الديار — أوقاتاً جميلة ، « ولم تقصر مهين بانو فى خدمته ، فكان يشتغل باللهو والطرب ليلاً ونهاراً ، ولكنه إلى جانب شرب الخمر كان يحس بمرارة فراق شيرين[3] » .

---

(١) أز آنجا سوى موقان سر بدر كرد
ز موقان سوى باخرزان گذر كرد
مهين بانو چو زين‌حالت خبريافت بخدمت كردن شاهانه بشتافت
باستقبال شاه آورد پرواز سپاهى ساخته بابرگ وباساز
(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٩٣)

(٢) مهين بانو زمين بوسيد وبرجست بخسرو گفت مارا حاجتى هست
كه دار الملك بردع را نوازى ز مستانى درآنجا عيش سازى
هواى گرمسير آن طرف را فراخيها بود آب وعلف را
إجابت كرد خسرو گفت برخيز توميرو كامدم من بر أثر نيز
(المرجع السابق ، ص ٩٥)

(٣) مهين بانو بدرگاه جهانگير بكرد أز شرط خدمت‌هيچ تقصير
شه‌آنجا روزوشب عشرت‌هميكرد مى تلخ وغم شيرين همى خورد
(نفس المرجع والصفحة)

وذات ليلة ، أقام خسرو حفلا زاخراً ، وجلس يشرب الخمر ، ويستمتع بالغناء حتى غاب عن نفسه ، ولم يَثُب إلى رشده إلا حينما علم بنبأ عودة شابور من بلاده ، فاستدعاه إليه وسأله عن شيرين ، فأخذ يصفها له ، وقص عليه خسرو ما حدث بالقرب من عين الماء — بعد أن أدرك أن الفتاة التى رآها لم تكن غير شيرين — معشوقته — التى هرب إلى بلادها ليلحق بها ، ثم « أمر شابور أن يذهب — إليها — مرة أخرى ، كما تذهب الفراشة فى إثر النور[1] » .

وفى اليوم التالى دخلت « مهين بانو » على خسرو وتحدثت معه فى أمر شيرين واختفائها ، فأخبرها بأنها تقيم فى بلاده ، وأنه قرر إرسال رسول لإحضارها ، فسُرَّتْ ، وشكرته ، وقالت له : « إذا أرسلتَ — أيها الملك — رسولا إليها فأرجو أن تخبرنى بموعد سفره ، حتى أُهْدِى إليه حصاناً يُسَمَّى كلكون[2] ، وهو سريع العدو من فصيلة شبديز[3] » .

ثم رحل شابور راكباً هذا الحصان السريع حتى وصل إلى المدائن ، وبحث عن شيرين فلم يجدها ، وعلم أنها تقيم فى قصر خاص ، فتوجه إليها ، ودعاها للسفر إلى ديارها ، حيث يوجد خسرو ، قائلا لها : « تهيئى للسفر كما أمر پرويز ؛ ثم أركبها كلكون ، وجعلها تتوجه إلى حيث تحقق أحلام معشوقها[4] » .

---

(١) قرار آن شد كه ديگر باره شاپور چو پروانه شود دنبال آن نور
(نظامى . خسرو وشيرين ، ص ١٠٢) .

(٢) « گلگون » كلمة فارسية معناها « وردى اللون » .

(٣) اگر قاصد فرستد سوى أوشاه مرا بايدز قاصد كردن آگاه
بحكم آنكه گلگون سبك خيز بدو بخشم ز همزادان شبديز
(المرجع السابق ، ص ١٠٤)

(٤) پس آنكه گفت شاپورش كه برخيز
كه فرمان اينچنين داداست پرويز
وز آنگلخن بر آنگلگون نشاندش
بگلزار مراد شاه راندش
(المرجع السابق ، ص ١٠٨) .

وهكذا بدا أن العاشقين فى طريقهما إلى اللقاء ، ولكن الأقدار كانت لهما بالمرصاد ، فحالت بينهما و بين ذلك ، لتزيد ما بينهما من حب شدة واشتعالا . فلم تكد شيرين تأخذ طريقها إلى خسرو ، حتى وصل إليه رسول يحمل أنباء سمل عينى والده ، وموته ، وأنه صار الوارث الشرعى لعرش الأكاسرة . « فلما علم الملك الشاب أن قضاء الله قد حكم على عرش والده « هرمز » بالانهيار ؛ توجه إلى دار ملكه ، ليجلس على العرش ، وقد غمره السرور[(١)] » .

ووصل خسرو إلى عاصمة ملكه ، وكانت شيرين قد بلغت ديارها .

ولكنه كان يظن أنها لم تتحرك بعدُ من مقامها ، فخرج بحجة الصيد ، وتوجه إلى قصرها فلم يجدها « وأخبروه أن المعشوقة الحسناء قد رحلت مع شابور — منذ مدة — وأنهم لايعلمون أين حملها ، وتعجبوا من صنيع شابور مادام الملك لم يأذن له بذلك ! . . .[(٢)] » .

« ولم يبق من شيرين — على سبيل الذكرى — إلا حصانها شبديز ؛ فكان شريكاً لخسرو فى الحزن على فراقها[(٣)] » .

ثم انتقل الشاعر بنا إلى بلاد الأرمن لنجد شابور قد وصل إلى محل إقامة خسرو ، فلم يجده ، فسلّم شيرين لعَمَّتِها مهين بانو التى سرت بلقائها ، ولم تعاتبها ،

---

(١) چو شد معلوم كز حكم إلهى بهرمز برتبه شد پادشاهى
بفرخ تر زمان شاه جوانبخت بدار الملك خود شد برسر تخت
(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ١١٠)

(٢) خبر دادند كاكنون مدتى هست
كز اين قصر آنگارين رخت بربست
نميدانيم شاپورش كجا برد چو شاهنشه نفرمودش چرا برد ؟
(المرجع السابق ، ص ١١١)

(٣) ز شيرين بر طريق يادگادى تك شبديز كردش غمگسارى
(نفس المرجع والصفحة)

« لأنها أيقنت أن العشق هو السبب فى سلوكها هذا المسلك[1] » .

وأقامت شيرين فى ديارها تطوى بين جوانحها قلباً مفعماً بحب خسرو ، ونفساً هائمة ولهة ، تفكر فى معشوقها ، وتود لو سمح الدهر لها باللقاء . وظلت تترقب الفرص ، حتى أذنت الأقدار للعاشقين بالاجتماع فى مكان واحد ؛ فقد رفع أحد قواد خسرو علم العصيان ضده ، واستطاع أن يؤلب الشعب ، ويثيره وأكره خسرو على الفرار فولّى وجهه شطر آذربيجان ، ليلجأ مرة ثانية إلى ديار معشوقته ، ثم توجه من هناك إلى موقان بحجة الصيد ، حيث التقى بشيرين — مصادفة — للمرة الأولى .

« وحينذاك أخذ كل منهما ينظر إلى صاحبه ، ويذرف الدموع السخينة فرحاً باللقاء ، فلم يعد خسرو بعيداً عن شيرين ، ولم يصبح گلگون بمنأى عن شبديز ، فأخذا يهيئان لنفسيهما طريق الحب والسعادة[2] » .

وجمع خسرو وشيرين جيشاً ، ثم توجها إلى مهين بانو التى « لم تكد تعلم بما تم للملك حتى سعت جهدها لإبلاغه أهدافه ، فأحسنت استقباله ، ونثرت الدراهم تحت قدميه ، وقدمى معشوقته الجميلة[3] » .

ثم أخذت مهين بانو تنصح شيرين بأن تحافظ على عفافها . فلا تستسلم

---

(١) چو ميدانست كآن نيرنگ‌سازى دليلى روشن است أز عشق بازى
(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ١١٢)

(٢) نظر بر يكديگر چندان نهادند كه آب أز چشم يكديگر گشادند
نه أز شيرين جدا ميگشت پرويز نه أز گلگون گذر ميكرد شبديز
طريق دوستى را ساز جستند ز يكديگر نشانها باز جستند
(المرجع السابق ، ص ١١٦)

(٣) مهين بانو چو أز كار آگهى يافت بر اسباب غرض شاهنشهى يافت
باستقبال شد با نزل وأسباب نثار افشاند برخورشيد ومهتاب
(المرجع السابق ، ص ١١٨)

لخسرو ، « فأقسمت شيرين بالله رب العالمين ، و بالسموات والأفلاك ، بأنها لن تصير مِلْكاً له إلا بعد الزواج الشرعى ، ولو بكتْ دماً من فرط حبها إياه[1] » .

وقد أجازت مهين بانو لشيرين أن تقابل خسرو بشرط وجود شخص ثالث معهما ، فظلت تنعم بحبه لها عن قرب ، وظل هو يقضى معها أوقاتاً جميلة غير مفكر فى ملك أو جاه ، وغير متطلع إلا إلى التمتع بمعشوقته ، ماوسعه التمتع .

وتكرر لقاء العاشقين ؛ فمرة لعبت شيرين وجواريها الكرة ضد خسرو ورجاله ، كما قضت معه — فى مرة أخرى — يوماً جميلاً ، وكان الفصل ربيعاً ؛ فجلس خسرو يشرب الخمر حتى سكر ، وتصادف أن خرج أسد من غابة مجاورة لمجلسهما ، وقتل رجلين من رجال خسرو ، ولكن خسرو رماه بسهم قوى فقتله ، فقبّلت شيرين يده ، وطبع هو قبلة حارة « غيّرتْ لون وجنتيها فأصبح لونهما الوردى بنفسجيًّا[2] » .

وذات ليلة زارت شيرين خسرو ومعها عشرة من جواريها هن : فرنكيس ، وسهيل ، وعجب نوش ، وفلك ناز ، وهميلا ، وهمايون ، وسمن ترك ، و پريزاد ، وختن خاتون ، وكوهر ملك . فطلب خسرو أن تقص كل منهن قصة فقصصن القصص . ثم قال كل من شاپور وشيرين وخسرو قصة ؛ وكانت قصة خسرو هى قوله : « حدث مرة أن أسداً أسودَ قويًّا كان يعيش فى مزرعة ،

(١) بهفت أورنكك روشن خورد سوكند
بروشن نامه كيتى خداوند
كه كرخون كريم أز عشق جالش
نخواهم شد مكر جفت حلالش
(نظامى خسرو وشيرين ص ١٢١) .

(٢) زبس كز كاز نياش در كشيدى
زبر كك كل بنفشه بردميدى
(المرجع السابق ، ص ١٣٠) .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٣١ — ١٣٥ .

فاعترضت غزالة طريقه ، وتمكنت من وضع الحبل حول عنقه ! . . . وأنا ذلك الأسد ، فقد اصطادتني شيرين ، وجعلتْ حول رقبتي قيداً من شعرها الجميل ، فإذا لم تأخذ شيرين بيدي ، فسوف أموت كما يحترق الشمع من تحرك الرياح[1] » .

وقد أثرت نغمة خسرو في قلب شيرين ، فقدمت له كأساً من الخمر ، وقضت معه وقتاً سعيداً ، يرفرف عليهما السرور .

وذات ليلة ؛ اختلى خسرو بمعشوقته « فقبّل شفتيها وقال لها : يامن صرتُ أسير عشقك ، قدّمى حبة للطائر الذى وقع فى فخك . . . دعى كل ما مضى من عمرنا يذهب (دون ندم) ، ولنبدأ ـ الآن ـ العمر من جديد ، برزق جديد . فأنا ـ هنا ـ وأنتِ . . . فمن غيرنا فى هذا المكان ؟ ! ... فلا تحذرى ... فأى شىء هنا (يدعو إلى الحذر) ؟! . .[2] » .

فأجابت شيرين بأنها غير مستعدة للاشتراك معه فى فراش واحد ، فطلب خسرو أن يُقبِّلها ، فعاودَتْ الرفض ، فلم يجد غير أن يمسك بخصلة من شعرها ، وينام ممسكاً بها حتى الصباح ، وحينذاك نصحته شيرين بأن يدع اللهو ،

---

(١) چو دور آمد بخسرو گفت بارى سيه شيرى بد اندر مرغزارى
گوزنى بره شير آشيان كرد رسن در گردن شير ُريان كرد
من آن شيرم كه شيرينم بنخجير بگردن برنهاد أز زلف زنجير
اگر شيرين نباشد دستگيرم چو شمع أز سوزش بادى بميرم
(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ١٣٧)

(٢) لبش بوسيد وگفت اى من غلامت بده دانه كه مرغ آمد بدامت
هر آنچ أز عمر پيشين رفت گورو
كنون روز أز نوست وروزى أز نو
من وتوجز من وتوكيست اينجا ؟!
حذر كردن نگوئى چيست اينجا ؟
(المرجع السابق ، ص ١٤٢)

ويجتهد فى استخلاص عرشه المغصوب[١] . فغضب خسرو وتركها ، ثم توجه إلى قيصر الروم النصرانى .

« وقد وجد القيصر أن فرصة مواتيه قد سنحت له ، فاعترف به ملكا (على إيران) وزوجه ابنته مريم ، وسُرَّ به كما تقتضى بذلك تعاليم الدين المسيحى[٢] » .

وبعد الزواج ، جهَّز القيصر جيشاً بقيادة نياطوس ، فتوجه خسرو لقتال بهرام ، ولم تلبث الحرب أن نشبت بينهما ، وظل خسرو يراقب الحرب راكبا فيلًا إلى أن اختار « بزرگ أميد » له الوقت المناسب الذى يستطيع فيه أن يشترك فى الحرب بنفسه ، فقاتل خسرو ببسالة ، وتمكن من الانتصار على خصمه بهرام ، الذى فرَّ إلى الصين ، بينما جلس خسرو على عرشه من جديد[٣] .

ثم أخذ خسرو يحن إلى شيرين ، ويتذكرها ، قائلا : « أين شيرين ؟! .. أين ذلك اللسان الحلو الذى يشبه فى عذوبته ماء الحيـاة ؟! .. أين ذلك اللهو البرىء وتلك الليالى الساهرة التى كنا نقضيها فى سرد القصص ، حتى مطلع الفجر ؟! ..[٤] »

وفى نفس الوقت كانت شيرين تحن إلى خسرو ، وأيامه الجميلة « فإن قلبها

---

(١) نظامى : وخسرو وشيرين ، ص ١٤٤ — ١٥٩

(٢) چو قيصر ديد كامد بردرش بخت   بدو تسليم كرد آن تاج باتخت
چنـان در كيش عيسى بدوشاد   كه رخت خويش مريمرا بدوداد
(المرجع السابق ، ص ١٦٠)

(٣) المرجع السابق ، ص ١٦٠ — ١٦٦ .

(٤) كجا شيرين وآن شيرين زبانى ؟   بشـيرينى چو آب زندگانى
كجا آن عيش وآن شبها نخفتن   همه شب تا سحر افسانه گفتن ؟
(المرجع السابق ، ص ١٦٧)

بقى أسير عشقه ، بعد أن تخلفت عن اللحاق به ، كما بقيت روحها مشغوفة بحبه (١) » .

وكانت مهين بانو تنصحها بالصبر على الله أن يبدل الأحوال ، فيحالفها الحظ الحسن .

ثم حدث تغير جديد فى حياة شيرين ، فقد توفيت عمتها « مهين بانو » تاركة لها عرشها ، وكنوزها ، فأصبحت شيرين ملكة ؛ لها عرش ، وجاه ، وثراء ، كخسرو سواء بسواء.

« فلما استقر الملك بشيرين الجميلة ، صار بفضلها جميلا ، فقد سَعِد ـ بعدلها ـ أفراد شعبها ، وتحرر المسجونون لأنها رفعتْ الظلم ، وألغَتْ القوانين الجائرة ، فى جميع أنحاء المملكة ، وأسقطتْ الجزية عن الولايات التى تدين لها بالولاء ، كما أهملت أخذ الخراج من القرويين ، فأمن الجميع ، لأنها فضلت أن تظفر ـ من الدنيا ـ بالرضا والدعاء ، حتى عاش ـ بفضل عدلها ـ العصفور مع الصقر ، وشرب الذئب والشاة من مكان واحد (٢) » .

و بعد فراغ شيرين من إرضاء شعبها ، أخذت تعمل على إسعاد قلبها ،

---

(١) كه چون شيرين ز خسرو باز پس ماند
دلش دربند وجانش درهوس ماند
(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ١٧٠)

(٢) چو بر شيرين مقرر گشت شاهى فروغ ملك برمه شد زماهى
بإنصافش رعيت شاد گشتند همه زندانيان آزاد گشتند
ز مظلومان عالم جور برداشت همه آيين جور از دور برداشت
زهر دروازهٔ برداشت باجى نجست أز هيچ دهقانى خراجى
مسلم كرد شهر وروستارا كه بهتر داشت أز دنيا دعارا
ز عدلش باز باتيهو شده خويش بيك جا آب خورده گرگ باميش
(المرجع السابق ، ص ١٨١)

فأخذتْ تسأل القوافل عن أنبــاء خسرو حتى علمتْ بجلوسه على العرش بعد زواجه من مريم ابنة القيصر، وأن « خسرو قد أقسم فى بلاد الروم، ألا يعشق أو يتزوج امرأة أخرى (غير مريم) [١] » .

وعزمت شيرين على أن تسعى هى للقاء خسرو، فتركت أمور الدولة فى يد أحد أتباعها، ثم ركبت حصانها، وتوجهت – مع شاپور و بعض رجالها – صوب المدائن، ثم سارت – من هناك – إلى قصرها، وأقامت فيه، وحاولت أن تتحيَّن الفرص المناسبة التى تستطيع أن ترى فيها خسرو .

« وعلم خسرو أن معشوقته قد جاءت بالقرب منه ، فأيقن أن الأمل فى الاتصال بهــا صار وشيكا ، ولـكنه كان يخشى مريم لأنها كانت تراقبه ليلا ونهاراً [٢] » .

وساعد الحظ خسرو، فقد توفى فى تلك الأثناء منافسه بهرام، فخلا الجو له ولو أنه لم يُسَرَّ بموت خصمه، لأن الموت لا شماتة فيه ، و لا فرح به ، بل إنه أخذ يفـكر فى الموت والقضاء ، كما أظهر الحزن على بهرام فى صورة أبكتْ العظماء . « وقد حزن على بهرام ثلاثة أيام، أهمل فى أثنائها مظاهر الملك، ومجالس الشراب [٣] » .

ثم ترك الحداد فى اليوم الرابع ، فأقام حفلا ، غنّى فيه « بَارْبُد » وكان

---

(١) ملك را داده بد در روم سوكند   كه با كس در نسازد مهرو پيوند
(نظامى : خسرو وشيرين ص ١٨٢)
(٢) ملك دانست كامد يار نزديك   بديد اميـدرا در كار نزديك
ز مريم بود در خاطر هراسش   كه مريم روز وشب ميداشت پاسش
(المرجع السابق ، ص ١٨٣)
(٣) سه روز اندوه خورد أز بهر بهرام   نه با تخت آشنا ميشد نه باجام
(المرجع السابق ، ص ١٩٠)

يعرف مائة لحن ، فاختار منها ثلاثين ، غناها فى ذلك الحفل ، فمنحه الملك هدايا كثيرة [١] .

وحاول خسرو أن يهىء مريم لقبول فكرة إحضار شيرين إلى القصر ، فتحدث عنها أمامها ، ثم طلب منها أن يحضرها ـ على أن تكون تابعة لها ـ فرفضت مريم ، وهددت بالانتحار إذا دخلت شيرين القصر [٢] .

ثم أرسل خسرو شاپور إلى شيرين ، ليلتمس منها الحضور إلى القصر ـ ولو لليلة واحدة ـ ولكنها رفضت ، وطلبت أن يحضر هو إذا كان يريد رؤيتها ، قائلة : « إذا كان هو صاحب مُلْك ، فإن لى ـ أيضاً ـ تاجاً [٣] » .

وكتبت شيرين خطاباً مفصلا دعت فيه خسرو للحضور إلى قصرها ، ليعرف أحوالها [٤] ، وتعجبتْ كيف يستطيع العاشق الصبر على فراق معشوقته ، « لأن الصبر بعيد عن طريق العشق ، فالصبور لن يكون عاشقاً [٥] » .

وهنا يُدْخِل الشاعر عناصر جديدة فى القصة ، فيبدأ عشق « فرهاد » .

ويبدو فرهاد فى صورة مهندس بارع ، صديق لشاپور ، الذى حاول أن يستعين به فى تيسير نقل اللبن من مراعى الملك إلى قصر شيرين ، « فى ذلك الوادى الجميل ـ الذى بُنِىَ فيه القصر ـ كان اللبن أشهى طعام ذاقته شيرين ،

---

(١) نظامى : خسرو وشيرين ، ص ١٩٠ — ١٩٥

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩٥ – ١٩٨ .

(٣) گر أورا دعوى صاحب كلاهيست — مرانيز أز قصب سربند شاهيست

(المرجع السابق ، ص ٢٠٦) .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢١٠ — ٢١٤ .

(٥) صبورى أز طريق عشق دوراست

نباشد عاشق آنكس كو صبوراست

(المرجع السابق ، ص ٢١٥)

فكان غذاءها المفضل ، الذى يرجح عندها مائة نوع من الحلوى ، ولكن المسافة ـ بين قصرها والمراعى ـ كانت بعيدة ، فكان إحضار اللبن إلى القصر شاقًا متعبًا [(١)] » .

وكان هذا هو السبب الذى جعل شاپور يفكر فى وسيلة لإحضار اللبن إلى قصر شيرين ، ويستعين بفرهاد ، وانتهى الأمر بإرساله إلى شيرين ليتحدث معها فى هذا الموضوع .

« فوقف فرهاد (يتحدث مع شيرين) من وراء حجاب ، وقد استعد للعمل وشمّر عن ساعد الجد [(٢)] » .

« ولم يكد فرهاد المسكين يسمع صوت شيرين العذب ، وكلامها الجميل ، حتى طار صوابه ، وهام بها حبًا [(٣)] » .

وقد طلبت شيرين منه أن يفكر فى وسيلة لإحضار اللبن إلى قصرها ، فقالت له : « دبّر شئون هذا القصر بمهارتك وفنك ، فالماشية بعيدة عنا ، ونحن فى حاجة إلى اللبن ، فحاول أن تحضر اللبن بسهولة ، إن بيننا و بين الماشية فرسخًا [(٤)]

---

(١) در آن وادى كه جائى بود دلگير
نخوردى هيچ خوردى خوشتر أز شير
گرش صد گونه حلوى پيش بودى غذاش از ماديان وميش بودى
أز او تا چارپايان دورتر بود ز شير آوردن أورا دردسر بود
(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٢١٥)

(٢) برون پرده فرهاد ايستاده ميان در بسته وبازو گشاده
(المرجع السابق ، ص ٢١٨)

(٣) ز شيرين گفتن وگفتار شيرين شده هوش أز سر فرهاد مسكين
(المرجع السابق ، ص ٢١٩)

(٤) « الفرسخ » ستة كيلو مترات .

أو فرسخين ، فيجب شق قناة فى الصخور الصلبة ، حتى يجلب رعاتنا اللبن هناك ، فيشرب خدمنا اللبن هنا [١] » .

وأسر العشق فرهاد ، فنسى لسانه الجواب ، فقبل دون جدال ، وأظهر الطاعة والانقياد .

وحاول أن يخفى عشقه ؛ ولكن أنباءه تطايرت إلى خسرو ، فأحضره ، وطلب منه أن ينجز ما كُلِّفَ به ، على أن يتنازل له عن حقه فى شيرين ، إذا نجح فى إتمام العمل .

وكان خسرو يعلم أن شق قناة فى الصخر أمر ليس بالهين اليسير ، كما كان يشعر بمدى سيطرة العشق على قلب فرهاد ، فجعل شق القناة هو المهر الذى يقدمه لشيرين ، إذا أراد أن يتزوجها .

وقبل فرهاد أن يقوم بالعمل ، ولم يلبث أن شرع فى أدائه ، وعلمت شيرين بذلك ، فذهبت لرؤيته وتشجيعه ، وتحدثت معه فازداد بها تعلقاً ، ولها عشقاً ، « ووصلت حرارة العشق إلى رأسه فكاد يحترق من شدتها ، وأصابت سهام الحب قلبه ، فأثخنته بالجراح ، وهكذا تسبب هو فى هلاك نفسه ، فامتلأ بلاء وتعباً ، وزاد البلاء عن حده ، وجاوز التعب أقصى درجاته ، فكان يبكى من عشق شيرين بكاء مراً ، حتى انتشر صوت بكائه فى جميع الأرجاء [٢] » .

---

(١) زبانش كرد پاسخ را فرامشت نهاد أز عاجزى برديده انگشت
(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٢١٩)

(٢) رسيده آتش دل در دماغش ز گرمى سوخته همچون چراغش
ز مجروحى دلش صدجاى سوراخ روانش بر هلاك خويش گستاخ
چنان أز عشق شيرين تلخ بگريست
كه شد آواز گريش بيست دربيست
(المرجع السابق ، ص ٢٢٣)

وأحس خسرو بحقيقة عشق فرهاد ، وأبلغه الواشون « أنه يمر على قصرها مرة كل أسبوع ، فيسلم عليها ، و يسعد بتلقى الجواب منها [(١)] » .

«وحينما سمع خسرو أنباء عشق فرهاد ، أكلت الغيرة قلبه ، وصار هو وفرهاد كفارسين يتصارعان فى ميدان ، أو بلبلين يصدحان على زهرة جميلة (يحاول كل منهما أن يكون حبه أكثر ، وغناؤه أعذب) [(٢)] » .

وأيقن خسرو أن عند فرهاد استعداداً لإنهاء العمل المكلف به ، فصمم على التخلص منه « فأرسل إليه من يخبره كذباً — من شدة الحسد — أن شيرين قد ماتت ، وأن فرهاد لا يعلم بذلك [(٣)] » .

وهنا تجلى عشق فرهاد القوى الصادق بصورة واضحة جلية ، فلم يحاول أن يتبين مبلغ الصدق فيما وصله ، بل استسلم للحزن ، فاستبد به ، وجعله يفكر فى الانتحار ليلحق بمعشوقته ، فأخذ يناجى نفسه قائلاً : « سألتقى بشيرين بعد العدم ، وسأسرع بخطوة واحدة نحو العدم [(٤)] » .

ثم ألقى فرهاد بنفسه من أعلى الجبل فمات منتحراً ، وَأُخْبِرَ خسرو بما حدث « فندم على صنيعه ، ولام نفسه على إيذائه للغير [(٥)] » .

---

(١) كند هر هفته بر قصرش سلامى شود راضى چو بنيوشد پيامى
(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٢٢٧)

(٢) ملك چون كرد گوش اين داستان را هوس در دل فزود آن دلستان را
دو هم ميدان بهم بهتر گرايند دو بلبل بر گلى بهتر سرايند
(المرجع السابق ، ص ٢٢٧)

(٣) بر آورد أز سر حسرتى يكى باد كه شيرين مرد وآگه نيست فرهاد
(المرجع السابق ، ص ٢٥٦)

(٤) بشيرين در عدم خواهم رسيدن بيك تك تا عدم خواهم دويدن
(المرجع السابق ، ص ٢٥٧)

(٥) پشيمان كرد شاه أز كرده خويش وزآن آزار گشت آزرده خويش
(المرجع السابق ، ص ٢٦٣)

وهكذا انقضى فرهاد بعد أن ضرب مثلا فى الوفاء، والإخلاص فى الحب، والتفانى فى سبيل مَنْ يحب.

وقد حزنت شيرين على وفاة فرهاد، فدفنته وأقامت له مأتماً؛ مما جعل خسرو يرسل إليها خطاب تعزية مملوءاً بالتهكم والسخرية، قال فيه: «سمِعتُ أنه – على أثر موت الحبيب العاشق – قد أقيم مأتم بالقرب من قبره[1]».

ثم خاطبها بقوله: «إنك لو جلسْتِ مائة عام على قبره، فلن تشاهدى شخصاً أكثر – منه – فناء»[2].

وشاءت الأقدار أن تموت مريم – زوجة خسرو – فى تلك الأثناء، فأرسلت شيرين خطاباً تهكميا لتعزية خسرو – بنفس طريقته – قالت له فيه: «لماذا يخاف الملك من أن تتوسد زوجته التراب وعنده عرائس أخريات؟!»[3]....».

وقد وصل خطاب شيرين إلى خسرو، فأعجبته عذوبة ألفاظها، وكان يجلس فى «طاقديس» ويشتغل باحتساء الخمر، والبحث عن الجمال، فسمع عن امرأة جميلة من أهل إصفهان، كانت تدعى «شكر»[4]؛ «فأرسل إليها وأحضرها إلى قصرِه، ثم تزوجها[5]».

(١) شنيدم كزنى يارى هوسناك بمأتم نوبق زد برسر خاك
(نظامى: خسرو وشيرين، ص ٢٦٣)

(٢) اگر صد سال برخاكش نشينى أزو خاكى ترى كس را نبينى
(المرجع السابق، ص٢٦٥)

(٣) عروس‌شاه اگر در زير خاكست عروسان دگر دارد چه باكست؟!
(المرجع السابق، ص ٢٦٩)

(٤) «شكر» كلة فارسية معناها «سكر».

(٥) فرستاد أز سراى خويش‌خواندش بآيين زناشوئى نشاندش
(المرجع السابق، ص ٢٨٥)

أما شيرين فقد ظلت وحيدة تحن إلى خسرو « وصار قلبها من الوحدة ضيقاً حرجاً ، كما لو كانت فى صراع مع الدنيا (١) » .

وأخيراً لجأت إلى الله لينقذها من حالتها ، وخاطبته قائلة : « إلٰهى : بدِّل ليلى نهارًا ، وانصرنى — كالنهار — على الدنيا . . إن عندى ليلًا حالكًا لا يأمل فى النهار ، فنوِّرْ وجهى ، وانصرنى عليه كالشمس . . إن عندى غماً يُهلِك الأقوياء . . فأسعدنى ، وانصرنى على هذا الغم ... لقد ضقت ذرعاً بهذه البوتقة الضيقة ، فخلصنى منها ، كما تخلص الجوهر الكريم من الحجارة ... يا من تجيب دعاء السائلين ، أجب دعائى . . . لم أعد أحتمل وطأة المرض كثيراً ، فأغثنى ياغياث المستغيثين (٢) » .

ويبدو أن الله قد استجاب دعاءها ، فقد توجه خسرو إلى قصرها — بحجة الصيد — «فوقفت فوق سطح القصر ، وأطلت منه كالبدر ، وجعلت بصرها يتطلع إلى الطريق ، وأذنها تتسمع طرق الباب (٣) » .

---

(٦) ز تنهائى دل شيرين چنان تنگ   كه ميكرد از ملالت باجهان جنگ
(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٢٩٢)

(١) خداوندا شبم را روز گردان   چو روزم بر جهان پيروز گردان
شبى دارم سياه أز صبح نوميد   درين شب رو سپيدم كن چو خورشيد
غمى دارم هلاك شير مردان   برين غم چون نشاطم چير گردان
ندارم طاقت اين كوره تنگ   خلاصى ده مراچون لعل ازين سنگ
توئى يارى رس فرياد هركس   بفرياد من فرياد خوان رس
ندارم طاقت تيمار چندين   أغثنى ياغياث المستغيثين
(المرجع السابق ، ص ٢٩٤)

(٢) بيام قصر برشد چون يكى ماه   نهاده گوش بردر ديده بر راه
(المرجع السابق ، ص ٣٠١)

« وحينما رأت شيرين خسرو مقبلا سقطت على الأرض مغشياً عليها ، و بقيت فاقدة الوعي مدة ، فلما أفاقت فكرت فى أمرها ، وقالت فى نفسها : إذا لم أرتبط اليوم بوثاقه ، فليست عندى طاقة لتحمل ألم فراقه [1] » .

وقد اقترب خسرو من القصر فرأى شيرين « وأخذ يتحدث معها معتذراً ، متلطفاً ، مثنياً عليها ، سائلا عن أحوالها [2] » .

ثم طلب منها أن ترافقه إلى قصره ، ولكنها اعتذرت فرجع يائساً ، بينما أخذ شابور يسرى عنه قائلا : « لا تغضب من عصبية مزاج شيرين المريضة ، لأن الحلوى مشهورة بالحرارة [3] » .

« أما شيرين : فإنها أصبحت بعد فراق الملك حزينة مهمومة ، فأخذت تؤنب قلبها القاسى (وتنتقد تصرفها مع خسرو) [4] » .

ثم ذهبت شيرين فى إثر خسرو ، وأظهرت حبها له ، وشوقها إليه ، فى غزليات رقيقة قالتها « نكيسا » بلسان شيرين ، ورد عليها « باربد » بلسان خسرو [5] .

---

(١) چو شيرين ديد خسرو راچنان مست ز پاى افتاد وشد يكباره أزدست
ز بيهوشى زمانى بى خبر ماند بهوش آمد بكار خويش در ماند
كه گر نگذارم اكنون در وثاقش ندارم طاقت زخم فراقش
(نظامى . خسرو وشيرين ، ص ٣٠٢)

(٢) زبان بگشاد با عذر دلاويز ز پرسش كرد بر شيرين شكر ريز
(المرجع السابق ، ص ٣٠٦)

(٣) مرنج أز گرمى شيرين رنجور كه شيرينى بگرمى هست مشهور
(المرجع السابق ، ص ٣٤٥)

(٤) كه چون بى شاه شد شيرين دلتنگ
بدل برميزد أز سنگين دلى سنگ
(المرجع السابق ، ص ٣٥٠)

(٥) المرجع السابق ، ص ٣٥٩ - ٣٧٩ .

ولم تلبث شيرين أن قابلت خسرو طائعة مختارة . « فلما رأى الملك أن معشوقته قد صارت تابعة له ، وأنها خضعت لأمره ، ونفذت رغباته ، أكرمها ، وأعلى من قدرها ، فزين بها عرشه كما يزين التاج الرأس[١] » .

ثم أحضر خسرو وشيرين إلى المدائن ، وتزوجها ، وخصها بكل حب وإعزاز ، وقال لرجال الدين وعظماء الدولة « إن شيرين قد صارت لى زوجة وصديقة ، وهى جديرة بكل حب أدللها به[٢] » .

وبعد الزفاف ، أخذت شيرين تنصح خسرو بعدم الانغماس فى الملذات ، وأشارت عليه بتعلم أصول الحكم ، والعمل على إسعاد الشعب ، وتوفير سبل الراحة له ، حتى يلتف حوله ، فلا ينهار ملكه . وقد صور الشاعر ذلك فى قوله : « قبّلت شيرين الأرض بين يَدَىْ الملك ، ثم قالت له : أيها الملك . اترك الترف بعض الوقت ، وانصرف إلى العلم . . . لقد اجتهدْتَ كثيراً فى سبيل الحصول على الملذات ، فحاول أن تنصرف ـ بكليتك ـ إلى إصلاح القلب ، ولقد عمرت العالم بالعز والنعمة ، فكيف يمكن أن تخر به بالظلم ؟!..[٣] » .

كما نصحته بأن يعمل للآخرة ؛ فقالت : « دبر وسيلة النجاة فى الآخرة ،

---

(١) چوشه‌معشوق را مولاى‌خود ديد سر خودرا بزيرپاى خود ديد
ز شادى‌ساختش بر فرق‌خود جاى كه شه راتاج برسر به‌كه دريپاى
(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٣٧٩)

(٢) كه شيرين‌شدمرا هم جفت وهم يار بهر مهرش كه بنوازم سزاوار
(المرجع السابق ، ص ٣٨٦)

(٣) زمين بوسيد شيرين كاى خداوند ز رامش سوى دانش‌كوش يكچند
بسى كوشيده‌ٔ در كامرانى بسى ديگر بكام دل برانى
جهان را كرده‌ٔ أز نعمت آباد خرابش چون توان كردن بيداد
(المرجع السابق ، ص ٣٩٨)

واعلم أن فى إثر المجىء إلى الدنيا الذهاب منها ، (فلا تحاول التكالب عليها) لأن الشخص الذى يجمع الذهب والفضة لا يستطيع تدبير أمر الآخرة ، واعتبر بالملوك الذين ماتوا قبلك، فإنهم لم يحملوا معهم شيئاً من المال والملك ، فإذا كنزت المال فإنه سوف يؤذيك، وإذا أنفقته فى الخير فسيكون زاد طريقك إلى الآخرة[1] » .

وأثر نصح شيرين فى خسرو ، فاستدعى أستاذه « بزرگ أميد » ، وطلب منه أن يعلمه العلوم المختلفة ، وأخذ يسأله عن الحركة الأولى ، وأجرام الكواكب ، والمبدأ ، والمعاد ، والخروج من الدنيا ، وخلود الروح ، وكيفية رؤية الجسم فى المنام ، وتذكر الحياة بعد الموت ، والهواء ، وحفظ الصحة عن طريق الاعتدال ، وكيفية خروج الروح من الجسد .

وقد أجابه « بزرگ أميد » عن كل ماسأل ، فأفاد خسرو من ذلك فائدة عظيمة[2] .

وفى تلك الأوقات كان رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم قد أرسل للناس كافة بشيراً ونذيراً ، وأخذ يرسل رسله إلى الملوك والولاة ، ويدعوهم إلى الدخول فى الدين الجديد ، مما جعله حديث الدنيا فى ذلك الوقت ، فانتهز خسرو فرصة وجوده مع أستاذه « بزرگ أميد » وذكر الإسلام بشىء من الاستخفاف والاستهزاء ، فنصحه أستاذه قائلا : « لاتهزأ أيها الملك بالدين العربى ، لأنه الدين الحق ؛ ولا يجب الاستهزاء بالحق[3] » .

(١) نجات آخرت راچاره گر باش ... درين منزل زرفتن با خبر باش
كسى كوسيم وزر تركيب سازد ... قيامت را كجا ترتيب سازد
ببين دور أز تو شاهانى كه مردند ... زمال وملك وشاهى هيچ بردند ؟
بمانى . مال بد خواه توباشد ... ببخشى . شحنهٔ راه توباشد
(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٣٩٩)

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٠٠–٤٠٤ .

(٣) مكن بازى شها بادين تازى ... كه دين حق است وبا حق نيست بازى
(المرجع السابق ، ص ٤٠٥) .

« وأدركت شيرين أن ذلك الأستاذ القدير قد فتح ـ للملك ـ باب كنز العلم ، فأثنت عليه . وقالت : أيها الشيخ القدير . إن عين الزمان لم تر عالماً مثلك ، فأعطنى نصيباً من العلم ـ إذا استطعت ـ كما فتحت لخسرو أبواب كنز الفضل .. فافتح أمامى كنز العلم ، ولا تقفله ، واقرأ علىّ بعض الحكم من كتاب كليلة ودمنة[1] » .

وقد قرأ « بزرك أميد » على شيرين أربعين قصة من هذا الكتاب[2] .

ولكن المشاكل لم تلبث أن ظهرت فى وجه العاشقين ، فقد عشق « شيرويه » ـ بن خسرو من مريم ـ زوجة أبيه « شيرين » ، ثم تحالف مع عظماء الدولة ضد أبيه ، واستطاع ـ عن طريق الرشوة ، والمؤامرات ـ أن يجلس على العرش ؛ ثم سجن أباه ، ولكن شيرين أصرت على أن تكون زميلة خسرو فى السجن .

وحاول «شيرويه» بعد ذلك أن يتخلص من أبيه نهائياً ، فأرسل إليه قاتلا ليقتله فى السجن .

وذهب القاتل فوجد خسرو نائماً بجوار شيرين ، فأيقظه ليدرك مصيره المحتوم .

وشعر خسرو بدنو أجله ، وأحس بحاجة شديدة إلى جرعة ماء ، « فقال

---

(١) چو شيرين ديدگان ديرينه استاد   در گنج سخن برشاه گشاد
ثنا گفتش كه اى پير يگانه   نديده چون توئى چشم زمانه
چو برخسرو گشادى گنج كانى   نصيبى ده مرانيز أرتوانى
كليدى كن نه زنجيرى در اين بند   فروخوان أز كليله نكتهٔ چند
(نظامى : خسرو شيرين ، ص ٤٠٥ـ٤٠٦)

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٠٦ـ٤١٠.

فى نفسه أوقظ شيرين من نومها الجميل ، وأطلب شربة ماء[١] » .

ولكنه أقلع عن هذا الخاطر خشية أن تجزع شيرين لرؤية ماسوف يحل به ، وأخذ يناجى نفسه قائلا: «حينما ترى شيرين ماسيصيبنى نتيجة الظلم والخسة سوف لاتنام مرة أخرى من شدة الحزن والعويل ، فالأفضل ألا أوقظها،فأموت أنا وهى نائمة . وهكذا مات هذا الوفى عطشاً ، دون أن يوقظ شيرين من النوم[٢] » .

« غير أن شيرين استيقظت من نومها العذب ، بسبب غزارة الدماء التى تفجرت من جسم خسرو[٣] » .

فأخذت تندبه ، وتريق الدموع ، وتنعى خاتمته السيئة ، وحظها العاثر .

ولم يلبث «شيرويه» أن أرسل إليها وخطبها لنفسه ، ومناها بأعذب الأمانى ، فتظاهرت بالقبول على أن يدفن خسرو ، وتدخل القبر فى أثناء دفن جثمانه ؛ وقد قبل شيرويه ما اشترطته .

فدخلت شيرين قبر خسرو ثم انتحرت مستعملة سكيناً ، فطعنت نفسها بنفس الطريقة التى قتل بها خسرو ، ثم ضمته إليها واضعة شفتيها على

---

(١) بدل گفتا كه شيرين را زخوشخواب
كنم بيدار وخواهم شربتى آب
(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٤١٨)

(٢) چو بيند برمن اين بيداد وخوارى نخسبد ديگر أز فرياد وزارى
همان به كين سخن ناگفته باشد شوم من مرده وأوخفته باشد
بتلخى جان چنان داد آن وفادار كه شيرين را نكرد أز خواب بيدار
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) ز بس خون كز تن شه رفت چون آب
در آمد نرگس شيرين زخوشخواب
(المرجع السابق ، ص ٤١٩)

شفتيه ، وصاحت بأعلى صوتها معلنة أنها انتحرت ، لتسمع القوم ، وتعلمهم بأنها وضعت خاتمة لقصة حبها لخسرو ، وحبه لها ، مما صوره الشاعر فى قوله : « طعنت شيرين نفسها بسكين بنفس الطريقة التى طعن بها الملك من قبل ، فغسلت القبر بدمها الحار ، وأضافت جرحاً جديداً إلى جراح الملك ، ثم احتضنت معشوقها ، ووضعت شفتيها على شفتيه ، وكتفيها على كتفيه ، وصاحت بأعلى صوتها – ليسمع القوم قولها – وهى تقول : إن الروح قد ائتلفت مع الروح ، و إن الجسد قد اتحد مع الجسد ، فنجا الجسم من ألم الفراق ، ونجت الروح من قسوة الزمان[1] » .

وقد أنهى الشاعر القصة بحديث عن ذم الدنيا ، وفناء العالم ، وتلاشى السعادة[2] .

ثم تحدث عن موت زوجته مشبهاً إياها بشيرين ، ونصح ابنه الذى كان فى السابعة من عمره كما مر .

ثم أشار نظامى إلى رؤية خسرو للنبى فى المنام[3] ، و إرسال الرسول خطاباً إليه ، كان نصيبه التمزيق ، فدعا الرسول على خسرو بتمزيق ملكه ؛ وقد استجاب

---

(١) بدان آيين كه ديدآن زخم راريش   همانجا دشنهٔ زد برتن خويش
بخون گرم شست آن خوابگه را   جراحت تازه كرد اندام شه را
پس اورد آنگهى شه رادر اغوش   لبش برلب نهاد ودوش بردوش
به نيروى باشد آواز برداشت
چنان كآن قوم از آوازش خبر داشت
كه جان باجان وتن باتن به پيوست
تن أز دورى وجان أزداورى رست
(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٤٢٣–٤٢٤) .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٢٤–٤٢٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٣٠ – ٤٣٤ .

الله الدعوة ؛ فضاع ملك العجم ، وسقط طاق من إيوان خسرو ، وتحطم معبر دجلة من سيل ألم به . وصور نظامى ذلك كله فى صورة توحى بشماتته وتشفيه ، مستعملا نغمات تدل على فرحه بما حدث ، واعتباره من معجزات الرسول .

ثم أخذ فى مدح الرسول ، وتمجيده والإشادة بالأعمال الخالدة التى تمت على يديه ، وكانت نتيجتها تحطيم دول الكفر ، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور [١] . ثم وصف معراج الرسول [٢] .

ثم أخذ الشاعر ينصح بضرورة اتباع العدل ، ونشر السلام ؛ فتحدث عن الدنيا وما فيها من ظلم ، وتعجب من أمر الإنسان الضعيف الذى يصر على الظلم ـ برغم ضعفه ـ فهو لايكاد يفرغ من ظلم حتى يشرع فى ظلم جديد ، وشَبَّهه بالطائر المفترس الذى لايكاد ينزع أظفاره من صيد حتى ينشبها فى صيد جديد . ثم قال إن الظالم ـ فى رأيه ـ لايظلم إلا نفسه ، لأن عدل الله موجود ، وقوته محيطة ، ومشيئته نافذة . ولذا فهو يدعو إلى الإقلاع عن الظلم ، ونشر العدل والمحبة [٣] .

وختم منظومته بالإشارة إلى تاريخ إتمامها ، مبيناً أن اسمه سيظل ـ بفضلها ـ حياً مخلداً [٤] ، ثم ذكر ذم حساده [٥] . ثم أشار إلى دعوة قزل آرسلان له ، ووصف ما حدث [٦] ؛ ثم رثى هذا الوالى ، ومدح خليفته أبا بكر بن أخيه « جهان پهلوان [٧] » . و بذلك تنتهى منظومة « خسرو وشيرين » .

---

(١) نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٤٣٨-٤٤١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٣٤-٤٣٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٤١-٤٤٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٤٥-٤٤٦ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٤٦-٤٤٩ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٤٤٩-٤٥٨ . وقد سبقت الإشارة إلى ذلك .

(٧) المرجع السابق، ص ٤٥٨-٤٥٩ . وقد سبق ذكر شىء منه .

والواقع أن نظامى هو أول من نظم قصة « خسرو وشيرين » فى هـذه الصورة ، ولـكننا لانستطيع أن نحكم على عمله ، إلا إذا قارنّا بين منظومته و بين ما نظمه سابقه الفردوسى — متعلقاً بخسرو وشيرين — فى منظومته «شاهنامه» ، فندع هذا التصوير لعمل نظامى لنختم — هذا الباب — بمقارنة بينه و بين الفردوسى — فى كيفية تصويرهما لهذه القصة — حتى يكون حكمنا صحيحاً صادقاً .

الفصل الثالث

مقارنة بين تصوير كل من الفردوسي ونظامي لقصة خسرو وشيرين

خصص الفردوسي جزءاً من الشاهنامه للحديث عن خسرو ، وقد شمل حديثه قصة « خسرو وشيرين » . ولكن تصوير نظامي لهذه القصة كان يختلف اختلافاً جوهرياً عن تصوير الفردوسي لها ، فقد كان كل منهما متأثراً بروحه هو؛ فالفردوسي كانت روحه حماسية ، بينما كانت روح نظامي غنائية[1] .

كما تأثر كل منهما بروح عصره ، وحاول أن يستجيب لها ، ويتلاءم معها .

فعصر الفردوسي كان يمجد البطولة ، والانتصارات الحربية ، والغلبة على الأعداء ، فقد تميّز عصر السلطان محمود الغزنوي ـ الوالي الذي قدم الفردوسي له الشاهنامه ـ بالانتصارات الحربية ، لأن هذا السلطان غزا الهند مرات عديدة ، واستطاع أن يوطد نفوذ المسلمين فيها، حتى سُمّي فاتح الهند ، كما اتخذت حروبه طابع الجهاد في سبيل الله ، وفي سبيل نشر دينه ، فمن الطبيعي أن يكون تمجيد البطولة ، والفتح ، والغلبة على الأعداء ، من الأشياء المحببة إلى قلوب الناس ـ في ذلك الوقت ـ وهذا يستلزم الشعر الحماسي .

أما عصر نظامي ؛ فقد رأينا أنه كان عصراً إقطاعيًّا مملوءاً بالمنازعات المستمرة بين الدول والدويلات المختلفة ، كما لاحظنا أنه اتسم بروح الغدر ، وتدبير المؤامرات . وكان الدافع إلى هذا كله الرغبة في الظفر بالحكم ، والنفع الشخصي المادي ، فكان الولاة ، والأمراء ، والوزراء ، والعظماء يتطاحنون في سبيل الوصول

(١) I. Pizzi: Storia della Poesia Persiana, II, P. 194.

إلى الحكم والاحتفاظ بالنفوذ . مما جعل الناس يمجّدون السلم ، وينشدون الراحة والطمأنينة ، فكان عملا لا غناء فيه أن ينظم شاعر شعراً حماسياً ، فى وقت غير وقته ، وظروف غير مناسبة له[1] ، وقد تنبه نظامى لهذا ؛ فقال إنه اختار هذه القصة لتلائم هوى الناس فى عصره[2] .

فروح كل من الشاعرين ـ متأثرة بروح العصر الذى عاش فيه ـ قد أثرت فى تناول كل منهما لقصة « خسرو وشيرين » وتصويره لمناظرها .

ولذلك وجدنا الفردوسى يحرص على تصوير «خسرو» فى صورة ملك قوى ، وقائد مظفّر ، يستطيع أن يكسب المعارك ، ويظفر بانتصارات باهرة ، ويوسع حدود دولته ، ويقضى على أعدائه .

فخسرو ـ عند الفردوسى ـ صورة لتراث إيران القديم ، ورمز من رموز مجدها، وعظمتها ، وماضيها التليد ، الحافل بالمفاخر ، وجلائل الأعمال ، وهو مَثَلٌ واضح قوى للأكاسرة فى جلالهم ، وهيبتهم ، وقوتهم ، وغلبتهم ، ورفاهيتهم ، وملاذهم .

وكان الفردوسى يتخذ من تمجيده لخسرو تمجيداً لأمتـه ، وتخليداً لتاريخها القديم .

أما نظامى ؛ فقد صوّر خسرو فى صورة عاشق قد يخطىء ، وقد يصيب ، ولكنه يستطيع أن يموت كبطل .

ونظامى فى هذا موضوعىٌّ ، بينما الفردوسى مِثَالِىٌّ .

وطبيعى ـ تبعاً لهذا ـ أن نجد الفردوسى يهمل ناحية العشق إهمالا يكاد يكون تاماً ، ويقصر همه على تصوير البطولة الحربية التى تميّز خسرو بها .

ولاحظ نظامى ذلك فقال : «لقد أهمل الحكيم (الفردوسى) ناحيـة العشق ،

---

(١) I. Pizzi : Storia della Poesia Persiana, II, P. 195.

(٢) سبق ذكر البيتين اللذين سجل الشاعر فيهما سبب اختياره لقصة خسرو وشيرين ، وهما يؤيدان ماذهبنا إليه .

حينما عرض هذه القصة ؛ لأنه كان فى سن الستين ، فبعد عن دائرة الشباب»[1] .

بينما جعل نظامى كل همه منصرفاً إلى تصوير ناحية العشق ، مما جعله لايعيد ماقاله الفردوسى .

وقرر هو ذلك فقال : « لم أكرِّرْ ماقاله العالم (الفردوسى) قبل ذلك ، لأن الحديث المعاد ليس جميلا ؛ فذكرت ناحية العشق ، بعد أن شرح هو ناحية البطولة »[2] .

ولذلك فإن شخصية شيرين من الشخصيات الثانوية عند الفردوسى ، فالجزء الخاص بخسرو — فى الشاهنامه — يكاد معظمه يخلو من ذكر شيرين ، أو مجرد الإشارة إليها[3] .

وقد ذكر الفردوسى شيرين — لأول مرة — حينما أشار إلى زواج خسرو بـ « كردويه » أخت « بهرام چوبين »[4] .

ثم أفرد لقصة « خسرو وشيرين » — بعد ذلك — مكاناً فى نهاية الجزء الخاص بخسرو[5] ، غير أن القصة كانت مختصرة ، فكان المكان المخصص لها ضيِّقاً إذا قورن بما نظم عن خسرو .

(١) حكيمى كاين حكايت شرح كردست
حديث عشق ازايشان طرح كردست
چو در شصت اوفتادش زندگانى   خدنگ افتادش از شست جوانى
(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٣٣)

(٢) نگفتم هرچه دانا گفت أز آغاز   كه فرخ نيست گفتن گفته راباز
در ان جزوى كه ماند أز عشقبازى   سخن راندم نيت برمرد غازى
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) فردوسى : شاهنامه ، ج ، ٥ ص ٨٣–٢٥٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٢٥–٢٥٥ . وقد ذكرها تحت عنوان « داستان خسرو پرويز وشيرين » أى « قصة خسرو پرويز وشيرين » .

وقد صور الفردوسى شيرين ، فى صورة إحدى صـديقات خسرو فى وقت شبابه ، فقال : « كانت شيرين صديقة خسرو پرويز ؛ حينما كان شـابًّا غير هيّاب ، — وحينما كان والده حيًّا ، وكان هو بطلا — فكانت شيرين بالنسبة إليه كالعين المبصرة ، فلم يكن يحب — فى الدنيا — غيرها ، سواء من الفاتنات ،أو من بنات الملوك[1] » .

فشيرين — عند الفردوسى — معشوقة خسرو فى وقت النزق والطيش ، وعدم المبالاة ، وهى فتاة سيئة الأخلاق ؛ مما جعل خسرو يهملها بعد تولِّيه العرش ، فأخذت تحتال لرؤيته ، والتقرب منه ، ونجحت فى أن تريه نفسها — وهو فى طريقه إلى الصيد — فحنّ إليها ، وخفق قلبه لها ، فأعادها إلى قصره ، ثم تزوجها. غير أن هـذا الزواج كان سببًا فى إثارة رجال الدين ، وعظماء الدولة ، فقاطعوا مجلسه — بحجة أنه تزوج امرأة ساقطة — واضْطُرّ خسرو إلى مجادلتهم ، معترفًا بسوء أخلاقها ، وقائلا إن اتخـاذها زوجة ، سوف يجعلها طاهرة نقيـة ، وظل يجادلهم ، ويضرب لهم الأمثال ، حتى اقتنعوا ، وأقروا الزواج[2] .

أما نظامى ، فقد جعل شيرين بطلة القصة ، فهى من الشخصيات الرئيسية فى المنظومة ، كما أضفى عليها مايؤهلها للبطولة ، فصوّرها فى صورة أميرة ، ثم ملكة ، وجعلها مَثَلاً للفتاة العفيفة التى تحافظ على عفافها — إلى آخر لحظة — فتقبل أن تُغْضِبَ معشوقها ، وتجعله يغادر ديارها ، ولا تقبل أن تستسلم له ، أو أن تفرط فى

---

(١) چو پرويز بيباك بود وجوان   پدر زنده وپور چون پهلوان
ورا در زمين دوست شيرين بدى   بر او بر چو روشن جهان بين بدى
پسندش نبودى جز أو در جهان   ز خوبان واز دختران شهان
(فردوسى : شاهنامه ، ج ٥ ، ص ٢٢٦)

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٦ — ٢٣٠ .

عفافها . كما لاحظنا ذلك حينما اختلى بها خسرو ، وحاول أن يستولى عليها ، فأبَتْ ، وجعلته يغادر بلادها إلى بلاد الروم .

فشيرين ــ عند نظامى ــ فتاة عفيفة ، تقدم العفة على كل شىء ، ولا ترى العشق يتنافى مع الفضيلة ، بل تراه حارساً لها ، وداعياً إلى التمسك بها .

وشخصيتها ــ من هذه الناحية ــ تختلف ــ عند نظامى ــ اختلافاً جوهرياً عن شخصيتها عند الفردوسى .

وكما حرص نظامى على تصوير شيرين فى صورة راعية للفضيلة ، فقد جعلها تضرب أروع الأمثلة فى الوفاء ، والإخلاص ، والتضحية ، فصور فى منظومته كيف ظلت شيرين وفيَّة إلى آخر لحظة من حياتهـا ، كما ظلت مخلصة فى حبها ، فلم تنقض العهد أبداً ، ولم تحاول أن تحب شخصاً غيره ، حتى فى الأوقات التى تزوج خسرو ــ فيها ــ غيرها ، كما عبَّرت عن وفائها و إخلاصها بعد قتله ، فلم تتزوج غيره ولم تحتفظ حتى بالحياة ، بل آثرتْ أن تلحق بمن أحبت ، لتقاسمه القبر بعد موته ، كما قاسمته العيش فى حياته .

ورغم أن الفردوسى قد أظهر شيرين فى صورة الوفية ، وقرر أنها انتحرت لتلحق بمن أحبت ، إلا أن نظامى قد عبر عن هذا الوفاء بصورة أبلغ وأروع ، فقد رأيناها ــ فى منظومته ــ أسرع إظهاراً لوفائها و إخلاصها ، فلم يكد خسرو يُقْتَل ، و يُحْمَل ليُدفن حتى قتلت نفسها ــ فى قبره ــ بسكين ، و بنفس الطريقة التى قتل هو بها ، لـكى توسد التراب فى نفس الوقت الذى وُسِّد هو فيه . بينما نلاحظ ــ فيما نظمه الفردوسى ــ أن شيرين لم تنتحر بهذه السرعة ، و إنما انتحرت بعد ثلاثة وخمسين يوماً من مقتل خسرو[1] ، حينما حاول «شيرويه» أن يتخذها زوجة له ، فاشترطت عليه شروطاً منها أن يفتح قبر خسرو لتزوره ، ثم سَمَّتْ نفسها

(١) فردوسى : شاهنامه ، ج ٥ ، ص ٢٧٨ .

داخل القبر؛ مما صوره الفردوسى فى قوله : « شربت سُمًّا مهلكا ، يكفى للقضاء عليها ، ثم جلست بالقرب من الملك المسجى ، وقد لفّت جسمها بلباس فيه رائحة الكافور ، وأسندت ظهرها إلى حائط القبر ، ثم ماتت ، فاستحقت بموتها الثناء من الدنيا[(١)] » .

أما تضحية شيرين فقد ظهرت فى منظومة نظامى بصورة رائعة ، فرأيناها تضحى بكل شىء — حتى بعرشها — فى سبيل معشوقها ، بينما هى — عند الفردوسى — أنانية ؛ دفعتها أنانيتها إلى قتل منافستها « مريم » — بنت قيصر الروم — حتى لاتشاركها الحياة مع خسرو .

فقد ذكر الفردوسى أن خسرو تزوج شيرين بينما كانت زوجته الأولى مريم لا تزال على قيد الحياة ، وأن شيرين حقدت عليها ، فدست لها السم ، مما صوره فى قوله : « كانت شيرين فى حزن دائم — بسبب وجود مريم — وكان لون خدّيها أصفر — من شدة الحسد — فانتهى الأمر بأن دست شيرين لها السم ، فماتت تلك الفتاة الجميلة — التى كانت من نسل قيصر الروم — ولم تُطلع شيرين أحداً على تلك المؤامرة ، فقد احتفظت هى — وحدها — بسرها[(٢)] » .

ثم بيّن الفردوسى أنها كانت تهدف — بمؤامرتها — إلى أن تصبح زوجة

---

(١) هم انگاه زهر هلاهل بخورد ز شيرين روانش بر اورد گرد
نشسته برشاه پوشيده روى به تن دريكى جامه كافور بوى
بديوار پشتش نهاد وبمرد بمرد وزگيتى ستايش ببرد
(فردوسى : شاهنامه ، ص ٢٨٣)

(٢) ز مريم همى بود شيرين بدرد هميشه زرشكش دورخساره زرد
بفرجام شيرين بدو زهر داد شد ان دختر خوب قيصر نژاد
أز ان چاره آگه نبد هيچكس كه اوداشت آن راز پنهان وبس
(المرجع السابق ، ص ٢٣٠)

خسرو المفضلة ، فقال[1] : «ولما انقضى عام على وفاة مريم ، أسكن خسرو شيرين فى الحجرة الذهبية[2] » .

ولم يذكر نظامى هذه المؤامرة ، وإنما قرر أن شيرين لم تتزوج خسرو إلا بعد وفاة مريم .

وهكذا نلاحظ فرقاً واضحاً بين شخصية شيرين فيما نظمه الفردوسى ، وبين شخصيتها فى منظومة نظامى .

فالفردوسى قد صوّرها فى صورة تدعو إلى الازدراء ، فجعلها فتاة فاسدة الخلق أنانية .

أما نظامى ؛ فأضفى عليها كل صفات البطولة ؛ من عفة ، ووفاء ، وإخلاص ، وتضحية ، وصوّرها فى صورة توحى بالإعجاب ، وتبعث على الاحترام ؛ مما جعل خسرو يعتز بها بعد أن تزوجها ، ويعتبرها مثالا للزوجة الصالحة ، فلم يخجل من زواجها ، ولم يحاول أن يقنع رجال الدين والعظماء بصلاحيتها كزوجة ، ولم يهملها وينسها ، فوجدناه يلجأ إلى ديارها ـ كلما دُبِّرتْ له المكائد ـ سواء فى حياة أبيه أو بعد عزل أبيه وقتله ، كما وجدناه يذكرها بعد انتصاره على « بهرام چوبين » وجلوسه على العرش ، وزواجه من « مريم » ، ويرسل إليها مراراً ، ثم يذهب إلى قصرها بحجة الصيد أملا فى رؤيتها ، والاتصال بها .

وهذه الصورة لخسرو ـ عند نظامى ـ تختلف كثيراً عن صورة الفردوسى التى عرضناها .

---

(١) چو سالى برآمد كه مريم بمرد شبستان زرين بشيرين سپرد
(فردوسى : شاهنامه ، ج ٥ ، ٢٣٠)

(٢) المقصود بالحجرة الذهبية الحجرة الخاصة بالملكة ، أى الزوجة الأولى المقدمة على غيرها ، والشاعر يقصد بقوله هذا أن شيرين أصبحت ـ بعد موت مريم ـ زوجة خسرو الأولى ، أى صارت ملكة ، فحققت بذلك هدفها الذى سعت إليه ، ودبرت قتل مريم فى سبيل بلوغه .

وما لاحظناه فى تصوير نظامى لخسرو شيرين نلاحظه فى تصويره لشخصية «فرهاد» المبتكرة ، فقد صور الشاعر هذه الشخصية فى صورة جعلت من صاحبها بطلا ، يحتل مكانا بارزاً فى القصة ، ويبدو قريناً ومنافساً خطراً لخسرو؛ بل إن الشاعر أضفى على «فرهاد» كل صفات البطولة التى أضفاها على «شيرين» ؛ من إخلاص ، ووفاء ، وتضحية بكل شىء — حتى بحياته — فى سبيل من يحب ؛ فى صورة تدعو إلى العطف والتقدير .

وشخصية فرهاد شخصية مبتكرة — كما قلنا — خلقها نظامى ليكسب القصة عنصر الطرافة ، والتشويق ؛ عن طريق خلق المشاكل والمواقف الدقيقة ، وعقد المقارنات بين الشخصيات المتباينة .

ولم يشر الفردوسى إلى فرهاد فى قليل أو كثيراً ، ولم يذكر اسمه فيما نظمه عن خسرو وشيرين ؛ فكان مانظمه عن هذه القصة سرداً للحوادث دون إعطائها الإطار الفنى ، أو حبكها الحبكة الفنية التى تستلزمها القصة .

وهكذا نلاحظ أن تصوير نظامى لشخصيات القصة ، ومناظرها المتنوعة ، يختلف — عن تصوير الفردوسى — اختلافاً جوهرياً .

وفضلا عن الفرق الشاسع الذى يُوجَد بين الشاعرين — من هذه الناحية — فإننا نلاحظ أن منظومة نظامى فيها كل مقومات تأليف القصة «الرومانتيكية» ؛ من اختيار الفكرة التى تقوم عليها ، وخلق المشاكل ، وحسن التصوير ، وتنوع المناظر ، والجدة ، والابتكار ؛ وهى عناصر معدومة — أو كالمعدومة — فيما نظمه الفردوسى .

وقد أحسن نظامى اختيار الفكرة ، فالحب من الموضوعات الإنسانية ، وهو وثيق الصلة بالنفس البشرية — فى كل زمان ومكان — خصوصاً فى الصورة التى حرص نظامى على إبرازها ، وهى صورة الحب الطاهر الذى يرعى الفضيلة ، ويرفع القيم الأخلاقية ، ويسمو بالنفس البشرية ، ويتطلع إلى مثل أعلى : هو

الزواج ، ويظل بعد الزواج ليوجه العاشقَيْن إلى الخير ، ويُبَصِّرهما بطريق السعادة الدنيوية والأخروية .

كما أحسن نظامى خلق المشاكل ، وحسن التصوير ، وتنوع المناظر ، مع الجدة والابتكار ، فأدخل فى القصة عنصر الطرافة والتشويق ، فوجدناه يقارن بين شخصيات القصة ، ويوجد شخصيات متناقضة ليظهر الفرق — بينها — واضحاً . فقد قارن بين شخصية فرهاد وشخصية خسرو ؛ فالأول عاشق مخلص يتفانى فى حبه ، ويحاول أن يتحد مع معشوقته ولو بعد الموت . بينما الثانى عاشق ينظر إلى المرأة على أنها متعة ، فلا يكتفى بواحدة بل يتزوج الكثيرات، وهو أنانى لايتورع عن إلحاق الضرر بالغير — فى سبيل ملذاته — كما فعل مع فرهاد ، فقد قاده إلى القتل ليتلخص منه ، فيخلو — له — الجو دون منازع .

كما قارن بين شخصية شيرين ، وشخصية خسرو ؛ فقد نقلها من شخصية ثانوية — عند الفردوسى — إلى بطلة القصة ، وجعلها ألمع شخصية فيها ، وأضفى عليها شيئاً كبيراً من الأهمية ، جعلنا نشعر بالإعجاب بشخصيتها ، والتقدير لنبلها . ويبدو أن الشاعر فعل ذلك ليقارن بينها ، وبين خسرو ، فقد أصبحت — بهذه الصورة — على النقيض من خسرو ، خصوصاً فيما يتعلق بالمحافظة على العفة والشرف ؛ كما أصبحت تمتلك صفات الإنسانية التى تؤهلها للبطولة ، وتجعلها أسمى وأنبل من خسرو ؛ فوجدناها تحب الشعب ، وتسهر على راحته ، وتنصح خسرو بتعلم أصول الحكم الصالح ، ورعاية العدل والإنصاف ، حتى يظفر بحب الشعب ، ورضا الله .

وفضلا عن هـذا كله ، فإنه يبدو من دراسة منظومة نظامى أن له مذهباً خاصاً فى نظم مثل هذه القصص ، فقد حاول الشاعر أن يتخذ القصة وسيلة لتسجيل آرائه ، وما يدعو إليه ؛ فقد كان يؤمن بضرورة الإصلاح الخلقى ، وتطهير النفوس حتى تترفع عن الحقد والحسد ، وتتجنب إيذاء الناس ، وتتطلع إلى المثل العليا .

وكان يدعو – فى شدة وتحمس وإصرار – إلى ترك الظلم ؛ لأنه غير مأمون العواقب ، فقد يعود على صاحبه بشر مستطير . كما كان ينادى باتباع العدل ، والتزام الإخلاص ، والتمسك بالوفاء ، ويندد بمن يخالفون هذه الدعوة ، ويحذرهم من غدر الدنيا ، وفنائها .

وقد جهر بهذه الدعوة فى منظومته الأولى « مخزن الأسرار » ، وردّدها فى منظومته الثانية « خسرو وشيرين » – كما رأينا – وسيرددها فى كل منظوماته ، كما سيأتى .

ولذلك فقد حاول الشاعر أن يتخذ من منظومته « خسرو وشيرين » ميداناً يعرض فيه آراءه ، ويردد فيه دعوته ، وذلك عن طريق إنطاق بعض شخصيات القصة بما يؤمن به ، ويدعو إليه ، أو إظهار بعضها فى الصورة التى يتمناها ، كإظهار شيرين فى صورة راعية للعفة ، وداعية للأخلاق والفضيلة ، أو إظهار فرهاد فى صورة مَثَلٍ للوفاء والتضحية ، وهكذا .

كما أن هناك ظاهرة جديرة بالملاحظة ، وهى أن الشاعر قد أظهر العاشقين فى حالة انتقال – من جهة إلى أخرى – وسفر – من مكان إلى آخر – فكل منهما يبحث عن صاحبه ، ويلجأ إلى ديار معشوقه . والطريف أن الواحد منهما لايكاد يسعى للقاء صاحبه ، ويتخذ طريقه إلى الجهة التى يقيم فيها ، حتى يغادر هذا الصاحب مكانه لسبب من الأسباب ؛ فظل العاشقان فى حركة دائمة .

وهذه ميزة انفرد بها نظامى ، فلم نجدها عند الفردوسى ، وقد أكسبت القصة نوعاً من الحيوية ، وجعلتها طريفة مشوقة .

كما بدا نظامى – فى هذه القصة – فى صورة عالم نفسى ، فأحسن تحليل شخصيات أبطال القصة ، ولذّله أن يقارن بينها . وهذه الميزة ليست واضحة عند الفردوسى .

ومن الملاحظ – أيضاً – أن عاطفة نظامى الإسلامية طغت على عاطفته

الوطنيــة الإيرانية ، فقد طرب لتمزُّق ملك خسرو ، وانهياره ، واعتبر ذلك من معجزات رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ، وهذه ظاهرة سنلاحظها فى منظوماته الأخرى .

وهو فى ذلك عكس الفردوسى تماماً ، فقد كانت عاطفة الفردوسى الوطنيـة مشبوبة ، فتعصب لوطنه ، وحاول أن يعلى من شأنه ، وأن يمجِّد مفاخره ، ويخلد ماضيه ، ويتخذ من ملوك الفرس القدماء رمزاً لهذه المفاخر ، ودليلاً على عظمة الماضى وروعته ، ورفعة شأن وطنه .

ولعلّ هذا هو السبب فى ظفر الفردوسى بحب الإيرانيين ، وتمجيدهم ؛ إلى درجة لايتسامى إليها نظامى ، بل ولا يصل إليها شاعر إيرانى آخر .

ولعل هذا هو السبب — أيضاً — فى عدم الاهتمام بدراسة نظامى ، وعدم محاولة إظهار مكانه بين شعراء الفارسية ، رغم تميزه فى فن القصة ، وفن المثنوى ، وفى اتخاذ الشعر وسيلة للدعوة إلى نشر الفضيلة ، وإصلاح المجتمع .

ومهما يكن من شىء ، فإن قصــة « خسرو وشيرين » — فى الصورة التى أخرجها نظامى — تعتبر جديدة مبتكرة ، وإن الطريقة التى نُظِمَتْ بهـا لتعتبر جديدة فى نظم القصص بالفارسية فى تلك الأوقات . وقد يكون لإلمام نظامى بثقافات مختلفة أثر فى انتهاج هذه الطريقة .

ولعلنا — بعد هذه الدراسة المقارنة — نستطيع أن نقرر أن نظامى هو أول من نظم قصة « خسرو وشيرين » فى هذه الصورة . فقد رأينا أن تناوله لهـا يختلف اختلافاً جوهريًّا عن تناول الفردوسى ، لأنهما اختلفا فى تصوير مناظر القصة ، وترتيب حوادثها ، وفى المحور الذى تدور حوله ، وفى الإطار الفنى الذى يضم كل هذه الأشياء .

فليس من الإسراف — إذاً — أن نصـدر هذا الحـكم ، فنعتبر نظامى أول من أخرج حب « خسرو وشيرين » فى صورة قصة « رومانتيكية » .

* * *

وحاول كثير من الشعراء تقليده ، ونذكر – على سبيل المثال – ممن قلدوه من شعراء الفارسية : أمير خسرو الدهلوى المتوفى فى عام ٧٢٥ هـ ، وهاتفى المتوفى فى عام ٧١٩ هـ . وقد نظم كل منهما القصة تحت عنوان « خسرو وشيرين » .

كما نذكر وحشى الكرمانى المتوفى فى عام ٩٩١ هـ ، وعرفى الشيرازى المتوفى فى عام ٩٩٩ هـ ، ورفيعى المولود – فى خرسان – فى عام ٩٤٢ هـ . ونظم كل منهم القصة تحت عنوان : « فرهاد وشيرين » ، ونذكر آهى المتوفى فى عام ٩٢٣ هـ . وقد نظمها تحت عنوان « شيرين وپرويز » .

وإذا تركنا شعراء الفارسية إلى شعراء التركية نجد كثيراً منهم قد نظم القصة مُقَلِّدًا «نظامى» ؛ ونذكر منهم – على سبيل المثال أيضاً – لامعى المتوفى فى عام ٩٣٨ هـ . ونظم القصة تحت عنوان « فرهاد وشيرين » .

وهذا يدل على مدى ما أحدثته منظومة « نظامى » من صدى فى الميدان الشعرى .

وقد تأثر هؤلاء الشعراء – جميعاً – بما ورد فى هذه المنظومة ؛ فقلدوا « نظامى » ، واقتبسوا مما ذكره ، وحاولوا تقليد طريقته .

ولعل أوضح مثل لذلك أمير خسرو الدهلوى ، الذى تأثر – فى منظومته – بنظامى – إلى حد كبير – سواء فى البحر الذى نَظَمَ فيه القصة ، أو فى ذكر الوقائع وتسلسلها (١) .

* * *

ونكتفى بهذا القدر عن منظومة نظامى الثانية « خسرو وشيرين » ، لندرس منظومته الثالثة « ليلى ومجنون » .

---

(١) M. Wahid Mirza : The life and works of Amir Khusrau, pp. 196- 198.

الباب الثالث

منظومة «ليلى ومجنون»

الفصل الأول

دراسة حول منظومة « ليلى ومجنون »

شرع نظامى فى نظم «ليلى ومجنون» فى عام ٥٨٤ هـ ، بناء على طلب اخستان ابن منوچهر ، حاكم شروان .

وقد نظمها فى بحر الهزج المسدس ؛ وتشتمل المنظومة على ٤٥٠٠ بيت تقريباً .

وقصة « ليلى والمجنون » قصة حب ـ كقصة « خسرو وشيرين » ـ يمثل دور البطولة فيها بطلان ، هما : قيس بن الملوح مجنون بنى عامر ، ومعشوقته ليلى .

وأتم الشاعر نظم هذه القصة فى نفس العام ـ الذى بدأ فيه نظمها ـ ويبدو أنه فرغ من نظمها فى مدة وجيزة ، لم تتعدَّ أربعة أشهر ؛ مما نتبيّنه من قوله : « نظمتُ أكثر من أربعة آلاف بيت فى أقل من أربعة أشهر ، ولولا الاشتغال بأعمال أخرى ، لتمتْ فى أربع عشرة ليلة[(١)] » .

ولذلك ؛ فقد تمت المنظومة فى عام ٥٨٤ هـ . وسجل الشاعر هذا التاريخ فى قوله : « زُيِّنَتْ المنظومة ـ فى أبهى صورة ـ فى آخر رجب من العام الرابع والثمانين بعد الخمسمائة ، وهو التاريخ الذى تمت فيه ، ويساوى مجموع(ث ، ف ، د[(٢)]) بحساب الجمل[(٣)] » .

---

(١) اين چهار هزار بيت أكثر شد گفته بچارماه كمتر
گر شغل دگر حرام بودى در چارده شب تمام بودى
(نظامى : ليلى ومجنون ، ص ٢٩)

(٢) مجموع (ث ، ف ، د) ـ بحساب الجمل ـ يساوى ٥٨٤ .

(٣) آراسته شد به بهترين حال در سلخ رجب به ثى وفى دال
تاريخ عيان كه داشت باخود هشتاد وچهار بعد پانصد
(نظامى : ليلى ومجنون ، ص ٢٩)

وهذا التاريخ متفق عليه بين جميع الباحثين .

غير أن هناك تاريخاً آخر – ذُكِر فى آخر المنظومة – يدل على أنها تمت بصفة نهائية فى عام ٥٨٨ هـ ؛ حيث قال الشاعر : « انتهت – بفضل الله الواحد القهار – فى يوم الاثنين ، بعد أن انقضت ثمانية وثمانون وخمسمائة عام على هجرة الرسول[1] » .

ويمكن أن نقبل التاريخين ،رغم أنهما مختلفان ، لأننا لاحظنا أن الشاعر كان يضيف بعض القطع إلى منظوماته –أحياناً ، خصوصاً إذا كانت القطعة المضافة تتصل بالشاعر ، أو بأحد ممدوحيه ، وقد فعل ذلك فى منظومته السابقة « خسرو وشيرين » ؛ فأضاف إليها وصف زيارته للأتابك « قزل آرسلان » ، كما أضاف إليها قطعة فى رثاء هذا الأتابك ، وأخرى فى مدح خليفته « نصرة الدين أبى بكر » وكان ذلك بعد إتمامها بخمس سنوات .

فمن الجائز أن الشاعر فَعَلَ فى منظومة « ليلى ومجنون » ما فعله فى « خسرو وشيرين » ، فأضاف إليها بعض القطع ، بعد إتمامها ببضع سنوات .

ويبدو أن القطعة التى نصح الشاعر فيها ابنه ، وصَرَّحَ فيها بأن هذا الابن فى الرابعة عشرة من عمره[2] ، قد نظمها فى عام ٥٨٨ هـ ، لأن ابنه كان فى نهاية « خسرو وشيرين » . فى السابعة من عمره ، فطبيعى أن يبلغ الرابعة عشرة فى عام ٥٨٨ هـ ؛ بل إن هذا من الأسباب التى تجعلنا نقبل هذا التاريخ .

وأغلب الظن أن الشاعر أتم نظم قصة « ليلى ومجنون » وقدمها لحاكم شروان فى عام ٥٨٤ هـ ، ثم أضاف إليها قطعاً فى النصح ، وفى مدح هذا الحاكم ،

---

(١) در روز دوشنبه آمد آخر أز لطف خداى فرد قاهر
يانصد هشتاد وهشت برسر بگذشته ز هجرت پيمبر
(نظامى : ليلى ومجنون ، ص ٢٧٤)

(٢) سبق إيراد هذه القطعة والتعليق عليها ، فيما سبق .

فى عام ٥٨٨ هـ ، وختم المنظومة بصفة نهائية .

* * *

أما أخستان بن منوچهر حاكم شروان الذى قُدِّمَتْ المنظومة له ، فقد قيل إنه كان من نسل بهران چوبين ، القائد الإيرانى الذى ثار فى وجه « خسرو پرويز » كما مرّ .

ويبدو أن هذا الحاكم هو الذى طلب من الشاعر نظم القصة ، لأنه قال : « جاءنى رسول يحمل أمر الملك الذى كتبه بخطه الجميل ، وكان مكوَّناً مما يقرب من خمسة عشر سطراً ، بأسلوب جميل جمال الزهر المونع ، متلألىء تلألؤ البدر ، (وكان يقول فيه) : يا تابعى الأمين . . يا نظامى . . يا ساحر الكلام فى العالم . . استيقظ رغم حلاوة نسيم السَّحَر ، وهيِّىء من الكلام سِحْراً آخر ، وأَظْهِرْ ما عندك من فصاحة فى فن النظم الجميل ، لأنى أريد أن تنظم الكلام كالدر المكنون ، فى ذكر عشق المجنون(١) » .

كما طلب الحاكم من الشاعر أن يُجَوِّد القصة ، ويخرجها فى صورة رائعة جميلة ، مما صوره الشاعر فى قوله : « إن هذه القصة تَرْجَح ألف قصة ، فزيِّنْها بنظمك الجميل . . . إنها ملكة قصص العشق جميعها ، فيحسن أن تتفنَّن

---

(١) در حال رسيد قاصد از راه آورد مثال حضرت شاه
بنوشته بخط خوب خويشم ده پانزده سطر نغز بيشم
هر حرف أز أو شكفته باغى افروخته‌تر زشب چراغى
كاى محرم حلقه غلامى جادو سخن جهان نظامى
أز چاشنى دم سحر خيز سحرى دگر أز سخن برانگيز
در لافگه شگفته كارى بنماى فصاحتى كه دارى
خواهم كه بياد عشق مجنون رانى سخنى چو در مكنون
(نظامى : ليلى ومجنون ، ص ٢٥) .

فى نظمها [١] » .

وأظهر نظامى تحيره بعد قراءة خطاب الحاكم ، فلم يكن يجرؤ على مخالفته ، وبيّن أن ابنه أشار عليه بامتثال أمر الحاكم ، ونظم القصة ، مما صوره قائلا على لسان ابنه : «حينما نظمتَ قصة خسرو وشيرين ملأتَ قلوب الناس سروراً ، فيجب أن تنظم قصة ليلى والمجنون ، حتى تصبح لديك جوهرتان ثمينتان [٢] » .

ويبدو أن ما ذكره الشاعر من عدم رغبته فى نظم القصة ، وإشارة شخص آخر — كابنه — عليه بنظمها ، ثم قبوله بعد التردد ، إنما هو من خلق الشاعر ، ليضفى على عمله شيئاً من الأهمية ، ويلفت الأنظار إليه ، ويلتمس لنفسه العذر فى نظم قصص العشق رغم زهده وتحنفه .

وقد فعل هذا من قبل ؛ فأشار إلى عاتب عتب عليه حينما شرع فى نظم قصة «خسرو وشيرين» ، كما سنراه يفعله فى منظوماته الأخرى ، فيشير إلى أن هاتفاً أتاه ونصحه بنظم القصة ، أو يذكر أن «الخضر» جاء إليه ، وأشار عليه بما فعل ، وهكذا .

وأكبر الظن أن الشاعر أراد أن يبرر عمله ، ويظهر مبلغ قدرته وبراعته فى تصوير مناظر كل قصة من القصص التى نظمها ، رغم صعوبتها .

ومما يرجح ماذهبنا إليه أن ابن نظامى كان صغيراً — فى الوقت الذى بدأ الشاعر فيه نظم قصة « ليلى ومجنون » — فمن المستبعد أن يشير عليه بشىء .

كما أن نظامى أشار إلى صعوبة نظم هذه القصة ، لأنها غير مألوفة لديه ،

---

(١) بالاى هزار عشق نامه آراسته كن بنوك خامه
شاه همه حرفهاست اين حرف شايد كه دراو كنى سخن حرف
(نظامى : ليلى ومجنون ،ص ٢٥)

(٢) خسرو شيرين چو يادكردى چندين دل خلق شاد كردى
ليلى مجنون ببايدت گفت تا گوهر قيمتى شود جفت
(المرجع السابق ، ص ٢٦)

وأظهر خوفه من الفشل ، لعدم توفر مادة القصة عنده ، فى حين أنه ـ بعد موافقته ـ ، لم يستغرق ـ فى نظمها ـ أكثر من أربعة أشهر ، وقال إنه لو لم يكن مشغولاً بأعمال أخرى لأتمها فى أربع عشرة ليلة ، رغم أنها أربت على أربعة آلاف بيت ، مما يرجح أن تمنع الشاعر لم يكن لعدم وجود مادة القصة ، أو صعوبة نظمها ، وإنما كان تبريراً لموقفه ، وهى طريقة درج عليها فى كل منظومة .

* * *

ومن المرجَّح أن الشاعر قد أرسل منظومته مع ابنه الصغير ، لأنه مدح الحاكم[1] وابنه ، وبيّن أنه فعل ذلك تحقيقاً لرغبة ابنه الذى طلب منه أن يقدمه لولى عهد الحاكم ، وصور ذلك فى قوله على لسان ابنه : « قدِّمنى لولى عهده اليوم ، فكلانا حديث السن ، فى مدرسة الحياة[2] » .

وشبَّه الشاعر منظومته بابنته ، وصوَّر اعتزازه بها ، فقال : « اعلم أن هذه العروس المهداة لم تخلق فى عهد من العهود ، فإذا لم تلتفت إلى أبيها ، فينبغى أن ترعى أخاها[3] » .

غير أننا لا نعلم ماجناه الشاعر من ثمار عمله ؛ لأنه لم يشر إلى شىء من ذلك فى شعره ؛ وإن كان يبدو عجيباً أن يطالب الحاكم منه نظم القصة ، ثم لا يثيبه على عمله .

* * *

ونكتفى بهذه الدراسة حول المنظومة ، لندرس المنظومة نفسها ؛ فنعرض قصة «ليلى والمجنون» كما صوّرها نظامى ، ثم نقارنها بالأصل العربى الذى استمدت منه .

---

(١) نظامى: ليلى ومجنون، ص ٣٠-٣٨ . وقد سبق عرض صور من هذا المدح .

(٢) بسيار مرا بعهدش امروز كو نو قلم است ومن نو آموز
(نظامى : ليلى ومجنون ، ص ٣٨)

(٣) دانى كه چنين عروس مهدى نايد زقران هيچ عهدى
گر در پدرش نظر نيارى تيمار برادرش بدارى
(المرجع السابق ، ص ٣٩)

الفصل الثانى

قصة ليلى والمجنون كما صوّرها نظامى

بدأ الشاعر منظومته « ليلى ومجنون » بمقدمته التقليدية عن التوحيد، ونعت الرسول، ثم تحدث عن سبب نظم القصة، ومدح الملك وابنه، وإيداع ابنه لديه، ثم أعقب ذلك بنصيحة ابنه محمد، وذكر من تُوُفِّى من أفراد أسرته، وختم المقدمة بالنصح بالقناعة، وترك التذلل، والابتعاد عن خدمة الملوك والولاة، وشغل الفراغ بنظم الشعر[1].

ثم أخذ الشاعر بعد ذلك فى سرد القصة، فقال: « قال راوى القصة حينما شرع فى نظم الكلام، إنه كان يُوجَد ـ بين العرب ـ رجلٌ عظيم، يسكن فى بقعة من أحسن البقاع، ويرأس بنى عامر، وقد أصبحت دياره ـ بفضله ـ أعمر الديار، فتعطرت بلاد العرب بذكره الحسن[2] ».

وكان هذا الحاكم العربى مشهوراً بالفضل، والشجاعة، وقرى الضيفان، ولم يكن له ابن يخلفه فى منصبه، إذا قُدِّرَ له أن يرحل من الدنيا، فكان كثير الضراعة إلى الله أن يهبه ابناً.

واستجاب الله دعاءه، فوهبه ابناً جميلاً، « سُرَّ بمولده، وسماه « قيس[3] ».

---

(١) نظامى : ليلى ومجنون، ص ١–٥٧ . وقد سبقت الإشارة إلى هذه المسائل.

(٢) گوينده داستان چنين گفت — آن لحظه كه در اين سخن سفت
كز ملك عرب بزرگوارى — بوداست بخوبتر ديارى
بر عامريان كفايت اورا — معمور ترين ولايت اورا
خاك عرب أز نسيم نامش — خوش‌بوى‌تر أز رحيق جامش
(المرجع السابق، ص ٥٧)

(٣) شرط هنرش تمام كردند — قيس هنريش نام كردند
(المرجع السابق، ص ٦٠)

« ولما أتمّ قيس العام الأول من عمره ، بلغ من الجمال أعلى مراتبه ، وكان جوهر العشق كامناً بين جوانحه ، و بريقه يشِـع من وجهه المتلألىء [(١)] » .

وقضى قيس سنواته الأولى فى اللعب ، وكان نشيطاً مرحاً ، كالزهرة المتفتحة بين الأغصان .

« ولما بلغ عمره العاشرة ، أخذت القصص تروى عن جمـاله المفرط ، فـكل من رأى وجهه من بعيد ، كان يدعو له بالحفظ والوقاية ، فسر والده بجمال طلعته ، وأرسله إلى المـكتب ليتعلم [(٢)] » .

وكان أبناء القبائل و بناتها ، يذهبون إلى هذا المـكتب ، فيعكفون على التعليم ـ منذ الصغر ـ فى جد ، ومثابرة ، فاجتمع قيس هناك بعدد غير قليل من الزملاء والزميلات ، وأخذ يتعلم فى شوق ، وانتظام .

ولـكن «قيس» لم يلبث أن تعلق بحب ليلى ـ زميلته فى الدراسة ـ ، وكانت مشهورة ـ منذ صغرها ـ بالجمال ، وتناسق الأعضاء ؛ فـكما شعرها أسود كالليل ، بينما كان وجههـا متلألئاً كالقمر . فألفها الجميع ، ودعو الله أن يرعاها ، و يحفظ جمالها .

« وقد استولى العشق على قيس ، فملأ جوانحه ، وأخضع قلبه ، وكانت ليلى

---

(١) چون بر سر اين گذشت سالى   بفزود جمـال را كمالى
عشقش بدو دستى آب ميداد   زو گوهر عشق تاب ميداد
(نظامى : ليلى ومجنون ، ص ٦٠)

(٢) كز هفت بده رسيد سالش   افسانه خلق شـد جمالش
هركس كه رخش زدور ديدى   بادى زدعا بر أو دميدى
شد چشم پدر بروى أوشاد   أز خانه بمكتبش فرستاد
(نفس المرجع والصفحة)

ـ أيضاً ـ تعشقه، فنما الحب وترعرع فى قلبيهما معاً [١] ».

ولما اكتمل نضج قيس وليلى كان حبهما قد بلغ الذروة؛ فراجت أنباؤه، وانتشرت فى كل مكان، وأخذت الألسن تتناقلها، « ففشا السر، وعُرِف فى كافة الأماكن، وأخذ يُسْمَع بروايات مختلفة، وأصبحت على كل لسان رواية لهذه القصة المحبوكة [٢] ».

« ثم لم يلبث العشق أن استبد بقيس فطار صوابه، وذهب عقله، واشتهر أمره، ولقبه الناس بالمجنون، وكان هو يؤيد ـ ذلك ـ بتصرفاته الشاذة [٣] ».

« وكثر كلام القوم حول ليلى، فأخفاها أهلها عن أعين المجنون [٤] ».

« فلما فُصلت ليلى عن المجنون أخذت تبكى بدمع كالدر المكنون، كما أن المجنون لما أحس بأنه لم يعد يرى وجه ليلى، ذرف من عينيه سيلاً من الدموع [٥] ».

---

(١) أز دلدارى كه قيس ديدش ... دلداد وبمهر دل خريدش
أونيز هواى قيس ميجست ... در سينهٔ هر دو مهر ميرست
(نظامى : ليلى ومجنون ، ص ٦١)

(٢) اين پرده دريده شد زهر سوى ... وان راز شنيده شد بهركوى
زقصه كه محكم آيتى بود ... در هردهنى حكايتى بود
(المرجع السابق ، ص ٦٣)

(٣) يكباره دلش زپا درافتاد ... هم خيك دريد وهم خرافتاد
وآنان كه نيوفتاده بودند ... مجنون لقبش نهاده بودند
أونيز بوجه بينوائى ... ميداد براين سخن گوائى
(المرجع السابق ، ص ٦٤)

(٤) أز بس كه سخن بطمنه گفتند ... از شيفته ماه نوه نهفتند
(نفس المرجع والصفحة)

(٥) ليلى چو بريده شد ز مجنون ... مى ريخت ز ديده در مكنون
مجنون چو نديد روى ليلى ... أز هر مژهٔ گشاد سيلى
(نفس المرجع والصفحة)

ولم يطب لقيس قرار فى مكان واحد ، فأخذ يتنقل من مكان إلى آخر .

« وهام فى المحلات والأسواق ، وقد امتلأت عيناه بالدموع ، وقلبه بالوجد ، وكان ينظم أشعار العشق ، وينشدها بطريقة مؤثرة ، ثم يمضى فى طريقه ، والناس يتصايحون من خلفه ، ومن أمامه ، قائلين : المجنون ! . . المجنون ! . .[1] » .

وأخذ قيس يقضى أيامه ولياليه عارياً فى الصحراء ، بين الحيوانات والوحوش الضارية ، فساءت حالته ، وزاد جنونه .

وكان يذهب كل ليلة ـ متخفياً ـ إلى بيت معشوقته ـ رغم بعد المسافة ـ فيقبل الأبواب ، ثم يرجع متثاقلاً[2] » .

وكان كل من العاشقين يتبع أخبار الآخر فى لهفة ، وشوق ؛ « فكان (قيس) يقنع بتنسم رائحة من (ليلى) ، كما رضيت هى بكونه يبحث عنها ، فسَعِدَا رغم البعد كالغرباء ، لأنهما كانا يخشيان تجسس الرقباء[3] » .

ولما رأى والد قيس ماحل بابنه من تباريح العشق حَزِن ، وأشفق عليه ، وفكر فى وسيلة يرد بها إلى ابنه صوابه ، ويُهَدِّىء بها روحه الهائمة ، فاستقر رأيه على أن يخطب له ليلى ، وعرض الأمر على شيوخ القبيلة فوافقوه ،

---

(١) میگشت بگرد کوی وبازار در دیده سرشك ودر دل آزار
میگفت سرودهای کاری میخواند چو عاشقان بزاری
أو میشد ومیزدند هرکس مجنون مجنون زپیش واز پس
(نظامى : ليلى ومجنون ، ص ٦٤)

(٢) هر شب زفراق بیت خوانان پنهان رفتی بکوی جانان
در بوسه زدی وباز گشتی باز آمدنش دراز گشتی
(المرجع السابق ، ص ٦٥)

(٣) قانع شده این أز آن ببوئی وآن راضی از این بجستجوئی
أز بیم تجسس رقیبان سازنده زدور چون غریبان
(المرجع السابق ، ص ٦٩)

واستصوبوا رأيه ، فتوجه مع جماعة منهم إلى والد ليلى ، ثم طلبها منه لتكون زوجة لابنه .

ولكن والد ليلى رفض قائلاً : «إنه يُظهر الجنون ، فلا يليق بنا أن نصاهر مجنوناً[1]» .

ثم خاطب والد قيس قائلاً : « أنت تعرف كيف يتتبع العرب العيوب ، فماذا يقولون إذا أقدمتُ أنا على هذا الأمر ؟! . . فدع الحديث فى هذا الموضوع ، ولا تحاول أن تتحدث فيه بعد الآن[2]» .

« فلما سمع العامريون هذا الكلام ، لم يجدوا وسيلة غير الرجوع ، فعادوا إلى ديارهم نادمين متأثرين[3] » .

ونصحوا قيس بترك حب ليلى على أن يزوجوه من هى أجمل منها ، « فلما سمع المجنون نصيحة أهله ، ازداد اضطراباً من شدة مرارتها ، فلطم وجهه ، وشق قميصه . . وماذا يستطيع أن يفعل غير هذا ؟!...[4] » .

وهام على وجهه فى الصحراء مرة أخرى ، وأخذ ينشد الأشعار المؤثرة، «فتحير

---

(١) ديوانگي همى نمايد ديوانه حريف مانشايد
(نظامى : ليلى ومجنون ، ٧٢)

(٢) دانى كه عرب چه عيب جويند اين كار كنم مرا چه گويند
با من بكن اين سخن فراموش ختم است برين وگشت خاموش
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) چون عامريان سخن شنيدند جز باز شدن درى نديدند
نوميد شده زپيش رفتند آزرده بجاى خويش رفتند
(المرجع السابق ، ص ٧٢)

(٤) مجنون چو شنيد پند خويشان أز تلخى پند شد پريشان
زد دست ودريد پيرهن را كاين مرده چه ميكند كفن را ؟
(المرجع السابق ، ص ٧٣)

الناس فى أمره ، وصار كل من رآه يرثى لحاله [(١)] » .

ثم فكر والده فى طريقة يدفع بها عنه حرارة العشق ، فقرر أن يحمله إلى مكة فى موسم الحج ، ليدعو الله فى بيته الحرام ، ويسأله أن يُبْعِد عنه حرارة العشق ، وأن يفك عنه قيوده ، وحمله إلى هناك ؛ ولكن المجنون دعا الله أن يزيده عشقاً . فقال : « يارب بعزة ربوبيتك ، وجلال ألوهيتك ، اجعلنى أبلغ أقصى درجات العشق ، حتى يبقى حبي بعد فنائى . . . وامنحنى النور من عين العشق ، ولا تحرمنى منه أبداً ؛ ولو أننى سكرت من شراب العشق ، إلا أننى أدعوك أن تجعلنى أكثر عشقاً من هذا مادمت حياً . . . إنهم يقولون خَلِّص نفسك من العشق ، وأبعد عن قلبك حُبَّ ليلى ، فياربِّ هبْنِى — فى كل لحظة — ميلاً أعظم إلى ليلى ، وخذ مابقى من عمرى ، وزده فى عمرها ، فرغم أننى أصبحتُ — من شدة الغم — نحيلاً مثل شعرها ، إلا أننى أتمنى ألا تنقص شعرة من رأسها [(٢)] » .

ولما سمع والده هذا الدعاء رجع يائساً ، وعرف أن داء عشقه ليس له دواء .

---

(١) حيران شده هركسى در آن پى ميديد وهميگريست بروى .
(نظامى : ليلى ومجنون ، ص ٧٤)

(٢) يارب بخدائى خدائيت وانكه بكمال پادشائيت
كز عشق بغايتى رسانم كوماند اگرچه من نمانم
أز چشمهٔ عشق ده مرانور واين سرمه مكن ز چشم من دور
گرچه ز شراب عشق مستم عاشق تر ازين كنم كه هستم
گويند كه خو ز عشق وا كن ليلى طلبى زدل رهاكن
يارب تومرا بروى ليلى هر لحظه بده زياده ميلى
أز عمر من آنچه هست برجاى بستان وبعمر ليلى افزاى
گرچه شده ام چو مويش أزغم يك موى نخواهم أز سرش كم
(المرجع السابق ، ص ٨٠ — ٨١)

أما قوم ليلى فقد ساءهم عشق المجنون لابنتهم ، وذكره اسمها فى أشعاره ، فشكوه إلى الوالى ، فأباح الوالى دمه .

وعلم والد قيس بإباحة دم ابنه ، ففزع ، وأرسل شخصاً للبحث عنه ، فأخذ يقتفى آثاره حتى اهتدى إلى مكانه ، ثم توجه والده إليه ، فوجده جالساً فى غار ، وقد وضع رأسه على حجر ، وأخذ ينشد قصائده ، فتأثر ، وتألم لحاله ، وقال له : « يامفتوناً ! . . إلى متى هذا الاضطراب ؟ ! . . ويا محترقاً بحرارة العشق ! .. إلى متى هذا الطيش[1] ؟!.. » .

ثم أخذ يؤنبه قائلا : « ألم تتعب من شدة الغم ، ومن كثرة تلقى طعنات الأعداء ؟ ! . . ألم تملأ القلب من الملامة ؟ ! . . أم تستيقظ رغم هذه القيامة ؟ ! . . . ضع حداً لهذا العشق الذى شقيت به ، فقد أضعتَ هيبتك ، وأذهبتَ ماء وجهى[2] ! . . . » .

ولكن المجنون أجاب قائلا : « حيث إن الأمر ليس باختيارنا ، فإن تحسين الحال (وتغييره) ليس من شأننا[3] » .

فلما أيقن والده أنه لم يتأثر بنصيحته حزن ، وحمله إلى منزله حيث جمع حوله بعض أصدقائه ، ولكن المجنون ظل شارد اللب مضطرب الفؤاد وقتاً ، فلم يفلح أصدقاؤه فى إدخال السرور إلى قلبه ، ولم يطق المجنون البقاء فى المنزل ،

---

(١) اى شيفته چند بيقرارى وى سوخته چند خامكارى
(نظامى : ليلى ومجنون ، ص ٨٦)

(٢) مانده نشدى زغم كشيدن وز طعنه دشمنان چشيدن ؟!
دل سير نگشتى أز ملامت ؟ زنده نشدى بداين قيامت ؟
بس كن هوس كه پيش بردى كاب من وسنگ خويش بردى
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) چون كار باختيارما نيست به كردن كار كار مانيست
(المرجع السابق ، ص ٩٠)

فهرب إلى الصحراء من جديد ، وعاش فيها . « وصار من شدة الاضطراب كالشيطان الثمل ، فأصبح يضع الحديد فى رجليه ، ويحمل الحجارة بيديه، وكان ينشد أشعار الغزل مختلفة الألحان ، كلما ثارت إحساساته ، فاجتمع الخلائق من كل صوب ـ حول مكانه ـ وأخذوا يرقبون أحواله ، ويسجلون كل قصيدة يسمعونها ـ بواسطة الكتابة أو الحفظ ـ ،ثم حملوا شعره إلى الآفاق ، فسعد العشاق بهذه الأغانى[1] » .

أما ليلى ؛ فلم تكن حالها بأحسن من حال قيس ، فقد كان توالى السنين يزيدها عشقاً ، ولهفة لرؤية معشوقها ، والجلوس معه ، وكانت تعلو الهضاب ، وتنظر إلى الطريق ، أملا فى أن تحظى برؤيته ، ولو مرة .

ولكنها كانت تخفى حبها خوفاً من الرقباء ، فكانت تحمل النسيم تحياتها لقيس ، وتبثه شوقها إليه .

ثم نضجت ملكتها الشعرية فتمكنت من نظم الشعر الفصيح ، فاتخذت الشعر وسيلة لبث أشواقها ، وإيصال سلامها إلى معشوقها ، فكانت ـ أحياناً ـ ترسل إليه رسالة شعرية ـ مع أحد المارين ـ وتعبر فيها عن مشاعرها ، وماتكنه له من حب ، وما تشعر به من شوق للقائه .

وكان قيس يجيبها شعراً كذلك . وقد صور الشاعر ذلك فى قوله : « كانت تنظم أبياتاً كالدر المكنون ، تناسب حال المجنون ، وكان هو يجيب بنفس الطريقة ، فيرد على الأبيات الملتهبة ـ من نيران الشوق ـ بأخرى رقيقة ، تلقى على

(١) بر نجد شدى چو ديو سرمست ‌ ‌ آهن برپاى وسنگ بردست
چون بر زدى أز نفير جوشى ‌ ‌ كفتى غزلى بهر خروشى
أز هر طرف خلايق انبوه ‌ ‌ نظاره شدى بگردآن كوه
هر نادرهٔ كز أو شنيدند ‌ ‌ در خاطر ودر قلم كشيدند
بردند به تحفهها در آفاق ‌ ‌ زان غنيه غنى شدند عشاق
(نظامى : ليلى ومجنون ، ص ٩١ ـ ٩٢).

قلبها برداً وسلاماً ، وكانت ترسل الورقة التى تحمل الأبيات فى الخفاء ممزوجة بدم قلبها ، بأن تلقيها إلى عابرسبيل ، ليحمل رسالة الزهر الباسم إلى السر والجميل .. وكان الشخص الذى يحمل الرسالة يقرؤها فيرقص من جمال مافيها من شعر ، ثم يسلمها إلى المجنون ؛ فيقول ــ على البديهة ــ شعراً فى جوابها ، وقد تبادل العاشقان رسائل عديدة بهذه الطريقة[(1)] » .

وذات مرة ــ بينما كان الفصل ربيعاً ــ اجتمعت ليلى ببعض زميلاتها فى بستان ، فأخذت تذكر معشوقها . وفجأة مر شخص ينشد بعض أشعار المجنون ، فاضطربت ، ولاحظت إحدى زميلاتها ذلك ، فقصته على والدة ليلى ، فشددت الرقابة عليها ، « فأصبحت ليلى محصورة كالكنز ، وكالقمر داخل هالته ، وصارت ضيقة القلب كالضباب ، تخفى بين جوانحها غماً قاتلا كالسيف[(2)] » .

وبينما كانت ليلى فى البستان ، رآها شابٌ من قبيلة بنى أسد ، يُدْعى

---

(١) بيتى كه ز حسب حال مجنون   خواندى بمثل چو در مكنون
آنرا ديگرى جواب گفتى   آتش بشنيدى آب گفتى
پنهان ورقى بخون سرشتى   وان بيتكرا براو نوشتى
بر راهگذرى فكندى از بام   دادى بسمن ز سرو پيغام
آن رقعه كسى كه بر گرفتى   بر خواندى ورقص در گرفتى
بردى وبدان غريب دادى   كزوى سخن غريب زادى
أونيز بديهه روانه   گفتى بنشان آن نشانه
زين گونه ميان آن دودلبند   ميرفت پيام گونه چند
(نظامى : ليلى ومجنون ، ص ٩٥)

(٢) ليلى كه چو گنج شد حصارى   مى بود چوماه در عمارى
ميزد نفسى گرفته چون ميغ   ميخورد غمى نهفته چون تيغ
(المرجع السابق ، ص ١٠٠)

ابن سلام ، وكان ذا جاه وفضل ، فأرسل إلى قومها يخطبها لنفسه ، « فجلس والدها ووالدتها يتشاوران فى الأمر ، وعلّقا أملاً كبيراً على تلك الخطبة ، وقررا أن قوله صادف قبولاً ، ولكن هذا الأمر يجب أن يتأخر بعض الوقت ، لأن ليلى — بستان هذا الربيع الجديد — تبدو عليها عوارض المرض[1] » . ففرح ابن سلام ورجع إلى قومه مسروراً .

وفى ذلك الوقت أيضاً ، كان رجل من فضلاء العرب — يدعى « نوفل » — يصطاد بالقرب من المكان الذى أقام المجنون فيه ، فرأى المجنون مضطرباً ، يعيش بين الحيوانات ممزّقَ الثياب ؛ وسأل عن حقيقته ، فعرف أنه فتى عاشق من قبيلة بنى عامر ، وقصَّ رفاقهُ عليه قصته ، فَرَقَّ له ، وجلس إلى جانبه ، وتحدث معه ، ثم وعده ببذل كل وسيلة للجمع بينه و بين ليلى ، سواء عن طريق المال ، أو بقوة السلاح ، فطيَّب بذلك خاطره ، ثم حمله ليقضى معه بعض الوقت فى لهو وسرور ، فقبل المجنون دعوته ، وهدأ « فأصبح بهدوئه ووقاره زينة لمجلس الطرب ، وكان ذلك الرجل العظيم الكريم ، يُسَرِّى عنه ، ويدلله بكل وسيلة ، فلا يأنس إلا بوجوده ، ولا يشرب الخمر إلا بصحبته الجميلة ، فقضيا معاً بضعة أشهر فى لهو ومرح ، يشربان الخمر ويمرحان[2] » .

---

(١) هم مادر وهم پدر نشستند وامید در آن حدیث بستند
گفتند سخن بجای خویش است لیکن قدری درنگ پیش است
کاین تازه بهار بوستانی دارد عرضی زناتوانی
(نظامی : لیلی ومجنون ، ص ١٠٢)

(٢) مجنون بسکونت وگرانی شد عاقل مجلس معانی
وان مهتر میهمان نوازش میداشت بصد هزار نازش
بی طلعت أو طرب نمی کرد می جز بجمال أو نمیخورد
ماهی دوسه در نشاط کاری کردند بهم شراب خواری
(المرجع السابق ، ص ١٠٧–١٠٨)

ولكن المجنون تذكر ليلى ، وأحس بمرارة الفراق ، فلام نوفل على تقصيره في الوفاء بما وعد به ، وأخذ يحثه على البر بوعده ، ويصور له مبلغ مايحس به من تباريح العشق ، ويقول له : « إننى لا أستسيغ من رجل مثلك قولاً لا وفاء فيه ، لأننى بدون المعشوقة ضعيف عليل ، كالظمآن البعيد عن ماء الحياة ، فكما يجب إعطاء الماء للظمآن ، ومَنْح الثروة للقرية الخربة المحتاجة ، يجب أن توصلنى بليلى ، وإلا فدع متيماً مثلى يهيم فى الصحارى ، وفك قيدى ، فيجب أن توصل ليلى إليّ ، وإلا فلن أوجد ، ولن توجد الحياة[(١)] » .

فتأثر نوفل بكلام قيس ، وجمع جيشاً ، وسار به إلى قوم ليلى ، ثم أرسل رسولاً لمفاوضتهم ، فخيّرهم الرسول بين الحرب ، وبين أن يقبلوا زواج المجنون من ابنتهم ليلى .

وقد رفض قوم ليلى فكرة الزواج ، فقامت الحرب بين الطرفين ، وكان قوم ليلى أكثر عدداً ، فاضطر نوفل إلى قبول الصلح ، وزالت — بالصلح — حالة الحرب بين الطائفتين[(٢)] .

ولكن المجنون ثار على نوفل ، وعاتبه عتاباً شديداً ، فاعتذر نوفل بقلة عدد رجاله فى المرة الأولى ، ووعد بمعاودة الحرب ، حتى يتم له مايريد ، ثم جمع جيشاً كبيراً ، ولم تلبث الحرب أن قامت — من جديد — بينه وبين قوم ليلى ،

---

(١) قولى كه در أو وفانه‌بينم   أز چون توكسى روانه‌بينم
بى يار منم ضعيف ورنجور   چون تشنه ز آب زندگى دور
شرطست بتشنه آب دادن   گنجى بده خراب دادن
گر سلسله مرا كنى ساز   ورنه شده گير شيفته باز
گر ليلى را بمن رسانى   ورنه نه من ونه زندگانى
(نظامى : ليلى ومجنون ، ص ١٠٨-١٠٩) .

(٢) صلح آمد دور باش در جنگ   تا أزدو گروه دور شد جنگ
(المرجع السابق ، ص ١١٤) .

فانتصر قوم نوفل « وأمعنوا فى خصمهم قتلاً وتجريحاً[١] » .

ثم أسرع قوم ليلى إلى نوفل يحاولون استرضاءه ، فطلب منهم ألا يقفوا فى طريق المجنون ، وأن يدعوه يتزوج ليلى التى يعشقها ، ويتفانى فى حبها ، فتضرع والد ليلى إلى نوفل أن يُعْفِيَه من هذا الشرط ، لأن من العار عليهم أن يصاهروا مجنوناً ، ثم قال له : « إما أن تستجيب لتضرعى ، وتعفينى من هذا القيد ، فندعو لك بأن تعيش حُرًّا طليقاً دائماً ، وإلا فإنى أقسم بالله أننى حينما أعود إلى ديارى ، وأبتعد عن تحكمك ، سوف أقتل هذه العروس الجميلة ، وألقى برأسها فى الطريق أمام الكلاب ، حتى أتخلص من اسمها وعارها ، وأستريح من الحرب والصلح بسببها[٢] » .

فرقَّ نوفل لحاله ، وكفَّ عن التدخل فى الموضوع ، بينما لامه المجنون ، وازداد اضطراباً ، وأسرع إلى الصحراء ، يعيد سيرته الأولى ، ويعاود معيشته بين الوحوش .

وألفت الحيوانات المجنون ، فاجتمعت حوله ، وكان هو يحاول تخليص بعضها من شبكة الصيادين ، فاطمأنت إليه ، واطمأن إليها ، وتابع حياته على هذه الصورة[٣] .

وذات يوم ، كان المجنون يستريح تحت شجرة فأبصر غراباً ، فخاطبه

(١) بر خصم زدند وبر شكستند   كشتند وبريختند وخستند
(نظامى : ليلى ومجنون ، ص ١١٧)

(٢) كر هيچ رسى مرا بفرياد   آزاد كنى كه بادى آزاد
ورنه بخدا كه باز كردم   وزنازتو بى نياز كردم
برّم سر آن عروس چون ماه   در پيش سگ افكنم در اين راه
تا بازرهم زنام وننگش   آزاد شوم ز صلح وجنگش
(المرجع السابق ، ص ١١٩–١٢٠)

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٤ — ١٢٩ .

ـ راجياً إياه ـ أن يخبر معشوقته بما يعانيـه فى سبيل حبها ، ثم يتوسط فى الجمع بينهما ، وأخذ يقول له : « قل لمعشوقتى (على لسانى) ـ فى اليوم الذى تصل فيه إليها ـ إن حالتى قد ساءت لبُعْدِك عنه ، فأنقذينى لأنك إن لم تنقذينى فسوف أهلك فى هذه الصحراء الخربة ، وإنى أخشى أن أموت بسبب هذا العشق الذى استبد بى ، إن لم تأخذى بيدى ، وتعملى على خلاصى ، وأن تأتى يوماً أكون فيه قد متُّ ، وحملتُ حبك إلى التراب[1] » .

ومرة ، كان المجنون يولى وجهه شطر منازل ليلى ، فأبصر عجوزاً تضع حبلاً فى عنق رجل ـ وكأنه أسير ـ ثم تقوده ، وتطوف به بين القبائل . فرقّ المجنون لحال الرجل ، واستفسر عنه ، فعرف أنها حيلة من المرأة والرجل لجمع الصدقات ، فأرسل المجنون إلى المرأة ، وتوسل إليها أن تقوده هو ، وتتوجه به شطر منازل معشوقته ، فقبلتْ ، وسارمعها « وكان كلما وصل إلى باب خيمة غَنّى ـ بجنون ـ أشعار العشق ، وذكر اسم ليلى وأكل الحجارة ، ثم رقص[2] » .

وأخذ يناجى معشوقته بهذه الطريقة ، ويبكى ، ويتذكر ما أصابه بسبب الحب ، وكيف أنه أصبح يحترق كالشمعة ، وكاد ينتهى ، وأنه ـ لذلك ـ يود أن يلقاها ، ليموت تحت قدميها ، ووجّه ـ لها ـ الخطاب ، قائلا « أفضل أن أموت تحت قدميك على أن أعيش معذب الروح ، فإذا لم يكن لى طريق إليك ،

---

(١) روزيكه رسى بنزديارم ... گو بى‌تو زدست رفت كارم
درياب كه گر تو در نيابى ... تا چيز شوم در اين خرابى
گفتى كه مترس دستگيرم ... ترسم كه در اين هوس بميرم
روزى آيى كه مرده باشم ... مهر تو بخاك برده باشم
(نظامى : ليلى ومجنون ، ص ١٣٠)

(٢) چون بر در خيمه رسيدى ... مستانه سرود بركشيدى
ليلى گفتى وسنگ خوردى ... در خوردن سنگ رقص كردى
(المرجع السابق ، ص ١٣٣)

فإنني – بعد الآن – سوف أنزوى ، وأتأوّه ، وأنطوى على نفسى ، فلا أجهر بالتأوه ، حتى لايُصَدِّع رأسك[1] » .

ثم غلب عليه الوجد « فانطلق كالسهم – بعد أن قال هذا – وازداد جنوناً ، فقطع الحبل ، وكرّ راجعاً إلى الصحراء ، وكأنما تَخَبَّطَه مَسٌّ من الشيطان[2] » .

أما ليلى ، فإن قومها لما فرغوا من حرب نوفل ، وأمنوا عدم مساعدته للمجنون ، عقدوا لابن سلام عليها ، ولم تلبث أن زُفَّتْ إليه ، فكانت مضطربة قلقة ، وصارت فى حيرة من أمرها ، فلم تكن تحب ابن سلام ، ولكنها – فى الوقت نفسه – كانت مضطرة لأن تقاسمه الحياة .

وحاول ابن سلام أن يرضى ليلى باللين من القول ، و بالوعود الخلابة ،ولكنه فشل ، فلم يستطع أن ينال منها شيئاً ، بل إنها أقسمت له قائلة : « سوف لايتحقق غرضك منى ، ولو أراق سيفك دمى[3] » .

وعلم المجنون بزواج ليلى ، فازداد اضطراباً ، ويَمَّمَ شطر ديارها ، ثم أرسل إليها عتابه مع الريح ، قائلا : « لقد اشتريتُ حبك بالروح ، فاخترتِ أنتِ

---

(١) در پاى توبه كه مرده باشم تا زنده وبى تو جان خراشم
چون نيست مرا بر تو راهى زين پس من وگوشه وآهى
سر داده وآه برنيارم تا پيش تو درد سر نيارم
(نظامى : ليلى ومجنون ، ص ١٣٥)

(٢) اين گفت وزجاى جست چون تير ديوانه شد وبريدزنجير
أز كوهه غم شكوه بگرفت چون كوهه گرفته كوه بگرفت
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) كز من غرض تو برنخيزد ور تيغ تو خون من بريزد
(المرجع السابق ، ص ١٤١)

حبّ رجل آخر[١] » .

ثم بيّن لها كيف خانت العهد ، وسجل عليها هذه الخيانة ، فقال لها : « حينما يتحدثون عن العهود ، ماذا يقولون عنك غير أنك خُنْتِ العهد[٢] ؟! . » .

وفى تلك الأثناء ، اشتاق والد المجنون لرؤية أبنه ، فذهب إلى الصحراء — للبحث عنه — حتى وجده ، ولكن المجنون لم يعرفه أولا ، « فقال له والده : أنا أبوك ، أبحث عنك بقلب محترق[٣] » .

فهدأ المجنون ، وعرف والده ، وركع ليقبل قدميه ، ثم قَبَّلَ كل منهما الآخر ، وطلب والده منه أن يقضى مابقى من عمره فى منزله ، قائلا : « ياروح والدك ، أقبل مسرعاً ، وأنقذ روح والدك قبل أن تذهب ، وعمِّر المنزل قبل أن أموت[٤] » .

غير أن المجنون اعتذر عن قبول دعوة والده ، قائلا : « أعرف أن أمرك واجب التنفيذ ، وأحاول أن أنفذه فلا أستطيع ، وليس عندى عقل ، فلِمَ تعجب من تصرفاتى ؟ ! . . إنى — وأنا عاشق — أرى أن العالم — جميعه — لايساوى حبة شعير ؛ وقد ساء حظى ، فأصبحت لا أعى شيئاً مما سمعته »[٥] .

---

(١) من مهر ترا بجان خريده تو مهر كسى دكر گزيده
(نظامى : ليلى ومجنون ، ص ١٤٧)

(٢) چون عهده عهد باز جويند جز عهد شكن ترا چه گويند
(المرجع السابق ، ص ١٤٨)

(٣) گفتا پدر توام بدين روز جوياى تو بادل جگر سوز
(المرجع السابق ، ص ١٥١)

(٤) اى جان پدر بيا وبشتاب تاجان پدر نرفته درياب
زان پيش كه من در آيم ازپاى در خانه خويش گرم كن جاى
(المرجع السابق ، ص ١٥٥)

(٥) فرمان تو كردنى است دانم كوشم كه كنم نميتوانم =

فرجع والده حزيناً ، ثم مرض من شدة الغم ، ومات سريعاً .

وسمع المجنون بوفاة والده ، فأسرع إلى قبره ، وأخذ يبكى ، ويترحم عليه ، ويسأل الله أن يغفر خطاياه هو ، لأنه أحدث لوالده كثيراً من المتاعب ، وسبب له مزيداً من الحزن والتألم ، ثم رجع مسرعاً إلى الصحراء ، ليأنس بالوحوش من جديد[1] .

« وسار يوماً بين أنحاء تلك المضبة ، فمر على منازل قوم معشوقته ، فرأى اسمى ليلى والمجنون مكتوبين معاً في ورقة ، بطريقة توحى بما بينهما من وفاء ، فحك بظفره الورقة ، فمحا اسم معشوقته ، وبقى اسمه ، فقال الناظرون : ما الحكمة في أن أبقيت — من الاسمين — اسماً واحداً ، فأجاب بأن الأفضل أن يرمز لنا بشخص واحد ، لأننا اتحدنا ، فصرنا قلباً واحداً ، فيكفينا اسم واحد[2] » .

وأنست الوحوش بالمجنون ، وكان كلما مر عليه مسافر قدم له طعاماً ، فكان يأكل منه ، ثم يلقى الباقى لتطعم منه الحيوانات ، مما جعلها تلتف حوله ، وتطيعه ، وصار هو كالملك عليها .

وقد علق نظامى على ذلك بأن الإحسان يأسر الحيوانات ، ويجعل الوحوش

= برمن زخرد چه سكه بندى   بر سكه كارمن چه خندى ؟!
در خاطر من كه عشق ورزد   عالم همه حبة نيرزد
بختم نه چنان بياد داداست   كز هيچ شنيده ايم ياداست
(نظامى : ليلى ومجنون ، ص ١٥٦)

(١) المرجع السابق ، ص ١٦٢-١٦٦ .

(٢) روزى ز قرارگاه آن دشت   برخاك ديار يار بگذشت
ديد أز قلم وفا سرشته   ليلى مجنون بهم نوشته
ناخن زد وآن ورق خراشيد   خود ماند ورفيق را تراشيد
گفتند نظارگان چه رايست   كز هر دو رقم يكى بجايست
گفتا رقمى به اربس افتد   كز مادورقم يكى بس افتد
(المرجع السابق ص ، ١٦٦-١٦٧)

مستأنسة ، وخاطب الإنسان بقوله : « وأنت ـ أيضاً ـ إذا فعلت مافعله ، فإنك سوف لاتحمل هم الدنيا ، ولو كان الخليفة جليسك ، لأنه سيصبح خادمك بعد أن يأكل طعامك[١] » .

وذات ليلة جلس المجنون يراقب النجوم ويناجيها ، فخاطب الزهرة بقوله : « تلطفي ـ بما لك من لطف ـ فافتحي أمامي باب الأمل ، وأوصلي رائحة من المعشوقة إلى مشامي ، فإنها دواء لروحي الهائمة ، وإن الوقت الآن مناسب لها[٢] » .

ثم وجه الحديث إلى المشتري قائلا : « انظر إليَّ بوفاء ، وإذا كانت لديك وسيلة ـ لمعاونتي ـ فهيئها[٣] » .

ولكنه يئس من الاستعانة بالكواكب ، فالتجأ إلى الله خالق الجميع ، وخاطبه ، « فقال : يامن بابك ملجئي . . لم ألجأ إلى أحد غيرك ؟ ! . . يامن الزهرة والمشترى طوع إرادتك . . إنك ربُّ الجميع . . إن علمك أكثر مما يعرف الخلق ، وإن فضلك أعظم مما يطلبون[٤] » .

(١) تونيز گر آن كنى كه أوكرد خوناب جهان نبايدت خورد
همخوان توگر خليفه نامست چون أز تو خورد ترا غلامست
(نظامى : ليلى ومجنون ، ص ١٧٢)

(٢) لطفى كن أزان لطف كه دارى بگشاد در اميـداورى
زان يار كه أو دواى جانست بوئى برسان كه وقت آنست
(المرجع السابق ، ص ١٧٨)

(٣) درمن بو نظارهٔ كن ور چارت هست چارهٔ كن
(المرجع السابق ، ص ١٧٩)

(٤) گفت اى در تو پناهگاهم در جز تو كسى چراپنـاهم ؟
اى زهره ومشترى غلامت سر نامـه نام جمله نامت
اى علم توبيش أز آنكه دانند وإحسان توبيش أز انكه خوانند
(نفس المرجع والصفحة)

وختم مناجاته لله بقوله : « لا تحرمني من رحمتك ، وأنا عاجز غريب ، فأوصل بفضلك لَيْلِي إلى نور الصباح ، واجعل نهاري مباركاً بنعمة الوفاء ، وخلِّص حظي من القيود والعقبات[1] » .

« فلما فرغ من مناجاته ذهب في النوم ، فرأى في الحلم صورة لحظة الحسن ، وهي أن شجرته ارتفعت ، ثم طار طائر من أعلى أغصانها ، وتوجه نحوه في مرح وسرور ، ثم ألقى جوهرة ، فاستقرت فوق مفرق رأسه ، فلما استيقظ من نومه ، كانت بشائر الصباح قد لاحت في الأفق ، فاستيقظ مسروراً نشيطاً كالصباح ، يحاول أن يحقق أحلامه في العشق ، فسعد بهذا الحلم الجميل ، وطار من شدة الفرح ، كما طار ذلك الطائر الذي أبصره في النوم ، لأن مجال الوصال ضيق في العشق ، فلا يكون السرور إلا في الخيال ، أو في الحلم[2] » .

ثم جلس المجنون بين الوحوش كعادته ، وقلبه يخفق بالآمال ، وما لبث أن رأى رسولاً يأتي إليه ، ويخبره بأنه أبصر ليلى في حالة اضطراب وحزن ، لبعدها

---

(١) مگذار که عاجزی غریبم أز رحمت خویش بی نصیبم
آن کن ز عنایت خدائی کاید شب من بروشنائی
روزم بوفا خجسته گردد بختم ز بهانه رسته گردد
(نظامی : لیلی ومجنون ، ص ١٨٠)

(٢) چون یك بیك این سخن فرو گفت در گفتن این سخن فرو خفت
در خواب چنان نمود بختش کز خاك براوج شد درختش
مرغی بپریدی أز سرشاخ رفتی براو بطبع گستاخ
گوهر زدهن فروفشاندی بر تارك تاج اونشاندی
بیننده ز خواب چون در آمد صبح أز أفق فلك بر آمد
چون صبح زروی تازه روئی میکرد نشاط مهر جوئی
زان خواب مزاج بر گرفته زان مرغ چو مرغ بر گرفته
در عشق که وصل تنگ یابست شادی بخیال یا بخوابست
(نفس المرجع والصفحة)

عنه ، وأنها كتمتْ عشقها حتى كادت تهلك ؛ ثم قال له على لسان ليلى : « كنتُ ليلى ولكنى ـ الآن ـ أكثر جنوناً من ألف مجنون[(١)] » .

وسلّمه رسالة منها ، قالت فيها : إنها و إن كانت مع زوج غيره ، فإن قلبها متعلق به ، وتود أن تعيش كنفه ، ولكنها لا تملك من الأمر شيئاً ، فهى ترثى لحاله ، ولكنها لا تستطيع أن تفعل شيئاً[(٢)] .

فلما قرأ المجنون رسالتها بكى وناح ، وأخذ من الرسول ورقة وقلماً ، وكتب الرد على رسالتها ، فوصف لها ما يعانيه من ألم الفرقة ، وأخذ يصفها بالوفاء تارة ، و يلومها تارة أخرى ، ثم ختم رسالته بقوله : «ليس عندى غم مادمْتِ سالمة ، ولو أن جرحى لاعلاج له[(٣)] » .

وفى تلك الأثناء حاول خال المجنون ـ وكان يدعى « سليم العامرى » ـ أن يراه ، فأخذ يبحث عنه حتى وجده ، فألفاه ممزّق الثياب ، يعيش فى ذهول وحيرة ، فعرض نفسه عليه ، ولكن المجنون لم يعرفه ، فعرّفه سليم بنفسه ، فاطمأن إليه ، وجلس بجواره ؛ ثم حاول سليم أن يقدم للمجنون ثوباً وطعاماً ، فرفض ، وطلب منه أن يحضر له والدته ليراها .

فرجع سليم ، ثم عاد إليه ـ مرة أخرى ـ ومعه والدته ، فسُرّ المجنون برؤية والدته ، وأرادت هى أن تحمله معها إلى المنزل ، فلم يقبل فرجعتْ حزينة ، ثم لم تلبث أن مرضت ، وماتت ؛ فزاره خاله للمرة الثالثة ، وأنبأه بما حدث ، فبكى المجنون ، وتذكر والديه ، وأسرع للجلوس على قبريهما . وعلم بنو قبيلته بمافعل،

---

(١) ليلى بودم وليكن اكنون مجنون‌ترم أز هزار مجنون
(نظامى : ليلى ومجنون ، ص ١٨٣)

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٦–١٩٠ .

(٣) بازخم من أرچه مرهمى نيست چون تو بسلامتى غمى نيست
(المرجع السابق ، ص ١٩٨)

فذهبوا إليه ، وواسوه ، فهدأ قليلاً ، « ثم صرخ ، وتركهم ، وقفل راجعاً إلى الصحراء ؛ وأخذ يهيم على وجهه ، وصار حزيناً مغموماً ، وتبعته بعض الحيوانات ، بعد أن أصبح وحيداً ، لاصديق له[1] » .

ولما وصلت رسالة المجنون إلى ليلى بكت حتى بلل دمعها الرسالة ، ثم صمَّمَتْ على رؤية معشوقها بأية وسيلة ـ رغم تجسس الرقباء ـ ، فاستعانت بشيخ مجرب خبير بمسالك الصحراء ، وأعطته بعض المال ، لـكى يهيىء لها فرصة لقاء المجنون ، والجلوس معه .

ونجح الشيخ فى مهمته ، فتمكنت ليلى من رؤية قيس ، ولـكنه لم يكد يراها حتى سقط على الأرض مغشياً عليه ، فلما أفاق قرأ عليها بعض أشعاره التى تغنى فيها بحبه ، ثم أخذ يناجيها « فلما فرغ من هـذا عاد إلى الصحراء ، وقلبه يتفطر حزناً ، وعقله يطير شعاعاً ، أما معشوقته الجميلة ، فقد رجعتْ ـ إلى مخيمها ـ من حيث أتت[2] » .

وسمع شاب ثرى ـ يدعى « سلام » ـ[3] قصة المجنون ، وكان هو عاشقاً

---

(١) آهى زد وراه كوه برداشت　　رخت خود أزان گروه برداشت
میگشت بگرد کوه وهامون　　دل پرجگر وجگر پرازخون
مشق ددگان فتاده ازپس　　نه یارکس ونه یاراوکس
(نظامى : ليلى ومجنون ، ص ٢٠٧)

(٢) این گفت وگرفت راه‌صحرا　　خون در دل ودر دماغ صفرا
وان سرو رونده زان چمنگاه　　عد روى گرفته سوى خرگاه
(المرجع السابق ، ص ٢١٨-٢١٩)

(٣) ذكر نظامى فى منظومته هذه أن « سلام » كان من أهل بغداد ، رغم أن بغداد لم تكن قد بنيت فى الوقت الذى وجدت فيه قصـة عشق ليلى والمجنون ، ويبدو أن الشاعرأخطأ فى ذكر هذه الواقعة . وقد وردفى كتاب «تزيين الأسواق» للأنطاكى ، ص ٦٤ . أن « سلام » رجل شامى ، ولعل هذا أقرب إلى الحقيقة مما ذكره نظامى .

متيماً ، فتوجه إلى ديار المجنون ، وظل يبحث عنه حتى وجده ، فجلس بجواره ، والتفت الوحوش حولهما ، ثم قدم له طعاماً ولباساً ، فلم يقبل شيئاً ؛ فأقام معه بضعة أيام ، كان فى أثنائها يسجل شعره ، ويحفظه ؛ ثم رحل ، وتركه ، وصار راوية لأشعاره ، وقد أثرت أشعار المجنون فى الناس ، فاستولت على مشاعرهم ، وسلبت عقولهم ، « فكان (سلام) كلما قرأ قصيدة فى مكان ما ، اضطربت عقول السامعين[1] » .

أما ليلى فإن زوجها لم يلبث أن مرض ومات ، بعد أن قضى معها مدة ، لم تحقق له فى أثنائها رغبة ، ولم تشعره بأى حب أو ميل ، فتظاهرت بالحزن « وأخذت تندب زوجها فى الظاهر ، وتبكى على فراق معشوقها فى الحقيقة[2] ».

« وكانت عادة العرب أن تحتجب المرأة بعد وفاة زوجها ، فلا تُرِى وجهها لأحد ؛ فتظل فى خيمتها عامين ، لا ترى باب أحد ، ولا يرى أحد بابها[3] » .

فاحتجبَتْ ليلى ، ثم لم تلبث أن مرضت بعد ذلك ، وأحسَّت بدُنُوِّ أجلها ، فنادت والدتها ، وأوصتها قائلة : « اجعلى كفنى أحمر اللون لأنى شهيدة ، حتى يكون — هذا اللون لون ثيابِ زفافى (يوم القيامة) ، وزينينى كالعروس ، وأسلميني للتراب مغطاة الوجه ، فإننى أعرف أن معشوقى حينما يعلم أننى اغتربت عن وطنى سوف يأتى ليسلم على قبرى — على سبيل العزاء — ؛ فإذا جلس على قبرى فسوف يبحث عن القمر ، ولكنه لن يجد إلا التراب ، فيبكى ذلك الغريب المسكين من شدة

---

(١) هرجا كه يكى قصيده خواندى هوش شنونده خيره ماندى
(نظامى : ليلى ومجنون ، ص ٢٢٦)

(٢) ميكرد زبهر شوى فرياد وآورده نهفته دوسترا ياد
(المرجع السابق ، ص ٢٣٦)

(٣) رسم عربست كز پس شوى ننمايد زن بهيچكس روى
سالى دوبخانه در نشيند أو دركس وكس در أو نبيند
(نفس المرجع والصفحة)

الحزن والألم ... إنه معشوق ، وهو حبيب عزيز للغاية ، وهو تذكاري لديك ، فأكرميه بحق الله عليك ، ولا تنظري إليه باحتقار ، فقد كنتُ أعِزُّه ، فأعزّيه أنت – أيضاً – مثلي ، وقولي له : إن ليلى حينما تخلصت من قيود هذه الدنيا الكئيبة ، كانت تُسلم جسدها للتراب فى سبيل حبك ، وتسلم الروح الطاهرة ، مطوية على ذكراك ، فقد أخلصت فى عشقها إياك ، وقدمت روحها قرباناً للعشق ، فلم نسأل عن أحوالها حينما رحلت ؟! .. إنها خرجت من الدنيا بحبك . وكانت حتى آخر لحظة من حياتها ، لاتحمل غير همك ، وفى الوقت الذى كانت تودع فيه الحياة حزناً على فراقك ، كانت تحمل زاد طريقها من إحساساتك ، واليوم – وهى خلف حجاب التراب – تتألم حنيناً إليك ، وهى كالمنتظرين فى طريق الآخرة ، تقف قبلاك لترقب مجيئك ، وستقف وترقب حتى تلحق بها[1] » .

(١) خون كن كفنم كه من شهيدم ‏ ‏ تا باشد رنگ روز عيدم
آراسته كن عروس وارم ‏ ‏ بسپار بخاك پرده دارم
آواره من چو گردد آگاه ‏ ‏ كاواره شدم من از وطن گاه
دانم كه ز راه سوگوارى ‏ ‏ آيد بسلام اين عمارى
چون بر سر خاك من نشيند ‏ ‏ مه جويد ليك خاك بيند
برخاك من آن غريب خاكى ‏ ‏ ناله بدريغ ودردناكى
ياراست وعجب عزيز ياراست ‏ ‏ از من ببرتو يادگاراست
از بهر خدا نكوش دارى ‏ ‏ در وى نكنى نظر بخوارى
آن دل كه نيابيش بجوئى ‏ ‏ وان قصه كه دانيش بگوئى
من داشته‌ام عزيز وارش ‏ ‏ تونيز چو من عزيز دارش
گو ليلى ازين سراى دلگير ‏ ‏ آن لحظه كه ميبريد زنجير
در مهر تو تن بخاك ميداد ‏ ‏ برياد توجان پاك ميداد
در عاشقى تو صادقى كرد ‏ ‏ جان در سر كار عاشقى كرد
أحوال چه پرسيم كه چون رفت ‏ ‏ با عشق تواز جهان برون رفت
تا داشت در اين جهان شمارى ‏ ‏ جز با غم تونداشت كارى =

ثم لفظت ليلى نفسها الأخير ، فقام أهلها بدفنها حسب الوصية ، وعلم المجنون بوفاتها ، فأخذ يبكى وينوح ، وازداد اضطرابا وجنونا ، ثم صار يدعو الله أن يخلصه مما هو فيه من عناء ، ويوصله إلى محبوبته ، فناجاه بقوله : « ياخالق كل الموجودات ، أدعوك وأتوسل إليك بأحب المخلوقات إليك ، أن تخلصنى من محنتى ، وأن توصلنى إلى حضرة معشوقتى ؛ حتى أخلص من قيد الروح ، وأستريح بالرحيل من الدنيا[1] » .

« ووضع المجنون رأسه على قبر معشوقته ـ بعد أن قال هذا ـ وضم القبر إلى صدره ، وأخذ يقول : يامعشوقتى حتى فاضت روحه ، فعبر من نفس الطريق.. ومن ذا الذى لايعبر من هذا الطريق ؟!...[2] » .

« وظل المجنون ملقى على تلك الصورة شهراً وقيل عاماً[3] » .

= وان لحظه كه در غم تو ميمرد غمهاى تو راه توشه مى برد
وامروز كه در نقاب خاكست هم در هوس تو دردناكست
چون منتظران درين گذرگاه هست از قبل تو چشم برراه
مى بايـد تا تودرپى آيى سرباز پس است تا كى آيى

(نظامى : ليلى ومجنون ، ص ٢٥١–٢٥٢).

(١) كاى خالق هرچـه آفريداست سوگنـد بهرچه برگزيداست
كز محنت خويش وارهانم در حضرت يار خويش رسانم
آزاد كنم ز سخت جانى واباد كنم بسخت رانى

(المرجع السابق ، ص ٢٦٤).

(٢) اين گفت ونهاد برزمين سر وان تربت را گرفته دربر
چون تربت دوست دربر آورد اى دوست بگفت وجان براورد
أونيز گذشت از اين گذرگاه وان كيست كه نگذرد بر اين راه

(نفس المرجع والصفحة).

(٣) افتاده بماند هم برآن حال يكماه وشنيده ام كه يكسال

(المرجع السابق ، ص ٢٦٨).

وكانت الوحوش تحرسه ، فلم يجرؤ أحد على أخذه ودفنه ، حتى شاع نبأ موته بين القبائل ، وعلم أهله بذلك، فتوجهوا إلى المكان الذى مات فيه ، «ففتحوا القبر، ودفنوه بجوار معشوقته ليلى ، فناما بالحب إلى يوم القيامة ، و بَعُدَتْ عن طريقهما الملامة ، فقد كانا ــ فى هذه الدنيا ــ مرتبطَيْن بعهد واحد ، فناما ــ فى الآخرة ــ فى مهد واحد[1] » .

ثم ختم الشاعر منظومته بمدح حاكم شروان الذى قدم له القصة متمنياً أن أن تكون عاقبتها سعيدة[2] . وذكر أبياتا تشير إلى تاريخ إتمامها بصفة نهائية .[3]

* * *

هذه قصة «ليلى والمجنون» كما عرضها نظامى ، و بديهى أنه اعتمد فى نظمها ، وتصوير مناظرها على الأصل العربى لها ، فيحسن أن نقارن بين تصويره القصة و بين أصلها العربى ، حتى نستطيع أن نصدر حكماً صحيحاً على الشاعر وفنه .

---

(١) پهلوكه دخمه‌را گشادند در پهلوى ليليش نهادند
خفتند بناز تا قيامت برخاست زراهشان ملامت

(نظامى : ليلى ومجنون ، ص ٢٦٦)

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧١ — ٢٧٤ . وقد سبقت الإشارة إلى شىء من هذا المديح .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٤ . حيث ذكر أن المنظومة ختمت فى عام ٥٨٨ هـ ، وقد سبقت مناقشة مايتعلق بهذا التاريخ .

الفصل الثالث

مقارنة تصوير نظامى لقصة « ليلى والمجنون » بالأصل العربى لها

لعل أهم ما نلاحظه فى تصوير نظامى ـ لقصة « ليلى والمجنون » ـ أنه تقيد فى تصويره لمناظرها ، وفى تسلسل هذه المناظر ، بالأصل العربى لها إلى حد كبير ، فلم يحدث فيها تغييراً حاسماً ، ولكنه ـ رغم هذا ـ أضاف إليها مناظر جديدة ، جعلها تتخلل المناظر التى سجلتها المصادر العربية ، لتوضيح بعض جوانب القصة ، وإكمال بعض أجزائها .

وأشهر هذه المناظر هى : ذهاب ليلى إلى البستان مع بعض زميلاتها ، واضطرابها لسماع بعض غزليات المجنون ، ومجىء خال المجنون إليه ، وإحضار أمه لرؤيته ، وقصة المجنون مع سلام البغدادى[1] ، ووفاة زوج ليلى . فهذه المناظر لم تشاهد فى الأصل العربى للقصة ، بل أضافها نظامى إليها ، فى منظومته « ليلى ومجنون[2] » .

كما جعل الشاعر ليلى والمجنون يتعارفان فى أثناء دراستهما فى مكتب ـ كان يتعلم فيه أبناء القبائل ـ مخالف بذلك الروايات العربية التى تشير إلى أنهما تعارفا بينما كانا يرعيان الإبل[3] ، أو فى مجمع كان يضم ليلى وبعض زميلاتها[4] .

(١) سبقت الإشارة إلى خطأ الشاعر فى نسبة سلام إلى بغداد لأنها لم تكن بنيت فى ذلك الوقت .

(٢) على أصغر حكمت : رومئو وجوليت شكسبير مقايسه بليلى ومجنون نظامى ، ص ٥٥ ـ ١٠٢ .

(٣) الإصفهانى : الأغانى ، ج ١ ، ص ١٧٠ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٣٥٦ . وهذا مايبدو من أشعار قيس فى ديوانه الذى جمعه أبو بكر الوالبى ، ص ٢ .

(٤) الإصفهانى : الأغانى ج ٢ ، ص ١٧٨ ، الأنطاكى : تزيين الأسواق ص ٥٣ .

ولكننا – مع ذلك – نستطيع أن نقرر أن نظامى لم يحور فى القصة تحويراً كبيراً، ولم يغيِّر فى تسلسل سير الوقائع تغييراً واضحاً، لأنه وجدها قصة مشهورة تردِّدها مصادر كثيرة[1].

ويبدو من ثنايا المنظومة أن الشاعر اطلع على الأصل العربى، وتقيد به، مما جعل المجال ضيِّقاً أمامه، وسد فى وجهه طريق الابتكار، وخَلْق مشاكل جديدة فى القصة، قد تُكْسِبُها جدة وطرافة.

ويبدو هذا واضحاً إذا قارنّا منظومة « ليلى ومجنون » بمنظومة الشاعر السابقة « خسرو وشيرين » ؛ التى كان المجال فيها واسعاً أمام الشاعر، فتمكن من الخلق والابتكار، مما أكسب المنظومة شيئاً من الطرافة، يفوق مانجده فى منظومة « ليلى ومجنون » بمراتب كثيرة[2].

ولكننا – رغم هذا – نجد فرقاً واضحاً بين تصوير نظامى للقصة، وبين الأصل العربى لها. لأن الشاعر تأثر فى منظومته بمذهبه هو فى الدعوة إلى الفضيلة والتغنى بالعفة، والخلق القديم، والوفاء، والتفانى فى الحب، وحرص كل من العاشقين على أن يعمل مافى وسعه للقاء معشوقه.

---

(١) وردت قصة ليلى والمجنون فى كثير من الكتب التى ألفت قبل نظامى وبعده مثل: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٣٥٥ – ٣٦٤، الإصفهانى: الأغانى، ج ١، ص ١٦١–١٨٢، ج ٢، ص٢–١٧، ابن نباته: سرح العيون، ص٢٤٤–٢٤٧، البغدادى: خزانة الأدب، ج ٢، ص ١٧٠–١٧٣، الأنطاكى: تزيين الأسواق، ص ٥٣–٧٠، حسين بايقرا: مجالس العشاق، ص ٢٠٠–٢٥٦، الوالبى: ديوان قيس، ص ٢–١١٠، كما تحدث عنها وناقش مايتعلق بأبطالها طه حسين فى كتابه: حديث الأربعاء، ج ٢، ص ٤–٨.

(٢) لعل من الأسباب التى جعلت نظامى لايبدع فى قصة ليلى والمجنون، كما أبدع فى قصة خسرو وشيرين أنه تسرع فى نظم القصة، فأتمها فى أربعة أشهر، مما جعله لايجد الفرصة الكافية للخلق والإبداع.

فالقصة العربية ـ مثلًا ـ[1] تجعل موقف ليلى سلبياً ، فهى تحب «قيس» ، ولكنها لا تستطيع أن تعصى أمر والدها ، فتكتم حبها بين جوانحها ، ولاتحاول أن تتصل بقيس بأية وسيلة من الوسائل ، وتتزوج ابن سلام كارهة ، ولكنها تعيش معه ، وتؤدى له ماعليها من واجبات نحوه ، وينال منها ما له من حقوق الأزواج .

أما نظامى ؛ فصوَّر ليلى فى صورة العاشقة التى لا تكتفى بالموقف السلبى ـ كأن تكتم حبَّها ، وتقنع بذلك ـ وإنما تحاول أن تتصرف تصرفاً إيجابيًا ، فترسل الرسائل إلى قيس ، لتتلقى منه الجواب ، ثم تحتال للقائه بواسطة شيخ خبير بمسالك الصحراء ، أعطته بعض المال .

فنظامى يجعل ليلى كقيس تشقى بالحب ، وتسعى لرؤية الحبيب بمختلف الوسائل .

ورغم أن الشاعر قد جعل ليلى تتزوج ابن سلام كارهة ؛ إلا أنه صوَّرها فى صورة البطلة التى لا تستسلم لغير من تحب ، حتى ولو كان زوجاً شرعياً ، فوجدنا ليلى تأبى أن تمكِّن زوجها من نفسها ، ولو أراق دمها بسيفه ، وتظل متمسكة بذلك إلى آخر لحظة من حياة زوجها ، الذى مرض حزناً وكمداً ، وانتهى أمره إلى التلف ، وهذا يخالف ـ تماماً ـ ماورد فى الأصل العربى للقصة .

كما فعل نظامى ـ فى هذه القصة ـ مافعله فى قصة « خسرو وشيرين » من قبل فصوَّر العواطف المتناقضة ، والمشاعر المتباينة .

فهو يصوِّر فى منظومته « ليلى ومجنون » ثلاث صور من الأبوة :

الأولى : صورة أبى المجنون ، الذى يطيع ابنه فى كل مايريد ، ويحنو عليه ، ويسعى فى سبيل إسعاده ، ولكنه لا يوفَّق إلى عمل شىء يجلب لابنه

---

(١) لا أجد ضرورة لسرد ماورد فى القصة العربية لأنها مشهورة معروفة ، لاتحتاج إلى ترديد القول .

مايبغيه من سعادة ، فيحزن على ماحل به ، ويموت كمداً .

والثانية : صورة أبى ليلى ، الذى كان على النقيض من أبى المجنون ، لا يطيع ابنته ، ولا يسعى لجلب السعادة لها ، ولا يستجيب لعواطفها ، معتبراً دواعى الشرف أعلى منزلة من دواعى السعادة .

والثالثة : صورة نظامى نفسه ، كوالد يُحب ابنه «محمد» ، وهى صورة للوالد المثالى ، الذى يوجه ابنه وينصحه ، ويرسم له طريق السير فى الحياة ، ويدعوه إلى العمل والرفعة ، ويرشده إلى طريق المجد .

كما صور نظامى عشق قيس فى صورة مثالية تشبه عشق الصوفية ، فجعله يحب للحب لا لشىء آخر ، ويعشق للعشق المجرد ، وهذا يشبه مانجده عند الصوفية من عشق العشق .

وقد صوَّر نظامى عشق المجنون فى صورة عاطفة لا دواء لها إلا الموت ، فكل من العاشقَيْن يعتقد أن الموت هو الوسيلة الوحيدة للقاء معشوقه ، والاتحاد معه ، والشعور بالسعادة الأبدية ، فوجدنا ليلى ـ حينما تشعر بالموت ـ تطلب أن يُبلَّغ المجنون أنها تنتظره ، وترقب طريق قدومه ، كما وجدنا المجنون يدعو الله أن يميته ، وأن يخلصه من أسر الحياة إلى الفناء الذى فيه الاتحاد مع المعشوقة ، والسعادة الدائمة إلى يوم القيامة .

والعشق فى هذه الحالة يهب العاشق قوة عجيبة ، ولذلك وجدناه يمنح المجنون قوة غريبة ـ كالتى منحها لفرهاد فى قصة « خسرو وشيرين » ـ فعاش مع حيوانات الصحراء ، وَأَلِفَهَا وَأَلِفَتْهُ ، كما أكل الحجارة والحديد ، وصبر على الجوع والعراء .

وأضفى الشاعر على كل من ليلى وقيس صفات البطولة ، ليكون كل منهما جديراً بالدور الذى يمثله فى القصة ، فجعل ليلى مثالاً للعفة ، والإخلاص ، والوفاء ، والتضحية فى سبيل من تحب ، وقد ظلت كذلك حتى آخر لحظة من

حياتها ، واستطاعت أن تظهر بطولتها ــ حينما شعرت بالموت يدب إلى أوصالها ــ فأطلعتْ والدتها على دخيلة نفسها ، وصرحت لها بأنها تموت فى سبيل معشوقها قيس ، وطلبتْ منها أن تخبره بذلك ، ليزداد قلبه اطمئناناً ، و إيماناً بأنها أحبته ، وأخلصتْ فى حبه ، وضحتْ بكل شىء فى سبيله .

كما طلبت ليلى أن يكرموا معشوقها ، وألا يحتقروه ، وأن ينظروا إليه كما كانت تنظر هى إليه ، وهذه التصرفات الإيجابية التى أسندها الشاعر إلى ليلى ليست واضحة فى المصادر العربية وضوحها فى منظومة نظامى .

كما أوضحت المنظومة إخلاص قيس ، ووفاءه ، وتضحيته المفرطة فى سبيل معشوقته ، إلى آخر لحظة من حياته ثم بيَّنت كيف مات بطلاً .

ولعل من الأشياء الجديرة بالملاحظة ، أن الشاعر جعل نهاية قصة « ليلى والمجنون » تشبه إلى حد كبير نهاية « خسرو وشيرين » ؛ فقد مثَّل قيس ــ بعد وفاة ليلى ــ نفس الدور الذى مثلته شيرين بعد وفاة خسرو ، مع فارق يسير هو أن شيرين فعلت ذلك داخل القبر ، بينما فعله قيس خارجه .

كما نلاحظ أن الشاعر يردد نفس النغمات التى ردَّدها من قبل ، ويحاول أن يُنطق بعض الشخصيات بآرائه هو ، فترددت ــ فى أجزاء القصة ــ الدعوة إلى الفضيلة ، والعدل ، والإقلاع عن الظلم ، وحسن المعاملة ، فرأيناه يتخذ من أحب الحيوانات للمجنون ــ لإطعامه إياها ــ دليلاً على أن الإحسان يأسر الحيوانات ، ثم دعا الإنسان إلى فعل ذلك حتى يحبه الجميع ، ويدينوا له بالولاء .

وهكذا نجد أن تصوير نظامى للقصة يختلف اختلافاً بيِّناً عن الأصل العربى لها ، فرغم اعتماده على ما ورد فى المصادر العربية ، وتأثره به فى تصويره لمناظر القصة ، وفى تسلسل هذه المناظر ، إلا أنه لوَّنها بطريقته الخاصة ، فأكسبها بعض الألوان الزاهية الممتعة ، ولم يحرمها من تطبيق مذهبه هو فى نظم مثل هذه القصص ، فانعكست فيها صورٌ من هذا المذهب

ومهما يكن من شيء ، فإن نظامى هو أول من نظم قصة « ليلى والمجنون » — فى هذه الصورة — بالفارسية . فله بذلك فضل السبق .

وقد حاول كثير من شعراء الفارسية والتركية أن يقلدوه ، فأعادوا نظم القصة ، وتأثروا بما ورد فى منظومة نظامى ، وحاولوا أن يترسموا خطاه .

وأشهر من قلدوه من شعراء الفارسية : أمير خسرو الدهلوى المتوفى فى عام ٧٢٥ هـ ، ونظم القصة تحت عنوان « مجنون وليلى » ؛ وعبد الرحمن الجامى المتوفى فى عام ٨٩٨ هـ ؛ وهاتفى المتوفى فى عام ٩٢٧ هـ ؛ وضميرى المتوفى فى عام ٩٧٣ هـ ؛ وروح الأمين المتوفى فى عام ١٠٤٧ هـ ، الذين نظموها تحت عنوان « ليلى ومجنون » .

وأشهر من قلدوه من شعراء التركية ميرعليشيرنوائى المتوفى فى عام ٩٠٦ هـ ، ونجاتى المتوفى فى عام ٩١٤ هـ ؛ وخيالى المتوفى فى حدود عام ٩٢٩ هـ ؛ وفضولى المتوفى فى عام ٩٦٣ هـ .

وهذا يبين مدى تأثير نظامى فى غيره من الشعراء ، ومدى ما أصابته قصة « ليلى والمجنون » من عناية الشعراء ، ومن الشهرة والانتشار .

وأبرز من تأثروا بنظامى أمير خسرو الدهلوى ، فقد نظم القصة فى نفس البحر الذى اختاره نظامى من قبل ، كما تأثر به فى تصوير المناظر ، وذكر الحوادث وتسلسلها ، ولم يختلف عنه إلا فى القليل النادر[١] .

* * *

ونكتفى بهذا القدر عن منظومة « ليلى ومجنون » ، لننتقل إلى دراسة منظومة الشاعر الرابعة « هفت پيكر » .

---

(١) Mohammad Wahid Mirza, The life and works of Amir Khusrau, pp. 198-200.

الباب الرابع

منظومة «هفت بيكر»

الفصل الأول

دراسة حول منظومة هفت پيكر [1]

نظم الشاعر منظومته الرابعة « هفت پيكر » فى بحر الخفيف ، وهى تشتمل على ٥١٣٠ بيت من الشعر تقريباً .

وأتم نظمها فى عام ٥٩٣ هـ ، وأثبت هذا التاريخ فى آخر المنظومة فقال : « أتممتُ هذه المنظومة ـ كالمشهورين ـ بعد أن انقضت أربع ساعات من اليوم الرابع عشر من شهر الصيام ، بعد ثلاثة أعوام تزيد على التسعين والخمسمائة[2] » .

وهذا التاريخ يكاد يكون التاريخ الوحيد المتفق عليه بين جميع الباحثين . فلا مجال للشك فيه ، كما أن القرائن التاريخية تؤيده ؛ لأن الشاعر قدم منظومته لعلاء الدين كرب آرسلان الذى كان حاكما على مراغة فى ذلك الوقت ـ كما مرّ ـ مما يجعلنا نرجح هذا التاريخ .

* * *

وجعل نظامى بطل منظومته من بين ملوك الفرس القدماء ، فاختار شخصية «بهرام كور» أو «بهرام الخامس» الذى حكم من عام ٤٢٠ إلى عام ٤٣٨ م[3] .

(١) « هفت پيكر » معناها : « الصور السبع » ولعل الشاعر يقصد صور بنات ملوك الأقاليم السبعة التى رآها بهرام مرسومة على حيطان قصر الخورنق .

(٢) أز پس پانصد ونودسه بران   كفتم اين نامه را چو ناموران
روز برچارده زماه صيام   چار ساعت زروز رفته تمام
(نظامى : هفت پيكر ، ص ٣٦٦-٣٦٧)

(٣) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٢ ، ص٨١ . حيث يقول «إنه ملك=

وصور نظامى «بهرام» من ناحيتين ، ناحية عامة يتعلق بحروبه وفتوحاته ، وناحية خاصة تتصل بحبه ، وزواجه وحياته العائلية الخاصة ، وربط بين الناحيتين ربطاً وثيقاً .

وذكر الشاعر أن هاتفاً أوحى إليه أن ينظم هذه القصة ، فانشرح صدره لها ، فأخذ فى نظمها[1] .

ويبدو أن الشاعر حاول أن يبرر نظمه لقصة ملك غير مسلم فاختلق هذا العذر ، حتى لا يتهم بأنه يحيي رسوم الزرد شتيين ، كما اتهم فى أثناء نظم قصة «خسرو وشيرين» ؛ وهذه طريقة درج عليها الشاعر، قبل الشروع فى نظم قصصه .

ولم يحاول نظامى أن يذكر أن حاكماً بالذات قد طلب منه نظمها ، كما حدث فى منظومة « ليلى ومجنون » ، لأنه نظمها من تلقاء نفسه ثم قدمها لحاكم مراغه « علاء الدين كرب آرسلان » ، وكان حاكما ضعيفاً لا حول له ولا طول ، ولـكن الشاعر أضفى عليه صفات البطولة والعظمة ، فى سبيل الظفر بالجائزة .

وحاول الشاعر أن يوحى إلى الملك باتخاذه شاعراً خاصاً له ، فقال مخاطباً إياه : « إن الملك الذى كان اسمه ملـكشاه ، كان له وزير يرعى الدين مثل السيد « نظام الملك » ، وأنت أرفع منه منزلة ، لأن لك شاعرا كنظامى ، وقد ارتفع اسم نظامى بفضلك ، وسعدت حياته بفيضك[2] » .

ثمانى عشرة سنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً . ثم يذكر رواية أخرى تقرر أنه ملك ثلاثا وعشرين سنة ، وعشرة أشهر وعشرين يوماً ؛ ثم يقول : «ولـكن الأولى أرجح » .

(١) نظامى : هفت پيكر ، ص ١٥–٢١ .

(٢) وان ملـكرا كه بد ملـكشه نام بود دين پرورى چو خواجه نظام
توكز ايشان به افسرى دارى چون نظامى سخنورى دارى
اى نظامى بلنـد نام از تو يافتـه كار أو نظام از تو
(نظامى : هفت پيكر ، ص ٣٢)

وأخذ يشوّق الحاكم على منحه بسخاء ، فقال : « إن الملوك الآخرين يمنحون ـ بسَفَه ـ فى سبيل التظاهر والرياء ، وهم يبذرون الحب فى الأرض المِلْحة ، ويضعون الكحل فى العين العمياء ، وإن بذر الحب فى الأرض الملحة لن يُغلّ إلا الندم ، فالشجر يجب أن يُزْرع فى الأرض الطيبة ، حتى ينتج ثمراً مثل جنة الفردوس (١) » .

ثم بيّن للحاكم أنه جعل المنظومة باسمه إلى الأبد ، حتى يقدرها حق قدرها ، فقال : « جعلتُ هذه المنظومة الخالدة ، باسمك إلى الأبد ، لأنه فأل ميمون ، وإنه لسعيد ذلك الشخص الذى يجنى ثمار هذه المنظومة ، ويزود بها منزله ، فإن اسمه سيذكر أبد الدهر (٢) » .

ثم بيّن الشاعر احتياجه إلى العطاء ، فقال : « أنا محتاج لعطاء تلك اليد ، لأنى أقفلتُ فمى عن المياه الأخرى (٣) » .

ولا ندرى ـ رغم هذا ـ ما إذا كان الحاكم قد أثاب الشاعر على عمله أم لا ،

---

(١) خسروان دیگر زكان گزاف ‌ ‌ ‌ میزنند از خزینـه بخشی لاف
دانه در خاك شور میریزند ‌ ‌ ‌ سرمـه در چشم كور میبیزند
در گل شوره دانه افشانی ‌ ‌ ‌ بر نیارد مگر پشیمانی
در زمینی درخت باید كشت ‌ ‌ ‌ كاورد میوهٔ چو باغ بهشت
(نظامی : هفت پیكر ، ص ٣٢)

(٢) نقش این كار نامه أبدی ‌ ‌ ‌ در تو بستم بطالع رصدی
مقبل آنكس كه دخل دانه او ‌ ‌ ‌ برچنین آورد بخانه او
كابد الدهـر تا بود برجای ‌ ‌ ‌ باشد از نام او صحیفه گشای
(المرجع السابق ، ص ٣٢-٣٣)

(٣) من كه محتاج آب آن دستم ‌ ‌ ‌ أز دگـر آبها دهان بستم
(المرجع السابق ، ص ٣٤)

فلم يُشر نظامى — فيما نظمه من أشعار — إلى أنه قد أثيب على منظومته « هفت پيكر » .

ومهما يكن من شىء ، فإن الشاعر اختار شخصية « بهرام كور » لأن الحب لعب دوراً مهمًّا فى حياته ، مما يجعل تصوير مناظر العشق من الأشياء التى تضفى على المنظومة طرافة وجمالاً ، وتجعلها محببة إلى نفوس الناس فى عصره ، فقد كانوا — كما مرَّ — يفضلون مثل هذه الموضوعات .

وأرجح أن الشاعر نظم قصة « بهرام كور » لأنها تلائم روحه الغنائية من ناحية ، فضلاً عن أنها تلائم روح عصره ، وحاول أن يكتسب بها شهرة وثروة ، ويبدو أنه حقق الشهرة ، ولم يوفق فى الوصول إلى الثروة .

* * *

ولن نستطيع أن نتبين مدى توفيق الشاعر فى عمله ، إلا إذا درسنا منظومته ثم قارنّا بينها وبين ما نظمه الفردوسى عن « بهرام كور » ، فنكتفى بهذه الدراسة حول المنظومة ، لنأخذ فى دراسة المنظومة نفسها .

الفصل الثانى

قصة « هفت پيكر » كما صورها نظامى

قدم الشاعر للقصة بمقدمة تقليدية فى توحيد الله ، ومدح الرسول ، ومعراجه ، وسبب نظم القصة ، وتصويرها مفصلة ، ثم مدح الملك ، وابنيه ، وذكر فضل الكلام ، والحكمة ، والنصح ، ونصح ابنه باتباع الخلق الفاضل[(١)] .

ثم أخذ يسجل قصة « بهرام كور[(٢)] » ، فتحدث عن ولادته ، و بين أن والده « يزدكرد » أمر المنجمين بأن يقيسوا طالع المولود « فدل كل كوكب — بما فى ذلك برجيس[(٣)] — على أنه مولود سعيد ، وأنه وُلِد بالسعد ، فسُمِّىَ بهرام[(٤)] »[(٥)] .

ثم أشار إلى أنه كان وحيد يزدكرد فقال : « لقد وُلِد ليزدكرد أبناء كثيرون — قبل ذلك بعشرين عاماً — ولكنهم لم يعيشوا[(٦)] » .

(١) نظامى : هفت پيكر ، ص ٢-٥٦ . وقد سبقت الإشارة إلى هذه الموضوعات وعرض صور منها .

(٢) سمى « بهرام الخامس » بهرام كور لأنه كان مغرماً بصيد الحمر الوحشية التى واحدها بالفارسية « گور » .

(٣) « برجيس » اسم كوكب من الكواكب العظيمة .

(٤) اسم الكوكب الذى يدل على السعادة .

(٥) داده هر كوكبى شهادت خويش همچو برجيس بر سعادة خويش
با چنين طالعى كه بردم نام چو باقبال زاده شد بهرام
(نظامى : هفت پيكر ، ص ٥٧)

(٦) پيش از ان حالتش بسالى بيست چند فرزند بود وهيچ نزيست
(نفس المرجع والصفحة)

وكان يزدگرد ملكا ظالماً [١] ، فأشار عليه المنجمون بإرساله إلى بلاد العرب ليتربى بينهم ؛ « فصمم على أن يرسله من بلاد العجم إلا بلاد العرب ، وأن يجعلها مرباه ، فلعلها تكون سبباً فى إسعاده ، لأن الإنسان قد يشرف بفضل البقعة التى يتربى فيها »[٢].

« وأرسل شخصاً ، فدعا النعمان[٣] ، ثم سلمه الطفل لتربيته[٤] » .

ولما أتم بهرام العام الرابع من عمره ، لاحظ النعمان « أن الهواء جاف ، والبلاد حارة ، وأن الأمير رقيق ناعم ، فيجب أن يكون مرباه قصراً عالياً يناطح السحاب حتى يترعرع فيه ، ويتربى فى جو لطيف يعطره نسيم الشمال ، لأنه إذا عاش فى جو معتدل ، فإنه ينتعش من النوم والراحة ، فلا تتأثر طباعه بحرارة البلاد وجفافها[٥] » .

فأخذ النعمان وابنه المنذر يبحثان عن مهندس ماهر لبناء مثل هـذا القصر

---

(١) اشتهر يزدگرد الأول بظلمه حتى لقب بـ « يزدگرد الأثيم » .

(٢) أز عجم سوى تازيان تازد   پرورشگاه در عرب سازد
مگر اقبال از انطرف يابد   هركس از بقعه شرف يابد
(نظامى : هفت پيكر ، ص ٥٧)

(٣) الشاعر هنا يقصد النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، ويقرر أنه اشترك مع ابنه المنذر فى تربية « بهرام » .

(٤) كس فرستاد وخواند نعمان را   لاله لعل داد بستان را
(المرجع السابق ، ص ٥٨).

(٥) كاين هوا خشك وين زمين گرمست   وين ملكزاده نازك وترمست
پرورشگاه او چنان بايد   كز زمين سر بآسمان سايد
تادر اوج بركشد پر وبال   پرورش يابد أز نسيم شمال
در هواى لطيف جاى كند   خواب وآرام جا نفزاى كند
گوهر فطرتش بماند پاك   از بخار زمين وخشكى خاك
(نفس المرجع والصفحة)

حتى سمعا « أنه يوجد مهندس ذكى فى بلاد الروم ، يستطيع أن يصنع ـ بذكائه ـ الشمع من الحجارة .. كان اسمه سنمار ، وكان ماهراً سريع العمل متقنه ، فتن العالم كله بفنه واستحسنه ، وقد بنى قصوراً كثيرة فى مصر والشام ، كان كل قصر منهم آية فى الروعة والجمال(١) » .

فأرسل النعمان فى طلبه ، وكلفه ببناء القصر ، فأخذ فى بنائه ، « واستعان بخمسين عاملاً ، واستغرق فى بنائه خمس سنوات(٢) » .

« وكان هذا القصر يغير لونه كالعروس ثلاث مرات فى اليوم والليلة ، فيجد الإنسان ثلاثة ألوان زاهية جميلة ؛ هى الأزرق والأبيض والأصفر(٣) » .

وقد سمى هذا القصر بالخورنق ، وأثيب « سنمار » على بنائه بسخاء ، كما اشتهر النعمان ببنائه ، فذاع اسمه فى الآفاق ، ولكنه لم يلبث أن سأل « سنمار » ما إذا كان يستطيع بناء قصر أحسن من الخورنق ، فأجاب بأن يستطيع أن يبنى قصراً يغير لونه سبع مرات فى اليوم والليلة ، فسيبصر الناس سبعة ألوان مختلفة جميلة ، فغضب النعمان وقال : « إذا أبقيته ، فسوف يبنى ـ بالقوة والذهب ـ قصراً أجل منه فى مكان آخر ، فيذهب اسمى وصيتى ، ويسىء إلى ، ثم أمر

---

(١) هست نام آورى زكشور روم   زيركى كو زسنگ سازد موم
چابكى چرب دست وشيرين كار   سام دستى ونام أو سنمار
دستبرش همه جهان ديده   بهمه ديدهٔ پسنديده
كرده چندين بنا بمصر وشام   هريكى در نهاد خويش تمام
(نظامى : هفت پيكر ، ص ٥٩) .

(٢) پنجه كاركر آهن سنج   بر بنا كردكار سالى پنج
(المرجع السابق ، ص ٦٠) .

(٣) در شبا نروزى از شتاب ودرنگ   چون عروسان برآمدى بسه رنگ
يافتى أز سه رنگ ناوردى   أزرقى وسپيدى وزردى
(المرجع السابق ، ٦٠-٦١) .

رجاله أن يحملوه و يلقوا به من فوق القصر سريعاً[١] » .

وقد ندم النعمان على فعلته[٢] ، فذهب إلى الصحراء ليعتكف ، ويكفر عن ذنبه ، وترك أمر تربية بهرام لابنه المنذر ، الذى أخلص فى تربيته ، وتوفر عليها ، فأحضر المربين فى الخورنق ، فعلموه العربية والفارسية واليونانية[٣] ، وظلوا يلقنونه العلوم المختلفة ، « حتى أصبح بهرام ذا نصيب وافر من الثقافة ، وصار يعرف مختلف العلوم معرفة تامة[٤] » .

ثم برع فى فن الفروسية ، وأجاد استعمال جميع أنواع الأسلحة ، و بلغ من مهارته « أنه كان إذا قذف حجراً بسهمه ، جعله يتفتت و يقدح شرراً[٥] » .

« وصار الصيد والشراب شغله الشاغل ، فلم يكن له عمل غيرهما ، وعشق صيد الحمار الوحشى ، فكان يصطاده فى مهارة وجرأة .. وكان قد حرم على نفسه صيده ، إذا لم يكن عمره أربع سنوات[٦] » .

---

(١) گفت اگر ما نمش بزوز وبزر   به ازينى كند بجاى دگر
نام وصيت مرا تباه كند   نامه خويش را سياه كند
كارداران خويش را فرمود   تا برند أز در افكنندش زود
(المرجع السابق ، ص ٦٢)

(٢) نعى الشاعر على النعمان مقابلته الإحسان بالإساءة ، واعتبره مثلا سيئاً لمن يكافىء المتقن بالتنكر والسوء ؛ كما صار سنمار مثلا لمن يجنى من الخير شراً . ومن الورد شوكا فقيل « جوزى جزاء سنمار » .

(٣) نظامى : هفت پيكر : ص ٦٦ .

(٤) تا چنان بهره مند شد بهرام   كاصل هر علمرا شناخت تمام
(نفس المرجع والصفحة)

(٥) تيغ اگر برزدى بتارك سنگ   آب گشتى وليك آتش رنگ
(المرجع السابق ، ص ٦٧)

(٦) كارش إلا بمى وشكار نبود   با دگر كارهاش كار نبود =

وأصبح اسم بهرام « بهرام گور » ؛ وبلغتْ براعته فى الصيد إلى درجة أنه اصطاد ـ ذات مرة ـ حماراً وأسداً بسهم واحد « رماه فاخترق جسميهما ، ثم خرج منهما ، وغرق حده فى الأرض ، لأن سهماً كسهمه لا يقف أمامه حاجز أو درع [1] » .

ولما علم المنذر بذلك « أمر الرسامين أن يرسموا ـ بالذهب ـ صورة حمار فوقه أسد ، على حائط الخورنق ، ويرسموا الأمير وقد ضرب سهماً اخترق هذين الصيدين ، وغرق ـ إلى حده ـ فى الأرض [2] » .

وفى مرة أخرى ؛ كان بهرام يجرى وراء حمارة ، فقادته إلى غار فيه ثعبان ، وكان الثعبان قد ابتلع ابن الحمارة ثم نام ، فرماه بهرام بسهم « شقه نصفين من ذيله إلى رأسه ، ووجد الحمار الصغير فى بطنه [3] » . كما وجد هناك كنزاً عظيما ، « فأمر خدامه الأقوياء الشجعان بأن يشقوا طريقاً إلى الكنز ، ثم

= مرده گور بود در نخجیر مرده را که بود ز گور گزیر

. . . . . .

خون آن گور کرده بود حرام که نبودش چهار سال تمام

(نظامى : هفت پيكر ، ص ٦٨-٦٩)

(١) سفته بر سفت شیر وگور نشست سفت واز هر دوسفت بیرون جست

تا سوفار در زمین شد غرق پیش تیری چنان چه درع وچه درق

(المرجع السابق ، ص ٧١)

(٢) گفت منذر بکارفرمایان تا برکار صورت آرایان

در خورنق نگاشتند بزر صورت گور زیر وشیرزبر

شه زده تیروجسته زاندوشکار در زمین غرق گشته تاسوفار

(المرجع السابق ، ص ٧١)

(٣) از دمش برشکافت تا بدمش بچه گور یافت در شکمش

(المرجع السابق ، ص ٧٥)

يستخرجوا الكنز ويحملوه[1] » .

ولما رجع بهرام أمر المنذر بأن ترسم صورة صراعه مع الثعبان ، « فكان الرسام يرسم كل ما يفعله بهرام – من ضروب البطولة – على حيطان الخورنق[2] » .

وذات يوم ؛ دخل بهرام حجرة فى الخورنق ، « فوجد فيها صور سبع فتيات جميلات ، تنتسب كل منهن إلى إقليم معين[3] » .

وكانت هؤلاء الفتيات بنات ملوك أقاليم العالم السبعة ، وهن : « فورك » بنت ملك الهند ، و « يغما » بنت ملك الصين ، و « نازپرى » بنت ملك خوارزم ، و « نسرين نوش » بنت ملك سقلاب ، و « آزريون » بنت ملك المغرب ، و « هماى » بنت قيصر الروم ، و « نطاوس » بنت كسرى ملك الفرس الذى كان من نسل كيكاوس[4] .

كما رأى أنه قد كُتِب بين الصور – بخط جميل – أن بهرام زينة الأميرات وقلبهن[5] ، مما يوحى بأنه سيتزوجهن جميعاً .

« ورسم الرسام صورته ، وكتب فوقها « بهرام گور » ، كما كتب أن الأفلاك السبعة تقرر أنه البطل الذى سيحكم الدنيا جميعها ، وسيتزوج سبع أميرات

---

(١) شاه فرمود تا كمربندان هم دليران وهم تنومندان
راه در گنجدان غار كنند گنج بيرون برندوبار كنند
(نظامى : هفت پيكر ، ص ٧٦)

(٢) هرچه كردى بدين صفت بهرام بر خورنق نگاشتى رسام
(المرجع السابق ، ٧٧)

(٣) هفت پيكر دراو نگاشته خوب هريكى زان بكشورى منسوب
(نفس المرجع والصفحة)

(٤) المرجع السابق ، ص ٧٧–٧٨ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٧٨ .

من سبعة أقاليم ، ويصبح بينهن كالدرة اليتيمة »[١] .

« وقد استقرحب هؤلاء الفتيات الفاتنات فى قلبه ، وملك عليه حواسه[٢] » .

وهكذا مهد الشاعر لبدء قصص الأميرات السبع ، ثم أخذ يبيّن كيف تحقق حلم بهرام ، فقال إن يزدكرد أبو بهرام توفى فى تلك الأوقات ، وخشى العظماء أن يسندوا العرش إلى بهرام ، فيصير ظالماً كأبيه ، كما خشوا ألا يجيد أصول الحكم ، لأنه تربى بين العرب ، فأسندوه إلى رجل مُسِنّ من نفس الأسرة ، كان اسمه « خسرو » .

وعلم بهرام بذلك ، فجمع جيشاً بمساعدة المنذر ، وسار به لغزو إيران[٣] ، فلما وصل إلى حدود وطنه أرسل إليه الملك الجديد خطاباً يقول فيه : إنه لم يغتصب المُلك ، وإنما اختاره العظماء ، تحقيقاً لإرادة الشعب الذى كره والده لظلمه ، ثم خاطبه فى نهاية الخطاب بقوله : « الأفضل أن ترجع من حيث أتيتَ لأن أحداً لا يريدك ملكاً[٤] » .

فأجاب بهرام قائلا « أبى شخص وأنا شخص آخر ، وإذا كان هو ظالماً ، فإننى كريم الأخلاق[٥] » .

---

(١) بر نوشته دبير پيكر او — نام بهرام گور بر سر أو
كا نچنانست حكم هفت اختر — كاين‌جهان جوی‌چون برارد سر
هفت شهزاده را ز هفت إقليم — در كنار آورد چو در يتيم
(نظامى : هفت پيكر ، ص ٧٨–٧٩)

(٢) مهـرآن دختران زيبـاروى — در دلش جاى كرد موى بموى
(المرجع السابق ،ص ٧٩)

(٣) المرجع السابق ، ص ٨٠—٨٥ .

(٤) چون نخواهد ترا بشاهى كس — به كز اين پايه باز گردى پس
(المرجع السابق ، ص ٨٨)

(٥) پدرم ديگراست ومن دگرم — كان اگر سنگ بود من گهرم
(المرجع السابق ، ٨٩)

ثم بيّن أنه الوارث الشرعي للعرش، ووعد بالعدل والعفو عن الأخطاء قائلا :
« لن أنظر إلى خطأ أحد ، ولن أطمع في مال ، أو أفكر في قتل إنسان ، ولن أتذكر الأخطاء الماضية ، وسأرضى وَأُسَرّ بالوضع الحاضر ، وسأفعل معكم مايجب عمله ، وآخذ منكم مايجوز أخذه [١] » .

فلما سمع رجال الدين ذلك أقروه وأيدوه ، وخاطبوه بقولهم : « إن الملك خليق بجوهرك ، ولئن كان التاج معنا ، فإنه جدير بأن يكون فوق رأسك [٢] » .

فاقترح بهرام عليهم « أن يضعوا التاج بين أسدين قويين ، وأن يبايع الناس مَنْ يستطيع منهما أن يأخذ التاج من بين الأسدين بالمُلْك [٣] » .

فخاف الملك الشيخ ، وآثر التنازل ، ولكن أشياعه نصحوه بالتريث ، وأشاروا عليه بأن يقبل مااقترحه بهرام ، وأن يَدَعَه يتقدم لأخذ التاج ، فإن أفلح في أخذه صار ملكاً ، وإن قتله الأسدان بقي المُلْك له ، فقبل ذلك .
« فهجم بهرام على الأسدين ، وقتلهما ، وألقى برأسيهما إلى الأرض ، ومزقهما شر ممزق ، ثم وضع التاج على رأسه وجلس على العرش ، بعد أن أظفره الحظ ، وكان أخذ التاج من بين أسدين سبباً في إذلال المنافقين [٤] » .

---

(١) در خطای کسی نظر نکنم طمع مال وقصد سر نکنم
از گناه گذشته نارم یاد با نمودار وقت باشم شاد
باشما آن کنم که باید کرد وز شما آن خورم که شاید خورد
(نظامی : هفت پیکر ، ص ٩٠)

(٢) تا جداری سزای گوهر تست تاج باماست ليك بر سر تست
(المرجع السابق ، ص ٩١)

(٣) تاج شاهان ز سر بزير نهند در ميان دو شرزه شير نهند
هر كه تاج أزدوشير بستاند خلقش آن روز تاجور خواند
(المرجع السابق ، ص ٩٥)

(٤) شه بتأديبشان چوراى افكند سر هر دو بزيرپاى افكند =

ثم صمم بهرام – بعد جلوسه على العرش – على العدل بين الناس ، فقال :
« سوف لا أدير ظهرى لنعمة الله ، بل أشكرها ، ولِمَ لا أشكر وَأَخذُ التاج من بين أسدين كان بقوة الله ، لا بقوة السيف ؟ ! . وما دمتُ قد وصلتُ إلى العرش والتاج ، فإننى سوف أعمل الأعمال المحببة إلى الله[1] » .

« ونشر بهرام العدل فى ربوع العالم ، فَعَلَتْ كلمةُ الحق ، وشجع المنصفين ، واضطهد الظالمين ، فظهرت السعادة فى عصره ، وتولى البؤس إلى غير رجعة[2] » .

« وارتفع شأن بهرام ، وصارت الدنيا جميعها طوع أمره ، فكان يعيش سعيداً ، يعدل بين الرعية ، ويُدْخل السرور على الشعب[3] » .

و بلغ من عدله أنه بذل كل ماوسعه لدرء خطر مجاعة حدثت فى سنة من

= پنجه‌شان پاره کرد ودندان‌خرد　　سروتاج أز میان شیران برد
تاج بر سر نهاد وشد برتخت　　بختیاری چنین نماید بخت
بردن تاجش أز میان دوشیر　　روبهان‌را زتخت کرد بزیر
(نظامی : هفت پیکر ، ص ٩٨)

(١) پشت بر نعمت خدا نکنم　　شکر نعمت کنم چرا نکنم ؟!
تاج برداشتن زکام دوشیر　　أز خدا دانم آن نه أز شمشیر
چون رسیدم بتخت وتاج بلند　　کارهائی کنم خدای پسند
(المرجع السابق ، ص٩٩)

(٢) رسم إنصاف در جهان آورد　　عدل را سر برآسمان آورد
کرد با دادپروران یاری　　باستمکارگان ستمکاری
قفل غم را درش کلید آمد　　کامد او فرخی پدید آمد
(المرجع السابق ، ص ١٠١)

(٣) کاروبار برآسمان أورا　　زیر فرمان همه جهان أورا
أو جهانرا بخرمی میخورد　　داد میداد وخرمی میکرد
(المرجع السابق ، ص ١٠٣)

السنوات نتيجة لقلة المحصول؛ « فخلص بهرام الناس من شر المجاعة ، ولم يمت غير شخص واحد ، حزن عليه حزناً شديداً [١] » .

و بلغت عناية بهرام بشعبه درجة جعلته يحضر المغنين ، و يوزعهم على أنحاء المملكة ليشيع السرور بين الناس ، وتصبح حياتهم سعيدة ، « فاستدعى ستة آلاف من رواة القصص ، ومن المطربين والرقاصين ، من مختلف الجهات ، وخص كل إقليم بعدد منهم ، حتى يُسَرَّ الناس في كل مكان يعيشون فيه [٢] » .

وذات يوم ؛ خرج بهرام للصيد ، واصطحب معه جاريته فتنة [٣] التي كانت فتاة جميلة ، تجيد الضرب على العود ، والغناء والرقص ؛ وكان بهرام يأخذها معه — دائماً — حين يخرج للصيد ، ليصطاد على غنائها . فاصطاد — في ذلك اليوم — حمراً كثيرة ، وقضى يومه مسروراً . وأخيراً عَنَّ له حمار وحشي ، فأشارت فتنة عليه أن يضربه بسهم ، بشرط أن يربط هذا السهم بين حافر الحمار ورأسه ، ففعل بهرام ، ونجح فيما طلبته ، ولكن الجارية قالت : « إن اختراق السهم لحافر الحمار من كثرة التمرين ، وليس من فرط القوة [٤] » .

---

(١) جمله خلق جان ز تنگی برد جز یکی تن که أو بتنگی مرد
شاه از آن مرد بینـوا مرده تنگدل شد چو آب افسرده
(نظامی : هفت پیکر ، ص ١٠٤–١٠٥)

(٢) شش هزار اوستاد دستان ساز مطرب وپای کوب ولعبت ساز
گرد کرد أز سوادهر شهری داد هر بقعه را از ان بهری
تا بهر جا که رخت کش باشند خلق را خوش کنند وخوش باشند
(المرجع السابق ، ص ١٠٦)

(٣) المرجع السابق ، وترد قصة بهرام مع جاريته فتنة من ص ١٠٧–١٢٠ .

(٤) رفـتن تیر شـاه برسم گور هست أز إدمان نه أز زیادت زور
(المرجع السابق ، ص ١١٠)

وغضب بهرام ، ولم يقتلها بنفسه ، حتى لا يرتكب إثماً ، فسلمها لضابط كبير ليقوم بقتلها ، ولكن فتنة توسلتْ إلى الضابط ، ورجَته أن يتركها على قيد الحياة ، وأن يخبر الملك بأنه نفذ ما أراد ، فإن تأثر بقيتْ حية ، وإن لم يتأثر عاد فقتلها ، ففعل الضابط ذلك ، وذهب إلى بهرام ، وأخبره بأنه قتل فتنة ، فتأثر بهرام ، و بكى من شدة التأثر ، فظلت فتنة حية فى منزل الضابط .

وتصادف أن عجلاً وُلِد فى يوم دخول فتنة منزل الضابط ، فصارت تحمله ، وتصعد به إلى أعلى المنزل ، حتى مرنت على ذلك ، واستطاعت أن تحمل العجل ، وتصعد به بعد أن صار ثوراً .

وذات يوم ؛ دعا الضابط بهرام إلى حفل أقامه فى منزله ، فسأله بهرام : كيف تستطيع أن تصعد درجات السلم وقد أصبحت فى سن الستين ؟ ! . فأجابه الضابط بأن عنده جارية تستطيع أن تصعد هذه الدرجات حاملة ثوراً ، ثم رأى بهرام « فتنة » ، فسر ببقائها على قيد الحياة « وأحضر الموابذة ليعقدوا له على هذه الفاتنة ، ثم قضى معها زمناً طويلاً ، ينعم بالسعادة والسرور(١) » .

وسمع ملك الصين أن بهرام مشغول بالحب واللهو ، فظن أنه يستطيع أن يغزو إيران فى سهولة و يسر ، فسار إليها على رأس جيش كبير « يبلغ ثلثمائة ألف رجل من الفرسان المهرة ، كأنهم ثعابين متوحشة(٢) » .

وأيقن بهرام أن جيشه ليس مستعداً للنزال ، فخرج على رأس ثلثمائة من شجعانه ، وظن القوم أنه هرب ، فأرسلوا إلى ملك الصين يستعطفونه ، و يتعهدون

(١) موبدان را بشرط پيش آورد   ماه را در نكاح خويش آورد
بود با أو بلهو وعشرت وناز   تابرين رفت روزگار دراز
(نظامى : هفت پيكر ، ص ١٢٠)

(٢) در ركابش چو أردهاى دمان   بود سيصد هزار سخت كمان
(المرجع السابق ، ص ١٢٢)

بدفع الجزية ، فسُرَّ ، وانصرف إلى اللهو ، فهجم بهرام على معسكره ليلاً[١] ، « وحمل على شجعان الصين ، بالسيف تارة ، وبالرمح تارة أخرى[٢] » .

وانتهى الأمر بانتصار بهرام ، فأخذ يلوم الخونة من الأشراف ، الذين اعتذروا عما بدر منهم ، فعفا عنهم ، وانصرف إلى الاصلاح .

وأصبح بهرام – بعد النصر – قويًّا ، « يأخذ الجزية من ملك الهند أحياناً ، ويأخذ الخراج من قيصر الروم ، أحياناً أخرى[٣] » .

وأظَلَّ ملكه الأرض والسماء « فأصبحت الأرض تستظل آمنةً بظله ، وصار الفلك تحت عرشه[٤] » .

وبذلك تحققت آمال بهرام ، ولم يبق أمامه إلا أن يتزوج الأميرات السبع اللاتى رأى صورهن فى قصر الخورنق ، فأرسل من يخطبهن له ، وأمر أحد تلاميذ « سِنِمَّار » ببناء سبعة قصور ، ليخصص كل قصر منها لأميرة منهن ، فيقضى معها يوماً من أيام الأسبوع .

وبنى هذا المهندس القصور السبعة ، وجعل لها سبع قباب ، كما جعل لون كل قبة منها يشبه لون كوكب من الكواكب السيارة ، مما صوره الشاعر فى قوله : « بنى سبع قباب على غرار الصور السبع ، وجعلها تشبه الكواكب

---

(١) وردت قصة حرب بهرام ضد ملك الصين مفصلة فى هفت پيكر ، من ص ١٢٠–١٣٢

(٢) بردليران چين گشاد عنان   حمله بر گه بتيغ وگه بسنان
(نظامى : هفت پيكر ، ص ١٢٤)

(٣) كه ز ففور باج بستاند   كه ز قيصر خراج بستاند
(المرجع السابق ، ص ١٣١)

(٤) هم زمين در پناه سايه او   هم فلك زير تخت پايه او
(المرجع السابق ، ص ١٣٢)

السبعة ، فأصبحت أقاليم العالم السبعة[١] جميعها طوع أمره ، كما أصبحت سبع أميرات زوجات له[٢] » .

« وجعل بهرام لكل أميرة منهن قصراً ، تشبه قبته أحد الكواكب فى لونها ، و تنطبق أحياناً مع لون الأميرة وقصتها[٣] » .

وكان أثاث كل قصر وما فيه من لباس ، يشبه لون القبة . ثم تزوج بهرام الأميرات ، وصار يقضى كل يوم من أيام الأسبوع مع أميرة منهن ، فى القصر المخصص لها ؛ و يلبس – فى كل قصر – ثياباً يناسب لونها لون القبة .

فالقبة السوداء كانت تطابق « كيوان » ، وكانت مخصصة للأميرة الهندية التى كان بهرام يقضى معها يوم السبت من كل أسبوع[٤] .

والقبة الصفراء كانت تطابق « الشمس » وكانت مخصصة للأميرة الصينية التى كان يقضى معها يوم الأحد من كل أسبوع[٥] .

والقبة الخضراء كانت تطابق « القمر » وكانت مخصصة للأميرة الخوارزمية التى كان بهرام يقضى معها يوم الاثنين من كل أسبوع[٦] .

---

(١) كان الجغرافيون القدماء يقسمون العالم إلى سبعة أقاليم بنفس الترتيب الذى ذكره نظامى .

(٢) بركشيده براين صفت پيكر هفت گنبد بطبع هفت اختر
هفت كشور تمام در عهدش دختر هفت شاه در مهدش
(نظامى هفت پيكر ، ص ١٤٥)

(٣) كرده هر دخترى برنگ و راى گنبدى را ز هفت گنبد جاى
(المرجع السابق ، ص ١٤٦)

(٤) يكاد التقويم الأوربى يكون مشابهاً لهذا ، فيعبر عن « كيوان » بالانجليزية بكلمة : Saturday

(٥) يعبر عن يوم الشمس بالإنجليزية بكلمة : Sunday

(٦) يوم الأحد يعبر عنه بالإنجليزية بكلمة : Monday التى هى : Moon day ، كما يعبر عنه باللاتينية بكلمة : Lunae dies

والقبة الحمراء كانت تطابق « المريخ » وكانت مخصصة للأميرة السقلابية ، التي كان يقضى معها يوم الثلاثاء من كل أسبوع (١) .

والقبة الفيروزية كانت تطابق « عطارد » وكانت مخصصة للأميرة المغربية ، التي كان يقضى معها يوم الأربعاء من كل أسبوع (٢) .

والقبة البنية كانت تطابق « المشترى » ، وكانت مخصصة للأميرة الرومية ، التي كان يقضى معها يوم الخميس من كل أسبوع (٣) .

والقبة البيضاء كانت تطابق « الزهرة (٤) » وكانت مخصصة للأميرة الإيرانية ، التي كان يقضى معها يوم الجمعة من كل أسبوع (٥) .

وكانت كل أميرة من هؤلاء الأميرات تقص على بهرام — في اليوم الذى يقضيه معها — قصةً لها صلة بلون القصر الذى تعيش فيه ؛ وكان فى كل قصة من هذه القصص حديث حب (٦) .

ويبدو أن نظامى حرص على أن يتم لبهرام بناء القصور ذات القباب السبع ، مختلفة الألوان ، حتى يتحقق له مالم يتحقق مثله فى أثناء إقامته فى بلاد

---

(١) يوم المريخ يعبر عنه بالفرنسية بكلمة : Mardi وباللاتينية بكلمة : Mardis dies.

(٢) يوم عطارد يعبر عنه بالفرنسية بكلمة :Mercredi وباللاتينية بكلمة : Mercurii dies.

(٣) يوم المشترى يعبر عنه بالفرنسية بكلمة : Jeudi وباللاتينية بكلمة : Lovis dies.

(٤) يوم الزهرة يعبر عنه بالفرنسية بكلمة : Vendredi وباللاتينية بكلمة : Veneris dies.

(٥) الملاحظ فى هذا التقويم أنه يربط الأيام بالكواكب ، وهو شيء لايوجد فى التقويم الإسلامى ، ولعله مأخوذ مما كان عند قدماء البابليين .

(٦) هذا يشبه — إلى حد كبير — مانجده فى « ألف ليلة وليلة » .

العرب ؛ فإن قصر الخورنق الذى بناه « سنمار » كان يغير لونه ثلاث مرات فى اليوم والليلة . وقتل النعمان « سنمار » لما علم أن فى استطاعته بناء قصر أجمل من الخورنق يغير لونه سبع مرات فى اليوم والليلة ، كما مر .

ويبدو أن نظامى ربط لون القباب بلون الكواكب متأثراً بدراسته لعلم النجوم ، ولأن طالع بهرام ارتبط بالنجوم منذ ولادته ، مما يجعل الربط بين لون القباب ولون الكواكب من الأشياء التى تجلب السعادة .

ومن الملاحظ — أيضاً — أن الشاعر جعل ابنة ملك الإقليم الأول — وهو الهند — هى الأميرة التى يقضى معها اليوم الأول من أيام الأسبوع ، أى يوم السبت ؛ وهو يقابل « كيوان » الذى يقال إنه أسود اللون ، مما يجعله مطابقاً للون القبة ، ويتفق مع لون الأميرة التى تسكن تحت هذه القبة .

وقد فعل الشاعر هذا مع كل أميرة ، وكان لون الأميرة يشبه — أحياناً — لون القبة التى تعلو قصرها .

كما اتخذ الشاعر اللون رمزاً للهدف الذى ترمى إليه القصة ، وللمحور الذى تدور حوله .

فالقصة التى تقال تحت القبة السوداء ، تكون خاتمتها الحزن على ذهاب شىء سار ، واللون الأسود هو رمز الحزن .

واللون الأحمر اتُّخِذ رمزاً لقصة تنتهى بالفرح والزواج ، واللون الأبيض كان رمزاً لقصة تهدف إلى تمجيد الطهر والعفاف . وهكذا فى القصص الأخرى .

واختيار اللون محوراً تدور حوله قصة كل أميرة ، يعتبر من خلق نظامى ، ممـا جعل هذه القصص تشبه — إلى حد كبير — ما يسمى « بالقصص الرمزى » .

ولعل فى هـذا ما يفسر لنا تسمية المنظومة بـ « هفت پيكر » أى الصور السبع ؛ فإن الصور التى رآها بهرام فى الخورنق هى التى أوحت بذلك .

وكانت الألوان تلعب دوراً مهماً فى هذه الصور ، لأنها كانت لأميرات مختلفات الألوان ؛ فضلاً عن أنها لعبت دوراً بارزاً فى بناء الخورنق ، بل إنها كانت سبباً فى العصف بسنمار . فليس عجيباً أن يعطى الشاعر الألوان كل هذه الأهمية ، ويجعلها محاور تدور حولها القصص .

أما السبب فى إيراد هـذه القصص على لسان الأميرات ، فكان إمتاع الملك ، وإثارة غريزة الحب فى نفسه ، كما يبدو من قول الشاعر : « كانت كل أميرة تحكى قصة تثير الحب ، حتى تلهب عاطفة كل منهما »[1] .

ثم أخذ الشاعر — بعد ذكر القباب ووصفها — يصور أسبوعاً من حياة بهرام ، فلنشاهد صوره فيما يلى :

* * *

١ — بهرام تحت القبة السوداء

زار بهرام الأميرة الهندية — فى يوم السبت — فى القصر الذى تعلوه القبة السوداء ، وقضى معها يوماً سعيداً ؛ وفى المساء قصت عليه قصة : هى أنها حينما كانت الأميرة طفلة ، كانت امرأة تحضر إلى منزلها كثيراً ، وكانت تلبس ثياباً سوداء ، فلما سألتها عن السر فى ذلك ، أجابت بأنها كانت جارية لملك كريم لطيف ، يحسن استقبال الناس ، ويكرمهم ، فتغيب هذا الملك مدة ، « ثم رجع يوماً إلى عرشه فجأة ، غير أنه كان يلبس ثياباً سوداء تغطيه من رأسه إلى إخمص قدمه[2] » .

(١) گفتى افسانهاى مهر انگيز   كه كند گرم شهوتان‌را تيز
(نظامى : هفت پيكر ، ص ١٤٦)

(٢) ناگهان روزى از عنايت بخت   آمد آن تاجدار بر سر تخت
أز قبا وكلاه وپيرهنش   پاى تاسر سياه بود تنش
(المرجع السابق ، ص ١٦٠)

وذات ليلة ؛ تجاسرت الجارية ، وسألت الملك عن سر ارتدائه الثياب السوداء ، فأجاب بأن أحد رجاله كان يلبس زيًّا أسود اللون دائماً ؛ فسأله الملك عن السبب فى ذلك ، فتردد الرجل قليلا ، ثم حكى أنه : توجد مدينة فى بلاد الصين ، لا يلبس سكانها إلا الثياب السوداء ، وأن هذه المدينة كانت سبباً فيما أصابه من سوء حظ ، ولم يزد على ذلك شيئاً ، ثم ذهب .

فتوجَّهَ الملك إلى تلك المدينة ، ثم تعرف على شاب ، وأعطاه مالاً ، وطلب منه أن يحل له هذا السر الغامض ، فحمله الشاب إلى خارج المدينة ، حيث كانت توجد منطقة خربة ، فيها سلة معلقة فى حبل ، ثم طلب منه أن يجلس فى السلة ، فلم يكد يجلس فيها حتى ارتفعت ، وحملته إلى أعلى برج ؛ فخاف الملك كثيراً ، ومضى على ذلك بعض الوقت ، ثم جاء طائر كبير ، وجلس على البرج ، ونام طول الليل ، وطار فى الصباح ، فأمسك الملك برجل الطائر ، فحمله وطار به بعض الوقت ، ثم حط فى حديقة جميلة ، وتركه فيها ، ثم طار .

وكانت الحديقة مملوءة بالأشجار والفواكه ، فمكث الملك فيها حتى جَنَّ الليل ، وحينذاك أخذت الحديقة تمتلىء بالفتيات الجميلات ، المزينات بالذهب فى أيديهن وسواعدهن ، وبالجواهر واللآلىء فى رقابهن وآذانهن ، وكن يمسكن بالشموع الزاهية التى يبدد نورها الظلام والفراش (١) » .

ثم جاءت بعد ذلك امرأة فاتنة الجمال ، كانت سلطانتهن ، فلما رأت الملك دعته إلى عرشها ، وأمرت الفتيات بإحضار الطعام والشراب ، فلما فرغ الملك من الأكل معهن ، أمرت السلطانة بإحضار المغنيات ، فبدأ الغناء والرقص ، ولم يلبث الملك أن اشتغل بالتقبيل والشراب ، مما صوره الشاعر فى قوله على لسان الملك :

---

(١) دست وساعد پر أز علاقه زر گردن وگوش پر زلؤلؤتر
شمعهائى بدست شاهانه خالى أز دود وگاز وپروانه
(نظامى : هفت پيكر ، ص ١٤٩)

« فمارستُ العشق عن طريق الشراب والقبل ، واستولى الشوق على قلبي وجميع جوارحي [١] » .

وأظهرت السلطانة حبها للملك ، ثم قالت له : « اكتف الليلة بالقبل ، ولا تطمع في أكثر من ذلك ، حتى لا تعكر صفو السماء [٢] » .

ولكنها خشيت أن يغضب فأجازت له أن يختار فتاة ليقضي معها ليلته ، فاختار واحدة ، حملت معه إلى قصر جميل ، فقضى معها ليلته سعيداً .

ولما استيقظ في الصباح وجد نفسه وحيداً ، فقضى يومه في الحديقة ، وظل يأكل مما فيها من فاكهة لذيذة ، حتى أقبل الليل ، فتكرر ماحدث في الليلة السابقة ، وقنع الملك بأن يفعل مافعله فيها ، وقضى ليلته مسروراً ؛ وظل على هذا المنوال تسعاً وعشرين ليلة ، ثم أراد في الليلة الثلاثين أن يتمتع بالسلطانة نفسها ، فقالت له : « اغمض عينيك قليلا ، حتى أخلع ملابسي [٣] » .

ففعل الملك ذلك ، ولكنه لم يكد يفتح عينيه ثانية ، حتى وجد نفسه وحيداً فوق ذلك البرج ، يجلس في تلك السلة عينها ، و بعد قليل « جاء ذلك الصديق ، وسحب الحبل ، فهبطت السلة إلى الأرض [٤] » .

ثم قال له : « لو قصصتُ عليك هذا مائة عام ، ماصدقتني مثلما رأيت

---

(١) عشق ميباختم بيوس وبمى بدلى وهزار جان باوى
(نظامى : هفت پيكر ، ص ١٦٤)

(٢) گفت امشب ببوسه قانع باش بيش از اين رنگ آسمان متراش
(المرجع السابق ، ص ١٦٥)

(٣) گفت يك لحظه ديده را دربند تا گشايم در گنجينه قند
(المرجع السابق ، ص ١٧٩)

(٤) آمد آن يار وزان رواق بلند سبدم را رسن گشاد زبند
(المرجع السابق ، ص ١٨٠)

بعينى رأسك [١] » .

ونصحه بالسكوت قائلا : «ذهبتَ ورأيتَ الأسرار .. فَمَنْ جدير بأن تقص عليه هذه القصة ؟ ! .. [٢] » .

فتأثر الملك ، ولبس الثياب السوداء حداداً على ماولّى من نعيم ؛ مما صوَّره الشاعر فى قوله على لسان الملك : « فاحترقتُ بنار الشوق ، ولبستُ الثياب السوداء تظلماً ، ورجعتُ إلى مملكتى ضيق القلب مجللاً بالسواد [٣] » .

ثم أخذت الأميرة تبيّن لبهرام — فى نهاية القصة — مزايا اللون الأسود ، فاستحسن قصتها ، وقضى معها ليلته مسروراً [٤] .

* * *

٢ — بهرام تحت القبة الصفراء

وفى يوم الأحد ؛ زار بهرام الأميرة الصينية ، فى القصر ذى القبة الصفراء ، فقضى معها يوماً سعيداً ، ثم قصت عليه قصة هى : أن أحد ملوك العراق كان متخصصاً فى كل علم وفن ، « وكان قد عرف — من قراءة طالعه — أن الشر

(١) گفت اگر گفتمى بتو صد سال   باورت نامدى حقيقت حال
(نظامى : هفت پيكر ، ص ١٨٠) .

(٢) رفق و ديدى آنچه بود نهفت   اين‌چنين قصه با كه شايد گفت ؟!
(نفس المرجع والصفحة) .

(٣) من درين جوش گرم جوشيدم   وز تظلم سياه پوشيدم
. . . .
سوى شهر خود آمدم دلتنگ   برخود افكنده از سياهى رنگ
(نفس المرجع والصفحة) .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٨١ .

يأتى إليه من قِبَل النساء[1] » .

فامتنع عن الزواج ، واستعاض عنه بشراء الجوارى الجميلات ، وكانت فى منزله عجوزٌ ماكرة ، فكانت تسعى للإفساد دائماً ، حتى يُضطَّر الملك إلى بيع الجوارى[2] .

وذات يوم ؛ أحضر بائع الجوارى عدداً من الجوارى الفاتنات ، فأسرت إحداهن الملك بجمالها ، فأراد أن يشتريها ، ولكن البائع حذره منها ، وأخبره بأن فيها عيباً ، هو أنها بلا رحم ، مما نفر الناس منها ، غير أن الملك اشتراها ، ثم تبيَّن أنها « تجيد الخدمة ، وتحسن إدارة المنزل[3] » .

ثم اختلى الملك بالجارية — ذات ليلة — وسألها عن سر مابها ، « فقالت : توجد فى نسلنا الفقير خصلةٌ مُجَرَّبة ، هى أن كل امرأة تزوجت منا ماتت بعد الوضع مباشرة ، وهكذا ماتت كل من وضعتْ منا ، فكيف يجوز تسليم النفس للموت ؟ ! . .[4] » .

ثم قالت : « إن روحى عزيزة علىّ أكثر من هؤلاء ، مما جعلنى أبعدها عن الخطر[5] » .

---

(١) خوانده بود أز حساب طالع خويش كز زنانش خصومت آيدپيش
(نظامى : هفت پيكر ، ص ١٨٣)

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٧ .

(٣) خانه دارى واعتماد سراى يك يك آورد مشفقانه بجاى
(نفس المرجع والصفحة)

(٤) گفت در نسل ناستوده ما هست يك خصلت آزموده ما
كز زنان هركه دل بمرد سپرد چون بزادن رسيد زاد وبمرد
مرد چون هر زنى كه أز مازاد دل چگونه بمرگ شايد داد ؟!
(المرجع السابق ، ص ١٩٠)

(٥) بر من اين جان ازان عزيز ترست كه سپارم بدانچه زو خطرست
(المرجع السابق ، ص ١٩١)

فأحب الملك هذه الجارية ، وتعلق بها ، وطرد العجوز من المنزل ؛ وأخذ يقدم لمشوقته الذهب لتتزين به « لأنه رأى أنها تبدو جميلة حينما تتحلى بالذهب ، فمنحها أسباب الزينة من الذهب الأصفر[١] » .

وأصبح الملك يحب اللون الأصفر ، لأنه اللون الذى يزيِّن معشوقته .

ثم أخذتْ الأميرة تعدد مزايا اللون الأصفر ، فأعجب بهرام بقصتها ، وقضى معها ليلة جميلة .

* * *

٣ – بهرام تحت القبة الخضراء

وفى يوم الاثنين ؛ زار بهرام الأميرة الخوارزمية فى القصر ذى القبة الخضراء ، فقصت عليه قصة هى : أن ملكاً عادلاً – اسمه « بِشْر التقى » – كان يعيش في أرض الروم « فأغار عليه العشق ، ففتن عقله ، ولعب بلبه . فقد رأى – ذات يوم – امرأة جميلة ، تكسوها ملاءة سوداء (فتزيدها جمالاً وفتنة) ، وتجعلها تبدو كالبدر بين السحب السوداء . وكانت هذه المرأة تسير فى الطريق دون التفات إليه ؛ فرفعت الرياح برقعها فجأة ، فأظهرت الرياح الفتنة ، وخرج القمر من بين السحب السوداء ، فلما رأى « بشر » ذلك ارتعشت قدماه ، وجمد فى مكانه[٢] » .

---

(١) دید گنجینهٔ بزر در خورد گردش از زیبهای زرین زرد
(نظامى : هفت پيكر ، ص ١٩٧)

(٢) بر رهش عشق ترکتازی کرد فتنه با عقل دست بازی کرد
پیکری دید در لفافه خام چون در ابرسیاه ماه تمام
فارغ أز بشر میگذشت براه باد ناگه ربود برقع ماه
فتنهرا باد رهنمون آمد ماه أز أبرسیه برون آمد
بشر کان دید سست شد پایش تیریك زخمه دوخت برجایش
(المرجع السابق ، ص ١٩٨ – ١٩٩)

ولكنه أراد أن ينتصر على نفسه ، و يتغلب على عشقه ، فسافر — سريعاً — إلى بيت المقدس حتى ينساها ، ثم رجع بعد الزيارة ، فصاحبه فى الطريق رجل كان اسمه « مليخا » ؛ كان حسن الظاهر ، ولكنه كان يحمل بين جنبيه نفساً شريرة ، كما كان يظهر علمه فيحاول شرح وتعليل كل ما يراه فى أثناء السفر .

و بينما كان المسافران يسيران فى الصحراء ، نفد ماكان معهما من ماء ، وكادا يموتان عطشاً ، لولا أن وجدا إبريقاً مملوءاً بالماء مخفياً تحت شجرة ، فرجح « بشر » أن الإبريق قد تركه صياد ، ثم شرب الرجلان منه ؛ ولكن « مليخا » أراد أن يستحم من هذا الماء ، ثم يكسر الإبريق ؛ فلم يوافقه « بشر » على ذلك ، غير أنه لم يذعن لرأى « بشر » ، وقفز فى الإبريق ، فغرق ، وظهر أن الإبريق عميق جداً .

ثم أخرج « بشر » جثة « مليخا » ، فسقطت من ملابسه حافظة نقود ، كان بها ألف دينار ، فصمم « بشر » على إعطائها لورثته ، فلما وصل إلى دياره ، أخذ يسأل عن أسرته ، حتى عرف منزله بعد مشقة وجهد ، فقابل زوجته ، وأخبرها بموته ، فقالت إنها فرحت بسماع هذا النبأ ، لأن « مليخا » كان سيء الطباع ، غليظ القلب . ثم أظهرت رغبتها فى الزواج من « بشر » ، وكشفت عن وجهها فظهر أنها المرأة التى كان بشر قد رآها ، فأسره عشقها ، وفُتِنَ بها حبًّا ، فسافر ليتغلب على عشقه .

« فلما رأى بشر أنه قرب من حور الجنة ، لبس اللون الأخضر كالحور[1] » .

وختمت الأميرة القصة بمدح اللون الأخضر ، فسُرَّ الملك ، وقضى معها ليلته سعيداً .

* * *

(١) چون نديد از بهشتيان دورش   جامه سبز دوخت چون حورش
(نظامى : هفت پيكر ، ص ٢١٤) .

٤ — بهرام تحت القبة الحمراء

وفى يوم الثلاثاء ؛ زار بهرام الأميرة السقلابية فى القصر ذى القبة الحمراء ، فقضى معها يوماً جميلاً ، ثم قصت عليه قصة هى : أن إحدى الأميرات كانت جميلة ، وكانت مُلِمة بكل العلوم حتى السحر ، فراج خبر جمالها فى العالم فخطبها أشخاص كثيرون من الممالك المختلفة ، ولكنها لم تقبل أحداً منهم .

ثم بَنَتْ ـ بإذنٍ من والدها ـ قصراً لها فى الجبل ، « وجعلتْ ـ بمهارتها ـ حوله عدة طلّسمات ، صنعتْ جسم كل منها من الحديد والحجارة ، ووضعتْ فى يد كل منها حربة ، فكانت تشطر كل مَنْ يمر من طريقها المخيف نصفين[(١)] » .

ثم رسمت صورتها ، « وكتبت فوقها بخط جميل جداً : كل من يريدنى من أهل الدنيا ، يجب أن يكون كالفراشة التى تريد النور ، فيضع قدمه داخل هذه القلعة ـ التى هى مكانى ـ فلا يتكلم من بعيد[(٢)] » .

وعلقت هذه الصورة على باب المدينة ، ولكن الذين حاولوا أن يتزوجوها لم يستطيعوا إبطال الطلسمات ، فكانوا يُقْتَلون « وكان (رجالها) يعلقون كل

---

(١) كرد در راه آن حصار بلند   أز سر زيركى طلسمى چند
پيكر هر طلسم از آهن وسنگ   هريكى دهرهٔ گرفته بچنگ
هركه رفتى بدان گذرگه بيم   گشتى أز زخم تيغها بدونيم
(نظامى : هفت پيكر ، ص ٢١٨–٢١٩)

(٢) بر سر صورت پرند سرشت   بخطى هرچه خوبتر بنوشت
كز جهان هركرا هواى منست   با چنين قلعهٔ كه جاى منست
گو چو پروانه در نظاره نور   پاى درنه سخن مگوى ازدور
(المرجع السابق ، ص ٢١٩–٢٢٠)

رأس تقطعها الطلسمات على باب المدينة[1] »

ولم يمض وقت طويل حتى اكتظ باب المدينة بالرءوس ، وأخيراً استطاع أمير شاب أن يذهب إلى عالم ماهر ، ويتعلم منه العلوم المختلفة ؛ فتمكن بذلك من إبطال الطلسمات ، لابساً اللبـاس الأحمر حقداً على الأشخاص الذين قتلتهم الأميرة .

ولما نجح الشاب فى الوصول إلى الهدف ، قبلته الأميرة زوجاً . ولما كان اللون الأحمر هو لون الفرح ، ولون اللبـاس الذى تغلب به « فقد اتخذ اللباس الأحمر فألاً له منذ يوم انتصاره[2] » .

ثم أخذت الأميرة تعدد مزايا اللون الأحمر ، فسرّ بهرام ، وأمضى معهـا ليلته مسروراً .

* * *

٥ — بهرام تحت القبة الفيروزية

وفى يوم الأربعاء ؛ زار بهرام الأميرة المغربية فى القصر ذى القبة الفيروزية فقضى معها يوماً ممتعاً ، ثم قصت عليه قصة هى : أن تاجراً مصريًّا شاباً — اسمه « ماهان » — كان يتريض مع بعض أصدقائه فى حديقة ، فجاء إليه زميل ، وأخبره بأن قافلة محملة بتجارته قد وصلت إلى باب المدينة ، فتوجه « ماهان » مع زميله إلى ذلك المكان ، ثم جاوزاه ، وكانت الشمس قد غربت ، فأغلق باب المدينة دونهما ، فلم يجدا بُدًّا من الانتظار حتى الصباح . ثم أراد « ماهان » أن يدخل المدينة ، فأخذ يسأل زميله عن وسيلة يتمكن بها من دخولها ، فدله على

(١) هر سرى كز سران بريدندى بـدر شهر بركشيدندى
(نظامى : هفت پيكر ، ص ٢٢١)

(٢) كاولين روز بر سپيدى حال سرخى جامه را گرفت بفال
(المرجع السابق ، ص ٢٣٤)

طريق سار فيه ، ولكن الطريق أفضى به إلى منطقة خربة مخيفة ، فتلفّتَ حوله فلم يجد أحداً ، وكان الزميل نفسه قد اختفى ، فألفى نفسه فى مكان موحش مملوء بالأغوال والحيوانات المفترسة ، والثعابين الفتاكة ، والكهوف المرعبة[1] .

وتحيَّر ماهان ، ولكنه استطاع أن ينجو ، و يترك المكان ، و يسير هائماً على وجهه للبحث عن مكان آمن ؛ و بينما هو سائر فى طريقه ، أقبل عليه فارس شيخ يركب حصاناً ، وسأله عن حقيقة حاله ، وهدّده بالقتل ، فقص عليه ماهان قصته ، فرّق الفارس له ، وهداه إلى حديقة فيها فواكه كثيرة ، وماء نمير ، وسمح له بالانتظار فيها طوال الليل ، على أن يجلس فوق شجرة ، فصعد ماهان إلى أعلى شجرة .

ولما جنّ الليل امتلأت الحديقة بفتيات جميلات ، ثم « أقمن حفلا رائعاً بالقرب من شجرته ، فامتلأ المكان بالشموع ، وامتلأت الوجوه بشراً ونشاطاً ثم جاءت امرأة جميلة — كانت سلطانتهن — فجلست فى صدر الحفل ، وأجلست الأخريات حولها[2] » .

ودعت السلطانة « ماهان » للجلوس بجوارها ، فجلس ؛ و بعد قليل « أخذ يعانقها ، و يقبِّل شفتيها الحراوين[3] » .

« غير أنه لما أمعن النظر فيها وجدها جنية ، خُلِقَتْ جميع أعضائها من غضب الله

(١) نظامى : هفت پيكر ، ص ٢٣٨ .

(٢) بزمگه خسروانه بنهادند پيشگاه بساط بگشادند
شمع بر شمع گشت روى بساط روى در روى شدسرور ونشاط
آن پريرخ كه بود مهتر شان درة التاج عقد گوهر شان
رفت وبر بزمگاه خاص نشست ديگرانرا نشاندهم بردست
(المرجع السابق ، ص ٢٥٧) .

(٣) لب بر آن چشمه رحيق نهاد مهر ياقوت بر عقيق نهاد
(المرجع السابق ، ص ٢٦١) .

كحية مرعبة ، لم ير الإنسان مثلها فى التوحش[1] » .

وأخذتْ هذه الجنية تعانقه ، وتهزأ به حتى الصباح ، فوجد نفسه فى ذلك المكان الموحش الذى كان فيه قبل ذلك ، ولكنه نجا بفضل « الخضر » ؛ « فلما سمع « ماهان » سلام الخضر نجا ، كالظمآن الذى رأى ماء الحياة[2] » .

ثم رجع « ماهان » إلى المدينة ، وصار يلبس اللون الأزرق « لأنه رأى أصدقاءه صامتين ، وكان كل منهم يلبس ثوباً أزرق حداداً عليه[3] » .

وختمت الأميرة القصة بمدح اللون الأزرق ، فاستحسنها بهرام ، وقضى معها ليلة ممتعة .

* * *

٦ — بهرام تحت القبة البنية[4]

وفى يوم الخميس ؛ زار بهرام الأميرة الرومية فى القصر ذى القبة البنية ، فقضى معها يوماً رائعاً ، ثم قصت عليه قصة هى : أنه كان يوجد شابان اسم

---

(١) چون در آن نور چشم وچشمه‌قند　　كرد نيكو نظر بچهم پسند
ديد عفريتى أز دهن تاپاى　　آفريده ز خشمهاى خداى
گاوميشى گراز دندانى　　كازدها كس نديد چندانى
(نظامى : هفت پيكر ، ص ٢٦١)

(٢) چونكه ماهان سلام خضر شنيد　　تشنه بود آب زندگانى ديد
(المرجع السابق ص ٢٦٦)

(٣) ديد ياران خويش را خاموش　　هريك أز سوگوارى أزرق‌پوش
(نفس المرجع والصفحة)

(٤) هذه الكلمة ترجمة لكلمة « صندلى » التى استعملها الشاعر ، ولعلها نسبة إلى نبات الصندل .

أحدهما « خَيْر » واسم الآخر « شر » ، وكان عمل كل منهما مطابقاً لاسمه[1] » .

ثم تصادف أن سافر هذان الشابان معاً فسارا ، حتى وصلا إلى صحراء ، وكادا يهلكان من شدة العطش ، وكان مع « شر » ماء ، فأخفاه عن « خير » الذى علم بذلك ، فطلب منه جرعة ماء ، على أن يعطيه جوهرتين ثمينتين ؛ ولكن « شر » رفض ، لأنه خشى أن يأخذ « خير » الجوهرتين منه ــ مرة ثانية ــ حينما يرجعان إلى المدينة ، وقال له : « بع لى عينيك الغاليتين بالماء ، و إلاّ فاصرف النظر عن الإبريق[2] » .

وقبل « خير » ذلك لشدة عطشه ، غير أن « شر » اقتلع عينيه ، وسرقه ، ثم تركه دون أن يسقيه ، فوجده أحد رعاة الغنم الأكراد ؛ وكان هذا الراعى غنياً ، كما كان يعرف نوعاً من الشجر يعالج ورقه مرض العمى ، فعالجه به حتى رجع إليه بصره ، ثم زوّجه ابنته قائلا : « إنى أختارك زوجاً لابنتى الجميلة بمحض حريتى ، و إنى أهبك كل ماعندى من الإبل والغنم ، حتى تصبح غنيا[3] » .

ثم استطاع « خير » أن يعالج ابنة الملك بورق هذا الشجر من مرض عضال حار فيه الأطباء ، فاختاره الملك زوجاً لها ، « وهكذا أوصله الحظ الحسن ، إلى العرش والملك[4] » .

---

(١) نام اين خير ونام آن شر بود   فعل هريك بنام درخور بود

(نظامى : هفت پيكر ، ص ٢٦٩)

(٢) گفت شر آن دو گوهر بصر ست   كاين ازان آن از اين عزيز ترست

چشمهارا بمن فروش بآب   ورنه زين آبخورد روى بتاب

(المرجع السابق ، ص ٢٧٢)

(٣) بر چنين دخترى بآزادى   اختيارت كنم بدامادى

وانچه دارم زگوسفند وشتر   دهمت تاز مايه گردى پر

(المرجع السابق ، ص ٣٨٣)

(٤) تا چنان شد كه نيكخواهى بخت   برساندش بپادشاهى وتخت

(المرجع السابق ، ص ٢٨٨)

وذات يوم ، أحضر رجال « خير » « شرًا » أمامه لظلمه شخصاً آخر ، فعفا « خير » عنه ، ولكن الراعى –والد زوجته الأولى– لم يطق صبراً ، فضرب رأس « شر » .

« ثم صار « خير » يتخذ اللون البنى لوناً لثيابه منذ ذلك الوقت ، حباً فى الشجرة التى كانت رائحتها تشبه رائحة نبات (الصندل)[(١)] » .

وختمت الأميرة القصة ببيان فوائد نبات الصندل ، فسُرَّ بهرام ، وقضى معها ليلته سعيداً .

* * *

٧ – بهرام تحت القبة البيضاء

وفى يوم الجمعة ؛ زار بهرام الأميرة الإيرانية فى القصر ذى القبة البيضاء ، وقضى معها يوماً ممتعاً ، ثم قصت عليه قصة هى : أن شاباً غنياً كانت له حديقة ، وكان إذا مرَّ بجوارها يسمع صوتاً موسيقياً يأتى منها ، ولكن باب الحديقة كان مُقْفَلاً ، لم يحاول أحد فتحه ، ففتحه الشاب ، ودخل الحديقة ، « فوجدها مملوءة بفتيات ذوات أصوات جميلة ، وكن فاتنات ، يستولين على المشاعر ، فكانت الأشجار تتمايل طرباً ، كأن فاكهتها عاشقة[(٢)] » .

وظنت الفتيات أنه لص ، فأخذن يضربنه ، ولكن الرجل قال : « إن

---

(١) برهواى درخت صندل بوى جامه را كرده بود صندل شوى
جز بصندل خرى نكوشيدى جامه جز صندلى نپوشيدى
(نظامى : هفت پيكر ، ص ٢٩١)

(٢) باغ پرشور از ان خوش اوازى جان نوازان درو بجان بازى
رقص برهر درختى افتاده ميوه دل برده بلكه جان داده
(المرجع السابق ، ص ٢٩٥)

الحديقة حديقتى ، فأنا أَضْرَبُ فى بيتى[(١)] » .

فلما عرفنَ ذلك صالحنه ، « وجلسن أمامه فى دلال ، وأخذن يقصصن عليه قصصاً جميلة[(٢)] » .

ثم اقترحن عليه أن يجمع كل فتيات المدينة الجميلات ، ليختار واحدة منهن ، ثم جمعن فتيات المدينة « وجلس السيد فى غرفة ، وأغلق بابها ، وكان فى وسط الغرفة ثقب يخترقه شعاع نور؛ ثم أخذت الجميلات يسرن أمامه عاريات وهو ينظر إليهن من الثقب فرآهن كالزهرات الفاتنات ، فكانت سيقانهن فضية ، وأثداؤهن رمانية ، وكن كلهن رائعات الجمال[(٣)] » .

ثم اختار الشاب فتاة منهن ، فأُحْضِرَتْ أمامه ، « فضمها إلى صدره ، وأمعن فيها تقبيلا[(٤)] » .

« وأراد أن يدخل بها ، فانقض عليها كالأسد المفترس الذى يحاول التهام

---

(١) مرد گفتا كه باغ منست برمن اين دود از چراغ منست
(نظامى : هفت پيكر ، ص ٢٩٧)

(٢) بنشستند پيش خواجه بناز باز گفتند قصه هاى دراز
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) خواجه بر غرفه رفت وبست درش باز گشتند رهبران ز برش
بود در ناف غرفه سوراخى روشنى تافته درو شاخى
چشم خواجه ز چشمه سوراخ چشمه تنگ ديد وآب فراخ
كرده برهر طرف گل افشانى سيم ساقى ونار پستانى
روشنانى چراغ ديده همه خوشتر از ميوه رسيده همه
(المرجع السابق ، ص ٢٩٨-٢٩٩)

(٤) زلف دلبر گرفت چون چنگش در بر آورد چون دل تنگش
بوسه وگاز بر شكر ميزد ازيكى تاده وزده تا صد
(المرجع السابق ، ص ٣٠٤)

الفريسة ، ولكنه وجد صعاباً تعترض طريقه[1] » .

واختلى الشاب بالفتاة مرات عديدة ، فكان ـ فى كل مرة ـ يستمتع بها ، ولكنه كلما حاول أن يدخل بها ، اعترض شىء سبيله ، ففى المرة الثانية ؛ « أراد أن يدخل بها فعاقته اضطرابات قام بها العامة ، وعكرت صفوه ، فصار حزيناً كالفراشة التى بعدت عن النور ، أو كالظمآن الذى فقد ماء الحياة[2] » .

وفى المرة الثالثة ، أراد الدخول بها ، فاعترضت طريقه معركة قامت بين ذئب وثعالب ، وكان الذئب يطارد الثعالب ، فالتجأت إلى حديقته[3] .

وأخيراً استيقظ ضميره « وصاح به : ما هذا العمل ؟ ! . . وما هذه الخصال الشريرة التى تكمن فى نفسك ؟ !...[4] » .

واتخذ مما حدث دليلا على عصمة الفتاة وعفافها ، فصمم على الزواج منها ، « فلما وصل إلى المدينة ، خطبها على سبيل الوفاء[5] » .

---

(١) خاست تانوش چشمه را خارد   مهر ازاب حيات بر دارد
چون درامد سياه شير بگور   زير چنگك خودش كشيد بزور
جايگه سست بود سخق يافت   خشت برخشت رخنهها بشكافت
(نظامى : هفت پيكر ، ص ٣٠٤)

(٢) دست بركنج در دراز كند   تا در گنج خانه باز كند
. . . . . .
ناكه آورد فتنه غوغايى   تا غلط شد چنين تمنايى
ماند پروانه را درانده نور   تشنهٔ گشت ازاب حيوان دور
(المرجع السابق ،ص ٣١٠)

(٣) المرجع السابق ، ص ٣١٢ .

(٤) بانگك بروى زدند كاين چه فنست
در خصال تو اين چه اهرمنست ؟ !
(نفس المرجع والصفحة)

(٥) چون بشهر آمد أز وفادارى   كرد مقصود را طلبكارى
(المرجع السابق ، ص ٣١٤)

ثم عقد قرانه عليها ، ودخل بها ، ولبس الثياب البيضاء في وقت الزفاف ، كدليل على العفاف والطهارة ؛ « وقد صار لبس الثياب البيضاء سنة في أوقات العبادة[١] » .

وختمت الأميرة القصة بمدح اللون الأبيض فسُرّ بهرام ، وقضى ليلته مسروراً .

* * *

وختم نظامى هذه القصص بقوله : « وقضى بهرام مثل هذه الليالى كثيراً تحت القباب السبع ، وفتحت له السموات أبوابها ، فصار حسن الحظ سعيداً[٢] » .

* * *

ثم تابع الشاعر حديثه عن تاريخ بهرام ، فأشار إلى مجىء ملك الصين إلى إيران لغزوها مرة ثانية ، ولم يكن لدى بهرام جيش أو مال ، فأشار عليه وزيره « راست روشن » بأخذ المال من الشعب اغتصاباً ، وقبل بهرام ما أشار به الوزير « لأنه كان مشغولاً باللهو والشراب ، مما جعل الوزير يتمادى في الظلم[٣] » وشاع في المملكة الفساد ، وأخذتْ معاول الهدم تعمل فيها ، دون أن يجرؤ أحد على إطلاع بهرام على حقيقة الحال ، حتى قابله — ذات يوم — راعٍ شيخ فأخذ ينصحه ، ويُبَصِّره بما في دولته من ظلم وفساد ، بسبب سوء تصرفات

(١) در پرستش بوقت كوشيدن سنت آمد سپيد پوشيدن
(نظامى : هفت پيكر ، ص ٣١٥)

(٢) وين چنين شب بسى بناز ونشاط سوى هرگنبدى كشيد بساط
بروى اين آسمان گنبد ساز كرده درهاى هفت گنبد باز
(المرجع السابق ، ص ٣١٥)

(٣) شه چو مشغول شد بنوش وبناز او ببيداد كرد دست دراز
(المرجع السابق ، ص ٤٢١)

الوزير ، وقال له : « إن المشهور فى كل مكان أن القتل من الملك ، والشفاعة من الوزير ، فقد شوّه الوزير بظلمه اسم الملك ، ونسب الحسن من الأعمال إلى نفسه[١] » .

فتأثر بهرام ، وأفرج عمن سجنهم الوزير ، ثم استدعاه ، وجلس يستمع إلى شكاوى الناس[٢] ، ثم أمر بقتله على مرأى منهم[٣] .

ولم يلبث ملك الصين أن أرسل إلى بهرام معتذراً ، وظهر أن الوزير كان يتصل به ، ويعرض عليه مساعدته[٤] .

وصار بهرام يعدل منذ ذلك الوقت « بل إنه لما رأى صورة العدل اعتبر ، ففضله على العالم جميعه ، وفُتِن بجماله ، وضحى فى سبيله بحبه للعرائس السبع[٥] » .

ولم يحتفظ بهرام من ملذاته إلا بالصيد .

وذات يوم ، كان يطارد حماراً « فدخل الحمار غاراً فى شجاعة وسرعة ، وتبعه الملك كالأسد المصور[٦] » .

وانتظره خدمه على باب الغار ، ولكنه لم يخرج ، « ثم خرج من الغار

---

(١) گفته در شرحهاى ماتم وسور   كشتن أز شه شفاعت أز دستور
نام شه‌را بجور بدكرده   نيكنامى بنام خود كرده
(نظامى : هفت پيكر ، ص ٣٢٩)

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٣٢–٣٤٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٤٥–٣٤٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٤٨ .

(٥) پيكر عدل چون بديده شاه   عبرت انگيخت أز سپيد وسياه
شاه كرد أز جمال منظر أو   هفت پيكر فداى پيكر أو
(نفس المرجع والصفحة)

(٦) گور درغار شد روان دلير   شاه دنبال أو گرفته چوشير
(المرجع السابق ، ص ٣٥٠)

غبارٌ كالدخان ، من شدة صيحات أتباعه المتـأثرين ، وسمعوا صوتاً يقول لهم : ارجعوا ، فإن لدى الملك عملاً يؤديه[(١)] » .

ودخل بعض رجاله الغار ، فوجدوه غير عميق ، « ولـكنهم لم يجدوا الملك بداخله[(٢)] ، فالتفوا حوله كالثعبان[(٣)] » .

ثم جاءت أم بهرام محترقة القلب ، وأمرت بحفر الأرض بجوار الغـار ، ـ للبحث عنه ـ ففعلوا ما أمرت به ، ولـكنهم لم يجدوا شيئاً ، فحزنت حزناً شديداً[(٤)] .

وانتهت المنظومة بذم الدنيا وغدرها[(٥)] . ثم مدح الشاعر حاكم مراغه ، وذكر تاريخ إتمام المنظومة[(٦)] ، وختم بالدعاء للحاكم بأن يرتفع شأنه ، وتكون خاتمته سعيدة[(٧)] .

* * *

(١) ز آه آن طفلـكان درد آلود گردى أز غار بردميد چودود
بانـگى آمد كه شاه درغارست بازگرديد شاهرا كارست
(نظامى : هفت پيكر ، ص ٣٥١)

(٢) هذا ماذكره نظامى ؛ أما الفردوسى فقد ذكرفى الشاهنامه ، ج ٤ ، ص٣٣٢ أن الوزير أخبر بهرام بخلو الخزائن من المـال ، فحزن ، وتنازل عن العرش لابنه يزدگرد ، ثم مرض ، وذهبوا ـ مرة ـ لإيقاظه فى الصباح ، فوجـدوه ميتاً على سريره .

(٣) چون نديدند شاه را درغار بردر غار صف زدند چومار
(نظامى : هفت پيكر ، ص ٣٥٢)

(٤) نفس المرجع والصفحة .

(٥) المرجع السابق ، ص ٣٥٤–٣٦١ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٣٦٧ .

(٧) نفس المرجع والصفحة .

هذه صورة مصغرة ، لقصة « بهرام كور » كما عرضها نظامى فى منظومته « هفت پيكر » ؛ وقد تحدث الفردوسى عن « بهرام كور » فى جزء من منظومته « شاهنامه » فيحسن أن نقارن بين تصور كل من الشاعرين ، حتى تتضح ألوان صورة نظامى ، ويمكن أن نحكم على ما فيها من فن حكماً دقيقاً .

الفصل الثالث

مقارنة بين تصوير كل من الفردوسى ونظامى لقصة بهرام كور

سجل الفردوسى فى منظومته « شاهنامه » أعمال بهرام ، وصوّر عصره تصويراً دقيقاً ، وأسرف فى تصوير رحلاته للصيد ، ومهارته فى الحرب[1] .

أما نظامى ؛ فقد صوّر فى منظومته « هفت پيكر » جانبين من حياة بهرام : الجانب التاريخى ، والجانب العاطفى ، وربط بينهما بمهارة ، وأعطاهما الصبغة القصصية .

فتحدث فى الجانب التاريخى عن ولادة بهرام ، ونشأته ، وجلوسه على العرش ، وحروبه ، وولعه بصيد الحمر الوحشية ، ونهايته .

وجعل الجانب العاطفى يشتمل على حب بهرام للأميرات السبع ، وحياته الزوجية معهن .

ونستطيع بعد دراسة منظومة نظامى أن نقرر أن تصويره للجانب التاريخى من حياة بهرام يشبه — إلى حد كبير — تصوير الفردوسى لشخصية بهرام ، وأن ماذكره نظامى يعتبر — فى الواقع — تكراراً لما قاله الفردوسى من قبل .

وقد اعترف نظامى نفسه بأنه كرر ما قاله غيره ، وحاول أن يُلْبِس نظمه ثوباً جديداً ، فقال : « سأحاول — بقدر ما أستطيع — أن أكون كنسيم الربيع ، فلا أكرر الأسلوب القديم ، بل أحاول التجديد ، ولو أنه ليس من عادتى أن أكرر ما قيل قبلى ، غير أن الطريق إلى الكنز واحد ، فإن يكن قد

---

(١) فردوسى : شاهنامه ، ج ٤ ، ص ١٩٦–٣٣٣ .

أُلقِي سهمان إلا أن الهدف واحد ، فلا مفر ــ إذاً ــ من تكرار القديم ، فأنا والفردوسى ضاربان لنقود الكلام ، جدَّدنا النقود القديمة ، فصنع هو من النحاس فضة نقية ، وحوَّلتُ أنا الفضة إلى ذهب خالص ، فلا تعجب من تحول الفضة إلى ذهب ، كما لم تعجب من تحول النحاس إلى فضة[١] » .

وصرح نظامى فى غير هذا الموضع بأنه أبقى ما وجده صحيحاً ــ من تاريخ بهرام ــ كما هو ، فلم يغيِّر فيه شيئاً ، وأنه حاول أن يُتِمَّ الحديث عن الجوانب التى لم يستكمل الفردوسى الحديث عنها ، وأن يضيف إلى بناء القصة بعض النقوش البديعة ، ليجعلها أجمل وأروع ، فقال : « تحدثتُ عن كل ما وجدت الحديث عنه غير كامل ، وأكملت ثقب الجواهر التى لم يُثْقَب إلا نصفها ، وأبقيتُ كل ما وجدته صحيحاً مستقيما فى صورته الأولى ، وحاولتُ أن أضيف إلى هذه القصة ما يزيِّنها من المحسنات الطريفة[٢] » .

والواقع أن تصوير نظامى للجانب التاريخى يختلف عن تصوير الفردوسى

---

(١) تا توانم چو باد نوروزی ‌‌‌‌ نكنم دعوى كهن دوزى
گرچه در شيوه گهر سفتن ‌‌ شرط من نيست گفته وا گفتن
ليك چوره بگنج خانه يكيست ‌‌ تيرها گردو شد نشانه يكيست
چون نباشد زباز گفت گزير ‌‌ دانم انگيخت أزپلاس حرير
دو مطرز بكيمياى سخن ‌‌ تازه كردند نقدهاى كهن
آن زمس كرد نقره نقره خاص ‌‌ وين كند نقره را بزر خلاص
مس كه ديدى كه نقره شد بعيار ‌‌ نقره كرزر شود شگفت مدار
(نظامى : هفت پيكر . ص ٨٣-٨٤)

(٢) آنچ أزونيم گفته بدگفتم ‌‌ گوهر نيم سفته را سفتم
وانچ ديدم كه راست بود ودرست ‌‌ ماند مش هم برآن قرار نخست
جهد كردم كه در چنين تركيب ‌‌ باشد آرايشى زنقش غريب
(المرجع السابق ص ١٦-١٧)

من الناحية الأسلوبية ، فقد وضح التفنن فى أسلوب نظامى[(١)] ، وظهرت فيه الصبغة التى لاحظناها فى الفن فى عصره ، بصفة عامة .

كما يختلف فى نظرة كل من الشاعرين لشخصية بهرام ، فقد تأثر كل منهما بروحه هو ، و بروح العصر الذى عاش فيه ، فى تصوير شخصية بهرام .

فالفردوسى كانت روحه حماسية ، فصور بهرام على أنه صورة للبطولة الإيرانية القديمة ، ومثل للحاكم القوى الذى ينعم بالملذات ، ويبحث عنها ، ويصرف فيها جزءاً كبيراً من وقته ؛ كما جعله بطلاً يستطيع القيام بخوارق الأعمال ، ورغم أنه صوّر عدله ، وعفوه عن المجرمين ، إلا أنه صوّر بطشه وقتله فى سبيل المحافظة على كبريائه ؛ فبيّن أنه قتل الجارية التى اصطحبها معه للصيد ، لأنها أشارت عليه بأن يرمى غزالين بحيث يجعل الذكر منهما أنثى ، والأنثى ذكراً ، ففعل « وحاك رأس الغزال وأذنه وقدمه فى مكان واحد ، وقال : إننى حينما أصطاد أستطيع أن أفعل مثلما رأيتِ ألف مرة ، فرق قلبها لذلك الغزال الطليق ، وقالت له : أنت شرير و إلا ما رميتَ بهذه الطريقة ، فأمسكها بهرام ، ورماها على الأرض ، ثم أجرى الهجين على الفتاة الجميلة حتى ماتت[(٢)] » .

وجعل الفردوسى جل حديثه يدور حول فروسية بهرام ، ومهارته فى الصيد ، فأسرف فى تصوير مناظر صيده .

---

(١) سيأتى الحديث عن هذا فى الباب السابع ، عند الحديث عن فن نظامى .

(٢) سروگوش وپايش بيكجا بدوخت   بران آهو آزاده‌را دل بسوخت
چنين گفت شه چون‌شكار افكنم   ازاينسان كه ديدى هزار افكنم
كنيزك بدو گفت اهريمنى   وگرنى بدينسان كجا افكنى
بزد دست بهرام واورا ززين   نگونسار برزد بروى زمين
هيون از برماه چهره براند   بزد دست وچنكش بخون برفشاند
(فردوسى : شاهنامه ، ٤ ، ص ٢٠٣)

ولكن نظامى حاول أن يصور بهرام فى صورة الملك العادل ، فلم يطنب فى الحديث عن الصيد ، ولم يسرف فى تصوير مناظره ، بل حاول أن يضرب الأمثلة على عدل بهرام ، فبيّن كيف قتل وزيره لظلمه، ثم جلس ليستمع شكاوى الناس ، وبلغ به حب العدل درجة جعلته يهجر نساءه الأميرات ليتفرغ للعدل بين الرعية.

ونظامى متأثر — فى هذا — بتمجيده هو للعدل ، ودعوته إلى الإصلاح ، ومحاولة اتخاذ الشعر ميداناً لدعوته التى تقوم على أساس تهذيب النفس ، وتقويم الخلق ، وإقرار العدالة فى المجتمع الذى يعيش فيه ، وتعتبر العدل غاية فى نفسه ، إذا أدركها الإنسان لم يحفل بما عداها .

ولذلك نجد بهرام — فى منظومة نظامى — يميل إلى العفو عند المقدرة ، فيبدأ عهده بالعفو والصفح ، وتطبيق العدالة فى جميع الأرجاء ، فلم يقتل بيده الجارية التى اصطحبها معه للصيد — والتى تطاولت عليه بعد أن قام بما أشارت به — بل سلمها لضابط ليقتلها ، وبكى حينما أخبره الضابط كذباً بأنه قتلها ، وسُرّ لما علم ببقائها على قيد الحياة ، ثم تزوجها ، كما مر .

وهكذا نجد فرقاً واضحاً بين تصوير كل من نظامى والفردوسى لشخصية بهرام هذا ، وعصره وما تم فيه من أعمال ، وما وقع من أحداث . هذا فيما يتعلق بالجانب التاريخى .

أما الجانب العاطفى من حياة بهرام ، فإن تناوله بالصورة التي عُرِضَتْ — فى « هفت پيكر » لنظامى — يعتبر جديداً ، لم يُسْبَق الشاعر إليه . وهو من خلق نظامى ، فليس موجوداً بهذه الصورة فيما نظمه الفردوسى .

ويبدو أن الذى دفع نظامى إلى عرض هذه الصورة ، هو روحه الغنائية ، وروح الناس فى عصره ، الذين كانوا يفضلون مناظر العشق ، ومواقف الحب ، فحاول الشاعر أن يطرق هذه الناحية ، حتى يجعل الحديث عن بهرام فى صورة قصة جميلة ، يلعب العشق فيها دوراً مهماً رئيسياً .

وقد أثبت نظامى ـ فى هذا الجزء ـ سبع قصص ، يتخذ العشق المكان الأول فيها ، مثلها فى ذلك مثل « خسرو وشيرين » و « ليلى ومجنون » .

وهو يتخذ هـذا المكان سواء فى حياة بهرام نفسه ، أو فى حياة أبطال هذه القصص .

ولكنها تختلف عن « خسرو وشيرين » و « ليلى ومجنون » فى أن خاتمة أبطالها سعيدة غالباً فليست نغماتها حزينة ، لأنها تذكر لتسلية بهرام وإمتاعه ، ولذلك وجدنا بطل كل قصة تُتَاح له فرصة التمتع ؛ حتى فى القصة الأولى ، التى انتهت بلبس الثياب السوداء ، حداداً على ماتولى من نعيم ، وجدنا بطلها يقضى شهراً ـ تقريباً ـ فى متعة متجددة .

كما نلاحظ أن عاقبة الأبطال النجاة دائماً ؛ فلم يهلك واحد منهم ، رغم ما قاساه بعضهم من مصاعب ، كما رأينا فى قصة التاجر المصرى الذى لاقى من الأهوال ما لاقى ، ثم نجا على يد الخضر ، ورجع إلى دياره سالماً .

واتخذ نظامى من هـذه القصص مجالا لإظهار آراءه فى الحب ، وأنه لايتنافى مع الفضيلة ، ومع الأخلاق الكريم ، والتمسك بالطهر والعفاف ، والدعوة إلى التطهر ، والترفع عن النقائص ، ومحاربة الرذيلة .

فوجدناه يحافظ على عفاف المعشوقة ، ويرعى الفضيلة ، ويقيم العقبات فى طريق الرذيلة . وصور هذا بصورة واضحة مجسمة فى القصة الأخيرة ، فكانت الحواجز تقام فى وجه البطل كلما فكر فى الاعتداء على عفاف معشوقته ، حتى استيقظ ضميره ، فمجّد العفاف ، وتزوج معشوقته زواجاً شرعياً ، واتخذ اللون الأبيض رمز الطهر والعفاف شعاراً له .

كما اتخذ القصص وسيلة للدعوة إلى اتباع العدل ، وفعل الخير ، وبيّن أن الحق ينتصر فى النهاية ، وأن قوى الشر قد تتغلب فى بادىء الأمر ، ولكنها لاتلبث أن تندحر وتتبدّد .

وأوضح مثل لذلك قصة « خير وشر » ، التى اتخذها الشاعر وسيلة لإثبات أن دولة العدل والخير ، هى التى تدوم ، بينما يزهق الباطل والظلم ، وتدول دولة الشر .

وهكذا نجد أن نظامى تأثر بروحه هو ، وبروح عصره ، وطبق مذهبه عند تصويره لبهرام من الناحيتين التاريخية ، والعاطفية .

فالشاعر ـ رغم تقليده للفردوسى فى عرض الوقائع التاريخية التى لا يمكن تحويرها ـ قد أضفى على المنظومة ما أكسبها جدة وطرافة ، وجعلها لا تقتصر على الحوادث التاريخية ، وتصوير مناظر الصيد ، بل تتعداها إلى تصوير العواطف الإنسانية السامية ، التى تهم الناس فى كل زمان ومكان ، وتوجههم إلى الخير ، وتدعوهم إلى فعله ، وتحاول إسعاد المجتمع .

وجعل الشاعر فنه فى خدمة الإنسانية ، فحاول أن يستخدمه فى الوصول إلى أنبل الأهداف ، وأسمى الغايات .

كما أن منظومة « نظامى » تختلف عما نظمه « الفردوسى » فى أنها أضفت على حياة بهرام وعصره الصورة القصصية ، وجعلته يبدو كبطل لقصة تقوم على أسس من الشجاعة والمهارة ، والعدل والحب ، ولو أن الحبكة الفنية لا تبلغ فيها درجة الروعة التى نجدها فى قصة « خسرو وشيرين » .

ولكن نظامى ـ رغم هذا ـ قد أخرج قصة بهرام فى صورة تختلف فى جوانبها ، وأضوائها عما ذكره الفردوسى ، فابتكر جوانب جديدة ، ومنحها أضواء خاصة زاهية .

فهى تعتبر جديدة طريفة فى الصورة التي عرضها نظامى ؛ مما جعل كثيراً من شعراء الفارسية والتركية يحاولون تقليده ، ونظم القصة متأثرين بما ورد فى منظومته .

وأشهر من قلدوه من شعراء الفارسية : أمير خسرو الدهلوى المتوفى فى عام

٧٢٥ هـ ، فنظمها تحت عنوان « هشت بهشت » ؛ وعبد الرحمن الجامى المتوفى في عام ٨٩٨ هـ ، الذى نظمها تحت عنوان « هفت پيكر » ؛ وهاتفى[1] المتوفى في عام ٩٢٧ هـ ، ونظمها تحت عنوان « هفت منظر » ؛ وفيضى المتوفى فى عام ١٠٠٤ هـ ، الذى نظمها تحت عنوان « هفت كشور » .

وأشهر من قلدوه من شعراء التركية « لامعى » ٩٣٨ هـ ،وقد نظمها تحت عنوان « هفت پيكر » .

والدارس لمنظومات هؤلاء الشعراء يستطيع أن يلاحظ — فى سهولة ووضوح — مبلغ اعتمادها على منظومة نظامى ، واقتباسها طريقتها ، وما فيها من معلومات واتجاهات خاصة .

ونضرب مثلاً لذلك « بأمير خسرو الدهلوى » ، الذى نظم القصة فى نفس البحر الذى استعمله نظامى ، وتأثر بما ورد فى « هفت پيكر » لنظامى — عن حياة بهرام ، ومهارته فى الصيد ، وقصص الأميرات السبع — تأثراً كاملاً ، ولم يدخل فى القصة إلا تعديلاً يسيراً ، يتعلق بترتيبها ، فبدأها بقصة الجارية التى لم تعترف بمهارة بهرام فى الصيد ، وذكر أن اسمها « دل آرام[2] » وبيّن أن « بهرام » تزوجها فى النهاية ، بعد أن أصبحت عازفة ماهرة ، تستطيع أن تجذب بعزفها الحيوانات إليها[3] .

وهذا تعديل طفيف يتعلق بالشكل ولا يؤثر فى موضوع القصة فى شىء ، فهو شىء عرضى لا يمس الجوهر ، ولا يتعرض للهدف الذى ترمى إليه القصة .

---

(١) كان « هاتفى » ابن أخت عبد الرحمن الجامى .

(٢) « دل آرام » معناها « راحة القلب » ، وقد ذكر نظامى هـذه الجارية باسم « فتنة » .

(٣) M. Wahid Mirza: The life and works of Amir Khusrau pp. 201-203.

ولعلنا نستطيع بعد هذه الدراسة أن نصدر حكمنا عليها ، فنقرر أن تصوير نظامى لقصة بهرام يعتبر جديداً طريفاً ، وأن تأثيره فى نفوس الشعراء كان أعمق أثراً ، وأبقى ذكراً .

* * *

ونكتفى بهذا القدر من الدراسة لمنظومة « هفت پيكر » ، لنتحدث عن منظومة نظامى الخامسة ، والأخيرة « إسكندر نامه » .

الباب الخامس

منظومة « إسكندر نامه »

الفصل الأول

دراسة حول منظومة إسكندر نامه

١ — أقسام المنظومة :

نظم الشاعر قصة الإسكندر فى بحر المتقارب المثمن ، وجعلها فى مجلدين ، تحدث فيهما عن ثلاثة جوانب من شخصية الإسكندر .

المجلد الأول : ويُسمّى « شرفنامه » ، وهو الذى تحدث فيه عن الإسكندر كبطل فاتح . ويشتمل على ٦٨٠٠ بيت من الشعر .

والمجلد الثانى : ويُسمّى « إقبالنامه » ، كما يسمى « خردنامه[١] » . وتحدث فيه عن الإسكندر كحكيم ، ونبى ؛ ويشتمل على ٣٦٨٠ بيت من الشعر .

ورغم أن ما يتعلق بشخصية الإسكندر كحكيم ، وما يتعلق بها كنبى ، يضمهما مجلد واحد ، إلا أنه يبدو أن الشاعر كان قد وضع نصب عينيه أن يتحدث عن كل جانب حديثاً مستقلاً ، لأنه عرض ـ فى مقدمة شرفنامه ـ الآراء المختلفة التى قيلت فى حقيقة الإسكندر ، ولخصها فى ثلاثة آراء فقال : « يعتبره جماعة مَلِكاً فاتحاً للعالم ، وسائحاً فى الآفاق ، ويجعله قوم حكيماً ، ويقتبسون الحكمة من أعماله ، ويعترف جماعة بنبوته ، لتقواه وعنايته بالدين[٢] » .

---

(١) هذه هى التسمية التى ذكرها نظامى نفسه ، وهى التسمية الرائجة ، أما فى الهند ، فإنهم يسمون القسم الأول « إسكندرنامه برى » لأنه يتحدث عن رحلات الإسكندر على اليابس ، ويسمون القسم الثانى « إسكندرنامه بحرى » لأنه يتناول رحلاته على الماء .

(٢) گروهيش خوانند صاحب سرير ولايت ستان بلكه آفاق گير
گروهى ز ديوان دستور أو بحكمت نبشتند منشور أو =

ثم بيّن نظامى بعد ذلك أنه يعتبر الإسكندر مُتَّصِفاً بهذه الصفات جميعها ـ أى أنه ملك شجاع ، وحكيم ، ونبى[1] ـ وأنه سيتحدث عن كل صفة منها حديثاً خاصاً مستقلاً ، فقال : « سأُنبِتُ من كل حبة ـ من هذه الحبات الثلاث شجرة قوية ، فأطرق ـ أولاً ـ باب مُلكه ، فأتحدث عن فتوحه وانتصاراته ، ثم أتحدث بإبداع عن حكمته ، فأسجل الحِكَم القديمة ، ثم أطرق بعد ذلك باب نبوته ، لأن الله ـ أيضاً ـ قد قررها[2] » .

ثم أكّد أنه تحدث عن كل جانب حديثاً مستقلاً . فقال : « صنعتُ ثلاثة أبواب ، وتحمّلتُ فى إعداد كل منها عناء خاصّاً ، وهى تحف نادرة ، سأجعل العالم ـ بواسطتها ـ مملوءاً بالجواهر[3] » .

= گروهى زپاكى ودين پرورى پذيرا شدندش بپيغمبرى
(نظامى : شرفنامه ، ص ٥٤)

(١) تغير رأى الإيرانيين فى الإسكندر المقدونى على مر القرون . يقول عزام فى حواشيه على ترجمة الشاهنامه للبندارى ، ج ٢ ، حاشية ص ٣ : « كان يسمى الإسكندر اللعين الذى دمر المملكة وأحرق كتب زردشت فصار ذا القرنين الموحد العابد الفارسى ابن الملك داراب وأخا دارا » . ويبدو أن نظامى قد خلط بين قصة الإسكندر ، وقصة موسى والخضر ، وقصة ذى القرنين المذكورتين فى القرآن ، وصور شخصية الإسكندر متأثراً بهذه النظرة ، كما سيأتى .

(٢) من أز هرسه دانه كه دانا فشاند درخت برومند خواهم نشاند
نخستين در پادشائى زنم دم از كار كشور گشائى زنم
ز حكمت بر آرايم آنگه سخن كنم تازه پارنجهاى كهن
بپيغمبرى كوبم آنگه درش كه خواند خدانيز پيغمبرش
(نظامى : شرفنامه ، ص ٥٥)

(٣) سه در ساختم هردرى كان گنج جدا گانه بر هردرى برده رنج
بدان هرسه در يابدان هرسه در كنم دامن عالم از گنج پر
(نفس المرجع والصفحة)

وهذا يرجِّح أن نظامى قسَّم قصة الإسكندر إلى ثلاثة أجزاء ، ونظم كلَّ جزء منها على حدة .

فعرض فى الجزء الأول صورة الإسكندر كملك قوى ، و بطل فاتح ، وسجَّل مفاخره ، وسمَّى هذا الجزء « شرفنامه[١] » .

وتحدث فى الجزء الثانى عن الإسكندر كحكيم ، وسمَّاه « خردنامه[٢] » ؛ لأنه بدأه بالحديث عن العقل ، فقال : « أينما يُظهر العقل كنزاً من الحكمة فإنه يجعل اسم الله مفتاحاً له[٣] » .

وصوّر فى الجزء الثالث الإسكندرَ فى صورة نبى له رسالة ، وسمَّاه « إقبالنامه[٤] » ؛ لأنه اعتبر أن سعادة الإسكندر الحقيقية بدأت يوم اختياره نَبِيًّا ، فقال « لقد سَجَّلوا تاريخ الإسكندر منذ ذلك الوقت الذى صار فيه نبيًّا[٥] » .

غير أنه يبدو أن كبر سن الشاعر وضعفه ، جعلاه يختصر الجزءين الأخيرين اختصاراً شديداً ، ويجعلهما فى مجلد واحد سمَّاه « خردنامه و إقبالنامه[٦] » .

---

(١) « شرفنامه » معناها « كتاب الشرف » .

(٢) « خردنامه » معناها « كتاب العقل » .

(٣) خرد هركجا گنجى آرد پديد   زنام خدا سازد آنرا كليد
(نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص ٢)

(٤) « إقبالنامه » معناها « كتاب السعادة أو الحظ » .

(٥) از آن روز كوشد بپيغمبرى   نبشتند تاريخ اسكندرى
(نظامى : شرفنامه ، ص ٧١)

(٦) يبدو أن مانظمه نظامى عن حكمة الإسكندر ونبوته ، لم يصادف هوى فى نفوس الإيرانيين ، لأنه أشاد بتوحيد الإسكندر لله بينما كان الإيرانيون يقدسون النار ، ومجَّد تحطيم الإسكندر لبيوت النار ، وقضاءه على «الأوستا» كتابهم المقدس . فكان هذا من الأسباب التى لم تحبب نظامى إلى قلوبهم ، فلم يتعلقوا به تعلقهم بالفردوسى ، الذى أشاد بالفرس وسجل مفاخرهم وأمجادهم ، ولعل هذا كان =

كما يبدو أن الشاعر كان يعد الجزء الأول وحده مساوياً لنصف القصة ، لأنه قال بعد فراغه من نظم شرفنامه : « حينما فرغتُ من نصف هذا البناء ، عددْتُ نفسى مسيطراً على نصف العالم ، وسأنظم النصف الآخر إذا كان فى العمر بقية[(1)] » .

غير أن الجزءين الأخيرين - فى صورتهما التى بين أيدينا - يساويان ثلث القصة لا نصفها ، لأن عدد أبياتهما لا يزيد كثيراً عن نصف عدد أبيات الجزء الأول ، فضلاً عما فيهما من اضطراب فى بعض الأجزاء .

* * *

٢ تواريخ إتمام أجزاء القصة ، وما أصابته من نجاح :

صرح نظامى بأنه أتم نظم « شرفنامه » فى عام ٥٩٧ هـ ، فقال : « نظمت هذه المنظومة فى الدنيا ، لتبقى فيها إلى يوم القيامة ؛ وأتممتُها فى وقت الزوال من اليوم الرابع من شهر المحرم ، لسبعة وتسعين وخمسمائة عام خلت بعد الهجرة[(2)] » .

أما « خردنامه وإقبالنامه » فقد رجحت أنه كان ينظم فيهما فى عام ٥٩٩ هـ ، لأن الشاعر صرّح بهذا التاريخ ، وأشار إلى أنه كان فى سن الستين ، كما رجحتُ

= سبباً فيما نجده فى الجزءين المتعلقين بحكمة الإسكندر ونبوته من اضطراب - أحياناً - يشعر بأن أجزاء منهما قد حذفت ، أو سقطت فى أثناء النسخ ، فأصبح يضمهما مجلد واحد - فى صورتهما الحالية - مما سنتبينه من الدراسة .

(١) چو شد نيمهٔ زاين بنا مهره بست مرا نيمه عالم آمد بدست
دگر نيمه‌را گر بود روزگار چنان گويم از طبع آموزگار
(نظامى : شرفنامه ، ص ٥٢٤)

(٢) بگفتم من اين نامه‌را درجهان كه تا دور آخر بود درجهان
بتاريخ پانصد نود هفت سال چهارم محرم بوقت زوال

Rieu: Cat. of the Persian Mss. in the Brit Mus., from Add. 26,45, Fol.1143, and Add. 25,799, fol. 176.

أن نظمهما تم فى عام ٦٠٣ هـ ، حينما كان الشـاعر فى منتصف الرابعة والستين من عمره .

* * *

وقدم الشاعر « شرفنامه » لنصرة الدين أبى بكر أتابك آذر بيجان ـ كما مرَّ ـ لأنه اعتبره بطلا مظفراً كالإسكندر ، ولا ندرى أية جائزة حصل عليها الشاعر مكافأة له على عمله ، لأنه لم يذكر أكثر من قوله : « الحمـد لله الرحيم ، رب العالمين ، لأن إنصاف الوالى أكثر من قصة الإسكندر(١) » .

غير أننا لا نعرف ـ على وجه التحقيق ـ نوع هـذا الإنصاف ، ومقداره .

أما « خردنامه وإقبالنامه » ، فقد قدمهما لعز الدين مسعود أتابك الموصل ، كما سبق . وحاول أن يظفر منه بجائزة عظيمة فخاطبه بقوله : « اشرب كأساً من إناء نظامى ـ على طريقة الملوك القدماء ـ فستأخذ بهـا حق الشاهنامه من السلطان محمود(٢) ، لأنها تشبه كأس الفردوسى ، فأنت وأنا وارثان لمنجمين قديمين ، فلَكَ منجم السخاء ، ولى منجم الكلام ، وقد أصبح من حقى أن أظفر بالجائزة التى حُرِم منها الفردوسى(٣) » .

---

(١) سپاس أز خـداوند گيتى پناه   كه بيشست ازاينقصه إنصاف شاه
(نظامى : شرفنامه ، ص ٦٥)

(٢) يقصد الشاعر السلطان «محمود الغزنوى» الذى قدم الفردوسى له منظومته « شاهنامه »، ولم يظفر بالجـائزة التى كان يتوقعها ، ويعتـبر نظامى نفسه وارثاً للفردوسى ، وجـديراً بأن يأخذ جائزته من الوالى ، لأنه أهل لأن تنسب إليه المنظومتان معاً : منظومة الفردوسى ، ومنظومته .

(٣) زكاس نظامى يكى طاس مى   خورى هم بآيين كاوس كى
ستانى بدان طاس طوسى نواز   حق شاهنـامه ز محمـود باز
دو وارث شمار أز دوكان كهن   ترادر سخا ومرا در سخن
بوامى كه نادادہ باشـد نخست   حق وارث از وارث آيد درست
(نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص ٣٥)

و بيّن للوالى أنه لم يذكر أحداً غيره ، حتى لا يقرّب شاعراً سواه ، فقال : « أرسلتُ إليك تذكاراً قيّماً لعمل عظيم ، وحاشا أن أذكر اسم شخص غيرك، فاذكرنى بهذا التذكار[١] » .

وقرر أنه أرسل عمله مع ابنه ليرجع إليه محمَّلا بالعطاء ، فقال: « لقد أرسلتُ إليك روحى ، وأرسلتُ مع الروح فلذة كبدى ، فرُدَّها إلىَّ محمَّـلة بعطاء أكثر مما أتصور[٢] » .

ولا ندرى ـ كذلك ـ أى عطاء وصل إلى الشاعر ، ولو أن هناك أبياتاً ـ فى آخر المنظومة ـ تشير إلى مكافأته على عمله[٣] ؛ ولكنها تُذْكر فى الحاشية ، على أنها أبيات ملحقة .

ولعل وفاة الشاعر بعد تقديم المنظومة بمدة وجيزة ، هى التى لم تمكنه من إثبات نوع العطاء ، إن كان هناك عطاء .

* * *

٣ — سبب نظم قصة الإسكندر :

لم يذكر نظامى سبباً لاختياره قصة الإسكندر المقدونى ، بعد نظمه قصة « بهرام كور » ، ولم يشر إلى أن أحداً من الحكام طلب منه نظمها ، وكل

(١) اگرچه من آز بهر كارى بزرگ فرستادمت يادگارى بزرگ
مبادا زتو جز توكس يادگار وزين يادگار اين سخن ياددار
(نظامى : خردنامه وإقبالنامه ص ٣٦)

(٢) چو من نزل خاص توجان داده ام جگرنيز باجان فرستاده ام
چنان باز گردانش أز نزد خويش كزاميد من باشد آن رفق بيش
(المرجع السابق ، ص ٢٨٦)

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٩٤ . وقد ذكرت الأبيات نوع المكافأة ، ولكن دستگردى يقول إن الأبيات ملحقة ، وليست من نظم الشاعر .

ماقرره هو أن هاتفاً نصحه بنظمها[1] ، وهى طريقة اتبعها قبل ذلك حتى يبرر شروعه فى نظم جديد .

وليس فى قصة الإسكندر مناظر حب؛حتى نقول إنها شجعته على اختيارها، كما اختار سابقتها لهذا السبب .

ونحن نرجح أن الدافع الذى حفز نظامى إلى نظم قصة الإسكندر هو أنه كان شيخاً هرماً يريد أن يختم حياته بصورة ليس فيها لغو ولا تأثيم ، فابتعد عن قصص العشق ، واختار قصة بطل مؤمن موحد ، ونبى — فى رأيه — يدعو الناس إلى العدل والإصلاح .

ولعل وجود قصة الإسكندر فى عصره فى صورة نثرية — كما سيأتى — هو الذى شجعه على نظمها ، لأن ذلك جعل مهمته أسهل ، وسبيله أيسر .

* * *

وسنعرض فى الفصول التالية شخصية الإسكندر — كما صورها نظامى — من جوانبها الثلاثة ؛ فنصور بطولته ، وحكمته ، ونبوته ، ثم نقارن هذه الصور ، بتصوير الفردوسى لشخصية الاسكندر — فيما نظمه عنه فى منظومته «شاهنامه» — حتى يمكننا أن نقدِّر عمل نظامى تقديراً صحيحاً .

---

(١) نظامى : شرفنامه ، ص ٢٦ — ٢٩ .

الفصل الثاني

بطولة الإسكندر كما صورها نظامي في شرفنامه

بدأ نظامي « شرفنامه » بمقدمة تقليدية[1] ؛ تحدث فيها عن توحيد الله ، ومناجاته ، ومدح الرسول ، وذكر معراجه ، كما تحدث عن سابقة نظم شرفنامه ، وذكر أنه كان في حالة مراقبة فسمع هاتفاً ينصحه بنظم القصة ، ثم تحدث عن الشيخوخة ، وعن تقدم منظومته على كل ماسبقها من منظومات ، وذكر السبب في قوله : « إن المنظومات الأخرى ــ التي تجدها قبل ذلك ــ ليست صحيحة في نظر الشعب ، فلا ينبغي أن تحرف هذه القصة ، وأن تكتب في صور مختلفة ، فمنظومتي لها شرف على غيرها من المنظومات بفضل الدقة في النظم ، وقد سميتها كتاب الشرف ، لاشتمالها على قصة الإسكندر ، وهي تشرف الملوك[2] » .

ثم أشار إلى صنيع الفردوسي فقال : « إن الشاعر السابق الفردوسي عالم طوس زيَّنَ وجه النظم كالعروس ، ولكنه ترك أشياء لم يذكرها في منظومته التي نظم فيها الجواهر ؛ ولو نظم كل ماروى منذ القدم لأصبحت القصة مطولة . فحذف منها كل مالم يوافق هواه (ويتمشى مع فكرته) ، ونظم الأشياء التي لم يكن هناك بد من ذكرها ، فترك بذلك بقية للأصدقاء ، لأنه لاينبغي أن

---

(١) نظامي : شرفنامه ، ص ٢٢ ــ ٦٧ .

(٢) دگر نامه‌هارا كه جوئى نخست ‫ ‫ بجمهور ملت نباشد درست
نباشد چنين نامه تزوير خيز ‫ ‫ نبشته بچندين قلمهاى تيز
بنيروى نوك چنين خامه ها ‫ ‫ شرف دارد اين بر دگر نامه ها
ازآن خسروى مى كه‌درجام‌اوست ‫ ‫ شرفنامه خسروان نام أوست
(نظامي : شرفنامه ، ص ٤٩ــ٥٠)

يأكل الحلوى وحده[1] » .

وختم المقدمة بقوله : « حينما شرع نظامى فى نظم القصة ، ترك كل ماذكره الفردوسى ، ونظم ماوجده فى الكنز من جواهر غير منظومة ، فجدد بنظمها الأحاديث القديمة ، وجعلها مشهورة ، ذائعة الصيت[2] » .

وذكر أن الخضر علمه كيفية نظم القصة[3] ، ثم أخذ فى سردها ، فأجملها فى أبيات قليلة ؛ قائلا : « كان الإسكندر ملكا سائحاً ، يعد السفر عدته ، فطاف أركان العالم الأربعة ، ورآها ، لأن الملك لايبنى إلا على أربعة أركان[4] » .

وأشار إلى جلوسه على العرش فقال : « فلما طوى عمره صحائف العشرين عاماً دق طبول الملك ، وحينما بلغ عمره السابعة والعشرين صار نبياً ، يطوف

---

(١) سخنگوى پيشينه داناى طوس
که آراست روى سخن چون عروس
در آن نامه کان گوهر سفته راند　　بسى گفتنيهاى ناگفته ماند
نگفت آنچه رغبت پذيرش نبود　　همان گفت کزوى گزيرش نبود
دگر از پى دوستان زله کرد　　که حلوابتنها نشايست خورد
(نظامى : شرفنامه ، ص ٥٠-٥٧)

(٢) نظامى که در رشته گوهر کشيد　　قلم ديدهارا قلم درکشيد
بناسفته درى که در گنج يافت　　ترازوى خودرا گهر سنج يافت
شرفنامه‌را فرخ آوازه کرد　　حديث کهن‌را بدو تازه کرد
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٠ .

(٤) سکندر که شاه جهان گرد بود　　بکارسفر توشه پرورد بود
جهان را همه چارحد گشت وديد　　که بى چارحد ملك نتوان خريد
(المرجع السابق ، ص ٧٠)

العالم ليبلغ رسالته[١] » .

« ولقد بنى – فى كل رحلة قام بها – مدينةً فى كل ناحية من أنحاء العالم ، من الهند إلى أقصى الروم[٢] » .

« فكان كالمهندس الماهر الذى يقيس العالم من ساحل إلى ساحل ، فذرع الدنيا بهذه الهندسة ، وأراحها من الهم[٣] » .

ثم أخذ الشاعر يفصل ما أجمله ، فسجل تاريخ الإسكندر ، وبدأ بذكر والده « فيلقوس[٤] » فقال « كان من بين ملوك الروم ملكٌ مشهور اسمه فيلقوس بسط نفوذه على الروم والروس ، وكان موطنه بلاد اليونان ، ومقر حكمه إقليم مقدونية[٥] » .

---

(١) چو عمرش ورق راند بربيست سال
بشاهنشهى بردهل زد دوال
دويم ره كه بربيست افزود هفت
بپيغمبرى رخت بربست ورفت
(نظامى : شرفنامه ، ص ٧١).

(٢) بهر گردش كرد پرگار دهر
بنا كرد چندين گرانمايه شهر
ز هندوستان تا بأقصارى روم
برانگيخت شهرى بهر مرزوبوم
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) بدينگونه مساح منزل شناس
ز ساحل بساحل گرفتى قياس
جهان را كه أز غم براحت كشيد
بدين هندسه در مساحت كشيد
(المرجع السابق ، ص ٧٣)

(٤) ذكر نظامى اسم والد الإسكندر على أنه «فيلقوس» وهو قريب من التسمية المعروفة « فيلبوس » أو « فيليفوس » ،

(٥) كه از جمله تاجداران روم
جوان دولتى بود ازان مرز وبوم
شهى نامور نام أو فيلقوس
پذيراى فرمان أو روم وروس
بيونان زمين بود مأواى أو
بمقدونيه خاص‌تر جاى أو
(نظامى : شرفنامه ، ص ٨٠).

وتحدث عن أصل الإسكندر ، فقال : « إن فى هذه القصة أقوالا كثيرة ، وقد اطلعت على هذه الأقوال جميعها[١] » .

ثم سرد بعض الأقوال ، فذكر ماروى من أن فيلقوس تبنى الإسكندر ، فقال « رأى فيلقوس امرأة ميتة فى الصحراء ــ فى أثناء الصيد ــ وكان على جثتها طفل يرضع إصبعه من قلة اللبن ، وكأنه يعض إصبعه حسرة على موت أمه ؛ فأمر أتباعه بالإسراع بدفن الأم ، وحمل الطفل من الطريق ، ثم أخذه ، ورباه ، ودلّله ، وجعله وليا لعهده ، فكانت هذه صدفة غريبة ، تدعو إلى الدهشة ، والتعجب[٢] » .

وأورد ماروى من أنه إيرانى ، فقال : « وهناك رأى آخر يذكره المجوس ، فيربطون نسبه بدارا[٣] » .

وذكر أنه أهمل كثيراً من الآراء الأخرى ، فقال : « وهناك أقوال أخرى ليست صحيحة ، لايجد الشاعر نفسه حريصاً على إيرادها[٤] » .

---

(١) در اين داستان داوريها بسيست   مرا گوش برگفته هر كسيست
(نظامى شرفنامه ، ص ٨١)

(٢) زنى ديد مرده بدان رهگذر   ببالين أو طفلى آورده سر
زبى شيرى انگشت خود ميمزيد   بمادر برانگشت خود ميگزيد
بفرمود تا چاكران تاختند   بكار زن مرده پرداختند
زخاك ره آن طفل را برگرفت   فروماند از آن روز بازى شگفت
ببرد وبپرورد وبنواختش   پس ازخود وليعهد خود ساختش
(المرجع السابق ، ص ٨١–٨٢)

(٣) دگر گونه دهقان آزر پرست   بدارا كند نسل أو باز بست
(المرجع السابق ، ص ٨٢)

(٤) دگر گفتها چون عيارى نداشت   سخنگو برآن اختيارى نداشت
(نفس المرجع والصفحة)

وختم بذكر رأيه هو الذى يميل إلى أن الإسكندر هو الابن الحقيق لفيلقوس، فبيّن أن والدته « كانت زوجة شرعية للملك فيلقوس ، وكانت عروساً جميلة عفيفة[1] » .

وتحدث عن حملها بالإسكندر ، وصور وضعه على أحسن فأل ، وأجمل طالع « فسر الملك بابنه حسن الحظ ، وجلس على عرشه ، ومنح الناس كثيراً[2] » .

ثم أشار إلى تربية الإسكندر على يد « نقوماجس » والد أرسطو ، « وكان أرسطو زميلا له فى الدراسة ، وكان يتفانى فى خدمته[3] » .

وتحدث عن جلوسه على العرش ، ووصف عدله ، فقال : « امتلأت الدولة بعدله ، فجدد بذلك عهد أبيه ، وأجرى ما أعجبه من القوانين التى استعملها والده[4] » .

ولم يفكر فى إيذاء أحد ، ولم يبعد نفسه عن جادة العدل ، فرفع الضرائب عن التجارة ، ولم يفرض خراجاً على المدنيين ، فعافى الزراع ، ومنح الفقراء ، فكان يعمر الدولة ويسعدها ، ويقضى على ما فيها من فساد ، ويحل محله

(١) كه در بزم خاص ملك فيلقوس　　بتى بود پاكيزه ونوعروس
(نظامى : شرفنامه ، ص ٨٢)

(٢) شه از مهر فرزند پيروز بخت　　در گنج بگشاد وبرشد بتخت
(المرجع السابق ص ، ٨٣)

(٣) أرسطو كه همدرس شهزاده بود　　بخدمتگرى دل بدو داده بود
(المرجع السابق ، ص ٨٦)

(٤) ولايت ز عدلش پر آوازه گشت　　بدو تاج وتخت پدر تازه گشت
همان رسمها كز پدر ديده بود　　نمود آنچه رايش پسنديده بود
(المرجع السابق ، ص ٩١)

الإصلاح[١] » .

ثم ذكر أن فتوحه كلها تأثرت بهذه العاطفة ؛ عاطفة حب العدل ، و إنصاف المظلومين .

و بدأ الشاعر الحديث عن بطولة الإسكندر ، فابتدأ بالفتح المصرى ، و بيّن أن سببه كان تظلم المصريين من الزنوج ، الذين سدوا مسالك الصحراء[٢] . «فأمر أن يسير جيشه ، محاذياً لنهر النيل حتى يصل إلى الصحراء[٣]» . ثم بدأت الحرب بينه ، و بين الزنج ، « لحمل كل من الطرفين على الطرف الآخر من الصباح إلى المساء دون أن يُجرَح واحدٌ منهم[٤] » .

ثم اشتدت الحرب[٥] فى الأيام التالية ، وانتصر الإسكندر فى النهاية ، « وغنم غنائم كثيرة ، لم تستطع الإبل حملها ، فأقام معابر كثيرة ، لمرور الفيلة وهى تحمل الغنائم الثمينة[٦] » .

---

(١) بآزردن کس نیاورد رای   برون أز خط عدل ننهاد پای
بیازارگانان رها کرده باج   بجست از مقیمان شهری خراج
ز دیوان دهقان قلم برگرفت   ببمایگان هم درم در گرفت
عمارت همیکرد وزر میفشاند   همه خارمیکند وگل مینشاند

(نظامى : شرفنامه ، ص ٩٢-٩٣)

(٢) رسیدند چندان سیاهان زنگ   که شد در بیابان گذرگاه تنگ

(المرجع السابق ، ص ٩٥)

(٣) بفرمودشه کز لب رود نیل   کندلشکرش سوی صحرا رحیل

(المرجع السابق ، ص ٩٦)

(٤) بسی حمله بریکدیگر ساختند   یکی زخم کاری نینداختند

(المرجع السابق ، ص ١٢٤)

(٥) أطنب نظامى فى شرفنامه ، ص ٩٨- ١٣٦ فى تصوير مناظر الحرب ، وسير المعارك بين الإسكندر والزنج .

(٦) ز صحرا غنیمت بر آورده کوه   ز گوهر کشیدن هیونان ستوه
ز بس گنج آکنده بر پشت پیل   بصد جای پل بسته بررودنیل

(المرجع السابق ،ص ١٣٦)

« وبنى – بعد النصر – أول مدينة على ساحل البحر ، وجعلها رائعة كالربيع الأخضر ، مشرقة كالجنة ، وأقام – فى أنحائهـا – الأسواق العامرة ، والمزارع الناضرة ، ولما أكمل بناءها سماها الإسكندرية[1] » .

« ثم أرسل الهدايا إلى ملك الفرس دارا ، فوصلت إلى مدينة بخارى ، وأرسل معها رسولاً عاقلاً ، يُحْسِن أداء المهمة التى كُلِّف بها ، وكانت الهدايا منتقاة من أثمن الغنائم التى غنمها ، فكانت رائعة لم تر العين مثلها[2] » .

« فلما أبصر دارا هذه الهدايا العظيمة ، أكل الحسد قلبه . . . فأجاب إجابة تافهة ، لم تُعْجِب الإسكندر ، فاغتاظ من فعله ، وصمم على تأديبه[3] » .

وقطع الإسكندر الجزية التى كان يرسلها إلى دارا ، كما كان والده يرسلها من قبل ؛ فاستاء دارا ، وأرسل فى طلبها ، ولكن الإسكندر رفض ، ورد رداً جافاً فيه تحذير له من بطشه ، واستشهاد بحروبه مع الزنج ، وتنكيله بهم ، قائلاً : « لعل الملك لايعرف عدد الرءوس التى قُطِعت فى الحروب ، وإلى أين

(١) نخستين عمارت بدرياكنار بناكرد شهرى چو خرم بهار
بآبادى وروشنى چون بهشت همش جاى بازار وهم جاى كشت
باسكندر آن شهرچون شد تمام هم اسكدريه ش نهـادند نام

(نظامى : شرفنامه ، ص ١٣٦–١٣٧)

(٢) چو نوبت بسر بخش دارا رسيد شتربار زر تا بخـارا رسـيد
گزين كرد مردى بفرهنگ ورای كه آيين آ نخدمت آرد بجاى
گزيد از غنيمت طرايف بسى كز آنسان نبيند طرايف كسى
(المرجع السابق ، ص ١٣٨)

(٣) شكوهيد دارا زنزلى چنـان حسد را بروتيز تر شد عنـان
. . . . . .
فرستاده آن پاسخ سرسرى نپوشـيد براى إسكندرى
سكندر شد آزرده أزكار أو نهـانى هميداشت آزارأو
(المرجع السابق ، ص ١٣٩)

بلغت حملتي ، وكم صرعتُ من الأبطال ! . . .[(١)] » .

« فلما سمع دارا جواب الإسكندر زمجر غضباً ، وتميز غيظاً ، وقال : كيف يتطاول هذا الملك التافه على دارا ؟ ! ...[(٢)] » .

و بدأت الحرب بين الطرفين ، « وكانت حرباً شديدة لاهوادة فيها ، فكانت أصوات الصرعى تتداخل مضطربة حتى ليخيل إليك أن الأرض قد زلزلت زلزالها ، وأن إسرافيل نفخ في الصور إيذاناً بقيام الساعة[(٣)] » .

« وكان الجيشان يهجمان كالجراد والنمل ، وكأن الحرب بين عالمين[(٤)] » .

ثم « تقدم ضابطان من ضباط دارا ـ المقربين إليه في الظاهر ، والخائنين في الحقيقة ـ إلى الإسكندر ، وأظهرا له أنهما ضاقا ذرعاً بظلم دارا وغدره ، فحقدا عليه . ثم بيّنا أنهما يريدان إراقة دمه ، وقد رتّبا خطة محكمة لقتله . وطلبا الأمان على روحيهما من الإسكندر[(٥)] » .

---

(١) مگرشه نداند که در روز جنگ چه سرها بریدم دراقصای زنگ
(نظامی : شرفنامه ، ص ١٥٨)

(٢) چو دارا جواب سکندر شنید یکی دورباش أز جگر برکشید
که بی سکهٔ را چه یارا بود که هم سکه نام دارا بود
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) روا رو برامد زراه نبرد هزاهز درامد بمردان مرد
زمین گفتی أز یکدیگر بردرید سرافیل سور قیامت دمید
(المرجع السابق ، ص ١٩٩)

(٤) دولشکر چو مور وملخ تاختند نبردی جهان در جهان ساختند
(المرجع السابق ، ص ٢٠٣)

(٥) بدارا دو سرهنگ بودند خاص باخلاص نزدیك ودوراز خلاص
ز بیداد دارا بجان آمده دل آزردگی در میان آمده
بران دل که خونریز دارا کنند براوکین خویش آشکارا کنند
چو زینگونه بازاری آراستند بجان أز سکندرأمان خواستند
(المرجع السابق ، ص ٢٠٥)

وقبل الإسكندر فكرتهما ، حقناً للدماء فقالا : « إننا نريد قتله غداً لنخلص الدولة من ظلمه[(١)] » .

فلما جاء الغد نفذا مادبّراه ، مما صوّره الشاعر فى قوله : « مدّ الضابطان الغادران أيديهما إلى جسم الملك الضخم – كأنهما فيلان ثملان – وضرباه بسهم فى جنبه ، فتلونت الأرض بدمه ، وأصبحت كالروض المملوء بالورود الحمراء ، ثم خرّ دارا صريعاً بسبب ذلك الجرح ، فتزلزلت الأرض ، وكأن يوم القيامة قد حلّ بها[(٢)] » .

« وحينما علم الإسكندر أن هذين الضابطين الأحمقين تجاسرا على إراقة دم الملوك ندم على عهده ؛ الذى أعطاه لهما لأنه شوه به اسمه ، ورفع العصمة عن روحه[(٣)] » .

وأمر بقتل الضابطين ، ثم توجه إلى حيث يلفظ دارا أنفاسه الأخيرة ، « ووضع رأسه على فخذه (فكان كن) وضع الليل المظلم فوق النهار المشرق » .

---

(١) بخواهيم فردا براو تاختن   ز بيداد أو ملك پرداختن
(نظامى : شرفنامه ، ص ٢٠٦) .

(٢) دو سرهنگ غدار چون پيل مست   بران پيلتن بركشادند دست
زدندش يكى تيغ پهلوگذار   كه ازخون زمين گشت چون لاله زار
درافتاد دارا بدان زخم تيز   زگيتى برامد يكى رستخيز
(المرجع السابق ، ص ٢١٤) .

(٣) سكندر چو دانست كان ابلهان   دليرند برخون شاهنشهان
پشيمان شد از كرده پيمان خويش   كه برخاستش عصمت أزجان خويش
(نفس المرجع والصفحة) .

فأغمض ذلك الجسد النائم عينيه ، وقال له : قم من هذا التراب والدم ، وَدَعْنِي ، فلم تبق لى نجاة ، ولم يبق لمصباحى ضياء[١] » .

ثم أخذ دارا يفخر بما كان له من عظمة ، و بأنه كان ملك العالم ، وطلب منه ألا يحركه ، حتى لا تُزَلْزَل الأرض ، قائلاً : « أنا ملك على الأرض . فلا تهزنى ، حتى لا تهتز الأرض[٢] » .

فتأثر الإسكندر ، وقال : « أيها الملك . أنا الإسكندر خادمك[٣] » وأظهر له أنه لم يكن راغباً فى قتله ، وأنه أسف لما حدث ، قائلاً : « فى رأيى أن رأس شعرة منك أغلى من آلاف التيجان[٤] » .

وقال إنه لا فائدة من الندم بعد أن حُمَّ القضاة ، ثم رجاه أن يطلب كل ما يريد ، ووعده بتنفيذ جميع رغباته ، قائلاً : « قل كل ما عندك من رغبات ، حتى آمر بتنفيذها ، و إنى أعدك بذلك[٥] » .

فأجاب دارا : « لى رغبة فى ثلاثة أشياء ، أرجو أن تتحقق فضلك ياملك

---

(١) سرخسته را بران نهاد شب تيره بر روز رخشان نهاد
فروبسته چشم آن تن خوابناك بدو گفت برخيز از ين خون وخاك
رها كن كه در من رهائى نماند چراغ مرا روشنائى نماند
(نظامى : شرفنامه ، ص ٢١٥)

(٢) زمين را منم تاج تارك نشين ملرزان مرا تا نلرزد زمين
(المرجع السابق ، ص ٢١٦)

(٣) سكندر بناليد كاى تاجدار سكندر منم چاكر شهريار
(نفس المرجع والصفحة)

(٤) بنزديك من يكسر موى شاه گراميتر از صد هزاران كلاه
(المرجع السابق ، ص ٢١٧)

(٥) بگو هرچه دارى كه فرمان كنم بچاره گرى باتو پيمان كنم
(المرجع السابق ، ص ٢١٨)

العالم. أولها: أن تقتص لي ممن قتلني بغير ذنب. وثانيها: ألا تقضي - حينما تصير ملكا (على إيران) - على أحد ممن كانوا على عرش الكيانيين.. فانزع من قلبك بذور الحقد، ولا تنظف الأرض من نسلنا وثالثها: ألا تنتهك حرمة منزلي، فارفع قدر ابنتي «رُوشَنك» بأن تتزوجها، فقد ربيتها تربية سامية لطيفة، فلا تُبعد قلبك المشرق عنها، لأن العرش يرتفع بالملكات الفاضلات، ولأن الشمس يحسن أن يلازمها النور[1]».

«فقبل الإسكندر منه كل ماقاله. وقام القابل، ومات القائل[2]».

ثم جلس الإسكندر على عرش دارا «وفتح خزائنه لكل إنسان، ومنح الناس عطاء جزيلاً، ورتب لكل إنسان مايليق به من عمل، فأسعد البائسين[3]» «فلما رأى الإيرانيون ذلك العطاء، دانوا له بالولاء؛ فأطاعوه، وارتفعوا

---

(١) سه چيز آرزودارم اندر نهان برايد باقبال شاه جهان
يكى آنكه بركشتن بيگناه تو باشى درين داورى داد خواه
دويم آنكه برتاج وتخت كيان چو حاكم تو باشى نيارى زيان
دل خود بپردازى از تخم كين نپردازى از تخمهٔ ما زمين
سوم آنكه برزير دستان من حرم نشكنى در شبستان من
همان روشنك راكه دخت منست بدان نازكى دست پخت من
بهم خوانى خود كنى سر بلند كه خوان گردد از نازكان ارجمند
دل روشن از روشنك سرمتاب كه باروشنى به بود آفتاب
(نظامي: شرفنامه، ص ٢١٩)

(٢) سكندر پذيرفت از وهرچه گفت پذيرنده برخاست گوينده خفت
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) در گنج بگشاد برهر كسى خزينه بسى داد وگوهر بسى
همان كار هركسى پديدار كرد بدان خفتگان بخت بيدار كرد
(المرجع السابق، ص ٢٢٧)

بفضله حتى جاوزوا عنان السماء ، واستحسنوا أعماله ، ودعوا له بالتوفيق والنصر[١] » .

« ثم أمر الإسكندر الإيرانيين بأن يتركوا عبادة النار[٢] » .

وهكذا قضى على هذه العبادة ، وحطّم بيوتها ، وأحرق « الأوستا » ـ كتاب الإيرانيين المقدس ـ ثم « أمر الناس بعبادة الله وحده ، وبأن يتّبعوا الدين الحنيف ، ويبتعدوا عن عبادة الشمس والقمر[٣] » .

وبَرّ الإسكندر بوعده ، فتزوج « روشنك » ، « وتوجه إلى اصطخر ، وجلس على عرش كيومرث وكيقباد ، فتزيّن به ملك إيران ، وقوى به الأبطال ، وهنأه العظماء ، لأنهم ارتفعوا بمثل هذا الملك العظيم[٤] » .

ثم عزم الإسكندر على الطواف حول العالم لإصلاحه ، وإنقاذه من الظلم ، فأرسل زوجته الشابة « روشنك » إلى بلاد الروم ، يرافقها أرسطو .

« وأمر بجمع الكتب الفارسية ، في أسرع وقت ثم اقتبس من كل حكمة

---

(١) چو إيرانيان آن دهش يافتند — سر از چنبر سركشى تافتند
نهادند سر برزمين يكزمان — كله كوشه بردند بر آسمان
كرفتند بر شهريار آفرين — كه يار توبادا سپهر برين
(نظامى : شرفنامه ، ص ٢٢٧)

(٢) سكندر بفرمود كايرانيان — كشايند از آتش پرستى ميان
(المرجع السابق ، ص ٢٣٩)

(٣) بفرمود تا مردم روزكار — جز ايزد پرستى ندارند كار
بدين حنيفى پناه آورند — همه پشت برمهر وماه آورند
(المرجع السابق ، ص ٢٤٠)

(٤) باصطخر شد تاج برسر نهاد — بجاى كيومرث وكيقباد
شد آراسته ملك إيران بدو — قوى كشت پشت دليران بدو
بزركان بدوتهنيت ساختند — بدان سر بزركى سر افراختند
(المرجع السابق ، ص ٢٥٨)

صنوفاً ، وجعلوا كلاً منها فى مجلد ، وأرسلها ـ مع المترجمين ـ إلى بلاد اليونان ، لتترجم من لغة إلى لغة أخرى[١] » .

ثم توجه الإسكندر صوب المغرب « وعزم على زيارة الكعبة[٢] ليحظى ببركتها ، وكان مسروراً بهذا الفأل الحسن ، فتوجه بجيشه نحو بلاد العرب بعد أن استتب له ملك العجم ، واتخذ طريق الصحراء ، وكانت الإبل تحمل ماعنده من ذهب وغنائم ، فأحسن رؤساء العرب استقباله ، وأطاعوه ، فلم يكادوا يبصرون جيشه المظفر ، حتى نفذوا جميعاً أمره[٣] » .

ثم توجه لزيارة الكعبة « وطاف حولها الطواف المفروض ، وقبّل بابها ، وذكر الله ـ ناصره ـ كثيراً ، وسجد أمام بابها ، ومنح الفقراء بسخاء[٤] » .

---

(١) کتب خانه پارسی هرچه بود	إشارت چنان شد که آرند زود
سخنهای سربسته از هردری	زهر حکمتی ساختند دفتری
بیونان فرستاد با ترجمان	نبشت از زبانی بدیگر زبان
(نظامی : شرفنامه ، ص ٢٦٨)

(٢) يبدو أن زيارة الإسكندر للكعبة من إضافات المسلمين على قصته ، ليدعموا فكرتهم عنه ، وليثبتوا أنه كان موحداً ، يتبع الدين الحنيف ، ولم يكن من المشركين ، مما جعله يدعو الناس إلى التوحيد ، وترك عبادة النار .

(٣) همان کعبه‌را نیز بیند جمال	شود شاد از آن نقش فیروز فال
چو ملك عجم رام شد شاه را	بملك عرب راند بنگاه را
بخروارها گنج زر برگرفت	بعزم بیابان ره اندر گرفت
سران عرب را زر افشان او	سر آورد بر خط فرمان او
چو دیدند فیروزی لشکرش	عرب نیز گشتند فرمانبرش
(المرجع السابق ، ٢٧١)

(٤) طوافی کز اونیست کس را گزیر	بر آورد وشد خانه را حلقه گیر
نخستین در کعبه را بوسه داد	پناهنده خویش کرد یاد
برآن آستان زدسر خویش را	خزینه بسی داد درویش را
(المرجع السابق ، ص ٢٧٢)

« وبعد التعبد والزيارة ، اتخذ طريق بلاد اليمن ، وفتحها[١] » .

« ثم توجه صوب العراق ، وعزم على التوجه إلى بلاده غير أن رسالة وصلت إليه من آذربيجان ، تدعوه إلى إصلاح شأن بلاد الأرمن ، وعدم إغفالها ، كما أصلح العالم ، وأخمد صوت الظلم[٢] » .

فسار الإسكندر إلى هذه الديار ، ورتّب شئونها ، كما أصلح بلاد الأبخاز ، فخضع الملوك - جميعاً - له ، وأصبحوا يؤدون له الخراج[٣] » .

ثم علم أن « بردعة » تحكمها ملكة عاقلة اسمها « نوشابة[٤] » ، وأن مملكتها في رقى مطرد ، « وأن في بلاطها ألفاً من الفتيات الأبكار الجميلات كالأقمار ، يقمن بخدمتها . هذا بالإضافة إلى ثلاثين ألف فارسة ماهرة .. وليس على بابها أحد من الرجال ، رغم أن بعضهم أفراد في عائلتها[٥] » .

---

(١) چو شرط پرستش بجای آوريد   أديم يمن زيرپای آوريد
(نظامی : شرفنامه ، ص ٢٧٣)

(٢) دگر ره در آمد بملك عراق   سوی خانه خويش كرد اتفاق
بريدی در آمد چو آزادگان   ز فرمانده آذرآبادگان
كه شاه‌جهان‌چون جهان رام‌كرد   ستم‌را زعالم تهی نام كرد
چرا كار أرمن فروهشت سست   نكرد آن بروبوم را بازجست
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٣ — ٢٧٥ .

(٤) ذكر الفردوسى فى منظومته «شاهنامه»، ج ٤ ، ص ٣٣. اسم ملكة بردعة على أنه «قيدافة» ويبدو أن هذا الاسم أصح من « نوشابة » الذى ذكره نظامى ؛ لأنه يذكر فى اليونانية على أنه : Candace ، وهو قريب من « قيدافة » .

(٥) هزارش زن بكر در پيشگاه   بخدمت كمربسته هريك چو ماه
برون از كنيزان چابك سوار   غلامان شمشير زن سی هزار
نگشتی ز مردان كسی بردرش   وگر چند نزديك بودی برش
(نظامی : شرفنامه ، ص ٢٧٧)

فصمم الإسكندر على السير بجيشه إليها ، ولكنه عدل عن هذه الفكرة ، وآثر أن يذهب إليها فى صورة رسول من قبل الإسكندر . « فأعد نفسه كما يفعل الرسل ، وتوجه إليها فى هيئة رسول[1] » .

وعلمت نوشابه بوصوله « فزينت البلاط والطريق المؤدى إليه ، وصفت الفتيات الجميلات مزيّنات بمختلف أنواع الزينة[2] » .

ثم أمرت بإدخال الرسول عليها ، فدخل بشجاعة ، واتجه كالأسد المغرور نحو العرش ، ولم يخلع سيفه ، ولم ينحن كعادة الرسل[3] » .

وأخذت « نوشابة » تشك فى أمر الرسول ؛ وكانت صورة الإسكندر عندها[4] ، فأمهلته يوماً ، ثم أحضرت الصورة ، وأخذت تقارنها بوجه الرسول حتى تأكدت من أنه هو الإسكندر نفسه ، ثم أطلعته على ذلك ، فأنكر ، فأرته صورته ، فلما رآها « خاف ، واصفرّ لونه ، وتضرع إلى الله، لكى يرعاه[5] » .

---

(١) برسم رسولان براراست كار سوى ناز نين شد فرستاده وار
(نظامى : شرفنامه ، ص ٢٨١)

(٢) برآراست نوشابه درگاه را بزر درگرفت آهنين راه را
پريچهرگانرا بصد گونه زيب صف اندر صف آراسته دلفريب
(المرجع السابق ، ص ٢٨٢)

(٣) فرستاده أزدر درآمد دلير سوى تخت شد چون خرامنده شير
كر بند شمشير نگشاد باز برسم رسولان نبردش نماز
(نفس المرجع والصفحة)

(٤) ذكر نظامى أن « نوشابة » حينما سمعت عن الإسكندر وشجاعته ، وغلبته فى الحروب ، وميله إلى الإصلاح . أرسلت أحد رساميها ليرسم لها صورته ، لأنها كانت تحب الاحتفاظ بصور العظماء .

(٥) بترسيد وشد رنگ رويش چوكاه بداراى خود برد خودرا پناه
(المرجع السابق ، ص ٢٨٧)

« ولما عرفت نوشابة أن الأسد القوى قد خاف تلطفَتْ ، وقالت : أيها الملك المظفر ! .. كم أحدث الدهر مثل هذه الحيل ! ... فلا تفكر فى شىء ، واعلم أن صداقتى أكثر من أى شىء آخر ؛ وأن هذا المنزل منزلك ، وأنى لك جارية مطيعة ، وخادمة منقادة ، سواء فى ديارك أم فى ديارى(١) » .

ثم خلعت عليه خلعاً كثيرة ، وأقامت له حفلا عظيما ، انصرف بعده مسروراً ؛ بعد أن خلع عليها ، وعلى من حولها هدايا قيمة ، وعطاء عظيماً .

ثم سار إلى جبال البرز ، وكان رجاله يحملون ثروته معهم ، ويسيرون ببطء لكثرة ما كان معهم من الجواهر والذهب ، حتى شعروا بالمشقة والتعب ، فشاور الإسكندر أصحابه فى أمر هذه الجواهر ، فأشاروا عليه بدفنها تحت الأرض ، وإقامة طلسم عليها ، ففعل ذلك(٢) » .

وواصل سيره حتى فتح قلعة « در بند » ، وسار منها إلى قلعة « سرير » حيث « أجلسوه على عرش كيخسرو ، ونثروا الأموال تحت قدميه ، وقدموا له خمر الظفر فى الكأس التى كان الملوك القدماء يشربون فيها الخمر(٣) » .

« فقام الإسكندر من مكانه ـ احتراماً ـ حينما أبصر الكأس ، ثم شربها

---

(١) چو دانست نوشابه کان تندشیر هراسان شد از تندی آمد بزیر
بدو گفت کای خسرو کامگار بسی بازی آرد چنین روزگار
میندیش ومهر مرا بیش دان همان خانه را خانه خویش دان
ترا من کنیزی پرستنده ام هم آنجا هم اینجایکی بنده ام
(نظامی : شرفنامه ، ص ٢٨٢) .

(٢) المرجع السابق ، ٣١١–٣١٣ .

(٣) نشانند بر تخت کیخسروش فشانند برسر نثارنوش
در آن جام فیروزه ریزندمی بفیروزی آرند نزدیك وی
(المرجع السابق ، ص ٣٢٩) .

ولم يطلب غيرها[١] » .

ثم ذهب الإسكندر إلى الهند عن طريق خراسان ، وكان ملكها « كيد » قد قرأ رسالته ، فأرسل الهدايا إليه ، على أن يتعهد له بعدم الإغارة على بلاده .

وكانت الهدايا أربعاً ذكرها الشاعر على لسان « كيد » فقال : « الأولى : أرسل ابنتي إلى الملك ، وهي فتاة جميلة كالشمس المشرقة ، وكالقمر المنير ، والثانية كأس من الشراب نادر الوجود ، لاينقص الشراب بالشرب منها ، والثالثة فيلسوف يحل المعضلات ، والرابعة طبيب عاقل ماهر ، يجعل المرضى أقوياء[٢] » .

وقبل الإسكندر الهدايا ، وتعاهد معه ، ثم « سار من الهند إلى « التبت » وتوجه منها إلى أقصى الصين[٣] » .

ولكن ملك الصين رفض ـ أولاً ـ أن يدفع الجزية ، فأغار الإسكندر عليه ، « ففزع قائد الصين ، وأخذ يتوجس خيفة من غارة الإسكندر من الليل حتى الصباح[٤] » .

ثم انتهى الأمر بالصلح ، وعزم الإسكندر على الرجوع إلى بلاد اليونان ،

---

(١) چوشه جام‌را دید برپای خاست ... بخورد آن یکی جام ودیگر نخواست
(نظامی : شرفنامه ، ص ٣٣١)

(٢) یکی دختر خود فرستم بشاه ... چه دختر که تابنده خورشید وماه
دویم نوش جامی ز یاقوت ناب ... کزو کم نگردد زخوردن شراب
سوم فیلسوفی نهانی کشای ... که باشد براز فلك رهنمای
چهارم پز شکی خردمند وچست ... که نالندگانرا کند تندرست
(المرجع السابق ، ص ٣٥٦)

(٣) ز هندوستان شد بتبت زمین ... ز تبت درآمد بأقصای چین
(المرجع السابق ، ص ٣٦٦)

(٤) سپهدار چین از شبیخون شاه ... نبود أیمن أز شام تا صبحگاه
(المرجع السابق ، ص ٣٨٧)

ولكن رسلا من « أرمينية » جاءوا إليه ، من قبل ملكها « دوال » ، وأخبروه بأن الروس قد هجموا على « بردعة » ، وحطموا ملك نوشابة ، فسار الإسكندر إليها ، ومر – وهو فى طريقه إليها – على هضبة القپچاق حيث أُسِر بجمال نسائها ، وكن سافرات ، فطلب من زعماء القپچاق أن يأمروا النساء بتغطية وجوههن حتى لايغرى جنوده بمتابعتهن ، ولكن الزعماء أجابوا بأن هذه عادتهم ، وقالوا : « لما كان عدم النظر إلى الوجه الغريب أفضل شرعاً ، فإن الوزر يقع على العين لا على الوجه السافر[1] »

ولكن الإسكندر استطاع – بواسطة طلسم – أن يحملهم على قبول ماأراد ، ثم واصل سيره إلى بلاد الروس ، حيث قامت الحرب بين الطرفين ، ودارت بينهما سبع معارك مختلفة[2] ، انتهت بانتصار الإسكندر ، فهُزِم الروس وقُتِل منهم عددٌ كبير ، وقد أجمل الشاعر نتيجة هذه الحروب فى قوله : « فأمعن جيش الإسكندر فى الروس قتلا وأسراً وشنقاً[3] » .

وخلص الإسكندر « نوشابة » من الأسر ، وغنم غنائم كثيرة لاتحصى ، ولا تعد .

ثم علم أنه أصبح قريباً من منطقة الظلام ، حيث يوجد ماء الحياة « فسر الإسكندر بتلك العين ، وأظهر الفرح والغبطة[4] » .

---

(١) چو در روى بيگانه ناديده به جنايت نه برروى برديده به
(نظامى : شرفنامه ، ص ٤٢٦)

(٢) وصف نظامى هذه الحروب وصفاً دقيقاً مفصلاً فى شرفنامه ، ص ٤٣٦–٤٧٣ .

(٣) زروسى بسى خون وخوى ريختند گرفتند وكشتند وآويختند
(المرجع السابق ، ص ٤٧٦)

(٤) سكندر بدان چشمه زندگى بسى كرد شادى وفرخندگى
(المرجع السابق ، ٤٩٨)

وسار فى الظلام يبحث ـ مع الخضر[1] ـ عن ماء الحياة ، فعثر الخضر على العين « فلما وجدها نزل ، وخلع ملابسه فى أسرع وقت ، واستحم فى هذا الماء ، وشرب منه بقدر ما استطاع ، فأصبح جديراً بالحياة الأبدية[2] » .

أما الإسكندر ؛ فقد ضل الطريق « وظل يبحث عنها أربعين يوماً ، فلم يعثر لها على أثر ، وظل فى الظلام[3] » .

وسمع هاتفاً ينصحه بالعودة ، لأنه لن يستطيع العثور على العين « فيئس ورجع ـ فى النهاية ـ بعد أن سار فى ذلك الطريق وقتاً طويلا[4] » .

« فلما وصل الإسكندر إلى بلاد اليونان ، كان قد حصل على مفتاح كنز السعادة ، لأنه استفاد من رحلته علماً كثيراً ، ففتح ـ بذلك ـ باب الحكمة الإلهية ، ثم وصل إليه التكليف بالنبوة ، فامتثل الأمر[5] » .

---

(١) خلط نظامى قصة الإسكندر بقصة « موسى والعبد الصالح » الذى قيل إنه « الخضر » ، كما خلطها بقصة « ذى القرنين » ولعل السبب فى ذلك أن قصة « ذى القرنين » وردت فى القرآن بعد قصة « موسى والخضر » مباشرة فى سورة الكهف : آيات ٦٥–٩٨ .

(٢) چو با چشمه خضر آشنائى گرفت ــ بدو چشم او روشنائى گرفت
فرود آمد وجامه بركند چست ــ سرو وتن بدان چشمه پاك شست
وزو خورد چندانكه بركار شد ــ حيات أبدرا سزاوار شد
(نظامى : شرفنامه ، ص ٥١٠)

(٣) چهل روز درجستن چشمه راند ــ براوسايه نفكند ودرسايه ماند
(المرجع السابق ، ص ٥١٢)

(٤) ازان ره كه او عمر پرداز گشت ــ چو نوميد شد عاقبت باز گشت
(نفس المرجع والصفحة)

(٥) چوشه باز بر تخت يونان رسيد ــ بدو داد گنج سعادت كليد
زدانش بسى مايها ساز كرد ــ در حكمت ايزدى باز كرد
چو فرمان رسيدش بپيغمبرى ــ نپيچيد گردن ز فرمانبرى
(المرجع السابق ، ص ٥٢٢)

وهكذا ختم نظامى حديثه عن بطولة الإسكندر ، بعد أن صور رحلاته ، وحروبه ، وفتوحه ، ومهد للحديث عن حكمته ، ونبوته . وهما الجانبان المكملان لشخصية الإسكندر عند نظامى ؛ وقد صورهما فى « خردنامه وإقبالنامه » وهما . يكونان المجلد الثانى من منظومة « إسكندرنامه » .

* * *

فندع الجانب الأول ، لنعرض حكمة الإسكندر ؛ كما صورها نظامى فى « خردنامه » .

الفصل الثالث

حكمة الإسكندر كما صورها نظامى فى خردنامه

بدأ نظامى حديثه عن حكمة الإسكندر ، فذكر بعد المقدمة التقليدية أن الإسكندر ـ بعد وصوله إلى بلاد اليونان ـ أمر الفلاسفة بترجمة كتب العلم المختلفة التى عند الأمم إلى اللغة اليونانية ، واختار من الكتب الفارسية كتاب « خداى نامه[١] » .

كما أمر بتأليف الكتب فى مختلف الموضوعات ؛ « فألفوا ـ أولاً ـ كتاب « گيتى شناس » فى الجغرافية ، ثم كتاب « رمز روحانيان » فى علم الأرواح والطلسمات ، وهو الذى خلد اسم اليونانيين ورفع صيتهم ، ثم كتاب « سفر إسكندرى » ، وهو الذى استطاع اليونانيون فيه حل المعضلات[٢] » .

وقد احترم الإسكندر العلماء ؛ فأعلى شأنهم ، وأمر بتعظيمهم قائلا : « إن العالم معظم لدينا ، فلا يبحث أحد عن وسيلة يرتفع بها على غيره إلا عن طريق العلم[٣] » .

فولى الجميع وجوههم شطر العلم ، وجعلوها تشرق بفضله ، وتعلموه من

(١) نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص ٣٧ .

(٢) نخستين طرازى كه بست از قياس — كتابيست كان هست گيتى شناس
دگر دفتر رمز روحانيان — كزو زنده مانند يونانيان
همان سفر اسكندرى كاهل روم — بدو نرم كردند آهن چو موم
(المرجع السابق ، ص ٣٧-٣٨)

(٣) إشارت چنان شد ز تخت بلند — كه داناست نزديك ما أرجمند
نجويد كسى بركسى برترى — مگر كز طريق هنر پرورى
(المرجع السابق ، ص ٣٨)

الحكماء ، وذاع صيت بلاد اليونان عن طريق العلم ، بفضل ثقافة ذلك الملك المحب للمعرفة[(١)] » .

ثم سرد نظامى – بعد ذلك – الأقوال التى وردت فى تسمية الإسكندر بذى القرنين فقال : « كان يسمى ذا القرنين لأنه طاف العالم من المشرق إلى المغرب . أو لطول زلفتيه وتجعدها خلف أذنيه كالقرنين ، فى قول آخر ؛ أو لأنه رأى فى المنام ارتباط قرنىْ الفلك بواسطة الشمس ، وذلك فى قول ثالث ؛ أو لأن عمره كان قرنين من الزمان ، كما قال بعض المؤرخين فى قول رابع[(٢)] » .

ثم ذكر ماأورده أبو معشر البلخى فى كتاب الألوف ، فقال : « ويقول أبو معشر فى كتاب الألوف رأياً آخر ، هو أنه لما مضى على موت الإسكندر وقت طويل ، لم يصدق أحد أنه مات ، فرسم اليونانيون – من فرط حبهم له – صورته على ورقة ، وأتقن الرسام رسمها فبدت رائعة ، ثم رسم صورة مَلَكَيْنِ عن يمينه وشماله فى صورة قرنين ، كما تصوره المنجمون الذين وقالوا : إن الله خلق له ملكين عن يمينه وشماله .. فانتشرت قصة الإسكندر فى جميع الأرجاء ، بمجرد انتقال هذه الصورة من بلاد اليونان إلى غيرها من الجهات ، وحازت إعجاب الناس جميعاً ، فأشادوا بفن الرسّامين اليونانيين ، فلما أبصر العرب تلك الصورة ،

---

(١) همه رخ بدانش برافروختند ز فرزانگان دانش آموختند
ز فرهنگ آن شاه دانش پسند شد آواز يونان بدانش بلند
(نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص ٣٧)

(٢) كه صاحب دو قرنش بدان بودنام كه بر مشرق ومغرب آوردكام
. . . .
بقول ديگر كو بسپيچيده داشت دوگيسو پس پشت پيچيده داشت
همان قول ديگر كه در وقت خواب دو قرن فلك بستداز آفتاب
ديگر داستانى زد آموزگار كه عمرش دو قرن آمد ازروزگار
(المرجع السابق ، ص ٤٤) .

رسموا للإسكندر صورة أخرى تقليداً لها ، وظنّوا أن قرن الإسكندر طويل ، وأن المرسوم ليس مَلَكاً بل قرناً ، وكان هذا هو الذى أوقعهم فى الخطأ ، فأطلقوا عليه لقب ذى القرنين [(١)] » .

ثم ذكر قولاً آخر ، أثبته فى قوله : « وقال لى عالمٌ قولاً غير هذا هو أن أذُنَى الإسكندر كانتا أكبر من الحجم الطبيعى [(٢)] » .

وبيّن أن الإسكندر كان يُطِيل شعره ليغطيهما ، مما جعل شعره يُشْبِهُ القرنين .

ثم أورد قصة تتعلق بأذنى الإسكندر ، وهى أن سرهما وُضِع فى ينبوع يجرى

---

(١) دگر گونه گوید جهان فیلسوف | أبو معشر اندر کتاب ألوف
که چون برسکندر سر آمد زمان | نبود آن خلل خلق را درگمان
ز مهرش که یونانیان داشتند | بکاغذ برش نقش بنگاشتند
چو برجای خود کلك صورتگرش | بر آراست آرایشی در خورش
دو نقش دگر بست پیکر نگار | یکی بریمین ویکی بریسار
دو قرن از سر هیکل انگیخته | براو لاجورد وزر آمیخته
لقب کردشان مرد هیئت شناس | دو فرخ فرشته زروی قیاس
که در پیکری کایزد آراستش | فرشته بود برچپ وراستش
چو آن هرسه پیکر بدان دلبری | که برد از دو پیکر بهر پیکری
ز یونان بدیگر سواد افتاد | حدیث سکندر بدو کرد یاد
ثنا رفت از ایشان بهر مرزوبوم | بر آرایش دستکاران روم
عرب چون بدان دیده بگماشتند | سکندر دگر صورت انگاشتند
گمان بودشان کانچه قرنش دراست
نه فرخ فرشته که اسکندراست
أز این روی در شبهت افتاده اند | که صاحب دو قرنش لقب داه اند
(نظامی : خردنامه وإقبالنامه ، ص ٤٤-٤٥)

(٢) جز این گفت با من خداوند هوش | که بیرون از اندازه بودش دو گوش
(المرجع السابق ، ص ٤٥)

فى الصحراء ، فنبت منه نايٌ ، وأن قاطع أحجار أخذ هذا الناى ، وصار يُصْدِر منه نغمات مختلفة ، كانت تـكشف له سر الملك ، فعلم الإسكندر بذلك ، فأمر بإحضاره إليه ، فاضطرب الرجل ، وأقسم بالله أنه لم يقل السر لأحد ، فعفا الإسكندر عنه [1] .

ثم يورد الشاعر قصصاً أخرى متنوعة تجعل ترتيب هذا القسم مضطرباً ، وأجزاءه مفكـكة ، مما لم نلاحظه فى المنظومات السابقة ، وهذا يرجح أن بعض أجزائه قد ضاع .

والقصـة الأولى : هى أن الإسكندر كان حزيناً لمرض فتاة كان يعشقها ، وكان يظن أنها سوف تموت ، فأبصر راعياً شيخاً ، فدعاه للجلوس معه ، وكان الراعى عالماً ، ومحدثاً لبقاً ؛ فلما فهم سر حزن الإسكندر ، قص عليه قصة هى : أن أحد أمراء « مرو » كانت له عروسٌ جميلة تشبه فتاة الإسكندر ، وكان يهيم بها حبًّا ، فمرضت مرضاً شديداً حتى يئس من شفائها ، ولـكنها شفيت فى النهاية ، فعاش الأمير معها سعيداً .

فتفاءل الإسكندر ؛ « وبينما هو كذلك جاءه نبأ شفـاء معشوقته ، فعلم أن الفتـاة الجميـلة ، قد نجت بفضل حبهـا له ، (لتهيىء له أسباب السعادة والهناء) [2] » .

ثم ذكر قصة «أرشميدس» وهى أنه كان أجمل شباب عصره ، وموضع عطف الإسكندر ، وحب أرسطو ، الذى كان يتخذه ابناً ، ويعلمه ليخلق منه إنساناً فاضلاً ، لأنه كان يعتقد أن تلميذاً عاقلاً فاضلاً خير من ألف تلميذ أحمق ،

(١) نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص ٤٨ .

(٢) درين بود خسرو كه أز بزم خاص   برون آمد آوازهٔ بر خلاص
كه آن مهربان ماه خسرو پرست   بإقبال شـه عطسهٔ دادورست
(المرجع السابق ، ص ٥٥)

ولـكن « أرشميدس » انقطع عن الدرس فجأة ، وعرف الأستاذ أن انشغاله بحب فتاة جميلة هو السر فى ذلك ، لأنها استولت على مشاعره ، فجعلته أسير هواها ، فطلب أرسطو أن تُحْضَرَ الفتاة أمامه ، ثم أعطاها شراباً ، فذهبت جمالها ، ودعا «أرشميدس» ، وطلب منه أن ينظر إليها ، « فلما أبصر الشاب الفتاة ، قال لأستاذه : منْ هذه المرأة القبيحة ؟ ! [(1)] » .

ثم قطع علاقته بها ، رغم أن أرسطو أعاد إليها جمالها بعد ذلك ؛ مما عَجَّلَ بوفاة الفتاة بعد مدة قصيرة .

وتتلوها قصة « مارية القبطية » وهى ابنة أمير شامى استولى الأعداء على أرضها بعد وفاة والدها ، فلجأت إلى الإسكندر ، واستنجدت به ، وصارت تلميذة لأرسطو ؛ ففتح لها أبواب علمه ، فتعلمت منه علوماً كثيرة ـ منها صناعة الذهب ـ وساعدها الإسكندر على استرداد ملـكها [(2)] .

ثم أخذت الأميرة تصنع الذهب إلى أن أثْرَتْ ، فـكانت كل دابة عندها ـ حتى الحمير ـ لها سروج من ذهب . « واستعملت ذهباً كثيراً للزينة ، فجعلت كلابها بسلاسل ذهبية [(3)] » .

وجاء إليها عدد من الـكيميائيين ليتعلموا منها سر هذه الصناعة ، فصنعت أمامهم الذهب من شعرها ، ثم أخذت تشرح لهم الأعشاب المختلفة التى تفيد فى هذه الصناعة .

---

(١) جوانمرد چون در صنم بنگريست باستاد گفت اين زن زشت كيست؟!
(نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص ٥٨) .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٣ .

(٣) بدرگاه أو هـركه سرداشتى اگر خـربدى زين زرداشتى
ز بس زر كه بر زيور انباشتند سگان را بزنجـير زر داشتند
(المرجع السابق ص ٦٤) .

ثم ذكر الشاعر قصة معترضة هى : أن رجلاً من خراسان ، استطاع أن يخدع أهل بغداد ، والخليفة نفسه ، بتغيير كلمة « كبريت » إلى « تبريك » بطريقة كيمائية [(١)] .

وانتهت قصة « مارية » بغضب الإسكندر عليها ، بعد أن دسّ الحساد بينها و بينه ، ولـكنها استطاعت أن تكسب ودّه ، وترضيه بالهدايا .

وتتلوها قصة فقير أصبح غنيًّا جدًّا ، فاستدعاه الملك ، وطلب منه أن يقص عليه قصته ، فقال الرجل إنه كان فقيراً فقراً شديداً ، وكانت زوجته عفيفة راضية ، ثم حدث أنها كانت تضع فى وقت لم يكن يملك فيه شيئاً ، فخرج يطلب الرزق ، وسار حتى وصل إلى الصحراء ، فوصل إلى منزل دارس ، وأراد أن يحتمى به ، فلاحظ أن المنزل يسكنه أخوان زنجيان ، وأن أحدهما قام لاستخراج كنز يوجد فيه ، فلما فرغ من استخراجه وثب عليه أخوه ، فقتله ، وشرع فى دفنه ، فانتهز الفقير الفرصة وحمل الكنز ، وأسرع به إلى زوجته ، التى كانت قد وضعت ابناً ، فسر الرجل بابنه السعيد الذى أقبلت بمولده الثروة والجاه .

فطلب الإسكندر من « واليس » أن يرى طالع المولود ، فوجده سعيداً ، وأن سعادته مستمدة من دولة الإسكندر [(٢)] .

ثم تأتى قصة مؤامرة سبعين حكيماً ضد « هرمس » وإنكارهم الاعتراف بعلمه ومكانته ، فغضب ، ونفد صبره ، فاستعمل كلمة سحرية ، حوّلت هؤلاء الحكماء إلى تماثيل . وقد امتدح الإسكندر فعله ، فأقره وهَنَّأه .

وتتلوها قصة إساءة أرسطو إلى أفلاطون ـ فى أثناء اجتماع عُقِدَ بالبلاط ـ فغضب أفلاطون ، واعتزل الناس ، وعاش فى قُبة عالية ، كان يسمع فيها أنغام

---

(١) نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص ٦٧ — ٧١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٢ — ٨٢ .

الأفلاك . ثم صنع آلة موسيقية ، وذهب بها إلى الصحراء ، فكانت نغماتها تجذب الحيوانات ، وتجعلها أليفة .

وسمع أرسطو بذلك ، فصنع آلة موسيقية تشبهها ، ولكن نغماتها لم تفعل فعلها ، مما جعله يذهب إلى أستاذه « أفلاطون » ويطلب منه العفو ، ويثنى عليه كثيراً (١) .

« فلما عرف الإسكندر أن أفلاطون صار أعظم أستاذ فى بلاد اليونان رفع درجته فى السيادة ، وأعلى منزلته عنده (٢) » .

ثم قص أفلاطون على الإسكندر قصة راع وجد حصاناً نحاسيًّا فى غار ، ووجد فى جوفه جثة رجل ميت لم تعطب ، وكان فى إصبع الرجل خاتم فأخذه الراعى ، ولبسه ، فلاحظ أن الرعاة لا يرونه إذا وقف فى وسطهم ، فاستعان بهذا الخاتم حتى أصبح ملكاً (٣) .

وتتلوها قصة « الإسكندر مع سقراط » ، وهى : أن سقراط كان زاهداً يعيش فى الصحراء ، فدعاه الإسكندر إلى بلاطه ، فرفض ، فزاره الإسكندر ، وقدّم له هدايا فلم يقبلها ، ونصحه بنصائح مفيدة ، « فأمر كاتبه بتسجيلها ، فكتبها بماء الذهب (٤) » .

وهكذا اجتمع الحكماء حول الإسكندر ، وأخذت تظهر شخصيته كحكيم ،

---

(١) نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص ٨٢ — ٩٢ .

(٢) سكندر چو دانست كز هر علوم فلاطون شد استاد دانش بروم
برافزود پايش در آن سرورى بنزد خودش داد بالاترى
(المرجع السابق ، ص ٩٢)

(٣) المرجع السابق ، ص ٩٢-٩٧ .

(٤) بفرمود تا مرد كاتب سرشت بآب زر آن نكته هارا نبشت
(المرجع السابق ، ص ١٠٨)

فقد زاره حكيم هندى ، وسأله عن : نهاية العالم ، وحقيقة الروح ، والأحلام ، وعلم النجوم .

فأجاب الإسكندر عن نهاية العالم بقوله : « إن الله خالق عالمين : دار الدنيا ، ودار الآخرة ؛ فالآخرة كنز ، والدنيا مفتاحه ؛ وأنت تزرع فى الدنيا ، وتعمل الأعمال الطيبة ، وتحصد فى الآخرة ثمار الزرع[1] » .

وأجاب عن الروح بأنها خالدة لا تموت ، قائلاً : « ماذا يقولون فى قصة رجل مات ؟ . . هل يقولون أسلم الروح أم يقولون ماتت الروح ؟ . . يقولون أسلم الروح ، وليس هذا تمويهاً ، فهناك فرق بين إسلام الروح ، و بين موتها . فدع الروح لأنها شعاع طاهر من نور الله ، وليست من الماء والطين[2] » .

وأجاب عن الأحلام بأنها ليست خيالية ، و إنما هى صدى لحياة الإنسان ، وتجاربه ، فقال : « إن الأحلام مصدرها نفس الإنسان ، فالأشياء المألوفة لديه — لا الغريبة عنه — هى التى تأتى فى الحلم ، فإذا رأيتَ ميتاً أو حيًّا فى الحلم ، فإن منشأ هذا تفكيرك أنت ، فهو نور ينتشر من شمعتك ، وهو ممثل لفكرك الصافى ، ومظهر لأملك و إدراكك[3] » .

(١) كه ايزد دوگيتى بدان آفريد   كه آنجا بود گنج واينجا كليد
در اينجا كنى كشت وكارنوى   در آنجا بركشته را بدروى
(نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص ١١٣)

(٢) حكايت ز شخصى كه اوجان سپرد   چه گويند ؟ جان داد ياجان بمرد
بگويند جان داد واين نيست زرق   ز داده بود تافرومرده فرق
ز جان در گذرگان فروغيست پاك   ز نور إلهى نه أز آب وخاك
(المرجع السابق ، ص ١١٤-١١٥)

(٣) خيال همه خوابها خانگيست   در ان آشنائى نه بيگانگيست
اگر مرده گر زنده بينى بخواب   ز شمع تو ميخيزد آن نوروتاب
نماينده انديشه پاك تست   نموده تمناى إدراك تست
(المرجع السابق ، ص ١١٥)

وقد أعجب المندى بإجابات الإسكندر ، وقبل آراءه . «ثم اختار الإسكندر سبعة[١] حكماء من الفلاسفة ، اشتهروا بالعلم والمعرفة ، وهم : وزيره « أرسطو » ، و « بليناس » الشاب ، و « سقراط » الشيخ ، و « أفلاطون » و « واليس » ، و « فرفوريوس » الذين جاوزت شهرتهم عنان السماء ، و « هرمس » وهو سابعهم ، وكان عاقلاً ، اشتهر فى الآفاق برزانته ؛ لجمعهم الملك كالدائرة حوله ، وكان هو مركز الدائرة[٢] » .

---

(١) ورد فى كتاب تاريخ الفلاسفة اليونانيين ـ الذى ترجمه عبد الله بن حسين المصرى عن الفرنسية ـ ذكر بعض هؤلاء الفلاسفة ، فتحدث عن طاليس Thales من ص ٣ ـ ٨ . وقال إنه ولد فى عام ٦٤٠ ق . م . ومات فى عام ٥٤٨ ق . م . وذكر سقراط Socrate وقال إنه ولد فى القرن الخامس قبل الميلاد ، ص ٧٨ـ٨٦ . وتحدث عن أفلاطون Platon ، ص ٨٦ـ٩٢ . فقال إنه ولد فى عام ٤٢٩ ق . م . وتوفى فى عام ٣٤٧ ق . م .

وذكر أرسطاطاليس Aristotle فقال إنه ولد فى عام ٣٨٤ ق . م . وتوفى فى عام ٣٢٢ ق . م . وبين أنه كان أستاذ الإسكندر .

وذكر الشهرستانى فى كتابه : الملل والنحل ، ج ١ ، ص ٢٤٠ . أن «هرمس» يعد من الأنبياء ، ويقال إنه هو نفسه إدريس عليه السلام . كما قال فى ص ٤٥ ، إن فرفوريوس كان على رأى أرسطاطاليس ، ووافقه فى جميع ماذهب إليه .

وقد ذكر الحكماء السبعة ـ فى ص ٢٥٣ ـ فقال : « الحكماء السبعة الذين هم أساطين الحكمة فى الملطية ، وساميا ، وأثينا ـ وهى بلادهم ـ وأما أسماؤهم : فثاليس الملطى ، وانكساغورس ، وانكيسمانس ، وانبذاقلس ، وفيثاغورس ، وسقراط ، وأفلاطون .

ويبدو أن ماذكره الشهرستانى هو الصحيح ، لأن منذكرهم نظامى لم يعيشوا جميعاً فى عصر واحد كما مر ، فالشاعر لم يتحر الدقة فيما أورده .

(٢) أز ان فيلسوفان گزين كرد هفت ... كه بر خاطر كس خطائى نرفت
أرسطو كه بد مملكت را وزير ... بليناس برنا وسقراط پير
فلاطون ووالیس وفرفوريوس ... كه روح القدس كردشان دستبوس =

وسألهم عن : أصل العالم ، والمادة الأولى ، فأجاب الحكماء مبتدئين بأرسطو ، فواليس ، فبليناس ، فسقراط ، ففرفوريوس ، فهرمس ، فأفلاطون[(١)] .

وعلّق الإسكندر على إجاباتهم ، قائلاً : « مادمنا لانستطيع أن نقرأ كتاب الخلق ، فكيف نستطيع التكهن بما فيه ؟ ! . . وأنتم ـ وقد اطلعتم على أسرار السماء ـ انظروا كيف قلتم أقوالاً مختلفة ! . . ولهذا لايحسن التنبؤ بشيء ، لأن خلق العالم لابد له من خالق[(٢)] » .

* * *

والواقع أن ترتيب الحكماء السبعة ـ بهذه الطريقة ـ وجمعهم حول الإسكندر شيء من خلق نظامى ، ليتلاءم ذلك مع فكرته عن الإسكندر كحكيم ، فلم يثبت تاريخيًّا أنهم عاشوا فى عصر واحد .

« فواليس » توفى قبل « سقراط » الذى توفى قبل الإسكندر بمائة عام تقريباً ، كما مات أفلاطون قبل الإسكندر .

أما « فرفوريوس » و « بليناس » ، فقد عاشا بعد عصر الإسكندر .

ويبدو أن « هرمس » شخص خيالى ، لم يكن له وجود فعلى .

= همان هفتمين هرمس نيك راى   كه بر هفتمين آسمان كردجاى
چنين هفت پركار بر كردشاه   دران دايره شه شده نقطه كاه
(نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص ١٢٠-١٢١)

(١) المرجع السابق ، ص ١٢٠-١٣١ وقد سبقت الإشارة إلى إجاباتهم فى أثناء الحديث عن ثقافة نظامى .

(٢) چو مالوح خاقت ندانيم خواند   تجسس در او چون توانيم راند ؟
شما كاسمان را ورق خوانده ايد   سخن بين كه چون مختلف رانده ايد
أز اين بيش كفتن نباشد پسند   كه نقش جهان نيست بى نقش بند
(المرجع السابق ، ص ١٣١)

والذى ثبت تاريخيًا هو أن « أرسطو » كان معاصراً للإسكندر ، سواء أكان أستاذه ، أم زميلاً له فى الدراسة .

وقد غلبت الصبغة القصصية على نظامى ، فلم يحاول أن يتحرى الحقائق ، لحشد هؤلاء الفلاسفة الحكماء فى عصر الإسكندر هذا الحشد العجيب .

* * *

وختم نظامى بهذا المنظر تصويره لحكمة الإسكندر ، وبيّن أنه أصبح — بعد بلوغه هذه المنزلة — أهلاً للنبوة ، لأنه أدرك وجود الله ، ووحدانيته ، مما هيأه لتحمل الرسالة ، والخروج لهداية الناس ، وإصلاح العالم .

* * *

وأهم ما نلاحظه على منظومة « خردنامه » أن ما ورد فيها مضطرب ، وأن أجزاءها مفككة ، وقد يكون سبب ذلك ضياع بعض أجزائها ، أو تخبط الشاعر ، وعدم تحريه الدقة فى ذكر مايتعلق بالحكماء ، وغلبة الناحية القصصية عليه ، ومزج الحقائق بالأساطير .

ومهما يكن من شىء ؛ فقد عرضنا ما بين أيدينا — من خردنامه — وهو لايشير إلى حكمة الإسكندر إلا فى نهاية هذا الجزء ، ليمهد للحديث عن نبوته التى أثبتتْها « إقبالنامه » ؛ وهى القسم الثالث والأخير من « إسكندرنامه » .

فندع « خردنامه » لنعرض نبوة الإسكندر كما صورها نظامى فى «إقبالنامه»

الفصل الرابع

نبوة الإسكندر كما صورها نظامي في إقبالنامه

بدأ نظامي حديثه عن نبوة الإسكندر بتصوير كيفية نزول الوحي عليه ، وتكليفه بالرسالة ، فبيّن أن هاتفاً من قبل الله تعالى أبلغه تحية الله ، وأنه نبي مُرسَل ، وطلب منه أن يخرج لهداية الناس ، قائلاً : « ادعُ الناس ـ بدلَّتَ من تدين ونفوذ ـ إلى عبادة الله ، والبعد عن الضلال ، وابْن هذه الدنيا القديمة على أسس جديدة صالحة ، وطهر الآفاق من الغفلة والآثام[1] » .

وخاف الإسكندر ، لأنه لم يكن يعرف لغات الشعوب التي أرسل إليها ، وقال : « أي حجة أهدي بها الخلق إذا ادّعيتُ النبوة ؟ ! . . وأي معجزة من القول يمكن أن أظهرها ، حتى يصدقني الناس ؟ ! . .[2] » .

فأجاب الهاتف بأن معرفة لغات العالم ، وتهيئة الجيش اللازم ستمنحان له كدليل على نبوته ، فسُرّ الإسكندر ، وأخذ يستعد للسفر ، ليبدأ رحلاته حول العالم لإرشاد الناس .

فأعد الجهاز الروحي أولاً ؛ « فجهّز ثلاثة كتب غير الكتاب المقدس الذي نزل عليه من قبل الله ، وكتبها نسّاخ ماهر بحبر أسود على قماش من حرير .

---

(١) كنى خلق را دعوت از راه بد   بدارنده دولت ودين خود
بنا نوكنى اين كهن طاق را   ز غفلت فرو شوئى آفاق را
(نظامي : خردنامه وإقبالنامه ، ص ١٣٦)

(٢) وگر دعوى آرم بپيغمبرى   چه حجت كنم خلق را رهبرى ؟
چه معجز بود در سخن ياورم   كه دارند بينندگان باورم ؟
(المرجع السابق ،ص ١٣٨).

وقد ألف أرسطو الكتاب الأول ، وتحدث فيه عن الفضيلة ، وألف أفلاطون الكتاب الثانى وضمّنه كل المعارف التى يعرفها ، وألف سقراط الكتاب الثالث ، وجعله يشتمل على النصائح المفيدة ، والفضائل المحببة إلى القلوب ، وجمع الملك هذه الكتب الثلاثة بعد الفراغ من تأليفها ، ومهرها بخاتمه ، وضمّها ، وجعلها فى مجلد واحد[1] » .

وأمر بإعطاء خراج الروم والروس لابنه « إسكندروس » ، وسلمه لأمه[2] ، ثم بدأ طوافه حول العالم كنبى مُرسَل ؛ فسار بجيش عظيم مكون من مائة ألف رجل ، يعادل كل واحد منهم جيشاً فى شجاعته ، كما أخذ معه أربعة آلاف جمل محملة بالأمتعة ، « وتوجه — أولاً — نحو المغرب ، فوصل إلى مصر ، ومكث فيها يومين[3] » .

وأمر أن يُبْنَى عمود فى الإسكندرية ، وتوضع عليه مرآة ، لتشير إلى العدو حينما يقترب فيمكن الاستعداد لدرء خطره[4] .

---

(١) بجز سفر أعظم كه در بخردى نشانى بد از مايه ايزدى
سه فرهنك نامه ز فرخ دبير بمشك سيه نقش زدبر حرير
أرسطو نخستين ورق در نوشت خبر دادش ازكوهر خوب وزشت
فلاطون دگر نامه‌را نقش بست زهر دانشى كامد أورا بدست
سوم درج را كرد سقراط بند زهر جوهرى كان بود دلپسند
چو كشت اين سه فهرست پرداخته سخنهاى با يكديگر ساخته
شه آن نامه ها وا همه مهر كرد بپيچيد وبنهاد دريك نورد
(نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص ١٤١)

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٦ .

(٣) نخستين قدم سوى مغرب نهاد بمصر آمد آنجا دو روز ايستاد
(المرجع السابق ، ص ١٦٨)

(٤) نفس المرجع والصفحة .

ثم سار الإسكندر إلى بيت المقدس ، حيث كان الناس يشكون من حاكم ظالم ، فحاصره ، وحاربه إلى أن استسلم ، فلم يكد بصره يقع عليه حتى قتله ، وعاقبه على باب بيت المقدس ، ثم أرسل منادياً ليعلن للناس مدى ظلم ذلك الحاكم ، ويطلب من كل مَنْ لحقه حيف أن يذكره ، ونزع هذه الديار المقدسة من يده ، ونشر العدل فى أرجائها[1] » .

ثم اتجه الإسكندر نحو الغرب ، وسار إلى بلاد الأندلس « فلما وصل إليها أخذ يدعو الناس إلى الدين والفضيلة ، فلم يخرج أحد عن طاعته ، فقبلوا دينه وتعاليمه ، وأسرعوا للسير معه فى الطريق المستقيم[2] » .

ثم ركب فى السفينة ، واتجه إلى حيث تغرب الشمس ، وسار ثلاثة أشهر ، فأبصر فى أثنائها جزراً كثيرة ، ثم وصل إلى واد رماله صفراء ، فسار فيه شهراً حتى بلغ نهايته : « فلما أدرك الإسكندر نهاية ذلك الوادى وصل إلى البحر الأعظم (المحيط) ، فتعجب من ذلك البحر العميق الذى يسميه اليونان الأوقيانوس ؛ وأظهر المحيط أمواجه الهائلة ، فلم يكن فيه مكان للذهاب أبعد من ذلك[3] » .

---

(١)

چو بيداد گرديد خون ريختش	ز دروازه مقدس آويختش
منادى برانگيخت تا در زمان	ز بيداد او برگشايد زبان
كه هركو بدين خانه بيداد كرد	بدينگونه بخت بدش يادكرد
چو زو بستد آن خانهٔ پاك را	بعنبر برآميخت آن خاك را

(نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص ١٧٠)

(٢)

چو آمد كه دعوى وداورى	بدانش نمائى ودين پرورى
كس از دانش ودين أو سرنتافت	رهى ديد روشن بدان ره شتافت

(نفس المرجع والصفحة)

(٣)

چو پايان آن وادى آمد پديد	سكندر بدرياى أعظم رسيد
در آن ژرف دريا شگفتى بماند	كو يونانيش اوقيانوس خواند
محيط جهان موج هيبت نمود	ازان بيشتر جاى رفتن نبود

(المرجع السابق ، ص ١٧١)

« وكان غروب الشمس واضحاً فى ذلك المحيط ، فلم تكن حجب المياه تخفى أشعتها و بريقها ، والفلك يفعل ذلك فى كل يوم وليلة ، فيلقى الأشعة على البحر من عين الشمس البعيدة ، فتصبح دليلاً ـ لنا ـ على عين الشمس ، وعين ماء البحر ، وهى العين الحمئة[1] التى تغرب فيها الشمس ، حينما تتجه إلى البحر ، وتغوص فيه[2] » .

ثم استحم الإسكندر فى المحيط ، فوجد ماءه ثقيلا يشبه الزئبق ، فلم يفكر فى القيام برحلة عليه .

وروى الناس له أنه يوجد ـ بالقرب من المحيط ـ مخلوق عجيب ، يقتل الإنسان بنظره واحدة إليه ، كما يوجد شاطىء مملوء باللآلىء « وأن الإنسان حينما يبصر هذه اللآلىء يضحك من فرط السرور ، فيموت من ذلك الضحك سريعاً ، فالنظر إليها و إسلام الروح متلازمان[3] » .

---

(١) يبدو أن نظامى تأثر ـ فى هذا ـ بما ورد فى القرآن : سورة الكهف ، آية ٨٦ . حيث يقول الله تعالى : « حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة » . ومال نظامى إلى تفسير « حمئة » على أنها بمعنى « ساخنة » . وهذا يتفق مع قراءة ابن عاصم، وعامر ، وحمزة ، والكسائى ، فقد قرأوا « عين حامية » أى حارة وهو يخالف قراءة الباقين فى « عين حمئة » أى كثيرة الحمأة ، وهى الطينة السوداء . (انظر القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج ١١ ، ص ٤٩) .

(٢) فرو رفتن آفتاب از جهان — در آن ژرف دريا نبودى نهان
حجابى مغانى بد ان آب را — نپوشيدى از ديدها تاب را
فلك هر شبانروزى از چشم دور — بدريا درافكندى از چشمه نور
بمادر فرو رفتن آفتاب — إشارت بچشمه است ودرياى آب
همان چشمه گرم كوراست جاى — بدريا حوالت كند رهنماى
(نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص ١٧١-١٧٢) .

(٣) چو بيند درو ديده آدمى — بخندد زبس شادى وخرمى
وزان خرمى جان دهد در زمان — همان ديدن ودادن جان همان
(المرجع السابق ، ص ١٧٤) .

فأمر الإسكندر رجاله بأن يحملوا معهم بعض رمال الوادى الصفراء ، ثم ترك المكان ، وسار حتى وصل إلى واحة ، فأمر أتباعه ببناء قلعة ، وبأن يستعملوا فى بنائها الرمال الصفراء التى حملوها معهم ، وكانت هذه القلعة تقتل كل من ينظر إليها ، أو يقترب منها(١) .

ثم واصل الإسكندر سيره مخترقاً الصحراء ، وظل يسير ستة أشهر « لأنه كان يقطع ذلك الطريق على ظهور الفيلة ، وقد أفضى به إلى نهر النيل(٢) »

وأخذ يبحث عن منابع النيل ، فوصل إلى جبل أخضر اللون ، تنبعث منه رائحة مسكية ، فأرسل رجلا من رجاله ليتبين سبب هذه الرائحة ، فلم يعد الرجل ، فأرسل غيره ، وهكذا ظل الإسكندر يرسل رجلاً تلو الآخر ـ دون أن يرجع واحد منهم ـ حتى هلك عدد كبير من جيشه ، وأخيراً أرسل رجلاً ، وأرسل معه ابنه ، ليُلقى الابن ـ من أعلى الجبل ـ إلى أبيه وصفاً له ، حتى يدرك كنهه ، وقد نجحت هذه الفكرة ، فعرف الإسكندر من وصف الجبل أن له جانبين أحدهما يبعث على السرور ، والآخر مرعب(٣) .

وترك الإسكندر هذا المكان ، وسار فى الصحراء مدة حتى وصل إلى جنة عدن ، فوجدها جنة ذهبية الأشجار ، يسكنها قوم شداد(٤) .

وترك الإسكندر ذلك المكان دون أن يحمل شيئاً من كنوزه ، وسار مخترقاً الصحراء ، « فلما قطع نصف الطريق رأى جماعة متوحشة ، فى صورة

---

(١) نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص ١٧٥ — ١٧٦ .

(٢) از ان ره كه درپاى پيل آمدش   كذرگه سوى رودنيل آمدش

(المرجع السابق ، ص ١٧٧)

(٣) المرجع السابق ، ص ١٧٩ — ١٨١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٨٢ — ١٨٣ .

الآدميين[١] » .

فسألهم الإسكندر عن أحوالهم ؛ فقالوا : « إن طعامنا فى هذه الصحراء المترامية — التى هى مسكننا — هو ما نصطاده منها ، فنحن نصطاد من الصحراء ، ونعيش كالوحوش ؛ فنأكل من الصيد ما نجده سائغاً ، ونلبس من جلود الحيوانات وأوبارها ، ولا تُستَعْمَل هنا نار ، ولا يوجد ماء ، لأن نارنا مستمدة من الشمس ، وماءنا يؤخذ من السحاب[٢] » .

ثم بينوا له أن صحراءهم خالية من الكنوز ، وأنها صحراء نائية ، ولذلك لم يتصلوا بأحد . فخلع الإسكندر عليهم ، فأحبوه ، وأكرموا وفادته ، ودلوه على الطريق ، ورسموا له خط السير ، « فوجد طريقه إلى الربع المسكون ، بفضل مقاييسهم الصحيحة[٣] » .

وسار الإسكندر حتى وصل إلى ساحل البحر ، « فصنع سفناً كثيرة — مرة أخرى — وأنزلها من الساحل إلى البحر ، ثم ركب البحر أكثر من شهر ، حتى أوصل جيشه إلى اليابس[٤] » .

(١) چويك نيمه راه بيابان بريد گروهى دد آدمى‌سار ديد
(نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص١٨٥)

(٢) درين ژرف صحرا كه ماواى ماست
خورشهاى ما صيد صحراى ماست
درين دشت نخجير بانى كنيم برسم ددكان زندگانى كنيم
خوريم انچه زان صيد يابيم نرم كنيم آلت جامه أز موى وچرم
نه آتش بكار آيد اينجا نه آب بود آب ازابر آتش از آفتاب
(المرجع السابق ، ص ١٨٦)

(٣) وزيشان بهنجارهاى درست سوى ربع مسكون نشان بازجست
(المرجع السابق ، ص ١٨٨)

(٤) دگر باره كشتى بسى ساختند ز ساحل بدريا در انداختند
چو دريا بريدند يكماه بيش بخشكى رساندند بنگاه خويش
(نفس المرجع والصفحة)

وانتهت ـ بذلك ـ رحلة الإسكندر إلى المغرب ، فاستراح شهراً ، ثم ارتحل صوب الجنوب ، فوصل إلى قرية ، ووجد أهلها يستعينون بجمجمة رجل مقتول فى التنبؤ بما سيحدث من خير وشر ، « فكانوا يضربون تلك الجمجمة بقضيب ، ويخاطبونها ، فيسألونها : ماذا سيحدث فى الليل والنهار من خير وشر ؟.. فينبعث من داخلها صوت يشبه الكلام ، ويخبرهم بما سيكون غداً من حار وبارد ، ويبين لهم أحداث العالم فى دورته فى هذه المدة[1] » .

فدعاهم الإسكندر إلى اتباع دينه ، وترك هذه العادات السيئة . ثم سار حتى وصل إلى واد مملوء بالحيات والماس ، فأمر الجيش بذبح ألف نعجة ، وإلقائها مسلوخةً فى قاع الوادى . « فلما التصق بها الماس تحركت النسور من جميع الجهات لحملها[2] » .

وجمع الجيش الماس بعد أن أكلت النسور اللحم ؛ ثم سار الإسكندر ، فعبر كثيراً من الصحارى حتى وصل إلى مكان معمور ؛ فرأى فيه شاباً وسيماً يفلح الأرض ، فسأله عن دينه ، « فأجاب الشاب : يا مَنْ خُصِصْتَ بالنبوة من قبل الله لتهدى الخلق إلى طريق الخير .. لقد تعلق قلبى بالله مثلك ، فأنا أتبع نفس الدين الذى تدعو إليه[3] » .

(١) قضيبى زدندى بر ان استخوان شدندى بران كله فرياد خوان
كه امشب چه نيك وبد آيد پديد همان روز فرداچه خواهد رسيد؟
صدائى برون آمدى از نهفت صدائى كه مانند باشد بگفت
كه فردا چنين باشد از گرم وسرد چنين نقشه دارد جهان درنورد
(نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص ١٩١)

(٢) چو ألماس دوسيده شد بر كباب بجنبش درامد زهر سو عقاب
(المرجع السابق ، ص ١٩٤)

(٣) جو انمرد گفت اى زگيتى خداى بپيغمبرى خلق را رهنماى
در آنكس دل خويش بستم كه تو همان قبله را ميپرستم كه تو
(المرجع السابق ، ص ١٩٦)

وفسر ذلك بقوله : « لقد رأيتك قبل هذا فى المنام ، فأصبح قلبى حياً بدينك ، كما تحيا سمكة بالماء[١] » .

فأثنى الإسكندر عليه ، ثم واصل سيره ، فطوى كثيراً من المنازل حتى وصل إلى مدينة عليها حاكم ظالم ، لجار به الإسكندر ، وهزمه « وأرسى فيها قواعد العدل ، وسماها إسكندر آباد[٢] » .

ثم عبر الإسكندر منها إلى الهند مرة أخرى ، وكان الفصل ربيعاً ، فكانت الرياض يانعة ، والأزهار متفتحة ، عطرة الرائحة ، فتوقف قليلاً ، ثم اتجه إلى المشرق ، ليبدأ رحلة جديدة نحو الشرق ، فسار « حتى وصل إلى المدينة المباركة التى يسميها الأتراك « لنكر بهشت[٣] » لبهائها ؛ فوجد فيها ربيعاً جميلاً ، ومعبداً اسمه قندهار[٤] » .

وكان فى المعبد صنم له عينان من حجرين كريمين ، فأمر الإسكندر بتحطيم الصنم والمعبد ، وأخذ ما يُوجَد من جواهر لأنها تفيد الناس ، ثم مثل أحد كهنة المعبد بين يدى الإسكندر ، وقص عليه قصة المعبد ، وهى أنه كان — فى الأصل — قصراً أثرياً قيماً ، يوشك أن يتداعى ، فحط عليه طائران ، وكانت فى منقاريهما جوهرتان ؛ ثم طارا تاركين الجوهرتين ، فأسس الناس مكان القصر معبداً ، وصنعوا صنما ، وجعلوا عينيه من هاتين الجوهرتين .

---

(١) ترا ديده‌ام پيشترزين بخواب بتوزنده گشتم چو ماهى بآب
(نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص ١٩٦)

(٢) درو سدى از عدل بنياد كرد همان نامش اسكندر آباد كرد
(المرجع السابق ، ص ١٩٨)

(٣) « لنكر بهشت » معناها « مرسى الجنة » أى المكان الذى تستقر فيه .

(٤) درامد بآن شهر مينو سرشت كه تركانش خوانند لنكر بهشت
بهارى درو ديد چون نوبهار پر ستشكهى نام أو قندهار
(المرجع السابق ، ص ٢٠٠)

وأيقن الكاهن أن الإسكندر نبى مصلح ، « فدله على كنز أُخْفِىَ تحت الأرض ، تعجب مستخرجوه من كثرة ما فيه من جواهر ؛ فاستولى الملك على ذلك الكنز العظيم ، وأنعم بجزء منه ، وحفظ الباقى[(١)] » .

واستمر الإسكندر فى رحلته ، فكان يقطع الصحارى ، ويسير فى المناطق المعمورة ؛ « فكلما رأى آدمياً فى بقعة تحدث معه ، وسمع كلامه ، ودعاه إلى اتباع دينه ، حتى هدى الناس إلى الدين الحق[(٢)] » .

ثم وصل إلى الصين ، فأحسن ملكها استقباله ، وعقد معه ميثاقاً ، فتوطدت الصداقة بينهما « وقبل الخاقان[(٣)] منه دينه ، وتعلم أصوله وتعاليمه[(٤)] » .

وقام الإسكندر والخاقان برحلة بحرية حتى وصلا إلى الماء الأزرق[(٥)] ، فنزلا إلى الشاطىء ، وكان بالقرب من الشاطىء معبد ، فلاحظ الإسكندر « أن عرائس الماء الجميلات يخرجن من المعبد طوال الليل كالأقمار ، ثم يلجأن إلى هذا الساحل للاستراحة ، فيغنين بصوت عذب ، ويرقصن ، وأن كل من سمع

---

(١) يکی گنج پوشیده دادش نشان کزو خيره شد چشم گوهر کشان
شه آن گنج آ کنده را برگشاد نگه‌داشت برخی وبرخی بداد
(نظامی : خردنامه وإقبالنامه ، ص ٢٠٢)

(٢) بهر بقعهٔ کادمی‌زاد دید بایشان سخن گفت وزیشان شنید
زیزدان پرستی خبر دادشان زدین توتیای نظر دادشان
(المرجع السابق ، ص ٢٠٢-٢٠٣)

(٣) كان ملك الصين يلقب بلقب « خاقان » أى « ملك » .

(٤) پذیرفت خاقان أزو دین او در آموخت آیات وآیین او
(المرجع السابق ، ص ٢٠٣)

(٥) يبدو أن الشاعر يقصد بالماء الأزرق « بحر الصين » .

غناءهن ، قد سكر من عذوبة صوتهن[١] » .

وقام الإسكندر برحلة على بحر الصين ، وصحب معه « بليناس » حتى وصل إلى جزيرة ، تعتبر آخر حدود العالم من الشرق : « فلما عرف الإسكندر هذه الحقيقة ، وأنه لا يمكن السير أبعد من هذه الجزيرة ، أمر بصنع طلسم بشير ـ رافعاً يده ـ إلى أنه ليس للخلق طريق بعد هذه الجزيرة ، وأن أى إنسان لن يستطيع أن يعرف ما فى الطرف الآخر من البحر[٢] » .

ورجع الإسكندر بعد ذلك ، ولكنه ضل الطريق ، وأصبح بجوار مكان يشتد حوله تيار الماء ، بما يجعل السفن فى خطر ، فشيده « بليناس » طلسما ـ هو عبارة عن رجل يحمل طبلاً ـ فساعد على عبور السفن ، وفسر ذلك بأن السمكة التى أحدثت هذا التيار الشديد هربت حينما سمعت صوت الطبل[٣] .

ورجع الإسكندر إلى الخاقان الذى كان فى انتظاره ؛ فاستراح أسبوعاً ، ثم واصل هو والخاقان الرحلة ، فسارا فى الصحراء عشرة أيام ، حتى وصلا إلى مدينة جميلة ، كان أهلها يسمعون صوتاً مرعباً يأتى من البحر ، « وكان يأتى

---

(١) عروسان آبى چو خورشيد وماه　　همه شب بر آيند از آن فرضه گاه
براين ساحل آرام سازى كنند　　غناها سرايند وبازى كنند
كسى كو بگوش آورد سازشان　　شود بيهش از لطف آواز شان
(نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص ٢٠٥)

(٢) سكندر چو زين حالت آگاه گشت
كزان ميلگه بيش نتوان گذشت
طلسمى بفرمود پرداختن　　إشارت كنان دستش افراختن
كزين پيشتر خلق را راه نيست　　أز نسوى دريا كس آگاه نيست
(المرجع السابق ، ص ٢٠٨)

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٠٩-٢١٤ .

عندما تشرق الشمس ، فى صورة طرق شديد[1] » .

وكان الناس يخافون من هذا الصوت ، ويخفون أبناءهم ، « فكان عندهم عشرون كهفاً تحت الأرض ، ليعيش أبناؤهم فيها[2] » .

وقد فسر « بليناس » هذا الصوت بتأثير الشمس على أمواج البحر ، وبين أنها حينما تشرق تحدث هذا الصوت[3] ، وأشار على الإسكندر بأن يأمر الجيش بدق الطبول ، فطرب الناس . وأصبح دق الطبول عادة من عاداتهم ؛ « وقبلوا من الإسكندر دينه ، وشكروه على هدايتهم من الضلال ، وإرشادهم إلى معرفة الله[4] » .

ثم واصل الإسكندر رحلته حتى بلغ الصين ، فاستراح شهراً ، ثم بدأ رحلته إلى الشمال .

وقد بدأ هذه الرحلة الأخيرة فى نهاية فصل الصيف ، « وحمل كثيراً من الجواهر هدية من الخاقان ؛ وسار بجيشه المظفر مخترقاً الصحراء ، تاركاً الشرق إلى الشمال[5] »

وواصل سيره فى الصحراء ، حتى وصل إلى أرض مملوءة بالفضة فلم يحمل[6]

---

(١) چو خورشید سر برزند زین نطاق　　برآید زدریا طراقا طراق
(نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص ٢١٦)

(٢) بزیر زمین دخمه دارند بیست　　که طفلان دران دخمه دانند زیست
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) المرجع السابق ، ص ٢١٧ .

(٤) ز شه دین پذیرفت وبادین سپاس　　کزان گمرهی گشت یزدان شناس
(المرجع السابق ، ص ٢١٨)

(٥) بسى گنج دربیش خاقان کشید　　وزانجا سپه در بیابان کشید
(المرجع السابق ، ص ٢٢٢)

منها إلا القليل ـ لكثرة ما كان معه من الذهب ـ وظل يسير حتى وصل إلى « جماعة متدينة ، يعيش أفرادها على سفوح الجبال ، ووجدهم قد اهتدوا إلى الدين الحق دون وساطة أنبياء ، فعرفوا الله عن طريق العقل ، بإلهام من الله . فلما أبصروا طلعة الإسكندر قبلوه نبيًّا ، وتزوّدوا بتعاليمه ، وطلبوا منه العلم والعدل ، فبيّن الإسكندر لهم أصول دينه ، وأعطاهم فضلا عن ذلك أموالاً كثيرة[(١)] » .

وشكوا له من شر قبيلة يأجوج[(٢)] ، قائلين : « توجد جماعة فى تلك الصحراء تدعى يأجوج ، أفرادها آدميون مثلنا ، ولكن طبيعتهم شريرة[(٣)] » .

ووصفوهم له ؛ بأن الشعر يغطى أجسامهم ـ من الرأس إلى إخمص القدم ـ وأن أنيابهم كأنياب الحيوانات المفترسة ، وأنهم يأكلون النباتات ، وتنِّينًا يسقط عليهم كل عام من السحب السوداء ، وشكوا من أنهم يهجمون عليهم ، فيأكلون طعامهم . فاستمع الإسكندر إلى شكواهم ، ودبَّر وسيلة لدفع الشر عنهم ،

---

(١) گروهى بر آن كوه دين پروران مسلمان وفارغ ز پيغمبران
بإلهام يزدان زروى قياس در أحوال خودگشته يزدان شناس
چو ديدند سيماى إسكندرى پذيرا شدندش بپيغمبرى
بتعليم او خاطر آراستند وزو دانش وداد در خواستند
سكندر برايشان در دين گشاد بجز دين ودانش بسى چيزداد
(نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص ٢٢٤)

(٢) يبدو أن نظامى قد تأثر فيما ذكره عن «قصة الإسكندر مع يأجوج» بما ورد فى القرآن : سورة الكهف ، آيات ٩٤ ـ ٩٨ . عن قصة ذى القرنين مع يأجوج ومأجوج ، وبناء السد لدفع خطر هؤلاء القوم .

(٣) گروهى دران دشت ياجوج نام چوما آدمى زاده وديوفام
(نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص٢٤)

« فبنى سداً منيعاً من الفولاذ ، لا يتحطم إلى يوم القيامة[١] » .

ثم واصل سيره حتى وصل إلى منطقة جميلة ، مملوءة بأشجار الفاكهة ، والأغنام ، ولم يجد عليها حاكماً ، لأن أهلها كانوا يعرفون حقوقهم وواجباتهم ؛ فيؤدي كل منهم ما عليه ، ويأخذ ماله ، فيعيشون بذلك فى سعادة وهناء ، مبتعدين عن المساوىء الخلقية ، ولاحظ أن العدل قد انتشر بينهم[٢] ، فلما رأى الإسكندر ذلك اكتفى بالطواف حول العالم ، وكأنه وصل إلى الهدف الذى كان ينشده[٣] ، فقال : « لا أريد الطواف فى العالم مرة أخرى بعد أن رحلت إلى كل مكان[٤] » .

« وحينما رآهم على الحق — الذى يشبه دينه — سلَّم عليهم ، وأعطاهم أموالاً لا تُحْصَى ، ورجع من تلك الديار مسروراً ، فاخترق الصحراء بجيشه الزاخر[٥] » .

وهكذا ختم الإسكندر رحلاته ، فشق طريقه عائداً إلى بلاده « بعد أن

---

(١) بدانگونه سدى ز پولاد بست كه تا رستخيزش نباشد شكست
(نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص ٢٢٦)

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٨–٢٣١ .

(٣) فكرة أن يعيش الناس يظللهم عدل الله دون حاجة إلى حاكم يسوسهم تشبه فكرة الجنة ، ويبدو أن نظامى قد تأثر بما ورد فى القرآن فى وصف الجنة ، ومابشر الله به المؤمنين من نعيم مقيم فيها حيث يعيشون مستظلين بعدل الله .

(٤) نخواهم دگر در جهان تاختن بهر صيدگه دامى انداختن
(نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص ٢٣١)

(٥) چو در حق خود ديدشان حق شناس
درود ودرم دادشان بى قياس
آزان مملكت شادمان باز گشت روان كرد لشكر چو دريا بدشت
(المرجع السابق ، ص ٢٣٢)

أنقذ الناس من الظلم والفقر فى كل مكان رحل إليه[1] » .

وهنا بدأت النهاية ؛ فسمع الإسكندر هاتفاً ينصحه بالرجوع ، « فرجع من الشمال إلى كرمان ، ورحل منها إلى كرمانشهان ، وسار منها إلى بابل ، وتوجّه منها شطر بلاد اليونان ، فلما وصل – من بابل – إلى شهرزور ، بَعُدَت عنه السلامة ، فأصابه المرض ، وعجز عن الحركة دفعة واحدة[2] » .

وظن الإسكندر أنه شرب ماء مسموماً ، فحاول أرسطو والحكماء معالجته ، فلم يُوَفَّقوا ، وأيقن الإسكندر أنه مشرف على الموت ، فدعا إليه أصدقاءه ، فاجتمع حوله الحكماء[3] ، فأخذ يتحدث معهم عن الموت ، والرحيل من الدنيا وكيف أنه فتح العالم من أقصاه إلى أقصاه ، وطهّره من الظلم ، ودعا إلى الدين الحق ، ثم ها هو يترك الدنيا دون أن يأخذ معه شيئاً ، وضرب لهم مثلاً ، بقوله : « وقف طائر على جبل ثم طار ، فماذا زاد على الجبل وماذا نقص منه ؟!.. أنا ذلك الطائر ، والعالم جبلى ، فأى حزن للدنيا على ذهابى ؟!..[4] »

---

(١) بهر جاكه أو تاختى باركى رهاندى بسى كس ز بيچاركى
(نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص ٢٣٢)

(٢) بكرمان رسيد از كنار جهان ز كرمان درامد بكرمانشهان
وزانجا بيابل برون بردراه ز بابل سوى روم زد باركاه
چو آمد ز بابل سوى شهر زور سلامت شد از پيكرشاه دور
بسستى درامد تنش باركى ز طاقت فروماند يكباركى
(المرجع السابق ، ص ٢٣٦)

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٤٢ – ٢٤٧ . وقد ذكر الشاعر حديث الإسكندر مع الحكماء بشىء من التفصيل .

(٤) يكى مرغ بركوه بنشست وخاست چه افزود بركوه يازوچه كاست؟!
من آن مرغم وممكلت كوه من چو رفتم جهان را چه اندوه من
(المرجع السابق ، ص ٢٤٧)

ثم أمر بكتابة رسالة إلى أمه ، ودعاها إلى عدم الجزع لموته ؛ لأن الموت هو المصير المحتوم ، طال العمر أم قصر ، ونصحها بالصبر والاحتمال[١] .

وتوفى الإسكندر فى الليلة التالية ، « فابتسم ومات ـ كالشمع ـ فى أثناء تبسُّمه ، فأسلم الروح لله الذى منحه الروح[٢] » .

ونفَّذ الحكماء وصيته ، فوضعوه فى تابوت ، بالصورة التى أوصى بها ؛ « وكان قد أمر بأن يجعلوا يده خارج التابوت ، ويضعوا فيها ترابا ، ثم ينادى المنادى فى كل مكان : أن الإسكندر هو الذى كان وحده ـ دون غيره من ملوك العالم ـ ملكا على أقاليم العالم السبعة ، وليس فى يده من كنوز الدُّنيا التى جمعها غير التراب ، وأنتم ـ أيضا ـ حينما تخرجون من الدنيا ، سوف لا تأخذون معكم غير التراب[٣] » .

« ثم حملوه من شهرزور إلى مصر ، لأن تلك الديار كانت بعيدة عن متناول أعدائه ، ودفنوه فى مدينة الاسكندرية ، فوسدوه التراب ، بعد أن كان على العرش[٤] » .

---

(١) نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص ، ٢٥١ ـ ٢٥٧ . وقد ذكرت محتويات هذه الرسالة بشىء من التفصيل .

(٢) بخنديد ودر خنده چون شمع مرد — بدانكس كه جان داد جانرا سپرد

(المرجع السابق ، ص ٢٥٨)

(٣) ز تابوت فرموده بد شهريار — كه يكدست أورا كنند آشكار

در آن دست خاكى تهى ريخته — منادى ز هرسو بر انگيخته

كه فرمانده هفت كشور زمين — همين يكتن آمد زشاهان همين

زهر گنج دنيا كه در باربست — بجز خاك چيزى ندارد بدست

شما نيز چون از جهان بگذريد — از ين خاكدان تيره خاكى بريد

(المرجع السابق ، ص ٢٥٩)

(٤) سوى مصر بردندش از شهر زور — كه بود آن ديار از بدانديش دور

باسكندريش وطن ساختند — ز تختش بتخته درانداختند

(المرجع السابق ، ص ٢٥٩-٢٦٠)

وسمعت أمه بوفاته ، فتأثرت ، وماتت سريعاً[١] ، وقدّم العظماء فروض الولاء لابنه « إسكندروس » وأرادوا توليته ، ولكنه رفض بحجة أنه لم يكن يملك صفات أبيه ، وقضى حياته كراهب فى أحد الأديرة[٢]

وأعقب ذلك موت الحكماء السبعة ، فتوفى أرسطو أولا ، ثم لحق به هرمس ، فأفلاطون ، فواليس ، فبليناس ، ففرفوريوس ، فسقراط . وكان كل منهم يتحدث — قبل موته — عن قضاء الله ، وخلود الروح ، وانعدام فائدة الحكمة إذا حُمّ القضاء .

وتوفى سقراط مسموماً ، وسأله تلاميذه — قبل موته — عن المكان الذى يجب أن يدفن فيه ، فأجاب بأنه لا يعنيه أين يُدْفن جثمانه !..[٣]

* * *

وخُتِمت المنظومة بالتحدث عن خاتمة حياة نظامى[٤] ، ومدح عز الدين مسعود حاكم الموصل[٥] ، والدعاء له[٦]

وبذلك تنتهى قصة لإسكندر بعد أن صوّره نظامى من ثلاثة جوانب : جانب البطولة ، وجانب الحكمة ، وجانب النبوة .

* * *

(١) نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص ٢٦٣–٢٦٤

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦٤–٢٦٨ .

(٣) المرجع السابق، ص ٢٦٨–٢٧٨ . وقد سبقت مناقشة مسألة وجود الحكماء السبعة. وأثبت نظامى مايتعلق بوفاتهم ، وأقوالهم قبل الوفاة ، بعد موت الإسكندر وهذا خطأ من الناحية التاريخية ، ولكن الشاعر أراد أن يتلاءم مع فكرته هو ، التى غلبت عليها الناحية القصصية .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٧٨–٢٨٠ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٨٠–٢٨٦ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٨٦–٢٩٣ .

ويبدو أن نظامى تأثر ـ فيما ذكره عن نبوة الإسكندر ـ بالرأى الذى يميل إلى أن « ذا القرنين » المذكور فى القرآن[1] لم يكن شخصاً غير الإسكندر المقدونى ، وقد أثبته مفسرون ، من أشهرهم البيضاوى[2] .

وذكر ياقوت رأياً آخر يميل إلى وجود شخصين باسم الإسكندر ، فقال فى أثناء حديثه عن مدينة « الإسكندرية » : « وذكر آخرون أن الذى بناها هو الاسكندر الأول ذو القرنين الرومى ، واسمه « اسك بن سلوكوس » ، وليس هذا هو الإسكندر بن فيلقوس ؛ وأن الإسكندر الأول هو الذى جال الأرض ، و بلغ الظلمات ، وهو صاحب موسى وخضر عليهما السلام .... وزعموا أن بينه و بين الإسكندر الأخير صاحب « دارا » المستولى على أرض فارس ، وصاحب أرسطاطاليس الحكيم ـ الذى زعموا أنه عاش اثنتين وثلاثين سنة ـ دهراً طويلاً وأن الأول كان مؤمناً ، كما قصَّ الله عنه فى كتابه ، وعمِّر عمراً طويلا ، وملك الأرض ، أما الأخير ؛ فكان يرى رأى الفلاسفة ، ويذهب إلى قِدَم العالم ـ كما يرى أستاذه أرسطاطاليس ـ وقتل دارا ولم يتعد ملكه الروم وفارس[3] » .

ومن المفسرين الذين مالوا إلى هذا الرأى «الشهاب[4]» ، و «الرازى[5]» وهذا الرأى لايتنافى مع الحقائق التاريخية ، وأغلب الظن أنه هو الرأى الصحيح

ولكن نظامى مال إلى الرأى الأول ، فمزج ما ورد فى القرآن عن « ذى القرنين » وعن « موسى والخضر » بقصة لإسكندر المقدونى ليعطى موضوع

---

(١) سورة الكهف ، آيات ٨٣-٩٨ .

(٢) تفسير البيضاوى ، ج ١ ، ٥٧٢ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٥

(٤) الشهاب : حاشيته على البيضاوى ، ج ٢٦ ، ص١٢١ .

(٥) تفسير الرازى ، ج ٥ ، ص ٥٢٣-٥٢٤ .

الإسكندر صبغة قصصية ، و بضيء جوانبه المختلفة .

* * *

وقد نظم الفردوسي قصة الإسكندر ـ قبل نظامي ـ فيحسن أن نختم حديثنا عن منظومة « إسكندرنامه » لنظامي بمقارنة بين تصوير كل من هذين الشاعرين لشخصية الإسكندر ، حتى يمكننا أن نحكم على عمل نظامي حكما صحيحاً .

الفصل الخامس

مقارنة بين تصوير كل من الفردوسي ونظامي لشخصية الإسكندر

كان تصوير الفردوسي لشخصية الإسكندر يختلف اختلافاً كبيراً عن تصوير نظامي لها .

فقد تصوّر الفردوسي[1] شخصية الإسكندر بطريقة تتفق مع حبه لبني جنسه ، وتمجيده لماضي وطنه ، وتاريخه القديم ، وتعظيمه لملوك إيران القدماء ، واعتزازه بهم ، فأثر هذا في تصويره لهذه الشخصية ، ورسم العلامات المميزة لها .

فمال إلى الرأي القائل بأن الإسكندر إيراني ، ليمحو عن وطنه عار الهزيمة على يديه ، ويعتبر فتحه لإيران حقاً طبيعياً له ، واسترداداً للملك الذي اغتصبه أخوه « دارا » ، ويتخذ من فتوحاته وانتصاراته فخراً لبني وطنه ، فاقتصر على تصويره في صورة بطل فاتح ، وقائد مظفر ، استطاع أن يوسع حدود دولته ، بفتح الأقاليم المختلفة ، وضمها إلى حوزته .

ولذلك ؛ أثبت الفردوسي أن الإسكندر هو الابن الأكبر للملك الإيراني « داراب بن بهمن » وأن أمه كانت يونانية ، فقد تزوج « داراب » ابنة الملك اليوناني « فيلقوس » ، ثم وجدها كريهة الرائحة ، « فنفر قلب الملك الإيراني من العروس ، فردَّها ثانية إلى أبيها فيلقوس ، تحمل همّين : همّ نفسها ، وهمّ الطفل الذي بين أحشائها ، وأخفى هذا الأمر فلم يقله لأحد ؛ وبعد مُضيٍّ تسعة أشهر وضعت هذه الفتاة الفاتنة مولوداً جميلا كالبدر المنير ، فسمّته الإسكندر[2]

(١) فردوسي : شاهنامه ، ج ٣ ، ص ٤١٦ – ٤٤٠ ؛ ج ٤ ، ص ١-٨٤ .

(٢) الإسكندر في هذه الرواية اسم لنوع من الحشائش العطرة ، قيل إن أم الإسكندر عولجت به ، فشفيت من مرضها الذي كان سبباً في نفرة الملك الإيراني منها ، وقد سمت ابنها باسم هذا النبات تيمناً وتبركا .

لحسن تركيبه ، وروعة صورته ، وطيب رائحته ، لأنها كانت تتفاءل بهذا الاسم الذي وجدت بفضله الشفاء من المرض[1] » .

وهكذا حرص الفردوسي على إثبات نسب الإسكندر ، ليبرر فتحه لإيران ؛ وطبيعي أن يحذف من تاريخ الإسكندر ، وأعماله بعد ذلك ، ما يتعارض مع مجد إيران القديم ، كتحطيمه لمعابد النار ، وإحراقه « للأوستا[2] » ، وقضائه على الزردشتية . ويقتصر على تصوير حروبه وحملاته المختلفة التي استولى بها على بعض أجزاء العالم ، وكان النصر حليفه دائماً ، فجمع مالاً وفيراً[3] .

ولم تكن حملاته إلا لإرضاء حبه للغزو والإغارة ، فلم يذكر الفردوسي أسباباً تبررها — كما فعل نظامي — بل بيّن أن الإسكندر كان لا ينتهي من غزو حتى يفكر في غزو جديد ، فيستعد له ، ويسير لتنفيذه ، فهو — مثلاً — حينما أشار إلى توجه الإسكندر لحرب « كيد » ملك الهند لم يذكر سبباً إلا رغبته في الفتح ، فقال : « لما تفقد الإسكندر أحوال إيران ، عرف أن العرش والملك قد صارا تحت تصرفه ، فتوجه بجيشه لقتال « كيد » ملك الهند ، وشق طريقه في

(١) دل پادشا سرد گشت از عروس فرستاد بازش سوى فيلقوس
غمى دختر وكودك در نهان نگفت آن سخن با كسى در جهان
چو نه ماه بگذشت ازان خوبچهر يكى كودكى آمد چو تابنده مهر
ز بالا ورنگ وز بويا برش سكندر همى خواندى مادرش
كه فرخ همى داشت آن نام را كه از ناخوشى يافت زوكام را
(فردوسى : شاهنامه ، ج ٣ ، ص ٤١٨)

(٢) « الأوستا » كتاب الإيرانيين القدماء المقدس الذي قيل إنه نزل على نبيهم « زردشت » ، وجمع أصول الدين الزردشتي .

(٣) فردوسى : شاهنامه ، ج ٣ ، ص ٤٢١-٤٤٠ ، ج ٢٤ ص ١-٨٢ . وقد ذكر الحروب بالتفصيل .

السهول والصحارى[1] » .

فالفردوسى قد صور الاسكندر فى صورة محب للحرب ، واستعمار الشعوب ، و بسط النفوذ ، فلم تكن حروبه تهدف إلى غير هذا .

أما نظامى فصوَّر الاسكندر فى صورة الحاكم العادل ، المصلح للعالم ، ولم يكن يعنيه أن يكون إيرانياً أو يونانياً ، بقدر ما كان يعنيه أن يكون عادلا مصلحاً . ولذلك ؛ لم يحاول أن يثبت أن الاسكندر إيرانى ـ كما فعل الفردوسى ـ بل رجح أنه يونانى صريح النسب ، وابن شرعى لـ « فيلقوس » .

واجتهد نظامى فى إثبات أنه كان بطلا عادلاً ، وأنه كان يغزو لا حبًّا فى الغزو ، بل دفعاً للظلم ، فقد فتح مصر ـ مثلاً ـ لدفع شر الزنج ، و إقرار العدل فى البلاد ، وكان فى كل حروبه يرفع ظلماً ، و يقر عدلا ، و يعين ضعيفاً مظلوماً ، على قوى ظالم .

ولم يكتف نظامى بتصوير الإسكندر فى صورة بطل عدل و إصلاح ، بل جعله عالماً حكيما ، يناقش حكماء الهند ، ويجمع الحكماء حوله ، ويخلق جواً من الحكمة والعلم ، ثم يناقشهم فيما يتعلق بالخلق الأول ، و يصل إلى إثبات وجود الله ، لأن كل خلق لابد له من خالق . فأصبح بذلك مؤمناً بوحدانية الله مما أهَّله للنبوة والرسالة ، فبدأ دوراً جديداً ، خرج فيه على الناس بدعوته الجديدة وطاف العالم شرقاً ، وغرباً ، وشمالا ، وجنوباً ، داعياً وهادياً .

وتصوير لنظامى ـ هذا ـ لشخصية الإسكندر يختلف كثيراً عن تصوير الفردوسى ، فكل منهما قد تأثر بمزاجه الخاص ، فحاول أن يصور الإسكندر فى الصورة التى تتفق مع آرائه ، وتناسب روح عصره ، فحاول الفردوسى أن

(١) سكندر چوكرداندر إيران نگاه   بدانست كوراشد آن تخت وگاه
سوى كيد هندى سپه بركشيد   همه راه وبيراه لشكر كشيد
(فردوسى : شاهنامه ، ج ٤ ، ص ١١)

بمجد القوة فى الحروب ، والانتصار على الأعداء ، دون مساس بشعور الايرانيين ، بينما حاول نظامى أن يجعل الاسكندر يحقق أحلامه هو فى العدل والاصلاح ، ويرضى شعور الناس فى عصره ، وميلهم إلى رفع الظلم ، والتخلص من الاضطهاد فخلق منه بطل قصة ، وخلط الحقائق بالأساطير ، فبدت القصة فى صورة مزيج عجيب ، لا هو بالتاريخ ، ولا هو بالأساطير .

ومن الجائز أن يكون نظامى قد تأثر بما نظمه الفردوسى عن فتوحات الإسكندر كما تأثر بما تصوره المسلمون عن شخصية « ذى القرنين » الواردة فى القرآن .

ولكنى أرجح أن الشاعر تأثر — أكثر ما تأثر — بالقصة النثرية التى كُتِبَتْ عن الاسكندر فى القرن السادس الهجرى ، وهو القرن الذى نظم الشاعر القصة فى أواخره ، لأنها صورت الاسكندر فى صورة تشبه ما فعله نظامى ، خصوصاً فيما يتعلق برحلاته ونبوته ، وبحثه عن ماء الحياة ، ومقابلته للخضر ، ومن اجتمع حوله من حكماء .

وليس بين أيدينا من هذه القصة النثرية غير نسخة خطية وحيدة ، توجد فى مكتبة « سعيد نفيسى » الخاصة بطهران(١) .

---

(١) توجد هذه النسخة فى مكتبة سعيد نفيسى الخاصة بطهران ، تحت رقم ١٣٠٦ . وقد تفضل بإعارتها لى — أثناء فى إقامتى بطهران — وبقيت عندى عاماً كاملا ، فقمت بالاطلاع عليها ، وترتيبها ، ومقارنتها بمنظومة « اسكندر نامه » لنظامى ، ولاحظت الشبه الواضح بينهما ، وفى رأيى أن نظامى لم يفعل أكثر من نظم ماتضمنته هذه القصة النثرية ، لأن منظومته لا تختلف عنها إلا فيما يتعلق بنسب الإسكندر ، فالقصة النثرية رددت ما قاله الفردوسى من أنه إيرانى ، بينما مال نظامى إلى أنه يونانى .

والنسخة الخطية الموجودة تقع فى ٥٠٨ صفحة رغم أن أولها وآخرها ضائعان ، ويبلغ طولها ٣٥ سم ، وعرضها ٢٣ سم .

وقيل إن هذه القصة هى نفس القصة المترجمة عن اليونانية ، ولكنى أستبعد =

ورجح « بهار »[1] أنها كتبت فى القرن السادس الهجرى ، كما يبدو من اسم الناسخ ، وخطه النسخ المائل إلى الثُّلُث .

وقد ذَكَرَتْ هذه القصة الفردوسى ومنظومته «شاهنامه» فى مواضع كثيرة[2] مما يدل على أنها صُنِّفَتْ بعده ، ولم تذكر نظامى ، وهذا يرجح أنها كُتِبَتْ قبله[3] ، ويبدو أنه تأثر بما أوردته إلى حد كبير .

ولم تكن القصة النثرية ، هى أول محاولة بُذِلت لتسجيل ما روى عن الاسكندر ، لأن « كالستنس » اليونانى قام بتدوين أخبار الاسكندر قبل ذلك بقرون عديدة ، وضاع ما كتبه ، وبقيت ترجماته ، السريانية ، والحبشية ، والعربية[4] ، والفارسية ، والتركية الجغطائية[5] .

ومهما يكن من شىء ، فإن نظامى هو أول من نظم القصة فى هذه الصورة المفصلة .

وتصويره لشخصية الإسكندر يختلف اختلافاً جوهريًا عن تصوير الفردوسى ؛

= ذلك ، لأن ذكر الفردوسى ، وذكر شواهد قرآنية — فى مواضع كثيرة — يرجح أنها قصة إسلامية ، أو يرجح على الأقل أنها — إن كانت مترجمة — قد اختلطت بما ردده المسلمون عن « ذى القرنين » فلم تظل القصة اليونانية على حالها .

(١) بهار : سبك شناسى ، ج ٢ ، ص ١٢٩ .

(٢) القصه النثرية الخطية ، ص ٩٠ ، وفى مواضع أخرى كثيرة .

(٣) يبدو أن قصة الإسكندر النثرية التى كتبت فى عهد الشاه أحمد قاجار وطبعت فى طهران قد تأثرت بما فى القصة النثرية الخطية ، وبما فى الشاهنامه للفردوسى ، وإسكندرنامه لنظامى ، وهى تردد ماذكرته الشاهنامه ، والقصة النثرية الخطية من أن الإسكندر إيرانى .

(٤) يبدو أن مايوجد بالعربية والفارسية من أخبار حول الإسكندر ليس صورة دقيقة لما كتبه « كالستنس » ، لأن هذه الأخبار امتزجت بما رواه المسلمون عن شخصية « ذى القرنين » .

(٥) تربيت : دانشمندان آذربيجان ، ٣٨٤ .

تجلى فى شخصيات المنظومة ، وترتيب مناظرها ، مما يجعلنا نصدق ما قاله من أنه لم يكتف بترديد ماقاله الفردوسى ، بل ذكر أشياء جديدة .

وقد طبق نظامى مذهبه — فى نظم القصص — فى منظومته « إسكندرنامه » فاتخذ من القصة ميدانا لآرائه ، وأنطق الإسكندر بما يؤمن هو به ، ويدعو إليه ، وجعله يصل إلى الهدف ، وهو أن يعيش الناس فى صفاء ، يرفرف عليهم العدل ، فيؤدى كل منهم ما عليه ، ويأخذ ماله ، دون حاجة إلى يسوسهم ، ويوجههم ، فلما وصل الاسكندر إلى مثل هذا المكان ، لم يواصل السير ، لأنه اعتبر نفسه قد أدرك الغاية .

وكما أدرك الاسكندر غايته ، بلغ نظامى نفسه الغاية من النظم ، ومن الحياة أيضاً .

والواقع أن شخصية الاسكندر فى المنظومة هى أصدق تصوير لشخصية نظامى ، كداع من دعاة الفضيلة ، يتمنى أن يُبْنى المجتمع على أسس وطيدة من العزة ، والعدالة ، والعلم ، والأخلاق .

وقد أصبح نظامى بتصويره هذا — لقصة الاسكندر — إماماً قلده كثير من شعراء الفارسية والتركية .

وأشهر من قلدوه من شعراء الفارسية : أمير خسرو الدهلوى المتوفى فى عام ٧٢٥ هـ ، فنظمها تحت عنوان « آئينهٔ سكندرى » ، وعبد الرحمن الجامى المتوفى فى عام ٨٩٨ هـ . ونظمها تحت عنوان « خردنامهٔ سكندرى » .

وأشهر من قلدوه من شعراء التركية : ميرعليشير نوائى المتوفى فى عام ٩٠٦ هـ والأحمدى الكرميانى المتوفى فى عام ٩١٥ هـ ، ونظما القصة تحت عنوان « إسكندرنامه » .

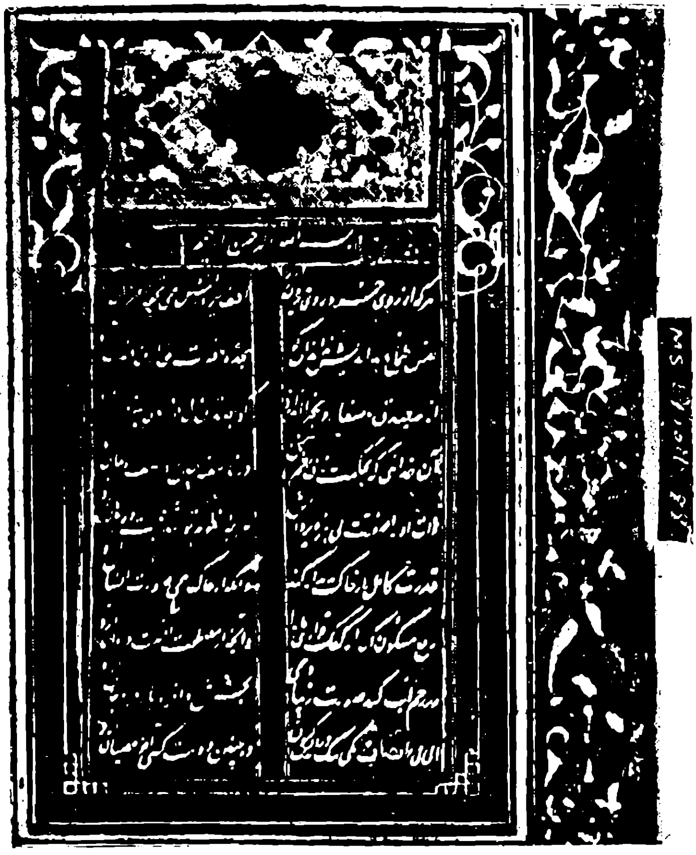
وقد اعتمد هؤلاء — جميعاً — على منظومة « إسكندر نامه » لنظامى ، واقتبسوا مما فيها من أقوال ، ومعلومات .

وأراد أمير خسرو الدهلوى أن يتصرف بعض الشىء ، فبدت منظومته مفككة الأجزاء ، تحتاج إلى حبك و إتقان ، وفقدت عنصر الحيوية والجمال (١) .

* * *

والآن ـ وقد درسنا منظومات الشاعر الخمس ، المسماة « خمسهٔ نظامى » ـ لم يبق إلا أن نلقى نظرة أخيرة على ما بقى من ديوانه ، وهو الشعر الذى نظمه بعيداً عن المنظومات ، حتى يتسنى لنا أن نصدر حكمنا على شعر الشاعر كله ، ونبيِّن مزايا فنه .

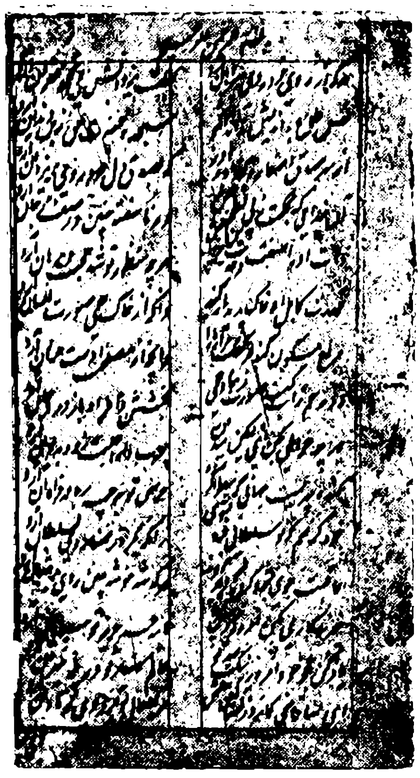
(١) Moh. Wahid Mirza : The life and works of Amir Khusrau, p. 201.



الصفحة الأولى من إحدى نسختى ديوان نظامى الخطيتين الموجودتين فى مكتبة
بودلين بأكسفورد نقلا عن مقدمة گنجينهٔ گنجوى ص قه

الباب السادس

ديوان نظامي



الصفحة الأولى من نسخة ديوان نظامى الخطية الموجودة فى برلين
نقلا عن مقدمة گنجينهٔ گنجوى ص قو

الفصل الأول

دراسة حول ديوان نظامي

١ — هل كان لنظامي ديوان شعر ؟ :

كانت الشهرة الغالبة على نظامي أنه صاحب خمس منظومات ، فحاول كثير من الشعراء الذين قلدوه أن يصبحوا أصحاب خمس منظومات مثله .

أما نظامي كصاحب ديوان شعر فشيء غير مشهور ، حتى إن كتب التذاكر المهمة لم تُشِرْ إلى هذا الديوان فى قليل أو كثير .

وذكر « عوفى » أن الشعر المروى عن نظامي غير مثنوياته قليل(١) ، رغم أنه كان معاصراً للشاعر ، مما يرجح تبدُّد الديوان وضياعه منذ زمن بعيد(٢) .

ولعل السبب فى إهمال ذكر الديوان عدم وجوده كاملاً . غير أن ضياع بعض أجزائه لا يعنى أن الشاعر لم يكن له ديوان أصلا .

والحقيقة التي لاشك فيها أن نظامي كان له ديوان شعر ـ فضلاً عن منظوماته ـ وأن هذا الديوان كان كاملا فى عام ٥٨٤ هـ فى أثناء نظم « ليلى ومجنون » ؛ فقد ذكر الشاعر أنه كان يوماً مسروراً نشيطاً ، لأن ديوانه كان كاملا أمامه ، وفى تلك الأثناء وصله خطاب من حاكم شروان ، وطلب منه نظم قصة « ليلى والمجنون » ، فقال : « كنتُ يوماً أحس بالسعادة والسرور والنشاط ، وكان وجهى متهللاً ، لأن ديوانى كان موضوعاً أمامى(٣) » .

---

(١) عوفى : لباب الألباب ، ج ، ٢ ، ص ٣٩٧ .

(٢) لم يشر القزوينى فى آثار البلاد ، ص ٣٥١ـ٣٥٢ . إلى ديوان نظامي رغم أنه كان يعيش فى القرن السابع ، الذى توفى نظامي فى أوائله .

(٣) روزى بمبارکى وشادى بودم بنشاط كيقبادى
أبروى هلاليم گشاده ديوان نظاميم نهاده
(نظامي : ليلى ومجنون ص ، ٢٤)

وهذا يدل على أن الديوان كان مجموعاً فى أوائل عام ٥٨٤ هـ ، قبل البدء فى نظم منظومته الثالثة . وإن ما ذكره الشاعر لايدع مجالا للشك فى أنه كان صاحب ديوان شعر .

* * *

٢ – عدد أبيات الديوان ، والنسخ الخطية الموجودة منه ، وما تم نشره فعلا :

لم يصرح الشاعر بعدد أبيات ديوانه ، غير أن « دولتشاه » ذكر أن ديوان نظامى كان يشتمل على عشرين ألف بيت من الشعر[(١)] .

ويبدو أن ماذكره « دولتشاه » لايخلو من المبالغة ، لأن النسخ الخطية الموجودة من الديوان لا تشتمل على أكثر من ألفى بيت .

ومن الجائز أن يكون بعض أجزاء هذا الديوان قد ضاعت ، ولكن نستبعد أن يكون الديوان بهذه الضخامة ، بعد ما روى من أن الأشعار التى خلفها الشاعر ـ غير المنظومات ـ ليست كثيرة .

والواقع أننا لا نعرف عدد أبيات هذا الديوان على وجه التحقيق .

* * *

أما النسخ الخطية الموجودة ـ الآن ـ من الديوان فهى خمس نسخ ؛ ذكرت دائرة المعارف الإسلامية ثلاثاً منها[(٢)] : اثنتين فى مكتبة « بودلين » بأكسفورد تحت رقمى ٦١٨ و٦١٩ . وواحدة فى مكتبة برلين[(٣)] .

وذكر برتلس أن نسخة رابعة توجد فى الهند ، وقال إن النسخ جميعها

---

(١) دولتشاه : تذكرة الشعراء ، ص ١٢٩ .

(٢) The Encyclopaedia of Islam, vol. III, Art. Nizami, p. 938.

(٣) اعتمد كاتب المادة فى ذكر هذه النسخة على : Berlin Pertsch Cat. No. 691.

لا تشتمل على أكثر من ألفى بيت من الشعر[١] .

وتوجد النسخة الخامسة فى دار الكتب المصرية ضمن مجموعة منتخبات[٢] ، وهى عبارة عن قصائد من الديوان تشغل خمسين ورقة ، طولها ١٧ سم ، وعرضها ١١ سم ، وفى كل صفحة منها ١٥ بيتاً أى أنها تشتمل على ١٥٠٠ بيت من الشعر وهذا يرجح أن جزءاً من الديوان ضاع ، فلم يصل إلى أيدينا .

* * *

ولم تُنْشَر هذه النسخ الخطية حتى الآن ، وإن كانت بعض قصائد هذا الديوان قد ذكرت متفرقة ، فى بعض كتب التذاكر .

ونشر « ريبكا » ـ فى عام ١٩٣٥ م ـ عدة غزليات لنظامى ، يبدو أنها جزء من ديوانه المبعثر ، وهى عبارة عن خمس وعشرين قطعة ، قالها فى الغزل وموضوعات الحب[٣] .

ثم نشر « دستگردى » ـ فى عام ١٩٣٩ م ـ ما عثر عليه من هذا الديوان تحت عنوان « گنجينۀ گنجوى[٤] » ، وقسم ما نشره إلى ثلاثة أقسام : قسم قطع بأنه من نظم نظامى[٥] ، وقسم شك فى نسبته إليه[٦] ، وقسم قطع بأنه لم يكن من نظمه[٧] .

* * *

---

(١) برتلس : نظامى شاعر آذربيجان العظيم ، ص ١٢٣ .

(٢) مخطوطة رقم ١٦٨ م بدار الكتب المصرية .

(٣) ريبكا Rypka : چند غزل تازه أز نظامى گنجوى ، ص ١٥-٢٤.

(٤) « گنجينۀ گنجوى » بمعنى « خزانة الگنجوى » أى « ديوان نظامى » .

(٥) گنجينۀ گنجوى : ص ١٧٤ - ٢٢٦ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٢٧-٢٣٥ .

(٧) المرجع السابق ، ص ٢٣٦-٢٥٩ .

٣ — تواريخ نظم قصائد الديوان وجمعها :

أغلب الظن أن الشاعر نظم أغلب القصائد ـ التي ضمها ديوان شعره ـ في وقت شبابه ، وقبل البدء في نظم منظوماته الخمس ، ولعلها كانت محاولاته الشعرية الأولى .

ومما يؤسف له أننا لا نستطيع أن نحدد تواريخ هذه القصائد كلها أو بعضها ، لأن الشاعر لم يصرح بما يدل على شيء من ذلك من قريب أو بعيد ، ولا توجد قرائن يمكن بواسطتها أن نؤرخ هذه القصائد .

* * *

ونرجح أن الشاعر قام بجمع قصائده بعد فراغه من نظم «خسرو وشيرين» ، أي بعد عام ٥٨٢ هـ ، لأنه لم يشر إلى الديوان قبل هذا التاريخ ؛ كما نرجح أنه فرغ من جمعه ، وترتيبه في عام ٥٨٤ هـ قبيل البدء في نظم « ليلى ومجنون »، لأنه صرّح بذلك في مقدمة هذه المنظومة .

ويبدو أن الشاعر كان يضيف بعض القصائد إلى ديوانه من وقت إلى آخر ، في فترات مختلفة من حياته ، كما كان يفعل في منظوماته ، لأننا نجد بعض القصائد في وصف الشيخوخة ، وتصوير ما أصابه من ضعف نتيجة لكبر سنه . فمن ذلك قوله في إحدى قصائده : « أي نصيب لي من أغصان البقاء في هذا الروض الذي تقوسَتْ فيه قامتي من آثار الشيخوخة ؟!. . فلن يكون لأحد من نخلتي ظل أو ثمر ، لأن رياح الحوادث العاصفة أسقطت سعفي وثمري ، فالفلك يُعِدُّ القبر لقامتي المنحنية، وإن بياض شعري ليشعرني برائحة الكافور[1] ».

ثم تحدث عما يصحب الشيخوخة من يأس ، فقال : « سقطت فواكه الأمل من حديقة الدنيا من كثرة الأحجار وقطرات الندى التي تتساقط من

---

(١) الكافور رائحة طيبة تنثر على جثة الميت عند تكفينه .

كل ناحية على أفرع نخلتى ، و إن الفرع ليصبح ، معتدلا بعد أن تسقط ثماره ، ولكن نخلة قدى قد انحنت بعد إعطاء الثمار[1] » .

وصوّر ضعف بصره ، فقال : « إن عينى لا نفرق بين البياض والسواد ، ولا تميز بين أشعة الشمس ونور القمر[2] » .

واستمر فى وصف الشيخوخة ، فقال : « حلّ الأجل ضيفاً على ، فماذا أقدم له ؟ ! . . إنه لن يقبل غير الحياة ! . .[3] » .

وأمعن فى تصوير اضمحلال جسمه ، فقال : « إننى كالظل ، إذا لم أعتمد

---

(١) در اين چمن كه ز پيرى خميده شد كمرم
ز شاخهاى بقا بعد از ين چه بهره برم ؟
نه سايه ايست ز نخلم نه ميوهٔ كس را
كه تند باد حوادث بريخت برگ وبرم
سپهر با قد خميده گشته ميكند لحدم
بياض موى ز كافور ميدهد خبرم
(گنجينهٔ گنجوى ، ص ١٩٥)

(٢) ببوستان جهان ريخت ميوهٔ أميد
ز سنگ وژاله بهر سوى شاخه شجرم
نهال چون ثمر افشاندراست گرددليك
خميد نخل قدم چون فشانده شد ثمرم
(المرجع السابق ، ص ١٩٧)

(٣) بياض رانكند فرق ديدهام ز سواد
بچهره گرچه فروزند شمع ماه وخورم
(المرجع السابق ، ص ١٩٨)

(٤) بمهمانيم آمد أجل چه چاره كنم ؟
كه جز حيات نسازد قبول ما حضرم
(نفس المرجع والصفحة)

على حائط ، فأى احتمال عندى فى أن أظفر بالنهوض ؟ ! .[١] » .

ثم قال : « إن لى قلباً مشرقاً بنور المعرفة ، وأنا أشبه هالة القمر ، بقامتى المنحنية[٢] » .

وهذا يرجح أن الشاعر كان شيخاً كبيراً محطم الجسم ، ينتظر الموت ، حينما نظم هذه القصيدة .

وهناك — أيضاً — القصيدة التى نظمها فى رثاء الخاقانى ، وقال فيها : « كنتُ أقول — دائماً — إن الخاقانى سيكون ناعياً لى ، فوا أسفا أنى صرت الآن ناعياً للخاقانى[٣] » .

وقد رجحنا أن الخاقانى توفى فى عام ٥٩٥ هـ ، مما يثبت أن الشاعر أضاف هذه القصيدة إلى ديوانه بعد جمعه بأكثر من عشر سنوات .

كما أن هناك القصيدة التى رثى الشاعر فيها ابنه الذى توفى فى عام

---

(١) چو سایه گر نکنم اعتماد بردیوار چه احتمال که برخاستن بود ظفرم؟
(گنجینۀ گنجوی ، ص ١٩٩)

(٢) مرا که هست دل از نور معرفت روشن
بقد حلقه نمودار هاله قمرم
(المرجع السابق ، ص ٢٠٠)

(٣) همی گفتم که خاقانی دریغا گوی من باشد
دریغا من شدم دریغا گوی خاقانی
(دستگردی : مقدمۀ گنجینۀ گنجوی ، ص كا)

وقد شك دستگردى فى نسبة هذه القصيدة إلى نظامى ، بحجة أنه لم يكن مسنا عند ما توفى خاقانى ، ولكن هذا غير صحيح لأن الخاقانى توفى فى عام ٥٩٥ هـ فى وقت كان نظامى فيه فى السادسة والخمسين من عمره ، وكان يتوقع الموت ، فتحدث عنه كثيراً ، فمن الجائز أن تكون القصيدة من نظمه .

ومهما يكن من شىء ، فليس بين أيدينا من القصيدة إلا هذا البيت .

٦٠٨ه[1] ، مما يرجح أنها أضيفت إلى الديوان بعد جمعه وترتيبه .

* * *

ونكتفي بهذه الدراسة حول الديوان ؛ لنعرض صوراً منه ، ونتبين محتوياته ، والموضوعات التي تناولها .

وسأقتصر على ما نشره دستگردي ، لأن نسخة دار الكتب المصرية مملوءة بالأخطاء ، كما أنها تخلط الأشعار الفارسية بأشعار تركية ، لم تثبت نسبتها إلى الشاعر .

(١) سنعرض ما احتوته هذه القصيدة في الفصل التالي ، في أثناء عرض محتويات الجزء المنشور من الديوان .

الفصل الثاني

محتويات ديوان نظامي

سأعرض — في هذا الفصل — محتويات القسم الأول من الأقسام الثلاثة التي نشرها دستكردي « في كنجينهٔ كنجوى » ؛ لا لشيء إلا لأنه يمثل آراء نظامي تمثيلاً صحيحاً ، ويصوّر نزعاته المختلفة أحسن تصوير ، مما يرجح أنه من نظمه — كما قال دستكردي — وسأترك القسمين الثاني والثالث اللذين لم تثبت نسبة مافيهما من أشعار إلى نظامي .

وإذا ألقينا نظرة على هذا القسم الأول نجده يتناول الموضوعات الآتية :

١ — الفخر :

ليس عجيباً أن نرى شاعراً كنظامي ، يقول شعراً في الفخر — رغم زهده وتقواه — لأنه كان يساير روح عصره[١] ، ومادفعت إليه الظروف .

وقد أكثر الشاعر من الفخر في منظوماته الخمس ، وخصص له جزءاً من ديوانه ، أسرف فيه في إظهار فضله ، وعلو منزلته ، وسموه على غيره ؛ فقال مثلا : « خُلِق الكلام مني كما تُخْلق الفتوة من المروءة ، وظهر الفضل مني كما تظهر النضارة من الشباب ؛ فنغمات غزلي في الأسماع كنغمات العود ، وطعم كلامي في الأذواق كطعم الشراب العذب ؛ وأنا أصلٌ لحركات الأفلاك ، فهي مستمدة مني ، وأنا مالئ لطبقات السماء ، فهي الأواني (التي تتلقى فيضي)! ..[٢] » .

---

(١) سبقت الإشارة إلى انتشار ظاهرة الفخر بين الشعراء في عصر نظامي ، وأنه تأثر بروح العصر ، كغيره من الشعراء .

(٢) سخن از من آفريده چوفتوت ازمروت

هنراز من آشكارا چو طراوت از جوانی =

و بالغ فى الفخر حتى اعتبر أنه أرفع من أن يفخر عن طريق الشعر ، لأنه مملوء بالكذب ، وقدره أسمى من أن يُبَيَّنَ فيه ، فقال : « مافن الشعر نفسه حتى أفخر عن طريقه ، فأكون كالممثل الذى ينطلق لسانه بالأساطير الكاذبة؟!..[1] »

وهذا هو مركب النقص الذى يبتلى به الشعراء إذا لم يجدوا مَنْ يقدرهم حق قدرهم ، ويُثِيبهم على شعرهم ؛ وقد صرح نظامى بأنه لم يُقَدَّر فى الدنيا ، ولكنه واثق من ثواب الآخرة ، فقال : « أنا لا أساوى درهماً فى هذه الدنيا ، ولكنى أساوى كثيراً فى الآخرة[2] » .

و بيّن أن عدم تقديره لم يكن لرداءة شعره ، بل لفساد عصره ، لأن شعره خير شعر قيل ، وأخذ يتحدّث عن مزايا فنه ، و يفخر بشعره ، فقال : « إننى لا أتظاهر بألحانى ، رغم أننى أصوغها جميلة كالعروس ، ولا أدق طبولى بجنون ، وإن كانت أصواتها نغماً عذباً[3] » .

ثم تمادى فى الفخر ، فقال : « إن أتفه مايصدر عنى يُعَدُّ أصلاً للعلوم

= غزلم بسمعها در چو سماع أرغنونى
نكنم بذوقها در چو شراب ارغوانى
حركات اخترانرا منم أصل وأو طفيلى
طبقات آسمانرا منم آب وأو آوانى
(گنجينهٔ گنجوى ، ص ١٧٥)

(١) فن شعر خود چه باشد كه بدان كنم تفاخر
چو ممثلى است مطلق بدروغ داستانى؟!
(المرجع السابق ، ص ١٨١)

(٢) بعيار اين جهان درمى نيم وليكن درمى چهار دانگم بعيار آنجهانى
(المرجع السابق ، ص ١٨٢)

(٣) نكنم بخطبه لحنى چوكنم بود عروسى
نزنم بخيره طبلى چوزنم بود آغانى
(المرجع السابق ، ص ١٧٦)

الطبيعية والعقلية ، وأرداً عصارات ذهنى لذيذ سائغ شرابه ، وإن كل ما أقوله يعد جديداً ، سواء أكان حديثاً عن القديم أم عن الجديد . ولذلك ، فإنى أسيطر على آلاف القلوب بأفكارى وأشعارى ، وأجذب آلاف النفوس بذكائى ، ودقائق نظمى[1] » .

ثم قال : « إن قلوب الخلق تبتهج بإذن من شفتى (بعد أن تتحرك لتقول شعرى) كما تتفتح الرياحين من النسيم العليل[2] » .

وقد سمعنا مثل هذه النغمات من الشاعر قبل ذلك ، مما يجعلنا نرجح أن هذا الشعر من نظمه ، وهى نغمات تتردد فى كل ماقاله فى باب الفخر[3] .

* * *

٢ – الزهد والتجرد من الدنيا ، والعمل للآخرة :

أكثر نظامى – فى هذا الجزء من ديوانه – من الحديث عن الزهد ، والتجرد من الدنيا ، وضرورة العمل للآخرة ، بنغمات تناقض نغمات الفخر ، فوجدناه لا يزهو بما عنده من مفاخر بل يبدو متواضعاً ، ويعتبر نفسه مذنباً ، ويدعو إلى ترك التعلق بالدنيا ، وإيثار ما يبقى على ما يفنى ، ويحاول أن يعد نفسه للرحيل من الدار الفانية ، بأن يتزود بما ينفعه فى طريقه إلى الآخرة ، وأن يعمل صالحاً حتى يجنى ثمار عمله ؛ فيقول : « دق الجرس ، وتحركت القافلة للرحيل ،

(١) سقط خلاصه من چه طبیعی وچه عقلی
دغل عصاره من چه نباتی وچه کانی
بقیاس شیوه من که نتیجه نو آمد همه رسمهای تازه کهنست وباستانی
بىرم هزار دل را بیدیهه ومعما بخرم هزار جان را بغلوطه نهانی
(گنجینهٔ گنجوی ، ١٧٦)

(٢) بإجازت لب من دل خلق باز خندد چو شکوفه ریاحین بهوای مهرگانی
(المرجع السابق ، ص ١٧٧)

(٣) المرجع السابق ، ص ١٧٤–١٨٤ .

فهاجر من هذه الدنيا الحقيرة إلى الدار الباقية الكريمة ، وحينما تلحق بالقافلة ستجد عملاك يتقدمك فى السير ، ويرشدك فى الطريق ، فاطرب لصوت الجرس، وكن فى عداد هذه القافلة[١] »

وكان الشاعر يرى ضرورة الإقلال من شهوات الدنيا ، حتى يتفرغ الإنسان للعمل المنتج الطيب ، فدعا إلى ذلك فى قوله : « إذا أقللتَ من الشهوة ، زاد إقبالك على الطاعة ، لأن البخور كلما قل رماده ، كان أجمل رائحه[٢] » .

ثم وضح ذلك فى قوله : « إن الدنيا لاتحسن معاملة الخلق، كما أن أحداث الزمان متغيرة دائماً ، فيمكنك أن تنجو من شرورها إذا اعتصمت بالقرآن، فحاول التمسك به ، لأن الساعة توشك أن تقوم[٣] » .

ودعا إلى ضرورة اتباع تعاليم الشرع ، فقال : « حاول أن تتفانى فى السير فى

---

(١) هم جرس جنبید وهم در جنبش آمد کاروان
کوچ کن زین خیل خانه سوی دار الملك جان
چون درای ناله تو کاروانسالار تست
مونسی کن با جرس در حلقه این کاروان
(گنجینهٔ گنجوی ، ص ١٨٥)

(٢) گر ز شهوت کم کنی در دین فزائی کز بخور
هرچه خاکسترش کمتر بیشتر باشد دخان
(المرجع السابق ، ص ١٨٧)

(٣) هم زمین را با خلایق نا موافق شد مزاج
هم فلك را نا مناسب شد قران
زین قران أیمن شوی گردست در قرآن زنی
مهد قرآن جوی کامد مهدی آخر زمان
(نفس المرجع والصفحة)

طريق الشرع ، فأسرع أكثر من ذلك لأن جسمك سوف يتحلل ، ويصير تراباً[١] » .

ونصح بالاعتماد على الله وحده دون غيره من أصحاب الجاه والنفوذ ، فقال : « إلى متى تتوسل بهذا السلطان وذاك ؟! .. إن السلطان أكثر منك عبودية .. كن عبداً لله الذى وهب السلطان الجاه والنفوذ[٢] » .

ثم نصح الشاعر نفسه - وهو فى سن الثلاثين - بالتنبه ، والاعتكاف للعبادة ، فقال : « مضت ثلاثون عاماً ، فاستيقظ يانظامى ، واعتكف ... أنا نصحتك ، وأنت تعرف النتيجة .. فاحترس . ثم احترس !. .[٣] » .

ورغم أن هذه النغمات تناقض نغمات الفخر ، إلا أننا نرجح أنها صدرت عن نظامى ، لأن مايشبهها تردد فى منظوماته المختلفة ، وقد بينّا أن الظروف التى أحاطت بالشاعر هى السبب فى إيجاد هذه النغمات المتناقضة .

وقد راجت الدعوة إلى الزهد ، والتجرد من الدنيا ، والعمل للآخرة ، والاعتراف بالتقصير ، فى كل ماقاله من قصائد فى هذا الباب من الديوان .

* * *

---

(١) خاك راه شرع راگر سرمه همت كنى
پيش تر زان كن كه گردد سرمه دانت استخوان
(گنجينهٔ گنجوى ، ص ١٩٠)

(٢) چند از ين سلطان وسلطان وزتو سلطان بنده تر
بنده او شو كه او شد صاحب سلطان نشان
(المرجع السابق ، ص ١٩١)

(٣) سى گذشت از عمر برخيزاى نظامى گوشه گير
من نصيحت كردمت باقى تودانى هان وهان
(المرجع السابق ، ص ١٩٥)

٣ — الغزل :

أكثر نظامى من النظم فى موضوع العشق والتغزل فى هذا القسم المنشور من ديوانه[(١)] ، غير أن عشقه كان يشبه عشق الصوفية الذى يقصدون به حب الله ، والفناء فيه

ومن أمثلة غزل الشاعر قوله مخاطباً معشوقه : « إنى أظهر لك حالتى السيئة ، حتى تنصح عينيك السوداوين (بعدم إصابتى بسهام نظراتهما) . . . لا تَلُمْنِى ، فستكون أكثر هياماً بهما إذا نظرتَ إلى وجهك القمرى فى المرآة[(٢)] » .

ثم دعاه إلى ترك الفراق والصد ، لأنه صبر ولم يسمعه تأوهه ، فقال: « أقلع عن الفراق ، لأن حبى لك واضح ، ولأنى لم أسمعك تأوهى[(٣)] » .

وطلب منه أن ينقذه بالوصل ، لأنه أصبح أسير حبه ، فقال : « لقد جعلتَ طابع حسنك مسكناً ليوسف قلبى ، فألق دلو العناية ليوسف بئرك[(٤)] » .

---

(١) گنجينهٔ گنجوى : ص ٢١٠-٢٢٦ .

(٢) باتو پديد ميكنم حال تباه خويش را
تاتو نصيحتى كنى چشم سياه خويش را
سرزنشم مكن كه تو شيفته ترزمن شوى
گرنگرى در آينه روى چوماه خويش را
(المرجع السابق ، ص ٢١٠)

(٣) ترك فراق را بمن راه من توهان وهان
چون بتوره نداده ام شحنهٔ آه خويش را
(نفس المرجع والصفحة)

(٤) چاه زنخ چو كردهٔ مسكن يوسف دلم
دلو عنايتى فرست يوسف چاه خويش را
(نفس المرجع والصفحة)

حبي بواسطة الدموع السخينة .. فاملى أبعد بدموعى الحواجز التى تعترض طريق حبي لك[1] » .

وختم تصوير حبه بقوله فى قصيدة ثامنة : « كيف يقبل قلبي معشوقاً آخر غيرك ؟ ! .. إن معشوقاً آخر لن يشبهك ، وأنت لا تشبه أحداً (لأنك فريد فى حسنك) ..[2] » .

ويبدو من عرض هذه الصور أن عشق نظامى لم يكن عشقاً مادياً ، بل كان عشقاً معنوياً ، فهو عشق نظرى ، وليس عملياً ؛ فلم يكن يقصد من وراء عشقه إلا تسكيناً لروحه الهائمة ، وراحة لقلبه المضطرب ، وكان يرجو من معشوقته أن ييسر له طريق هذا التسكين ، ويمهد له سبيل هذه الراحة .

وقد سمعنا مثل هذه النغمات التى تصور حرارة العشق تصدر من منظومات الشاعر ، مما يرجح أن هذه القصائد التى قيلت فى باب الغزل من نظمه .

* * *

٤ — الرثاء :

توجد قصيدة — فى الجزء المنشور من الديوان — يرثى الشاعر فيها ابنه محمداً[3] الذى توفى فى ريعان شبابه ، ويبدو أن الحزن كان قد استبد بالشاعر ،

---

(١) تدبير كنم هرشب تا دل زتو برگيرم
چو روز برآرد سر مهر توزسر گيرم
دل باتو در آميزم كاميخته باجان جانى ديگرم بايد تايار ديگر گيرم
. . . . . .
آبى كه جگر دارد ريزم زره ديده تا گرد نظامى را ازراه تو برگيرم
(گنجينهٔ گنجوى ، ص ٢١٧)

(٢) دل من كجا پذيرد عوض تو ديگرى دگرى بتونماند توبديگرى نمانى
(المرجع السابق ، ص ٢٢٤)

(٣) شك دستگردى فى گنجينهٔ گنجوى ، حاشية ص ٢٢٥ فى أن يكون الشاب =

فأثَّر فى نغماته ، فصدرت معبِّرة عن حزنه وجزعه ، مما يتجلى فى قوله : « يا من صرتَ قريناً لحور الجنة ، إن وجهك الجميل قد توسَّد التراب .. لقد أمضيتَ العمر سعيداً صالحاً ، فدخلت الجنة قبل أن تلوَّث بالآثام ... إن عمرك لم يتجاوز مرحلة الشباب حتى الآن . فمن كتب عليك هذا القضاء يا ترى ؟!.. فأى عجب يا أغلى ما فى الوجود أن يمتزج تراب الأرض بالدماء من عينَىَّ (الباكيتين دماً).. إن روض جمالك قد غطَّاه التراب ، فكيف يمكن أن يكون للزرع رونق بعد ذلك ؟!. »[١] .

ونرجح أن هذه القصيدة من نظم الشاعر ، لأن ابنه توفى قبله كما أثبتنا ، فضلاً عن روايتها فى بعض المصادر المعاصرة لنظامى[٢] .

ولم ترد قصائد فى الرثاء غير هذه ، ولعل الشاعر اكتفى فى رثاء زوجاته بما أثبته فى منظوماته .

* * *

= المذكور فى هذه القصيدة ابن نظامى ، قائلا إن نظامى لم يكن له إلا ابن واحد ، توفى بعد والده ، وكان فى سن الثلاثين حينما توفى والده ، وهو الذى حمل منظومة « إقبالنامه » إلى عز الدين مسعود أتابك الموصل .

وقد ناقشت هذه المسألة ، ورجحت أن ابن الشاعر توفى قبله كما ذكر عوفى — فى لباب الألباب ج ٢ ، ص ٣٩٧ — وهو معاصر لنظامى أن ابن الشاعر توفى قبله ، ثم إن النغمة الحزينة التى تصدر عن الأبيات ترجح أن الشاعر كان يرثى ابنه الوحيد العزيز الذى كان يعتبره أغلى ما فى الوجود .

(١) اى شده همسر خوبان بهشت — آنچنان عارض وآنكه برخشت
بزنخ عمر بسر بردى خوش — دوزخى نشده رفتى ببهشت
خط نياورده بتو عمر هنوز — اين قضا برسرت آخر كه نوشت
چه عجب گرشود اى جان جهان — خاك از ديده من خون آغشت
سبزه زار خطت اندر خاكست — آب كى بازتوان داشت زكشت
(گنجينهٔ گنجوى ، ص ٢٢٥)

(٢) عوفى : لباب الألباب ، ج ٢ ، ص ٣٩٧ .

ولم يتحدث الشاعر فى هذا الجزء الذى بين أيدينا فى غير هذه الموضوعات .

وتوجد فى نهايته بعض الرباعيات ، ولكنها تردد نغمات العشق ، والرغبة فى الاتصال بالمعشوق ، والشكوى من الهجر والقطيعة ، فمن ذلك قوله : « لو كنت أجيز للقلب أن يشكو من صدك لعرفتَ كم من الوقت كان يستغرق حديثى ! .. ولولا أنه لا يجوز إفشاء السر والتحدث فى حقك ، لجعلتُ من أفعالك قصصاً تُروى[1] » .

وينصح بحسن المعاملة ، واتباع المعروف ، فقال : « ما دام الأمل فى الحياة ـ من الظهر إلى المساء ـ ليس موجوداً ، فيجب أن تبذر بذور الخير دائماً ، وما دام الله لم يمنح الخلود لأحد ، فينبغى أن تحافظ على شعور الأصدقاء[2] » .

ويعلل هذا بقوله : « إن الحياة بدون أصدقاء بلاء عظيم ، فالشخص الذى ليس له صديق بائس مسكين .. إن هذه الأنفاس القليلة التى لا تحظى بها إلا بعد مشقة وعَنَتٍ سوف تقتضيها سعيداً إذا كان لك رفيق مؤنس[3] » .

* * *

ولا نجد فى الديوان الموضوعات الأخرى التى يضمنها الشعراء دواوين أشعارهم

---

(١) گر دل دهمی کز تو شکایت کنمی — دانی که شکایت بچه غایت کنمی
گر پرده دری نباشد اندر حق تو — زانها که تو کردهٔ حکایت کنمی
(گنجینهٔ گنجوی ، ص ٢٢٥)

(٢) چون نیست أمید عمر أزشام بچاشت — باری همه تخم نیکوئی باید کاشت
چون عالم را بکس نخواهند گذاشت — باری دل دوستان نگه باید داشت
(المرجع السابق ، ص ٢٢٦)

(٣) بی یار بدن عظیم مشکل کاری — بیچاره کسی که أوندارد یاری
این یکدوسه دم را که بجان نتوان یافت — گر دل داری مدار بی دلداری
(نفس المرجع والصفحة)

غالباً ؛ كالمدح ، والهجاء ، والوصف . ولعل السبب فى ذلك أن أكثره قد ضاع .

ومهما يكن من شىء ؛ فإن هذا الجزء المنشـور من الديوان يمثل محتوياته تمثيلا صادقاً إلى حد ما ، فإن هذه الموضوعات من الموضوعات التى ينتظر من شاعر كنظامى ـ عاش فى ظروف كالتى عرضناها ـ أن ينظم فيها ، وقد ظهرت فى منظوماته الخمس مجسمة واضحة .

* * *

ونكتفى بهذا الحديث عن الديوان لندرس فن نظامى الشعرى ، فى الباب السابع والأخير من هذا البحث .

الباب السابع

فن نظامى الشعرى

الفصل الأول

مزايا فن نظامى الشعرى

امتاز الفن فى عصر نظامى بميله إلى التأنق والتكلف ــ كما ذكرنا ــ فكان الفنان لا يكتفى بصب مايصنعه فى قالب ملائم ، بل يحاول أن يرسم عليه من النقوش والزخارف مايجعل منظره بديعاً .

ويبدو من دراسة منظومات نظامى وجزء من ديوان شعره أنه صبغ شعره بهذه الصبغة التى غلبت على الفن فى ذلك الوقت .

وكان من أهم الأسباب التى جعلت الأدب الفارسى يتجه هذا الاتجاه امتزاجه بالعناصر العربية التى دخلته ، وأخذت تتغلغل وترسخ منذ غلبة السلاجقة ، وما انتهجوه من سياسة التقرب للخلافة العباسية فى بغداد ، والميل إلى العالم الإسلامى السنى ، لأنهم كانوا يتبعون المذهب السنى ، ويتعصبون له ، ويعتبرون أنفسهم حماته ؛ وكانوا يمثلون القوة العسكرية المادية ، بينما كان الخلفاء العباسيون يمثلون القوة الروحية المعنوية ، فأدى هذا إلى انتشار نفوذ الأدب العربى ــ بما فيه من فن ، والحضارة الإسلامية بما لها من مميزات ــ فى إيران ، فأخذت تؤثر فى كل مظاهر الحضارة الإيرانية بما فيها الأدب تأثيراً واضحاً ملموساً .

وبدأ ظهور هذا التأثير فى القرن الخامس الهجرى ، وبلغ أقصى درجاته فى القرنين السادس والسابع ، حتى أصبح إظهار العناصر العربية من علامات الفضل والإجادة .

وكان فن الشعر العربى فى ذلك الوقت صناعة شاقة ، فوضح فيها التفنن ، وكثر فيها التصنع .

وقد برزت هذه الظاهرة فى الشعر الفارسى بصورة واضحة فى القرن السادس

المجرى ، فمال الشعراء إلى التفنن ، وانتقل الشعر من مرحلة الصنعة إلى مرحلة التصنع ، وصار صناعة متقنة ، تستلزم جهداً ودقة ، فأصبح فهم الشعر مهمة شاقة تحتاج إلى وقت وتفكير .

وتأثر نظامى بذوقه الخاص — إلى جانب تأثره بالذوق العام — فكان يفضل الشعر الذى لايفهمه إلا الخاصة الذين أوتوا حظاً من الثقافة يؤهلهم لفهم أسراره، وإدراك مراميه ، ويرى أن الشعر إذا نظم فى هذه الصورة ارتفعت منزلته ، وكَثُرَتْ اللذة التى يشعر الدارس بها بعد دراسته وفهمه .

وهكذا أصبح للتفنن فى صناعة الشعر لوناً آخر عند نظامى؛ حاول أن يستعمله فى أكثر مانظمه من شعر ، ويقيد نفسه به ، بحيث أصبح من السهل على الدارس للشعر الفارسى فى ذلك العصر أن يميز فن نظامى الخاص ، ويحدد معالمه، ويتبين مميزاته .

وقد تحدث نظامى فى منظومته الأولى « مخزن الأسرار » عن الفن الشعرى الذى يفضله ، ويحب أن يصوغ شعره متبعاً أصوله ، مما يدل على رغبته فى إلزام نفسه به فى منظوماته المختلفة .

وقدم للحديث عن هذا الفن بإبداء رأيه فى الكلام ، فقال : « إن الحركة الأولى التى اتخذها قلم الخالق ، خَلَقَتْ أول لفظة من الكلام[1] ، فحينما رفعوا حجاب الخلوة شرعوا فى الكلام منذ الجلسة الأولى ، فلو لم يكن الكلام معبراً عن إحساسات القلب ، لما مُنِحَتْ الروح الحرة لجسم من الطين ، فلما صدرت الكلمة عن قلم الخالق عُمِّرَتْ الأرض بفضل الكلام ، فلولا الكلام ماكان للعالم

---

(١) يقصد الشاعر بالكلمة الأولى قول الله « كن » لأن هذه الكلمة هى سر الوجود كما قال تعالى : « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » سورة يس ، آية ٨٢ . وهى التى خلق بعدها آدم ليعمر هو وذريته الأرض .

صوت ، ولقد تحدثوا كثيراً ، ولكن الكلام لم يقلّ شيئاً [١] » .

ثم تحدث عن الشعراء ، فقال : « إن الكلام المنظوم فى العشق روحنا ، فنحن نحيا به ، وهذه الدنيا مجالنا ، فكل فكرة خطرت للناس ، قد سجلوها بفضل الكلام ، فليس فى الدنيا أجمل من الكلام ، وليس فى الفنون أدق منه [٢] »

وعدّد مزايا الكلام ، فقال : « احفظ الكلام لأنه أفضل مافى الوجود ، فالملوك قد اعتبروه ملكاً متوجاً ، كما نعته غيرهم بنعوت أخرى ، والناس يعلنون الكلام بالصوت ، أو يسجلونه بالقلم ، ولكنه يتقدم الصفوف أكثر من العَلَم ، ويفتح الأقاليم أسرع من السيف [٣] » .

وصور تعلق الشعراء بالكلام ، وعشقهم له فى قوله : « رغم أن

---

(١) جنبش أول كه قلم بر گرفت — حرف نخستين ز سخن در گرفت
پرده حلوت چو برانداختند — جلوت أول بسخن ساختند
تا سخن آوازهٔ دل درنداد — جان تن آزاده بگل درنداد
چون قلم آمد شدن آغاز كرد — چشم جهان را بسخن باز كرد
بى سخن آوازهٔ عالم نبود — اين همه گفتند وسخن كم نبود
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٣٦)

(٢) در لغت عشق سخن جان ماست — ما سخنيم اين طلل إيوان ماست
خط هر انديشه كه پيوسته اند — برپر مرغان سخن بسته اند
نيست درين كهنه نوخيز تر — موى شكافى ز سخن تيز تر
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) أول انديشه پسين شمار — هم سخنست اين سخن اينجا بدار
تا جوران تا جورش خوانده اند — واندگر ان آندگرش خوانده اند
گه بنواى علمش بركشند — گه بنگار قلمش دركشند
واو ز علم فتح نماينده تر — وز قلم اقليم گشاينده تر
(المرجع السابق ، ص ٤٠)

الكلام لا يظهر جمالاً أمام عباد المادة ، إلا أننا نحن الشعراء نعشق الكلام ، ونحيا به[1] » .

وعلل ذلك بقوله : « أهب عديمو الإحساس عواطفهم بالكلام ، ووجد المتهيبون عشقاً فيه الهدوء والراحة ، فهو أكثر عمراناً من الدنيا نفسها ، وهو أنضر من الدنيا ، وأقدم منها خَلْقاً[2] » .

ثم بيّن بعد هذه المقدمة فنه الشعرى ، وأنه يجب أن يكون متقن الصنع ، فقال : « ليس الشعر جميلاً فى الصورة الموجودة حالياً ، وليس سائغاً باللغة العادية ، وإن الكلام ليكثر حينما يرفع النظم أعلامه ، فتكثر نماذجه ؛ فإذا لم يَسْمُ الكلام بالروح ، فلن تذوق حلاوته[3] » .

وتحدث عن فضل البيان ، فقال : « سخر الشعراء ملك الطبيعة بالكلام ، ونشروا به الشريعة[4] » .

ومدح الشعراء الذين ينظمون شعراً فيه تفنن يشبه فنه ، فقال : « إن الشعراء الذين يزنون الكلام بدقة ، يملكون كنز العالمين بفضل هذا الكلام

---

(١) گرچه سخن خود ننماید جمال   پیش پرستنده مشق خیال
ما که نظر بر سخن افکنده ایم   مرده أوئیم وبدوزنده ایم
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٤٠)

(٢) سرد بیان آتش ازو تافتند   گرم روان آب درو یافتند
اوست درین ده زده آباده تر   تازه تر از چرخ وکهن زاد تر
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) رنگ ندارد ز نشانى که هست   راست نیاید بزبانى که هست
با سخن آنجا که بر آرد علم   حرف زیادست وزبان نیز هم
گرنه سخن رشته جان تافتى   جان سر این رشته کجا یافتى ؟!
(نفس المرجع والصفحة)

(٤) ملك طبیعت بسخن خورده اند   مهر شریعت بسخن کرده اند
(المرجع السابق ، ص ٤١)

فمفتاح كنز الحقيقة الخاص مستقر تحت لسان الشاعر ، لأن الذى خلق ميزان الكلام قد أسعد به أصحاب الحظوظ الحسنة[١] » .

ووصف الشاعر بأنه حجاب الغيب ، فقال : « إن فن النظم حجاب الأسرار ، وهو ظل من حجاب النبوة ؛ فقد نُظِّمَتْ صفوف العظمة ، فوقف الشعراء خلف الأنبياء[٢] »

ثم صرح بأن فنه الشعرى يقوم على أسس الدقة فى النظم ، وصعوبة الفهم ؛ فقال مخاطباً الفلك : « أيها الفلك ! .. كيف خلصوا هذه العقد المحكمة من قبضتك ، إن النظم قد تشعب ، فاحلل هذه العقد من حبل الكلام[٣] » .

واتخذ الشاعر التعقيد دليلا على عُلوّ منزلة شعره ، وارتفاع ثمنه ، وبيّن أن أن الصائغ الذى يطمع فى الذهب يجب أن يشترى شعره بالذهب ، وعاب غيره من الشعراء الضعفاء الذين يحاولون بيع شعرهم بالذهب ، فيبيعون الجوهر الكريم بالنقود . ويصيرون أذلاء ، مهما كثر مالهم ، وسما قدرهم ، فقال : « إن الشعراء الضعفاء الذين يتهالكون على المادة قد أفسدوا بهاء الشعر ، لأن الشاعر فى هذه الحالة يبيع الجوهر الثمين بنقود قليلة ، وإن الشعراء المجيدين أسمى من هذا مهما

(١) قافيه سنجان كه سخن بركشند ، گنج دو عالم بسخن دركشند
خاص كليدى كه در گنج راست ، زير زبان مرد سخن سنج راست
آنكه ترازوى سخن سخته كرد ، بختورانرا بسخن بخته كرد
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٤١)

(٢) پرده رازيست كه سخن پروريست ، سايهٔ از پردهٔ پيغمبريست
پيش وپسى بست صف كبريا ، پس شعرا آمد وپيش أنبيا
(المرجع السابق ، ص ٤٢)

(٣) اى فلك ازدست توچون رسته اند ، اين گرههائى كه كمر بسته اند؟!
كارشد ازدست بانگشت پاى ، اين گره ازكار سخن واگشاى
(المرجع السابق ، ص ٤٣)

يكن قدرهم فى الدنيا ضائعاً[١] » .

ثم نصح قائلا : « مادام كلامك شهداً فلا تبعه رخيصاً ، ولا تلوِّثه بالذباب وإذا لم يعطوك فلا تأخذك ، ولو كان وفاء .. وإذا لم يتذوقوا شعرك ، فلا تقل ولو كان دعاء !..[٢] » .

وقرر أنه يميل إلى الإغراب والتعقيد فى فن صناعة الشعر ، فقال : «الأفضل أن تنظم شعراً لا يعجب إلا بعد تمعن فى الفهم ، حتى تصوغ كلاماً رائعاً سامياً ، فإن إله الشعر يوحى إليك بصور جديدة ممتازة إذا لم تعجبك الصور الأولى العادية ، فإذا حصلتَ على تحفة من النظم فلا تتشبث بها ، بل ابحث عن أفضل منها مما هو موجود فى صدرك (المشرق بنور المعرفة) ، فإن كل من رفع علم السبق فى هذا الطريق ، قد سبق الشمس والقمر ، وسما عليهما[٣] » .

وصرّح بأنه فعل هذا ، فكان فنه الشعرى ممتازاً ، واعتقدَ أنه أصاب الهدف ، فاستحق أن يُسَمَّى غريباً فى بابه ، لأن الشعر أصبح بفضله صناعة

---

(١) سيم كشانى كه بزر مرده اند　　سكهٔ اين سيم بزر برده اند
هركه بزر سكهٔ چون روزداد　　سنگ ستد درشب افروزداد
لا جرم اين قوم كه دانا ترند　　زيرترند أرچه بيالاترند
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٤٤)

(٢) چون سخنت شهد أرزان مكن　　شهد سخن را مگس افسان مكن
تاندهند مستان گر وفاست　　تاننيوشند مگو گر دعاست
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) به كه سخن دير پسند آورى　　تا سخن از دست بلند آورى
هرچه در اين پرده نشانت دهند　　گر نپسندى به از آنت دهند
سينه مكن گر گهر آرى بدست　　بهتر از آنجوى كه در سينه هست
هركه علم بر سراين راه برد　　گوى ز خورشيد وتك ازماه برد
(المرجع السابق ، ص ٤٥)

متقنة لا يفهم دقائقها إلا أصحاب الأذواق الرفيعة ، فسما بالشعر عن أن يكون فهمه متيسراً لكل إنسان ، وجعل فنه قاصراً على الخاصة من الشعراء ، كالصومعة التى لا يدخلها إلا الخاصة من الزهاد ، مما نتبينه فى قوله : « أنا الذى أصبتُ فى هذا النوع من الفن ، فأنا جديرٌ بالتقدير لأنى غريب فى بابى .. إن صومعة الشعر بُنِيَت بفضلى ، فتحرر فنه من درجته العادية(١) » .

ويمكننا بعد أن عرضنا رأى الشاعر نفسه فى فنه الشعرى أن نرسم الخطوط البارزة التى تحدد معالم هذا الفن ، وتوضح مزاياه ، ويمكن أن نحصرها فيما يلى:

أولا : وضوح التفنن فى صناعة الشعر ، بحيث يحس القارىء والدارس للشعر بأن الشاعر كالصانع الذى يشقى فى صناعته ، ويبذل فى سبيل تجويدها جهداً كبيراً ، وعناء ظاهراً ، فلا يكتفى بالتعبير عما يريده من المعانى فى قالب من النظم بل يزيِّن هذا القالب بالنقوش البديعة ، والألوان الزاهية .

ولذلك امتلأ شعر نظامى بالمحسنات اللفظية ، والفنون البديعية من ترصيع ، وتجنيس ، ومراعاة للنظير ، واستعمال قافيتين فى البيت الواحد وماشابه ذلك(٢) .

وكانت هذه القيود الكثيرة ـ التى قيد الشاعر ـ نفسه بها سبباً فى جعل صناعة الشعر مهمة شاقة ، لعل أصدق تصوير لها قول الشاعر : « مزجتُ دم كبدى بالكلام ، فأججتُ نار الشعر بدم الكبد(٣) » .

---

(١) منكه درين شيوه مصيب آمدم   ديديى أرزم كه غريب آمدم
شعر بمن صومعه بنياد شد   شاعرى از مصطبه آزاد شد
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٤٥)

(٢) لا أجد داعياً إلى إيراد شواهد لتوضيح هذه الميزة ، لأنها ظاهرة يمكن ملاحظتها بوضوح فى الشواهد الكثيرة التى وردت فى ثنايا هذا البحث .

(٣) خون جگر با سخن آميختم   آتش ز آب جگر انگيختم
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٤٨)

ثانياً : الوصول إلى المعنى عن طريق الكنايات ، والاستعارات ، والتشبيهات المختلفة ؛ وقد صبغ الشاعر شعره بهذه الألوان ، فكان المعنى المقصود يختفي خلفها ، حقيقة إنها ساعدت على توضيح المعنى ، وتجميله ، ولكنها كانت كثيراً ما تقضي عليه ، وتطمس معالمه ، فلا يبدو هدف الشاعر واضحاً محدّداً .

ثالثاً : الإغراب والتعقيد ، ومحاولة تضمين الشعر ما عند الشاعر من ألوان الثقافات المختلفة ، والاعتماد عليها في صياغة تشبيهاته المتنوعة ؛ وهذه نتيجة طبيعية للإغراق في الصناعة ، مما جعل بعض الأبيات يحتمل أكثر من معنى ، ويمكن أن يفسر تفسيرات مختلفة .

وقد أوْجدتْ هذه الظاهرة فكرة أن شعر نظامي صعب الفهم ، وهي فكرة شاعت بين الإيرانيين أنفسهم ، فقالوا إن شعره مملوء بالأخطاء الأسلوبية ، وعلّلوا ذلك بأن الشاعر كان من أهل آذربيجان الذين لم تكن لهجتهم الفارسية فصيحة فصاحة لهجة أهل خراسان ، وحجتهم على ذلك هي أن أهل آذربيجان كانوا يستعملون اللهجة البهلوية غير الفصيحة ، بينما كان أهل خراسان يستعملون اللهجة الدرية الفصيحة[1] .

(١) يقول الإيرانيون إن اللهجة الدرية الفصيحة لم تنتشر في آذربيجان وما جاورها إلا منذ القرن السادس الهجري ، ولم يكن أحد من الشعراء يتقنها حتى ذلك القرن إلا فلكي الشرواني ، بينما كان شعراء آذربيجان المشهورون في القرن السادس من أمثال : مجير الدين البيلقاني ، وقطران ، والخاقاني ، ونظامي لايتقنون هذه اللهجة الفصيحة ، مما جعل أسلوبهم معقداً وصياغتهم غير صحيحة .

ولا ندري لماذا أتقن فلكي الشرواني وحده هذه اللهجة رغم أنه توفي في النصف الأول من القرن السادس الهجري ، بينما توفي الشعراء المذكورون في أواخر هذا القرن ، وأوائل القرن السابع الهجري ؟ ! . . .

ومهما يكن من شيء ؛ فهذا هو الرأي السائد عند الإيرانيين ، وقد بنوا عليه =

ومما لا يقبل جدلاً أن أهل اللغة أقدر من غيرهم ، على الحكم على لهجة الشاعر ، وأسلوبه ؛ ولكن الحكم فى هذه القضية قد يتأثر بعوامل نفسية ، أو وطنية ، أو سياسية ، تتعلق بالدور الذى لعبته خراسان وما جاورها ، فى إحياء القومية الإيرانية ، وتغذية الشعور بالعزة بهذه القومية ، وبالكرامة الوطنية بعد الفتح الإسلامى لإيران .

والشىء الذى يمكن أن نقرره هو أن هذه المميزات التى لاحظناها فى فن نظامى يشترك فى أهمها ـ وهو وضوح التفنن فى صناعة الشعر ـ جميع الشعراء الذين عاشوا فى القرنين السادس والسابع الهجريين ، سواء أكانوا من أهل آذربيجان أم خراسان أم غيرهما من أجزاء إيران ، فيمكن ملاحظتها بسهولة فى شعر شعراء إيران فى تلك المدة ، فلم تكن من علامات شعراء آذربيجان دون غيرهم .

وأغلب الظن أن الإغراب والتعقيد ـ لا لهجة آذربيجان البهلوية ـ هما السبب فى صعوبة فهم شعر نظامى .

وقد وجدت هذه الفكرة عن شعره عند بعض الشعراء الذين عاشوا بعده ، وحاولوا تقليده كعبد الرحمن الجامى ، فقال فى آخر شرحه لديوان نظامى . « بقيت خمسمائة ـ أو ألف ـ بيت لا يمكن تفسيرها ، ويجب أن نمسك بذيل نظامى يوم القيامة ، ونطلب منه هو نفسه أن يشرح لنا تلك الأبيات[(١)] » .

= دراساتهم ، فقرروا أن أعظم شعراء إيران حتى القرن السادس كانوا من أهل خراسان كالفردوسى الطوسى المتوفى فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى ، والخيام النيشابورى المتوفى فى النصف الأول من القرن السادس . كما يبدو من مقالة عبد الحسين نوائى ، فى مجلة يادگار ، شمارهٔ ششم وهفتم ، بهمن واسفند سنة ١٣٢٥ (هجرية شمسية) ، ص ٧١ .

والواقع أن هذه قضية تشبه إلى حد كبير ما نجده فى الدراسات العربية من تقسيم العرب إلى عاربة ومستعربة ، وإثبات أن بعض القبائل العربية كان أفصح من البعض الآخر ، وهى تتأثر بدوافع كثيرة ليس هنا مجال شرحها .

(١) نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٨٦ . حيث ذكر دستگردى هذه العبارة =

ولعل السبب فى الإغراب اعتماد الشاعر فى صياغة استعاراته وتشبيهاته على مايعرفه من العلوم المختلفة ـ كما ذكرنا ـ مما جعل الترجمة الحرفية لشعره لاتؤدى المعنى واضحاً مفهوماً . ونضرب مثلا لذلك بقوله فى مدح الرسول :

أحمد مرسل كه خرد خاك أوست   هر دو جهان بستهٔ فتراك أوست[١]

فالترجمة الحرفية لهذا البيت هى : « أحمد المُرسَل الذى العقل[٢] ترابُه ، والعالمان فى قبضة حزامه » .

والمعنى الذى قصده الشاعر لا يبدو واضحاً من هذه الترجمة ، لأنه يستعين فى رسم هذه الصورة بما يعرفه من الفلسفة التى تقرر وجود عالمين : عالم علوى أعلاه العقل المجرد أو اللطيف ، وعالم سفلي أسفله التراب . وعلى هذا الأساس الفلسفى يقول : إن العقل المجرد الذى هو أعلى ما فى العالم العلوى إذا ماقيس بعلو قدر الرسول ، يُعَدُّ فى منزلة التراب الذى هو أسفل مافى العالم السفلى .

وهذا يظهر مكانة الرسول بصورة جلية ، و يدل على أنه أسمى من العالمين و يستتبع أنهما تحت نفوذه ، وفى قبضة يده ، أى أنه مرسَل إليهما معاً ، وهو ما وضحته الشطرة الثانية من هذا البيت[٣] .

= التى قالها جامى ، ثم قال : « إننا لم نر هـذه الشروح ، كما لم يبق لنا من شرح ميرعليشير نوائى لديوان نظامى غير الاسم، فى بعض كتب اللغة التى ألفت ونشرت فى الهند » .

(١) نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٢١ .

(٢) تعبير « العقل ترابه » أى : «خردخاك أوست» خطأ لم يجر عليه الاستعمال فى اللغة الفارسية ـ كما قال لى بعض الأدباء الإيرانيين المعاصرين فى أثناء إقامتى فى طهران ـ ولكن المعنى الذى يهدف إليه الشاعر يعتمد على الفلسفة ، ولا يفهم من مجرد معانى الألفاظ ، والترجمة الحرفية لها .

(٣) حاول دستكردى أن يفسر هـذا البيت فقال فى الحاشية ، إن المعنى الذى يقصده الشاعر هو : « أن العقل مثل التراب حقير ، وتحت يده ، لأن العقل تحت يد الشرع » .

واغلب الظن أن الشاعر لايقصد هذا المعنى ، وإنما يعنى ماذكرته .

وهناك أمثـلة كثير تشبه هذا البيت ، فالدارس لا ينبغى أن يقتصر على الترجمة الحرفية ، بل يجب أن يعيش فى جو نظامى ، و يتمثل ثقافته ، و يستعين بها على فهم شعره فهماً صحيحاً دقيقاً .

* * *

وهذه هى أوضح المزايا التى امتاز بهـا فن نظامى الشعرى . وقد آمن هو بسمو هذا النوع من الفن ؛ فلم يكفر به ، ولم يتنـكر له ، ولم يحاول أن يغيره ، بل سار عليه فى كل ما نظمه من شعر ، مما جعل له شخصية واضحة موحدة .

ورغم أننا عرضنا صوراً كثيرة من أشعـار نظامى تُعَدُّ شواهد صادقة على فنه الشعرى ، إلا أنه لا بأس من عرض بعض صور أخرى تجسم هذا الفن تجسيما قويًا ملحوظاً .

الفصل الثاني

صور شعرية تجسم فن نظامي

١ – منظر الغروب :

صوّر نظامى منظر غروب الشمس ، فشبّه الشمس بفارس ألقى دِرعه المستدير الذى أمسكه ليحمى به وجهه ، و بيّن أنها ألقت درعها فى ذلك الوقت ، فكان هذا دليلاً على انهزامها وفرارها ، وأن اختفاءها من الميدان أدى إلى هزيمة الأرض بعد أن سقط درعها ـ وهو الشمس ـ فى الماء ، فأصبح نفس الدنيا أضيق من نفس المحتضر ، فاصفرّ لونها لفراق الشمس !.. مما نتبينه فى قوله فقال : « لما حان وقت الغروب ألقتْ الشمس درعها ، فألقتْ الأرض ـ بذلك ـ درعها فى الماء ، فصار العالم أكثر ضيقاً من نفسها المحتضر ، وأوضح منها اصفراراً[(١)] » .

ثم شرح كيف تم القضاء على الشمس ، فبيّن أنها لما انهزمتْ تحولتْ أشعتها إلى نحرها ـ وهى التى كانت سهامها التى تقاتل بها ـ فقتلتها ، فهى كالبقرة التى علقوا فى رقبتها عقداً من الصدف الحاد ، فقتلها هذا العقد حينما وقعت على الأرض !.. فقال : « تحولت سهام الشمس إلى نحرها لقتلها بعد أن ألقت درعها ، كالبقرة التى علقوا فى عنقها أصدافاً للزينة ، فصارت خناجر تقتلها حينما سقطت البقرة على الأرض[(٢)] » .

---

(١) چون سپر انداختن آفتاب گشت زمين را سپرافكن بر آب
گشت جهان أز نفسش تنگ تر وز سپر أو سپرك رنگ تر
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٤٦-٤٧)

(٢) با سپر افكندن أو اشكرش تيغ كشيدند بقصد سرش
گاوكه خرمهره بدو دركشند چونكه بيفتد همه خنجر كشند
(المرجع السابق ، ص ٤٧)

ثم صوَّر الليل الذى وُجِد بعـد الغروب فى صورة طفل مُدَلَّل ، شدَّتْ المربية حلقة النهـار — وهى الشمس — إلى رجله ، فتعثر ، فسقط على الأرض ، وفقد الحلقة ، فحزن عليها ، ومرض من فرط الحزن والتفـكير ، فاحتاج إلى دواء مُسْهِل ، فصُنِع له من التراب ، فالْتَهَمَ الليلُ الأرض ، فوجد فى التراب شفاءه ، وأطفأ به حرارة مرضه ، فصار ليلاً صحيحاً معـافى ، لأن الأرض استقرت فى معدة الليل ، كما يستقر الدواء فى معدة المريض ، مما يتضح من قوله : « لما تعلق طفل الليل بذراع المربية ، شدَّتْ حلقة النهار إلى رجله ، فسقط ، ومرض من شدة الحزن والتفـكير ، فصنعتْ له دواء مُسْهِلاً من التراب ، فأحياه التراب ، وصار له كنفس المسيح ، فأطفأ المـاء نار هواه ، ثم تفاعل الدواء مع المريض ، فعم الظلام جميع الأرجاء[(١)] » .

و بيَّن تأثير الدواء فى الليل المريض ، فقال : « . (لما شرب الليل المريض الدواء) صب طاساً من الدم القانى[(٢)] ، فصـار أسود اللون كالغراب ، وشمله السواد من أعلى رأسه إلى إخمص قدمه ، فصبغ الفضاء بهذا اللون ، فحـكم القضاء بأنه من الـكافرين[(٣)] » .

وهكذا نرى فى صورة الغروب كثيراً من التشبيهـات الغريبة المتنوعة

---

(١) طفل شب آهيخت چو در دايه دست　　ز نـگله روز فراپاش بست
أزپى سوداى شب انديشـه ناك　　ساخته معجون مفرح زخاك
خاك شـده باد مسيحاى او　　آب زده آتش سـوداى أو
شربت ورنجور بهـم ساختـه　　خانه سودا شـده پرداختـه
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٤٧)

(٢) يصور الشاعر بهذا منظر الشفق الأحمر .

(٣) ريخته رنجور يكى طاس خون　　گشته ز سرتا قدم أنقاس گون
رنگ درونى شده بيرون نشين　　گفت قضا كان من الـكافرين
(نفس المرجع والصفحة)

المعقدة ، وهى تجسم فن نظامى الشعرى ، فإن الشاعر لم يصرح بالمعنى الذى يقصده مباشرة ، بل سلك هذا الطريق العجيب ، فجعل المعنى مختفياً وراء التشبيهات والاستعارات والصناعات البديعية ، التى تجعل الدارس لا يستطيع أن أن يدرك هدف الشاعر إذا ترجم الأبيات ترجمة حرفية ، أو قرأها دون معرفة للموضوع الذى قيلت فيه .

* * *

٢ ــ صورة جنة الحقيقة :

صور نظامى « جنة الحقيقة » التي وصل إليها بعد خلوته الأولى ، فوصف مافيها من أزهار جميلة مختلفة الأشكال والألوان ، وشبهها بتشبيهات متنوعة ، فشبه السوسن حديث السن بلسان عيسى الذى كلم الناس فى المهد ، وشبه بياضه بيد موسى التى خرجت بيضاء من غير سوء ، فقال : « إن السوسن حديث السن الذى يشبه لسان عيسى ، قد منح للصبح بياضاً يشبه بياض كف موسى (١) » .

وصوّر تشابك أغصان الأشجار الجميلة بحيث تكوّن نوافذ زرقاء اللون ، لأنه لايرى منها إلا السماء بلونها الأزرق البديع ، فقال : « تشابكت أغصان الأشجار ذات الألوان الحمراء والصفراء فى الحديقة ، فكونت نوافذ زرقاء زاهية (٢) » .

و بيّن كيف اخترق نور الصبح الأغصان فظهرت أشعته على أرض الحديقة ، وظهرت إلى جوارها ظلال الأغصان ، بينما تناثرت الأوراق كالدراهم ، فقال :

(١) سوسن يكروزهٔ عيسى زبان   داده بصبح أز كف موسى نشان
(نظامى : مخزن الاسرار ، ص ٥٦)

(٢) زورق باغ أز علم سرخ وزرد   پنجرهها ساختـه أز لاجورد
(نفس المرجع والصفحة)

« نثرت الأغصان نور الفلك ، كما نثرت الأوراق كالدراهم تحت أقدام الظلال[١] ».

وصوّر منظر الشمس على حافة النهر ، فاستعار لها الشفتين ، واستعار للظل اللسان ، وعدّ صوت الماء تسبيحاً ، فقال : « تحدث الظل على شفة الشمس وانتعش الحصى بفضل تسبيح الماء الجارى[٢] » .

وشبه صفاء الماء بصفاء عيون الحور ، فقال : « وصار ماء النهر أكثر صفاء وبريقاً من عيون الحور ، ليسلب النور من عين الشمس[٣] » .

وصوّر الأعشاب النابتة بجوار الجدول فى صورة مَنْ فرغ من الوضوء ، فوقف لشكر الله . فقال : « توضأتْ الأعشاب الخضراء من ماء الجدول ، فوقفتْ لتؤدى شكر الوضوء كما ينبغى[٤] » .

ثم بيّن كيف نشطت الطيور ، وانتعشت من رائحة الورود ، فغرّدت أعذب الألحان ، فقال : « وتنسّم الطير من الورد رائحة سليمان ، فغنّى بنغمات داود[٥] » .

وصوّر منظر الياسمين الأبيض فى أثناء الليل المظلم فى قوله : « أَذْهَبَ ورق الياسمين الأبيض ـ الذى يشبه الصبح ـ ظلمة الليل تماماً ، فلما تبسم الصبح صار

---

(١) شاخ ز نور فلك انگيخته   در قدم سايه درم ريخته
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٥٧)

(٢) سايه سخن گو بلب آفتاب   زنده شده ريگ ز تسبيح آب
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) چشمه درفشنده‌تر از چشم حور   تا برد أز چشمهٔ خورشيد نور
(المرجع السابق ، ص ٥٨)

(٤) سبزه برآن چشمه وضوساخته   شكر وضو كرده وپرداخته
(نفس المرجع والصفحة)

(٥) مرغ زگل بوى سليمان شنيد   ناله داودى از آن بركشيد
(نفس المرجع والصفحة)

ـ كيوسف ـ ذا حبل ذهبى ، لحفر بئراً فى ذقن الياسمين[١] » .

ثم صور منظر الشروق فى هذه الحديقة ، فقال : « وجد نور الصبح ميداناً فسيحاً ، وحرّك نسيم الصبا ظلال الأغصان ، فعضّ الظل شفة الشمس وصَفَّفَتْ النسائم شعر الصفصاف ، فرقص الظل والنور معاً على حافة النهر[٢] » .

وأكمل الصورة بقوله : « فصار الشوك عوداً كما كان الهدف ، وصارت نيران الورد مجمراً لذلك العود ، وأصبحت رقبـة الورد منبراً للبلبل ، كما صارت ذوائب البنفسج حزاماً للورد ، فأصبحت أعذب ألحاناً من داود ، وصار الورد أبهى جمالا من شعر نظامى[٣] » .

وهكذا صور الشاعر بعض مناظر « جنة الحقيقة » فى أثناء الليل ، وفى وقت السحر ، وفى وقت الشروق ، فاعتمد على هـذه التشبيها العجيبة ، والاستعارات الغريبة ، فصاغها فى صور متلاحقة ، متعددة الجوانب ، مختلفة الأضواء .

* * *

---

(١) ناخن سيمين سمن صبح فام   برده ز شب ناخنـه شب تمـام
صبح كه شد يوسف زرين رسن   چاه كنـان در زنخ يا سمن
(نظامى : مخزن الاسرار ، ص ٥٩)

(٢) نور سحر يافته ميـدان فراخ   سايهٔ روى را بصبا داده شاخ
سايه گزيده لب خورشـيد را   شـانه زده باد سر بيـدرا
سايه ونور أز عـلم شاخسار   رقص كنان بر طرف جويبـار
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) عود شد آن خار كه مقصود بود   آتش گل مجمر آن عود بود
گردن گل منبر بلبل شده   زلف بنفشه كمر گل شده
مرغ زداود خـوش آواز تر   گل زنظامى شكر انداز تر
(نفس المرجع والصفحة)

٣ ـ وصف حفل ليلى :

وصف نظامى حفلاً ليليًا فى خلوته الثانية تحت رعاية القلب ، وهو حفل تصوره خيال الشاعر حينما أمعن فى الخلوة ، فسكنت روحه الهائمة ، وخُيِّل إليه أنه وصل إلى الحقيقة ، فشعر بالسعادة والسرور ، وأخذ يصف المجلس الذى تجلت فيه الحقائق ، فصوره فى صورة حفل ليلى ، ترفرف عليه ملائكة الرحمٰن ، وشبهه بالربيع ، فقال : « إنه حفل مزيّن كالربيع الجميل ، فيه طرب أعذب من نعيم الدهر ، تنتشر فيه رائحة البخور ، فتشرح قصة يوسف وقميصه[1] » .

ثم بيّن مدى سيطرة العشق على القلوب ، فقال : « وقد احترقت شمعة الكبد (من فرط الشوق) كما احترقت كبد الشمع ، واشتعلت نار القلب (لغلبة العشق) كما اشتعل قلب النار[2] » .

وصور تأثير خمر الحب الإلهى ، فقال : « وتلاقت العيون والشفاه عقب شرب خمر العشق المنشط للقبل ، كما يمتزج السكر باللوز ، فسعدت العيون والشفاه ، وتعاشق الصبا والجمال ، فاتفقا على موعد للقاء ، وعلت الابتسامة العذبة الشفاه[3] » .

---

(١) مجلس افروخته چون نوبهار عشرتى آسوده‌تر از روزگار
آه بخور از نفس روزنش شرح ده يوسف وپيراهنش
(نظامى : مخزن الأسرار . ص ٦٢)

(٢) شمع جگر چون جگر شمع سوخت آتش دل چون دل آتش فروخت
(المرجع السابق ، ص ٦٣)

(٣) أز پى نقلان مى بوسه خيز چشم ودهان شكر وبادام ريز
شكر وبادام بهم نكته ساز زهره ومريخ بهم عشق باز
وعده بدوازه گوش آمده خنده بدريوزه نوش آمده
(نفس المرجع والصفحة)

ثم صور ماساد الحفل من دلال العشاق ، فقال : « فأخذ الدلال يغلب على العشاق ، و بدأ الرقص ، فأشاع فى الحفل السرور ، وصار الشمع كالساقى يحمل أقداح الشراب فوق أيديه ، فغمرت الخمر المجلس ، وسَكِر الفراش ، كما سَكِر النوم كالفراش ، وسجد الشمع شاكراً ! .. وعزفتْ عازفةٌ فاتنة لحناً جميلاً ، فسلب النوم من الرءوس ، ومنح النور للشموع ، فوجد كل شخص ما تمناه طوال حياته ؛ من معشوق موافق فى حفل رائع ، يبعث الصفاء من وقت إلى آخر ، فأتلفت القلوب والأرواح والأجسام ، حتى ليخيَّل إليك أنهم بعد أن تخلصوا من قيود الجسم ، قد تجردوا نهائياً من أعباء الدنيا الفانية ، فحينما رفرف طائر الطرب بجناحيه ، جاوز السرور الثريا ، وهرب طائر الليل ، وشُوِى طائر السحر بنيران العشق ، فأثلج شواؤه قلوب الفاتنات ، لأن الليل طال ، وتقيدت حركات الفلك ، فغطَّ الصبح فى نوم عميق ، فأصبح مجال الوصل واسعاً أمام العشاق(١) » .

ووصف عيون المعشوقات وشفاههن ، فقال : « إن العيون خضراء ضيقة ،

---

(١) ناز گریبان کش ودامن کشان — آستی از رقص جواهر فشان
شمع چو ساقی قدح می بدست — طشت می آلوده وپروانه مست
خواب چو پروانه پر انداخته — شمع بشکرانه سر انداخته
پردگی زهره در آن پرده چست — زخمه شکست بأدای درست
خواب رباینده دماغ از دماغ — نورستاننده چراغ از چراغ
آنچه همه عمر کسی یافته — همنفسی در نفسی یافته
نزل فرستنده زمان تا زمان — دل بدل وتن بتن وجان بجان
گفتی ازان حجره که پرداختند — رخت عدم در عدم انداختند
مرغ طرب نامه بپر بازبست — هفت پر مرغ ثریا شکست
آتش مرغ سحر از بابزن — بر جگر خوش نمکان آب زن
مرغ گران خواب تر از صبحگاه — پای فلك بسته‌تر ازدست ماه

(نظامی : مخزن الاسرار ، ص ٦٤)

والشفاه حمراء ، فهي تشبه الفستق واللوز ، وقد أوجدت السحر الحلال في أثناء الليل ، وزار الخال الأسود – كالهندو – الفتنة والجمال ، فصيَّرت كل غمزة من غمزات العيون ، وكل خال منها ، العالم كله بابل والهند ، فلما توالت النظرات الساحرة ، ذهب القلب لزيارة العين ، ليشاركها المتعة[1] » .

ثم صور تأثير سهام نظراتِ العيونِ العاشقة ، فقال: « وتهيأت سهام العشق لإصابة العشاق ، فأصابت الهدف قبل أن تُرمى ؛ غير أن القلوب انتعشت بإصابتها ، فتحدثت ألسنة الفاتنات بألفاظ تشبه ماء الحياة[2] » .

وعرض صوراً من هذا التأثير في قوله : « فأصبحت كل نظرة تحيي عالماً ، وصارت كل عين مسكناً للأرواح . . . وأصبحت القبلة سبباً في السكر كالخمر ، وصارت الشفاه تمنح الحياة كنفس المسيح... وأصبحت الغمزة معبِّرة لأن الفمِ كان قد تعب ، وصارت العين متحدِّثة لأن اللسان كان قد انعقد[3] » .

---

(١) فندقه شكر وبادام تنگت سبز خط أز پسته عناب رنگ
در شب خط ساخته سحر حلال بابلی غمزه وهندوی خال
هر نفس أز غمزه وخالی چنان گشته جهان بابل وهندوستان
چون نظری چند پسندیده رفت دل بزيارتگری دیده رفت
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ٦٥)

(٢) شست کرشمه چو کماندار شد تیر نینداخته برکار شد
باد مسیح از نفس دل دمید آب حیات از دهن گل چکید
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) هر نظری جان جهانی شده هرمژه بتخانهٔ جانی شده
. . . .
بوسه چوی مایهٔ افکندگی لب چو مسیحا نفس زندگی
. . . .
غمزه منادی که دهان خسته بود چشم سخن گو که زبان بسته بود
(المرجع السابق ، ٦٦)

وختم هذه الصورة بقوله : « فبقى العقل ذاهلاً فى أثناء الحفل ، ونفد صبره فى النهاية ، غير أنه لم يجد ابتسامة يسخر بها مما يحدث أمامه ، ولم تكن عنده قدرة على التأوه والشكوى ، فصار الصبر فى ذلك الحفل خافت الألحان ، لأن الفتنة غلبت ؛ فارتفعت نغماتها ، وأصبحت تشبه نغمات داود ، وتحكى قصة محمود وحديث إياز [١] ، فأصبح شعر نظامى ينثر الجمال ، وصار وِرْداً للعشاق المتغزلين [٢] » .

وهكذا عرض الشاعر مناظر الحفل فى هذه الصور الفارقة فى التشبيهات والاستعارات الغريبة ، مستعملا فنوناً مختلفة من البديع ، وهى أهم ما امتاز به فنه الشعرى ، ومالا حظناه فى شعره بصورة عامة .

* * *

ونكتفى بهذه الصور الثلاث لتجسيم فن نظامى الشعرى ؛ وقداقتبسناهامن منظومة « مخزن الأسرار » لنرجح أنه ألزم نفسه باتباع هذا الفن الشعرى منذ بداية نظمه ، فظهرتْ معالمه بصورة واضحة فى منظومته الأولى .

* * *

ولست أميل إلى هذا اللون من الشعر الذى يمعن فى الإغراب والتعقيد ، ويغرق فى التفنن والتصنع .

---

(١) قصد الشاعر بمحمود ، السلطان محمود الغزنوى ، وقصة عشقه لإياز معروفة ذكرها الشعراء ، وتناقلتها كتب الأدب .

(٢) عقل در آن دايره سرمست ماند — عاقبت از صبر تهيدست ماند
در دهن أز خنده كه راهى نبود — طاقت‌را طاقت آهى نبود
صبر در آن پرده نواتنگ داشت — فتنه سرزير در آهنگ داشت
يافته در نغمه داود ساز — قصهٔ محمود وحديث إياز
شعر نظامى شكر افشان شده — ورد غزالان غزلخوان شده

(المرجع السابق ، ص ٦٦–٦٧)

ولذلك ؛ فإنى لا أمتدح فن نظامى الشعرى . غير أن من الإنصاف أن أقرر أن هذه قضية يحكم فيها الذوق الأدبى فى القرن السادس الهجرى ـ الذى كان الشاعر يعيش فيه ـ لا الذوق الأدبى فى عصرنا هذا ؛ لأن الذوق يتغير بتغير العصور، و بيننا و بين الشاعر قرون متطاولة لا بد أن الذوق الأدبى قد تغير فى أثنائها تغيُّراً كبيراً ؛ فمن الإجحاف أن نحكم مقاييس الذوق الأدبى فى العصر الحديث فى شعر نُظِم فى القرن السادس ، و إنما يجب أن نفهمه بذوق ذلك القرن ، وأن نستهدى فى حكمنا برأى الناس فى عصره ، ومدى استساغتهم لشعره ، و إعجابهم به .

و يبدو أن الناس أُعْجِبُوا بشعره ، فقدروه ، وحاولوا تقليده ، و إن كانت ظروف العصر القاسية ، لم تهيىء له المزيد من تقدير الحكام ، والجزيل من عطاياهم .

أما الشاعر نفسه ، فكان يعتقد أنه أصاب فى الميل إلى هذا الفن الشعرى ، مما جعله يزهو فخوراً بشعره ، وفنه .

خاتمة

أما بعد .. فإنى أرجو أن تكون هذه الدراسة كافية لإعطاء صورة واضحة عن نظامى الكنجوى ، وعصره ، و بيئته ، وشعره .

و إن كان لابد من إصدار حكم على الشاعر ، فإنى أستطيع أن أقرر – بعد هذا القدر اليسير من الدراسة – أن نظامى كان ذا شخصية واضحة المعالم ، لها مقوماتها الخاصة بها .

فقد مال إلى العزلة رغم أن نفسه لم تعزف عن الاتصال بالناس .

وكان ذا دين وخلق ، فتمسك بدينه وخلقه بعد الاتصال بالحكام ، بل حاول أن يجعل من نفسه داعية من دعاة الفضيلة ، فظهرت شخصيته واضحة فى كل مانظم من شعر ، وأقحم آراءه الخاصة فى أشعاره ، وهيأ الجو المناسب لإظهارها ؛ مما جعل لمنظوماته نغمات واحدة مشتركة ، مهما اختلفت موضوعاتها.

فنغمة حب العدل والوفاء ، وتجنب الظلم والجفاء قد ظهرت واضحة فى كل منظوماته ، وحاول أن يصدرها على لسان أبطال قصصه ، وعن طريق أفعالهم ، فكل منهم يحب العدل فيقرُّه ، و يسعى إلى دفع الظلم ، و إبعاد شبحه .

ونغمة التغنى بالخلق القويم ، وطهارة الذيل ، ورعاية الفضيلة ، ومحاربة الرذيلة لم ينقطع ترديدها فى منظوماته ، وتصويرها فى أقوال شخصيات القصص، وتجسيمها فى أفعالهم .

وكان الشاعر يحب التعمق ، وعدم أخذ الأشياء بظواهرها فحاول سبر الأغوار ، واستخراج المكنون ، وظهر ذلك بصورة جلية فى تحليله للشخصيات، وعرض الموضوعات من جوانب مختلفة .

وكان يعالج المسائل معالجة المنصف دون تعصب ، أو خضوع لهوى معين ، فوضح هذا فى شعره ؛ فلم يحاول – مثلاً – أن يثبت أن الإسكندر إيرانى ،

أو يغفل ذكر تحطيمه لبيوت النار ، أو تمزيقه لكتاب الإيرانيين المقدس ، بل أورد كل شيء ، ولم يستنكف عن إثبات أن الإسكندر كان أفضل من « دارا » الإيرانى ، لأنه كان عادلاً ، بينما كان « دارا » ظالماً فقتل بأيدى رجلين من رجاله .

وقد أثرت فى الشاعر عاطفته الإسلامية — كرجل مسلم سنى متدين — فطغت على ماعداها من عواطف ، وغلبت على عاطفته الوطنية الخاصة ، فجعلته ينظر إلى الأشياء من وجهة النظر الإسلامية العامة الواسعة ، وصبغت شعره بصبغة دينية واضحة ، فصار أداة لخدمة الإنسانية والفضيلة .

وكانت شخصية نظامى كشاعر واضحة تمام الوضوح ، فلم يكن شاعراً مقلداً .

فقد نظم قصصاً لأول مرة ، مثل « ليلى ومجنون » ، كما كانت قصصه الأخرى — « خسرو وشيرين » و « هفت پيكر » و « إسكندرنامه » — طريفة فى الصور التى صورها هو ، لأنه أدخل فيها عناصر جديدة لم يسبقه شاعر إليها ، و بدت منظومته « مخزن الأسرار » دقيقة الترتيب ، جديدة الأسلوب .

وكان من السباقين إلى نظم القصص بهذه الطريقة فى الشعر الفارسى فى القرن السادس الهجرى ، كما كان أول من نظم خمس منظومات ترددت فيها نغمات متحدة .

وكان ذا شخصية واضحة فى فن صناعة الشعر ، فقد مال إلى لون من الفن ، ففضله والتزمه ، وقيّد نفسه بمذهب شعرى ، فسار عليه ، ولم يفارقه ، وآمن بصحته وسلامته ، فحرص عليه ، وحاول أن يثبت إتباعه له فى كل منظومة من منظوماته ، مهما تكلف من عناء ، ووجد فى ذلك لذة ، فأخذ نفسه بكثير من القيود فى نظم الشعر ، معتقداً أنها ترفع قدر شعره ، وتزيده روعة وجمالاً .

وهكذا كان لنظامى طابع مميز ، وشخصية موحدة واضحة . مما جعله صاحب

مدرسة شعرية خرّجت كثيراً من الشعراء حاولوا أن يقلدوه ، وأن يصبحوا أصحاب خمس منظومات مثله ، فكان بذلك إماماً من أئمة الشعر الفارسى ، وصار من شعراء الفارسية القليلين الذين قُلِّدوا كثيراً ، وهذه منزلة اعترف بها الشعراء أنفسهم ، وقررها كثير من شعراء الفارسية والتركية .

ولذلك ؛ لا أعد نفسى مبالغاً إذا قررتُ أن نظامى هو إمام « فن المثنوى » وهو فن من أهم فنون الشعر الفارسى ؛ ولعل هذا الحكم قريب من الصدق والصحة بعد هذا القدر من الدراسة التى شملت الشاعر وشعره .

وليس معنى هذا أن نظامى كان أنبغ شعراء الفارسية ، وإنما معناه أنه من شعراء الصف الأول ، فهو جدير بالدرس ، وبأن يوضع فى مكانه اللائق بين شعراء هذه اللغة .

ولا أزعم كذلك ـ أن هذا البحث يُعَدُّ نهائياً فى موضوع نظامى ، لأن هذا الموضوع أوسع وأعمق من أن يستنفده بحث كهذا .

وإنما قصدت أن أضيف حلقة جديدة إلى سلسلة الأبحاث المتصلة بالشاعر ، وأن أجعله نواة وأساساً لأبحاث أكثر عمقاً وتفصيلا ، تتناول كل منظومة من منظومات الشاعر بدراسة مستقلة مفصلة مقارنة مع ترجمتها إلى اللغة العربية ، كما تتناول ديوانه الذى ضاعت منه أجزاء كثيرة ، فتجمع ما تشتت منه فى الكتب والمكتبات المختلفة . ثم تتناوله ـ مجموعاً منقحاً ـ بالنشر والدرس والترجمة .

وإن أبحاثاً كهذه لتحتاج إلى سنوات لا يعلم عددها إلا الله ، ولكنها ليست عزيزة المنال ، إذا صح العزم ، وأفسح الله فى العمر ، وحالفها التوفيق ؛ والله أسأل أن يوفق للصواب .. إنه على ما يشاء قدير .

ثبت بأسماء المرجع[1]

١ـــ المراجع التى كتبت باللغات الشرقية

١ـ المراجع الفارسية :

١ ـ ابن البيبى : (يحيى بن محمد المعروف بابن البيبى) مختصر سلجوقنامه ، نشر هوتسما Houtsma ، طبع ليدن ، ١٩٠٢ م .

٢ـ ابن الشبانكارى: (محمد بن على بن شيخ محمد بن حسن بن أبى بكر الشبانكارى)
ا ـ مجمع الأنساب (المختصر) نسخة خطية بمكتبة سعيد نفيسى الخاصة بطهران ، تحت رقم ٣٧٦٨ .

٣ ـ ب ـ مجمع الأنساب (النسخة الموسعة) مخطوطة بمكتبة سلطان القرائى الخاصة بطهران ، كُتِبَتْ فى عام ٣٥٠ هـ .

٤ ـ ابن النظام الحسينى: (الوزير محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله بن النظام الحسينى) العراضة فى الحكاية السلجوقية ، نشر كارل زوسهايم K. Susheim ، طبع ليدن ، ٩١٠٢ م .

٥ ـ ابن يوسف شيرازى : فهرست كتابخانهٔ مدرسهٔ عالى سپهسالار جلد دوم ، طبع طهران ، ١٣١٦ـ١٣١٨هـ[2] . ش

٦ ـ » » » : فهرست كتابخانهٔ مجلس شوراى ملى، جلد سوم ، طبع طهران ، ١٣١٨ ـ ١٣٢١ هـ . ش

---

(١) سأذكر هنا المراجع التى ورد ذكرها فى ثنايا البحث ، وهى التى اعتمدت عليها فى كتابته .

(٢) هـ . ش . رمز للتقويم الهجرى الشمسى المستعمل فى إيران ، وتبدأ السنة الهجرية الشمسية فى يوم ٢١ مارس من كل سنة ، وعدد أيامها ٣٦٥ يوم إذا كانت بسيطة و ٣٦٦ يوم إذا كانت كبيسة ، ولذلك فإن سنة ١٣٧٣ هـ . قمرية تقابل ١٣٣٢ هـ . شمسية .

٧ ـ أبو عمر الجوزجانى: (أبو عمر منهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجانى) طبقات ناصرى، نشر وتصحيح وليم ناسوليس Nassau Lees ومولوى خادم حسين، ومولوى عبدالحى، طبع كلكته ١٨٦٣م .
٨ ـ أبو المعالى محمد الحسينى العلوى : بيان الأديان در شرح أديان ومذاهب جاهلى وإسلامى (مؤلَّفٌ فى سنة ٤٥٨ هـ .) تصحيح عباس إقبال . طبع طهران، ١٣١٢هـ . ش .
٩ ـ إسكندر بيك تركمانى منشى : تاريخ عالم آراى عباسى، طبع طهران، ١٣١٤ هـ .
١٠ ـ إسكندرنامه النثرية الخطية : نسخة وحيدة، كتبت فى القرن السادس الهجرى، توجد بمكتبة سعيد نفيسى الخاصة بطهران تحت رقم ١٣٠٦ .
١١ ـ اسكندرنامه النثرية المنشورة، تنسب إلى العصر القاجارى ونشرت فى القرن الماضى بطهران .
١٢ ـ إصفهانى : (محمد صادق بن محمد صالح آزادانى إصفهانى) شاهد صادق (مؤلَّف فى الهند فى سنة ١٠٥٦هـ) نسخة خطية بمكتبة مجلس النواب (مجلس شوراى ملى) بطهران، تم نسخها فى عام ١٣١٤ هـ .
١٣ ـ أفضل الدين الكرمانى : (أبو حامد أحمد بن حامد الكرمانى)
ا ـ عقد العلى للموقف الأعلى (مُؤلَّف فى سنة ٥٨٤هـ .) نشر على محمد نائينى، طبع طهران، ١٣١١هـ ش .
١٤ ـ ب ـ تاريخ أفضل يا بدايع الزمان فى وقائع كرمان، جمع ونشر مهدى بيانى ـ دكتور ـ طبع طهران، ١٣٢٦ هـ . ش .
١٥ ـ أمير خواند البلخى : (محمد بن خاوند شاه بن محمود) روضة الصفا، الجزء الرابع، طبع طهران، ١٢٧٠ هـ .

١٦ ـ أميرشير على خان لودى : مرآة الخيال ، طبع بمباى ، ١٣٢٤ هـ .

١٧ ـ أمير يحيى حسينى قزوينى : لب التواريخ ، نسخة خطية بمكتبة ملك الخاصة بطهران ، كتبت فى عام ٩٧٨ هـ .

١٨ ـ أمين رازى : هفت إقليم ، نسخة خطية بمكتبة ملك الخاصة بطهران ، تم نسخها فى عام ١١٠٨ هـ .

١٩ ـ البناكتى : (فخر الدين أبو سليمان البناكتى) روضة أولى الألباب فى تاريخ الأكابر والأنساب ، القسم الرابع ، نسخة خطية بمكتبة ملك الخاصة بطهران .

٢٠ ـ بهار : (محمد تقى بهار ملك الشعراء) سبك شناسى ، ج ٢ ، طبع طهران ، ١٣٢١ هـ . ش .

٢١ ـ البيضاوى : (قاضى ناصر الدين عبد الله بن عمر) نظام التواريخ ، نشر وتصحيح بهمن كريمى ، طبع طهران ، ١٣١٣هـ . ش

٢٢ ـ تبريزى : (ميرزا راضى تبريزى) زينة التواريخ ، نسخة خطية بمكتبة ملك بطهران .

٢٣ ـ تربيت : (محمد على تربيت) دانشمندان آذر بيجان ، طبع طهران ، ١٣١٤ هـ . ش .

٢٤ ـ جامى : (عبد الرحمن الجامى) بهارستان ، طبع طهران ١٣١١ هـ . ش .

٢٥ ـ نفس المؤلف : نفحات الأنس ، طبع لكهنو ، ١٣٣٣هـ ـ ١٩١٥ م .

٢٦ ـ جان ريبكا : چند غزل تازه أز نظامى كنجوى ، طبع طهران ، ١٣١٤ هـ . شمسى ـ ١٩٣٥ م .

٢٧ ـ الجوينى : (علاء الدين عطا ملك الجوينى) جهان كشاى ، ج ٢ ، نشر وتصحيح محمد بن عبد الوهاب القزوينى ، طبع ليدن ، ١٣٣٤ هـ ـ ١٩١٦ م .

٢٨ ـ حاجي خليفة : (مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة ، و بكاتب چلبي) تقويم التواريخ ، نسخة خطية بمكتبة ملك بطهران ، تم نسخها في عام ١٠٥٨ هـ ، وخاتمتها بخط المؤلف نفسه .

٢٩ ـ حافظ ابرو : (خواجه نور الدين لطف الله) زبدة التواريخ ، نسخة خطية بمكتبة ملك بطهران .

٣٠ ـ نفس المؤلف : مجمع التواريخ ، جلد سوم ، نسخة خطية بالمكتبة الأهلية (كتابخانه ملى) بطهران ، تحت رقم ١٥٧٨ .

٣١ ـ حسين بايقرا : (أمير كمال الدين حسين بن شهاب الدين) مجالس العشاق ، طبع لكهنو ، ١٣١٤هـ ـ ١٨٩٧ م .

٣٢ ـ حكمت : (على أصغر) رومئو وجوليت با مقايسه با ليلى ومجنون نظامى ، طبع طهران ، ١٣١٧هـ . شمسى .

٣٣ ـ حمد الله مستوفى قزوينى : (حمد الله بن أبى بكر بن أحمد بن نصر المستوفى القزوينى) تاريخ گزيده ، جلد أول (مؤلف فى سنة ٧٣٠ هـ) نشر وتحقيق براون ، طبع ليدن ، ١٣٢٨ هـ ـ ١٩١٠ م

٣٤ ـ نفس المؤلف : نزهت القلوب (مؤلف فى سنة ٧٤٥ هـ) طبع بمباى ١٣١١هـ

٣٥ ـ خواندامير : (غياث الدين بن همام الدين) خلاصة الأخبار فى بيان أحوال الأخيار ، مقالهٔ هشتم ، نسخة خطية بمكتبة سلطان القرائى الخاصة بطهران ، تم نسخها فى عام ١٠٣٣ هـ .

٣٦ ـ نفس المؤلف : حبيب السير فى أخبار أفراد البشر ، نشر محمد حسين كاشانى ، طبع بمباى ، ١٢٧٣ هـ ـ ١٨٥٨م .

٣٧ ـ نفس المؤلف : دستور الوزراء ، تصحيح سعيد نفيسى ، طبع طهران ، ١٣١٧هـ . ش .

٣٨ ـ دنبلى : (عبدالرزاق بيك نجفقلى خان بن شهبازخان دنبلى خوئى تبريزى)

تذكرة تجربة الأحرار وتسلية الأبرار ، نسخة خطية بمكتبة سلطان القرائى الخاصة بطهران .
٣٩ ـ دولتشاه : (أمير دولتشاه بن علاء الدولة بختيشاه الغازى السمرقندى) تذكرة الشعراء ، تصحيح ونشر براون ، طبع ليـدن ، ١٣١٨هـ ـ ١٩٠٠م .
٤٠ ـ الرازى : (شمس الدين محمد بن قيس الرازى) المعجم فى معايير أشعار العجم ، تصحيح محمد عبد الوهاب القزوينى ، طبع طهران ، ١٣١٤ هـ . ش .
٤١ ـ الراوندى : (محمد بن على بن سليمان الراوندى) راحة الصدور وآية السرور ، نشر وتصحيح محمد إقبال ، طبع ليدن ١٩٢١م .
٤٢ ـ رشيد الدين فضل : جامع التواريخ ، نسخة خطية بالمكتبة الأهلية (كتابخانه ملى) بطهران تحت رقم ٨٦٩ .
٤٣ ـ رضا قليخان هدايت : مجمع الفصحاء ، طبع طهران ، ١٢٩٢هـ .
٤٤ ـ نفس المؤلف رياض العارفين ، طبع طهران ، ١٣٠٥ هـ . ش .
٤٥ ـ زركوب شيرازى : (أبو عبدالله أحمد بن أبى الخير) شيرازنامه (مؤلف فى القرن الثامن الهجرى) بتصحيح واهتمام بهمن كريمى ، طبع طهران ، ١٣٥٠ هـ ـ ١٣١٠ هـ . ش .
٤٦ ـ زين العابدين شروانى : بستان السياحة ، طبع طهران ، ١٣١٥ هـ .
٤٧ ـ سنائى : (أبو المجد مجدود بن آدم السنائى الغزنوى) حديقة الحقائق ، طبع بمباى ، ١٨٥٩ م .
٤٨ ـ شبلى نعمانى : شعر العجم ، جلد أول ، طبع طهران ، ١٣١٦ هـ . ش . جلد چهارم ، طبع طهران ، ١٣١٤ هـ . ش . ترجمه سيد محمد تقى فخر داعى گيلانى .

٤٩ ـ عبد النبي قزويني : (ملا عبد النبي فخر الزمان القزويني) ميخانه ، تصحيح محمد شفيع ، طبع لاهور ، ١٩٢٦ م .

٥٠ ـ عوفي : (محمد عوفي) لباب الألباب ، ج ٢ ، نشر وتحقيق براون ، طبع ليدن ، ١٣٢١ هـ ـ ١٩٠٣ م .

٥١ ـ نفس المؤلف : جوامع القصص والحكايات ، نسخة خطية بمكتبة ملك الخاصة بطهران ، تم نسخها في عام ١٠٥٧ م .

٥٢ ـ غلام سرور لاهوري : خزينة الأصفياء ، جلد أول ، طبع لكهنو ، ١٣٣٢ هـ .

٥٣ ـ فردوسي : (أبو القاسم منصور بن أحمد بن فرخ الفردوسي الطوسي) شاهنامه ، ج ٣ ، طبع طهران ، ١٣١١ هـ . شمسي ؛ ج ٤ ؛ ج ٥ ، طبع طهران ، ١٣١٣ هـ . ش .

٥٤ ـ فرهاد ميرزا معتمد الدوله : هدايت السبيل وكفايت الدليل ، طبع شيراز ، ١٢٩٤ هـ ـ ١٨٧٧ م .

٥٥ ـ فريد الدين عطار نيشابوري : (أبو حامد محمد بن أبي بكر إبراهيم العطار النيشابوري) تذكرة الأولياء ، طبع طهران ، ١٣٢١ هـ . ش .

٥٦ ـ فصيح خوافي : مجمل فصيحي ، نسخة مصورة بمكتبة المجمع الفرنسي بطهران ، كتبت في عام ٨٤٥ هـ .

٥٧ ـ قاسم غني : (دكتور) تاريخ تصوف در إسلام ، طبع طهران ، ١٣٦٢ هـ . ـ ١٣٢٢ هـ . ش .

٥٨ ـ كريستي ولسن : تاريخ صنايع إيران ، ترجمة عبد الله فريار ، طبع طهران ، ١٣١٧ هـ ش ـ ٢٩٣٨ م .

٥٩ ـ الكريم الأقسرائي : (محمود بن محمد المشتهر بالكريم الأقسرائي) مسامرة الأخبار ، ومسايرة الأخيار (مؤلف في سنة ٧٢٣ هـ) مع مقدمة وتصحيح وحواشي عثمان توران طبع أنقره ، ١٩٤٤ م

٦٠ ـ مجله مهر ، سال سوم ، شهر يورماه ١٣١٤ ، شماره ٤ ؛ سال پنجم ، مرداد ماه ١٣١٦ هـ . ش .

٦١ ـ مجله يادگار ، سال سوم ، شماره ششم وهفتم ، بهمن واسفندماه ١٣٢٥ هـ . ش .

٦٢ ـ مجمل القصص والتواريخ : (مجهول المؤلف ، يبدو أنه أُلِّف فى النصف الأول من القرن السادس الهجرى) تصحيح ملك الشعراء محمد تقى بهار ، طبع طهران ١٣١٨ هـ ش .

٦٣ ـ محمد بن ابراهيم : تاريخ سلجوقيان كرمان ، نشر هوتسما .Houtsma طبع ليدن ١٨٨٦ .

٦٤ ـ محمد صوفى : تذكرة بتخانه (وهى تسمى جواهر المنظومات ، وقد أُلِّفَتْ فى عام ١٠١٠ هـ) نسخة خطية بمكتبة مجلس النواب (كتابخانه مجلس شوراى) ملى بطهران) تم نسخها فى عام ١٢٤٠ هـ .

٦٥ ـ معصومعلى شاه نعمة اللهى . طرائق الحقائق ، طبع طهران ، ١٣١٩هـ .

٦٦ ـ مولوى أغا على أحمد على : هفت آسمان ، طبع كلكته ، ١٨٧٣ م .

٦٧ ـ ميرتقى كاشى : خلاصة الأفكار وزبدة الأخبار ، نسخة خطية بمكتبة سعيد نفيسى الخاصة بطهران ، تحت رقم ٩٨٦

٦٨ ـ ميرحسينى سنبلى : تذكره حسينى ، طبع لكهنو ، ١٢٩٢ هـ .

٦٩ ـ مير عليشير نوائى : مجالس النفائس (مؤلف بالتركية الجغطائية) ترجمة حكيم شاه محمد قزوينى ، نشر وتصحيح على أصغر حكمت ، طبع طهران ، ١٣٢٣ هـ . ش .

٧٠ ـ ناصر الدين شاه قاجار : سفرنامه بفرنگستان ، طبع بمباى ، ١٨٧٦ م .

٧١ ـ نظامى عروضى سمرقندى . (أحمد بن عمر بن على النظامى العروضى السمرقندى) چهار مقاله (يبدو أنه مؤلف فى سنة ٥٥٠ هـ .)

بسعى واهتمام محمد عبد الوهاب قزوينى ، طبع ليدن ، ١٣٢٧ هـ ـ ١٩٠٩ م .

٧٢ ـ نظامى گنجوى : (نظام الدين أبو محمد إلياس بن يوسف بن زكى بن مؤيد الگنجوى) مخزن الأسرار ، نشر وتصحيح حسن وحيد دستگردى ، طبع طهران هـ . ش .

٧٣ ـ نفس المؤلف : خسرو وشيرين ، نشر وتصحيح وحيد دستگردى ، طبع طهران ، ١٣١٣ هـ . ش .

٧٤ ـ نفس المؤلف : ليلى ومجنون ، نشر وتصحيح وحيد دستگردى ، طبع طهران ، ١٣١٣ هـ . ش .

٧٥ ـ نفس المؤلف : هفت پيكر ، نشر وتصحيح وحيد دستگردى ، طبع طهران ١٣١٥ هـ . ش .

٧٦ ـ نفس المؤلف : هفت پيكر ، نشر وتصحيح ريتر وريپكا ، طبع استانبول ١٩٣٣ م .

٧٧ ـ نفس المؤلف : شرفنامه ، نشر وتصحيح وحيد دستگردى ، طبع طهران ، ١٣١٦ هـ . ش .

٧٨ ـ نفس المؤلف : خردنامه و إقبالنامه ، نشر وتصحيح وحيد دستگردى ، طبع طهران ، ١٣١٧ هـ . ش .

٧٩ ـ نفس المؤلف : خمسهٔ نظامى ، طبع كلكته ، ١٢٦٥ هـ .

٨٠ ـ نفس المؤلف : خمسهٔ نظامى ، طبع طهران ، ١٣١٦ هـ .

٨١ ـ نفس المؤلف : خمسهٔ نظامى ، نسخة خطية بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ١٢٠ أدب فارسى .

٨٢ ـ نفس المؤلف : ديوان نظامى ، نسخة خطية بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ١٦٨ م ، ضمن مجموعة منتخبات .

٨٣ ـ الهجويرى الغزنوى : كشف المحجوب ، نشر جوكوفسكى ، طبع لنينجراد ، ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٦م .

٨٤ ـ واله داغستانى : (عليقلى خان) رياض الشعراء نسخة خطية بمكتبة ملك الخاصة بطهران ، (مؤلف فى عام ١١٦٩ هـ) ، كتبت فى ١٣٠١ هـ .

٨٥ ـ وحيد دستكردى : مقدمته لديوان نظامى الذى سماه كنجينه گنجوى ، طبع طهران ، ١٣١٨ هـ . ش .

٨٦ ـ نفس المؤلف : هزار اندرز حكيم نظامى ، طبع طهران ، ١٣٢٠هـ .ش .

* * *

ب — المراجع العربية :

٨٧ ـ ابن الأثير : (على بن أحمد بن أبى الكرم) الكامل فى التاريخ ، ج ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، طبع تورنبرج ، ١٨٥١م .

٨٨ ـ ابن بطوطة : (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتى ثم الطنجى) رحلة ابن بطوطة المسماة « تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » طبع القاهرة ١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٨م.

٨٩ ـ ابن جرير الطبرى : (أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبرى) تاريخ الأمم والملوك ، ج ٢ ، طبع مصر .

٩٠ ـ ابن حزم : (أبو محمد على بن أحمد بن حزم الظاهرى) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، ج ٣ ، طبع مصر ١٣٢٠هـ . ؛ ج ٤ ، ٥ ، طبع مصر ١٣٢١هـ .

٩١ ـ ابن خرداذبه : (أبو القاسم عبد الله بن عبد الله بن خرداذبه) المسالك والممالك ، طبع ليدن ، ١٣٠٦هـ ـ ١٨٨٩م .

٩٢ ـ ابن العبري :(غريغوريوس أبو الفرج بن اهرون الطبيب الملطى المعروف بابن العبرى) تاريخ مختصر الدول ، طبع بيروت ، ١٨٩٠ م .
٩٣ ـ ابن العماد : (أبو الفلاح بن العماد الحنبلى) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج ٤ ، ٥ ، طبع مصر ، ١٣٥٠ هـ .
٩٤ ـ ابن الفقيه الهمدانى : (أبو بكر أحمد بن محمد الهمدانى) مختصر كتاب البلدان ، طبع ليدن ، ١٣٠٢ هـ ـ ١٨٨٥ م .
٩٥ ـ ابن قتيبة : (أبو محمد عبد الله بن مسلم) الشعر والشعراء ، طبع ليدن ، ١٨١٠ م .
٩٦ ـ ابن نباته : (جمال الدين محمد بن محمد بن نباته المصرى) سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون ، طبع مصر ١٣٢١ هـ .
٩٧ ـ ابن الوردى : (زين الدين عمر بن الوردى) تاريخ ابن الوردى ، ج ٢ ، طبع مصر .
٩٨ ـ أبو الفدا : (الملك المؤيد اسماعيل أبو الفدا صاحب حماة) تاريخ أبى الفدا المسمى « المختصر فى أخبار البشر » طبع استانبول ، ١٢٨٦ م .
٩٩ ـ أبو الفرج الإصبهانى : (أبو الفرج على بن الحسين بن محمد) الأغانى ، ج ١ ، ٢ ، طبع مصر ، ١٣٢٣ هـ .
١٠٠ ـ أبو معشر الفلكى البلخى : كتاب الألوف والأدوار ، نسخة خطية بمكتبة مجلس النواب (مجلس شوراى ملى) بطهران ، تم نسخها فى عام ١١٣٥هـ .
١٠١ ـ أحمد أمين وزكى نجيب : قصة الأدب فى العالم ، ج ١ ، طبع مصر ، ١٩٤٣ م .
١٠٢ ـ أحمد الشايب : أصول النقد الأدبى ، طبع مصر ، ١٩٤٠ م .
١٠٣ ـ الاصطخرى : (أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسى الاصطخرى

المعروف بالكرخى) مسالك الممالك ، طبع ليدن ، ١٨٧٠ م .
١٠٤ ـ أقابزرك الطهرانى : الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، ج ٧ ، طبع طهران ، ١٣٢٩ ه .
١٠٥ ـ الأنطاكى : (داود الأنطاكى المعروف بالأكمه) تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق ، طبع مصر ، ١٣١٩ ه .
١٠٦ ـ البغدادى : (عبد القادر بن عمر) خزانة الأدب ولب ألباب لسان العرب ، ج ٢ ، طبع مصر ، ١٢٩٩ ه .
١٠٧ ـ البندارى : (الفتح بن على بن محمد البندارى الإصفهانى) . ترجمة الشاهنامه للفردوسى ، نشر عبد الوهاب عزام ، ج ٢ ، طبع مصر ، ١٣٥٠ ه ـ ١٩٣٢ م .
١٠٨ ـ نفس المؤلف : مختصر تواريخ آل سلجوق ، نشر هوتسما Houtsma ، طبع ليدن ، ١٨٨٩ م .
١٠٩ ـ البيضاوى : تفسير البيضاوى ، ج ١ ، طبع ليبزيج ، ١٨٤٦ م .
١١٠ ـ الثعالبى : (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل) غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ، طبع باريس ، ١٩٠٠ م .
١١١ ـ الجنابى : (أبو محمد بن الأمير حسن الحسينى الملقب بالجنابى) تاريخ الجنابى المسمى « تحفة الأديب وهدية الأريب » نسخة خطية بمكتبة ملك الخاصة بطهران .
١١٢ ـ جنيد الشيرازى : (معين الدين أبو القاسم) شد الإزار فى حط الأوزار عن زوار المزار (مؤلف فى عام ٧٩١ ه) نشر وتصحيح محمد عبد الوهاب القزوينى وعباس إقبال ، طبع طهران ، ١٣٢٨ . ه . ش .
١١٣ ـ حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، نشر

وتعليق محمد شرف الدين يالتاقايا ورفعت بيكه الـكليسى ، المجلد الأول ، طبع استانبول ، ١٣٦٠ هـ – ١٩٤١ ؛ والمجلد الثانى ، طبع استانبول ، ١٣٦٢ هـ – ١٩٤٣ م .

١١٤ – الحافظ الذهبى : (الحافظ شمس الدين أبو عبد الله الذهبى) تاريخ الإسلام الذهبى ، طبع حيدر آباد الدكن ، ١٣٣٧ هـ .

١١٥ – الحسينى : (صدر الدين أبو الحسن على السيد الإمام الشهيد أبو الفوارس ناصر بن على الحسينى) أخبار الدولة السلجوقية ، نشر وتصحيح محمد إقبال ، طبع لاهور ، ١٩٣٣ هـ .

١١٦ – السمعانى : (أبو سعيد عبد الـكريم بن أبى بكر محمد السمعانى المروزى) كتاب الأنساب ، نشر مارجليوث Margoliouth، طبع ليدن ، ١٩١٢ م .

١١٧ – الشهاب : (أحمد بن محمد بن عمر قاضى القضاة الملقب بشهاب الدين الخفاجى المصرى) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى المسماة بـ « عناية القاضى وكفاية الراضى) ج ٦ ، طبع مصر ١٢٨٣ هـ .

١١٨ – الشهرستانى : (محمد بن عبد الـكريم) الملل والنحل ، طبع ليبزيج ، ١٩٢٣ م .

١١٩ – طه حسين : (دكتور) حديث الأربعاء ، ج ٢ ، طبع مصر ، ١٩٢٦م .

١٢٠ – عبد الله بن حسين المصرى : تاريخ الفلاسفة اليونانيين (مترجم عن الفرنسية) طبع مصر ، ١٩٠٤ م .

١٢١ – الغزالى : (حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالى الطوسى) تهافت الفلاسفة ، طبع بمباى ، ١٠٣٤ هـ .

١٢٢ – الفخر الرازى : (الإمام محمد الرازى فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الرى) ، ج ٥ ، ط مصر ، ١٣٠٨هـ .

١٢٣ ـ القرآن الكريم .
١٢٤ ـ القرطبي : (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي) الجامع لأحكام القرآن ، ج ١١ ، طبع القاهرة ، ١٣٦٠ هـ ـ ١٩٤١ م .
١٢٥ ـ القزويني : (زكريا بن محمد بن محمود القزويني) آثار البلاد وأخبار العباد ، نشر فردناند وستنفلد F. Wustenfeld ، طبع جوتنجن ، ١٩٤٨ م .
١٢٦ ـ القفطي : (الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف القفطي) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، طبع مصر ، ١٣٢٦ هـ .
١٢٧ ـ قيس بن الملوح مجنون بني عامر : الديوان ، جمع أبي بكر الوالبي ، طبع بمباي ، ١٣١٠ هـ .
١٢٨ ـ محمد باقر الإصفهاني : روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، ج ١ طبع طهران ، ١٣٠٦ هـ .
١٢٩ ـ المسعودي : (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي الحسيني الشافعي) التنبيه والإشراف ، طبع ليدن ، ١٨٩٣ م .
١٣٠ ـ المقدسي : (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، طبع ليدن ، ١٩٠٦ م .
١٣١ ـ ياقوت الحموي : (شهاب الدين أبو عبد الله الرومي الحموي البغدادي) معجم البلدان في معرفة المدن والقرى والخراب والعمار والسهل والوعر من كل مكان ، ج ٣ ، ٤ ، طبع مصر ١٣٢٣ هـ ـ ١٩٠٦ م .
١٣٢ ـ اليعقوبي : (أحمد بن يعقوب بن أبي واضح) كتاب البلدان ؛ وهو

مطبوع مع المجلد السابع من كتاب الأعلاق النفيسة ، تصنيف
أبي على أحمد بن عمر بن رسته ، طبع ليدن ١٨٩٢ م .

* * *

ج — بالتركية :

١٣٣ ـ شمس الدين سامى : قاموس الأعلام ، طبع استانبول ، ١٣١٦ .

M. A. Koymen: Buyuk Selcuklu Imparatorlugu — ١٣٤
Ogus Istilasi dil ve Tarih-Gografya, Fakultesi dergisis cilt v Sayes den ayribasia (extrait:tome v. No. 5)

* * *

٢ — المراجع التى كُتبت باللغات الأوروبية

ا — المراجع الانجليزية :

E. G. Browne : a) A Literary History of Persia, — ١٣٥
vol. II Cambridge, 1928.

b) A Catalogue of Persian Manuscripts in — ١٣٦
the Library of the University of cambridge, 1896.

Bulletin of the School of Oriental Studies, London — ١٣٧
Institution, London, 1924.

Bulletin of the School of Oriental and African — ١٣٨
Studies, vol. XII, part, 2, 1948.

G. H. Darab: Makhzanol Asrar of Nizami of Ganjeh — ١٣٩
translated for the first time from the Persian with an introductory essay of the life and times of Nizami, London, 1945.

M. S. Dimand: A Handbook of Mohammadan Art, — ١٤٠
New york, 1947.

The Encyclopaedia of Islam, vol. 2, Articles: Gandja — ١٤١
Maragha; vol. III Art. Nizami.

H. Ethe: Cataloque of Persian Manuscripts in the — ١٤٢
Library of the India Office, Oxford, 1903.

Hadi Hassan: Falaki-i-Shirwani; His times, life, — ١٤٣
and works; part 2, London, 1929.

Jackson and Yohannan : A Catalogue of Persian — ١٤٤
Manuscripts (Cochran Collection) New york, 1914.

Lane-Poole : a) Mohammadan Dynasties, London, — ١٤٥
1894; Paris, 1925.

b) Catalogue of Arabic Coins at Cairo, — ١٤٦
London, 1897.

G. Le Strange: The Lands of the Eastern Caliphate — ١٤٧
Cambridge, 1930.

Mawlawi Abdel Muqtadir: Catalogue of the Arabic — ١٤٨
and Persian Manuscripts in the Oriental Public Library at Bankipore, Calcutta, 1908.

Mohammad Wahid Mirza : The life and works of — ١٤٩
Amir Khusrau, Calcutta, 1935.

Sir Percy Sykes : A History of Persia, vol. II, — ١٥٠
London, 1930.

Radawi and Saheb: Catalogue of the Persian Manu- — ١٥١
scripts in the Buhar Library.

C. Rieu; a) Catalogue of the Persian Manuscripts — ١٥٢
in the British Museum, vol. II.

b) Supplement to the Cat. of the Persian — ١٥٣
MSS. in the Brit. Mus. London, 1895.

A. Sprenger ; Arabic, Persian, and Hindustany — ١٥٤
Manuscripts in the Library of King of Oudh, Calcutta, 1854.

* * *

ب — المراجع الروسية :

Bakikhanow ; Golistan Eram, Bakou, 1926. — ١٥٥

I. E. Berthels ; a) Beliki Azerbaidjankii Poet — ١٥٦

Nizami, Bakou, 1940.
b) Uchierk istorii Percidckoi Literaturii, — ١٥٧
Leningrad, 1926.

I. P. Cheblkin ; Pamiatniki Azerbiadjanskovo ١٥٨
Zodchestva epochi Nizami, Bakou, 1943.

Izvestia Azerbaidjanskovo Archeologiskovo Komi- — ١٥٩
tetia, Burisk Pervoie, Bakou, 1925.

V. L. Jordlevsky ; Gocudarstvo Celgukidov Manoi — ١٦٠
Azie, Moskow, 1941.

Iobilienu Komitet Nizami, Pri Asccr. Soioz Sovie- — ١٦١
tskikh Pisatelie Azerbiadjana, Svornik Votorie,
Bakou, 1940.

S. Lipskin : Laila wa Majdnoun Mir Alishir — ١٦٢
Nawai, Tashkand, 1943.

* * *

ﺣ – بالألمانية :

W. Bacher : Nizamis Leben Und Werke Und der — ١٦٣
Sweite Theil des Nizamischen Alexanderbuches mit
Persichen Texten als Anhang, Gottingen, 1871.

H. Duda : Ferhad und Shirin, Praha, 1933. — ١٦٤

* * *

د – المراجع الفرنسية :

Blochet : Bibliothèque Nationale Catalogue des — ١٦٥
Manuscrits persans, Tome Troisieme, Paris, 1928.

Victor Rosen : Les Manuscrits persans de l'Institut — ١٦٦
des Langues Orientales, Saint-petersbourg, 1885.

E. de Zambaur : Manuel de Genealogie et de Chro- — ١٦٧
nologie pour l'histoire de l'Islam. Tome premiere,
Hanouvre, 1927.

* * *

هـ – بالإيطالية :

Italo pizzi : Storia della poesia persiana, vol II, — ١٦٨
Torino, 1894.

ملحقات

١ ـ أسماء الولاة الذين عاصرهم نظامى ، وسنى حكمهم بالتقويمين الهجرى والميلادى

ا ـ دولة السلاجقة :

١ ـ سنجر بن ملكشاه بن ألب آرسلان بن چغرى بن ميكائيل بن سلجوق ، من السلاجقة العظام : ٥١١-٥٥٢ هـ ، ١١١٧-١١٥٧م .

٢ ـ مسعود بن محمد بن ملكشاه بن ألب آرسلان من سلاجقة العراق : ٥٢٧-٥٤٧ هـ ؛ ١١٣٣-١١٥٢م .

٣ ـ ملكشاه بن محمود بن محمد بن ملكشاه ، من سلاجقة العراق : ٥٤٧-٥٤٨هـ ؛ ١١٥٢-١١٥٣م .

٤ ـ محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه ، من سلاجقة العراق : ٥٤٨-٥٥٤هـ ؛ ١١٥٣-١١٥٩م .

٥ ـ سليمان بن محمد بن ملكشاه ، من سلاجقة العراق : ٥٥٥هـ ، ١١٦٠م .

٦ ـ آرسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه ، من سلاجقة العراق : ٥٥٥-٥٧١ هـ ؛ ١١٦٠-١١٧٥ م .

٧ ـ طغرل بن آرسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه ، آخر سلاجقة العراق : ٥٧١-٥٩٠ هـ ؛ ١١٧٥-١١٩٤م .

٨ ـ قلج آرسلان ، من سلاجقة آسيا الصغرى : ٥٠٠-٥٣٩هـ ، ١١٠٦-١١٤٤م .

٩ ـ عز الدين قلج آرسلان ، من سلاجقة آسيا الصغرى : ٥٥٧-٥٧٨ هـ ، ١١٦٣-١١٨٢م .

١٠ ـ غياث الدين كيخسرو ، من سلاجقة آسيا الصغرى : ٥٧٨ هـ ، ١١٨٢م .

١١ ـ ركن الدين سليمان ، « « « « : ٥٧٨ — ٦٠٢هـ ، ١١٨٢-١٢٠٥م .

١٢ ـ فخر الدين بهرامشاه ، من أمراء سلاجقة آسيا الصغرى : ٥٧٠-٦٢٢هـ ، ١١٧٤-١٢٢٥م .

* * *

ب ـ حكام آذربيجان :

١ ـ ايلدكز ، من أتابكة آذربيجان : ٥٣١-٥٦٨هـ ؛ ١١٣٦-١١٧٢م .
٢ ـ محمد جهان پهلوان بن ايلدكز ، من أتابكة آذربيجان : ٥٦٨-٥٨٢ هـ ؛ ١١٧٢-١١٨٦م .
٣ ـ قزل آرسلان بن ايلدكز ، من أتابكة آذربيجان : ٥٨٢ ـ ٥٨٧ هـ ؛ ١١٨٦-١١٩١ م .
٤ ـ أبو بكر بن محمد جهان پهلوان بن ايلدكز ، من أتابكة آذربيجان : ٥٨٧-٦٠٧هـ ، ١١٩١-١٢١٠م .
٥ ـ أوزبك بن محمد جهان پهلوان بن ايلدكز ، من أتابكة آذربيجان : ٦٠٧-٦٢٢هـ ؛ ١٢١٠-١٢٢٥م .
٦ ـ آقسنقر الثانى ، من حكام مراغة : ٥٢٧ ـ ٥٦٤هـ ، ١١٣٣ ـ ١١٦٨م .
٧ ـ علاء الدين أخو آقسنقر ، من حكام مراغة : ٥٦٤-٦٠٤هـ ، ١١٦٨-١٢٠٧م .
٨ ـ منوچهر الثانى ، من حكام شروان : ٥٣٠ ـ ٥٤٤هـ ، ١١٣٦ ـ ١١٤٩م .
٩ ـ اخستان بن منوچهر ، من حكام شروان : ٥٤٤ ـ بعد عام ٥٩٥ هـ ، ١١٤٩ ـ بعد عام ١١٩٩م .

* * *

ج ـ العباسيون فى بغداد :

١ ـ المقتفى لأمر الله (محمد) : ٥٣٠ ـ ٥٥٥هـ ، ١١٣٦ ـ ١١٦٠م .
٢ ـ المستنجد بالله (يوسف) : ٥٥٥ ـ ٥٦٦هـ ، ١١٦٠ ـ ١١٧٠م .
٣ ـ المستضىء بالله (على) : ٥٦٦ ـ ٥٧٥هـ ، ١١٧٠ ـ ١١٧٩ م .
٦ ـ الناصر لدين الله (أحمد) : ٥٧٥ ـ ٦٢٢هـ ، ١١٧٩ ـ ١٢٢٥م .

* * *

د ـ الاسماعيليون فى إيران :

١ ـ محمد بن بزرگ أميد : ٥٣٢-٥٥٥ هـ ، ١١٣٧-١١٦٠م .
٢ ـ حسن بن محمد بن بزرگ أميد : ٥٥٥-٥٦١هـ ، ١١٦٠-١١٦٥م .

٣ ـ محمد بن حسن بن محمد بن بزرگ أميد : ٥٦١-٦٠٧هـ ، ١١٦٥-١٢١٠م .

* * *

٢ ـ التعريف بأشهر المدن والقلاع التى ذُكِرتْ فى الخريطة (١)

أران : ناحية بين آذربيجان وأرمينية وبلاد الأبخار بها مدن كثيرة وقرى، وكانت قصبتها جنزة (گنجه) ، وشروان ، وبيلقان ، وكان بها نهر يسمى « نهر الكر » .

أرزنجان : بلدة من بلاد أرمينية على بعد مائتى ميل غربى «أرزن الروم» آهلة بالسكان ، هواؤها عليل ، كثيرة الخيرات ، أهلها مسلمون ونصارى ، وأغلب أهلها من الأرمن ، يتكلمون التركية .

أرزن الروم : مدينة مشهورة من مدن أرمينية .

أرمينية : ناحية بين آذربيجان والروم ، ذات مدن وقلاع وقرى كثيرة ، أكثر أهلها نصارى .

بلاد الكرج : وهى تسمى أحياناً « بلاد الأبخاز» وكانت عاصمتها « تفليس » على نهر الكر .

تبريز : مدينة حصينة ذات أسوار محكمة ، وقد كانت وما زالت قصبة بلاد آذربيجان بها عدة أنهر ، كما تحيط بها البساتين .

دربند : مدينة على ساحل بحر الخزر مبنية بالصخور ، كانت عليها أبواب من الحديد ، كما كان لها أبراج كثيرة ، على كل برج مسجد للمجاورين والمشتغلين بالعلوم الدينية ،وكان على السور حراس يحرسون من العدو ، وقد بناها كسرى آنوشيروان فى القرن السادس الميلادى ، وكانت أحد الثغور العظيمة .

---

(١) هذه المعلومات مستمدة من الكتب الآتية :

المسالك والممالك لابن خرداذبه ؛ مسالك الممالك للاصطخرى ؛ التنبيه والإشراف للمسعودى ؛ أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى ،

G. Le Strange: The Land of the Eastern Caliphate.

روئين دژ : قلعة حصينة جداً كانت على ثلاثة فراسخ من مراغة .

شراون : كانت ناحية قرب دربند ، قيل إن كسرى آنوشيروان عمرها فسميت باسمه .

سيواس : كانت من المدن المهمة فى آسيا الصغرى، كما كانت عاصمة سلاجقة الروم .

طهران : وهى العاصمة الآن ، وكانت فى عصر نظامى قرية كبيرة من قرى مدينة الرى ، اشتهرت بكثرة البساتين والأشجار ، والثمار اليانعة ، وكانت بها اثنتا عشرة محلة .

قم : كانت مدينة بأرض الجبال من مدن العراق العجمى ، وكانت كبيرة خصبة، وقد مصرت فى عهد الحجاج ، بن يوسف سنة ثلاث وثمانين ، أهلها شيعة غالية جداً ، ومياهها من الآبار التى أكثرها ملح .

قيصرية :كانت مدينة عظيمة فى بلاد الروم بناها ملك الروم من الحجارة ، كما كانت كثيرة الأهل ، عظيمة العمارة .

كشاف أسماء الأعلام

ص

ض

ط

ع

كشاف الأسر والدول والشعوب والقبائل

كشاف المدن والبقاع والأقطار والبحار والقلاع

جدول الصور

تصويب

وقعت بعض أخطاء مطبعية من السهل ملاحظتها ، غير أننا نشير إلى أهمها ونرجو أن ترد إلى أماكنها :

الصفحة	السطر	الخطـأ	الصواب
هـ	١٤	تميهد	تمهيد
ز	٢٣	١٤٨	٤٨٢
١	١٢	تبدأ	يبدأ
٥	٢ من الحاشية	uud	und
٦	٢٠	١٩٣٤ م	١٩٣٣ م
٩	٥ » »	fitst	first
١٠	١ » »	Belletin	Bulletin
٧٧	٧ » »	آواز فضل ازاو	آوازه فضل ازو
٧٨	٨ » »	السلجوق	السلجوقية
٧٨	١١ » »	سيأتى	سيأتى
٨١	٨ » »	عندهم	عندها
٩٤	٥ » »	يحفظ	يحفظ
١٠٣	٦ » »	سپهلار	سپهسالار
١١٠	١١ » »	نظاهى	نظامى
١١٣	٨	الزدشنيون	الزردشتيون
١١٦	١٥	تهالس	واليس
١٢٣	٦	إنه	أنه
١٥٥	٩ من الحاشية	Perian	Persian
١٧٣	٥ » »	دينى	دنى
١٧٤	١	المسادسة	السادسة
١٧٤	٦	العقل العقل	العقل
١٧٧	٨	للتنره	للتنزه

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٧٩	١٤	النمـل	النمـل
١٨٦	٦ من الحاشية	بپايان	بپايان
١٨٩	٦	وهره	دهره
١٩٢	٣ من الحاشية	عسيبست	عيبست
٢٠٠	٢ » »	أفعن	أفعى
٢٠٨	٣	(٣)	(١)
٢٠٨	٩	(٤)	(٢)
٢٠٨	١٣	(٥)	(٣)
٢٠٨	١ من الحاشية	(٣)	(١)
٢٠٨	٣ » »	(٤)	(٢)
٢٠٨	٥ » »	(٥)	(٣)
٢١٠	٢	وضع	موضع
٢١٢	٧	وبيدوا	ويبدو
٢١٢	١ من الحاشية	نفى	نفسى
٢١٤	١٢ » »	عظ	عط
٢٢٢	٥ » »	أذب	أدب
٢٢٤	٤	بعنانى	بعنانى
٢٤٥	٤ من الحاشية	المرجع	المرجع
٢٤٥	٦ » »	جشمه	چشمه
٢٦٠	٤ » »	گرايند	گرايند
٢٦٢	٥ » »	سپيدم	سپيدم
٢٦٤	٤	وشيرين	شيرين
٢٦٦	١ من الحاشية	گان	كان
٢٦٨	٢ » »	جراجت	جراحت
٣٠٠	٤	ضيعف	ضعيف
٣٠٦	٧ من الحاشية	بو	بوفا
٣٠٨	٤ » »	تعيش كنفه	تعيش فى كنفه

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٢٨	١٢ من الحاشية	حانفزاى	جانفراى
٣٢٩	١٢	فسيبصر	فيبصر
٣٣٣	٤	أبو بهرام	أبا بهرام
٣٣٤	٢ من الحاشية	كناه كذشته	كناه كذشته
٣٣٧	٤ « «	أردهاى	أژدهاى
٣٥٧	٤ « «	كنبد	كنبد
٣٦٤	٩	عنظومة	منظومة
٣٦٥	١٣	آراءه	آرائه
٣٧٩	٩	نبييا	نبيا
٣٨٧	١٢	فضلك	بفضلك
٣٩٦	٨	الاسنكدر	الإسكندر
٣٩٩	١٢	وقالوا	قالوا
٤٠٢	٣	فذهت	فذهب
٤١٠	٣ من الحاشية	نختين	نخستين
٤١٠	٧ « «	بپحيد	بپچيد
٤١٤	٦ « «	يابيم	يابم
٤١٧	٣	البـ قى	الباقى
٤١٧	١٠	فنزلا	فنزلا
٤١٩	١ من الحاشية	زبن	زين
٤٢٢	٧	أ به	أنه
٤٢٢	٥ من الحاشية	جو	چو
٤٢٤	٨	مونه	موته
٤٢٥	١٧	لاسكندر	الاسكندر
٤٢٩	٨	حبًّ	حبًّا
٤٢٩	٩	وإفرار	وإقرار
٤٢٩	١٨	لنظامى	نظامى
٣٣٠	٨	أرجبج	أرجح

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٣٠	٢ من الحاشية	أثناء فى	فى أثناء
٤٣١	٤	يرحح	يرجح
٤٣٢	١	وترتيب	وترتيب
٤٣٢	٤	وأبطق	وأنطق
٤٣٩	٩	ربيكا	ربيكا
٤٥٠	٢	مُلْكَ	مُلْكُ
٤٦٠	٨	لوناً	لونٌ
٤٦٠	١٧	معبرا	معبراً
٤٦٢	١ من الحاشية	كرجه	گرجه
٤٧٠	٦	فى قوله فقال	فى قوله
٤٨٣	١	المرجع	المراجع
٤٨٣	١٠	٣٥٠ هـ	٧٥٠ هـ

كتب وأبحاث علمية للمؤلف

صدر منها :

١ — معالم تاريخ مصر الحديث (بالاشتراك مع الدكتور حسن محمود) وهو مؤلف بالإنجليزية ، ويصور معالم تاريخ مصر الحديث تصويراً واضحاً، فيشرح العوامل التي وجهت هذا التاريخ ، وقد صدرت طبعته الأولى في عام ١٩٤٩ .

٢ — فن المثنوى ، وهو بحث علمى موجز كتب بالفارسية ، يتناول فن «المثنوى» أو « المزدوج » في الشعر الفارسى ، مع الإشارة إلى أشهر المثنويات حسب ترتيبها الزمنى ، وهو منشور في مجلة دانش التي صدرت في طهران في يناير من عام ١٩٥١ .

٣ — آموزگار فارسى (بالاشتراك مع الأستاذين صادق نشأت وفؤاد الصيـاد) وهو مؤلف بالفارسيـة ؛ ويقع في ثلاثة أجزاء تهدف إلى دراسة الفارسية المعاصرة ، مع عرض للأدب الفارسى في عصوره المختلفة ، وقد صدر الجزء الأول منها في عام ١٩٥٢م ، وصدر الجزءان الثانى والثالث في عام ١٩٥٣ .

٤ — كليله ودمنه درزبان فارسى وعربى ، وهو بحث علمى مكتوب بالفارسية يكشف عن حقيقة كتاب « كليلة ودمنة » ويصور خط سيره في اللغتين الفارسية والعربية ، وهو منشور في مجلة وزارة المعارف الإيرانية العلمية المسماة « آموزش وپرورش » في أغسطس من عام ١٩٥٣ .

٥ — نظامى الگنجوى شاعر الفضيلة ، وهو أشمل بحث ، وأوسع دراسة لهذا الشاعر الإيرانى العظيم الذى يعد بحق إمام « فن المثنوى » وأستاذ الفن القصصى المنظوم بالفارسية ، وهو يشمل دراسة أحواله ، وعصره ، وبيئته ، وشعره ، وتصوير واضح لكل قصة من قصصه ، ويحتوى على بضعة آلاف بيت من الشعر الفارسى في مقابل ترجمتها العربية مع دراسات مقارنة . وقد صدرت طبعته الأولى في عام ١٩٥٤ .

ويصدر قريباً :

٦ — دراسات فى النثر الفارسى وتطوره ، وهو دراسات شاملة ـ باللغة العربية ـ للنثر الفارسى بعد الإسلام ، وتصوير فنونه المختلفة ، ومقارنته بالنثر العربى .

٧ — تاريخ الدولة السلجوقية حتى سقوط بغداد ، وهو أشمل دراسة لتاريخ هذه الدولة التى لعبت دوراً مهماً على مسرح التاريخ الإسلامى بصفة عامة وتاريخ إيران بصفة خاصة ، وهو مؤلف بالعربية .

٨ — مخزن الأسرار ، وهو عبارة عن أول ترجمة عربية لأولى منظومات الشاعر الإيرانى نظامى الكنجوى ، مع دراسة مقارنة ، ونشر النص الفارسى .

٩ — قصة ليلى والمجنون ، وهو أول ترجمة عربية لمنظومة « ليلى ومجنون » لنظامى الكنجوى ، مع دراسة مقارنة ، ونشر النص الفارسى .

١٠ — جمال الدين الإيرانى المشهور بالأفغانى (بالاشتراك مع الأستاذ صادق نشأت) وهو دراسة وافية بالعربية تحقق أصل هذا المصلح الكبير ، وتشرح مبادىء دعوته الإصلاحية .

ويطلب المنشور من هذه الكتب والأبحاث من
مكتبة الخانجى ، ومكتبة النهضة بالقاهرة ، والمكتبات الشهيرة بالشرق والغرب